

العلم وحقائقه

بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل

HOLY BIBLE

تأليف
د. سامي عامري

تقديم
د. محمد العوضي
أ.د. عبدالرحمن الشهري
د. منقذ السقار

العلم وحقائقه ..

بين سلامة القرآن الكريم
وأخطاء التوراة والإنجيل



الانتصار للقرآن (2)

العلم وحقائقه ..

بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل

تأليف:

د. سامي عامري

تقديم:

أ. د. عبدالرحمن الشهري

د. منقذ السقار



العلم وحقائقه .. بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل
المؤلف: د. سامي عامري
تقديم: أ. د. عبدالرحمن الشهري، د. منقذ السقار
رواسخ 2019
664 ص ؛ 23.5 سم.
الترقيم الدولي: 978-9921-9729-0-0

الطبعة الرابعة 1442 **هـ** - 2021 **م**



الكويت - شرق - شارع أحمد الجابر - برج الجاز
هاتف: 0096522408686 - 0096522408787
0096590963369



- مركـز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسـس عقلية وعلمية منهجية.
- يسـعى لإيجـاد خطـاب علمـي مؤصل من خـلال تأليـف وترجمـة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يُعنى بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.

الفهرس

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمـد للـه الذي أنزل علـى عبده الكتاب ولـم يجعل له عوجا، وهـدى بآياته في النفس والآفاق ملتمس الحق بشواهده..

أمّـا بعـد؛ فقد كتب توماس بايـن – الربوبي الثائـر على الأديان في آخـر القرن الثامن عشر – مؤلَّفه «عصر العقل» «The Age of Reason»؛ تعبيرًا عن صراع العقل مع الدين في عصره، والحاجة إلى تمكين العقل من الحكم في كل شـيء باعتباره المعيار والمرجع في كلّ مسألة، مهما كانت طبيعة هذه المسألة. وقد كان للعقل ذاك التوهّج في تلك الفترة بما يمثّله في حس الثائرين من احتكام إلى آلة لا تغتر بخرافات رجال الدين وأوهام الدهماء.

وقـد عاصر ذلك صعود نزعة قداسـة المنهج التجريبي مع فرنسـيس بيكون (توفي 1626م)، والقطـع مـع الطابع التأملي الغالب على المنهج العلمـي اليوناني حتى آخر القرون الوسـطى. واستمرّ تضخّم رصيد الثقة في المنهج التجريبي مع صعود المدرسة الوضعية على يد الفيلسـوف الفرنسـي أوغيسـت كونت ثم مدرسـة الوضعية المنطقية على يد أعـلام دائرة فيينا. وانتقل بذلك العلم التجريبي من أن يكون منهجًا للبحث في الطبيعة للكشف عن قوانينها إلى أن يصير أيديولوجيا حاكمة على كلّ شيء.

وكان العلـم الطبيعي في أثناء ما سـبق مـن تاريخ تطوره منذ بدايـة «عصر النهضة» فـي أوروبا يزاحم التفسـير الديني في بعض الأمر، ويكتسـب مجـالات جديدة كانت حكرًا على لاهوتيي الكنيسـة أو قساوسـتها، ثم مع صعود المذهب الربوبي في «عصر الأنوار»، وما طُبع عليه هذا التيّار من اسـتخفاف بالأسـفار المقدسـة للكنيسة، ظهرت بواكير الخصومة بين النص المقدس والعلم الحديث، وإن كانت على استحياء.

ومـع تطور المعـارف العلمية، وما واكبها مـن تطور الدراسـات التوراتية والإنجيلية، خاصـة علـم النقد الأعلى الـذي يبحث فـي تاريخ النص، وعلـم الأركيولوجيـا الكتابية

Biblical Archeology، توسّعَ الحديث عن معارضة العلم للكتاب المقدس وما أخبر به من عقائد السابقين وخرافاتهم العلميّة. وصار العلم كلمة محرجة لدعاة اليهود والنصارى.

ذاك حال الغرب، وأمّا الشرق (المسلم) فتاريخه مختلف؛ فإنّ صعود المدّ العلموي في الغرب، وتأثّر بعض المبتعثين إلى فرنسا في النصف الأول من القرن العشرين بالمدارس النقدية الغربية، قد استثار علماء الشريعة إلى الاعتناء بالتأليف بما يتعلّق بعلاقة الوحي بالعلم؛ فظهرت مؤلّفات كثيرة في بيان تآلف القرآن والعلم، وحض الشريعة على طلب العلم وكشف قوانين الطبيعة، وانبرى لذلك كتّاب لهم صيت كمحمد عبده (في كتابه: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية)، ومحمد فريد وجدي (في كتابه: المدنية والإسلام)، وطنطاوي جوهري (في تفسيره للقرآن: الجواهر في تفسير القرآن الكريم)..

وقد بدأ هذا البحث في المشرق بصورة مرضية تبغي دفع الشبهة عن القرآن والإسلام، ودفع شُبه الخلاف بين القرآن وكشوف العلم الحديث، غير أنّ فريقًا من الكتّاب شطّ؛ فأقحم العلم في غير مجاله، كالحديث عن الروح وعالم الغيب المحجوب عن البصائر، أو أقحم القرآن في غير بابه؛ فتكلّف له معان ليست فيه؛ فأساء إلى القرآن من حيث أراد خدمته.

والشطط والتكلّف كلّه شرّ؛ فإنّ القرآن في غنى عن أن نفتعل له دلائل لإثبات صدقه؛ فإنّ القول بربّانيته فرع عن العلم بإعجازه. ولقناعتنا في مركز رواسخ بوجوب صيانة القرآن عن العبث بالوحي باسم العلم أو تزييف العلم باسم الدين، فقد أصدرنا هذه السنة كتابًا للفيزيائي العراقي د. باسل الطائي عنوانه «الكيالي، بين تزييف العلم وتحريف القرآن»، وهو في بيان تهافت أطروحات أحد العابثين بالقرآن تحت مسمّى العلم. وذاك وجه دفاعنا عن القرآن أن يكون مستباحًا لأقلام الخائضين فيه بغير هدى.

وللوفاء لموضوع العلم والقرآن حقّه، طبعنا الكتاب الذي بين يديك، في بحث علاقة القرآن بالعلم بعيدًا عن لغة الإسراف والقول على العلم بما ليس فيه. وهو طرح علمي جريء يتناول التقريرات العلميّة في القرآن مع محاكمتها إلى صحيح العلم

بتناول كلّ المسائل التي يزعم الملاحدة والمنصّرون اليوم أنّ القرآن قد خالف فيها الحق؛ وهو بذلك يعرض دعوى عصمة القرآن من الزلل تحت الشمس دون وجل؛ فتلك هي القضية المطروقة اليوم بصورة استفزازية في أدبيات خصوم الإسلام. وهو وجه يرى المؤلف أنّ حصيلة البحث فيه دالة على إعجاز القرآن؛ فإنّ كتابًا أُلّف منذ خمسة عشر قرنًا في بيئة جاهلية في معارفها الطبيعية، وتحت الأثر -المزعوم- للثقافة اليهودية على قول المستشرقين، لا بدّ أن يكون مشحونًا بصنوف شتى من الخرافات -خاصة مع كثرة الآيات الكونية فيه، والتي تبلغ المئات-. ولا تفسير لخلو القرآن من الخطأ العلمي إلا أنّه تنزيل من عليم قدير.

ولا يقف المؤلّف عند تناول شبهات خصوم القرآن في باب الحقائق العلميّة، وإنّما يتناول أحيانًا بعض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن، وإن لم يكن الكتاب قد أُلّف لذلك أوليًا. وهو في ذلك منتبه لما قد يقع في هذا الباب من خطأ في باب التكلّف اللغوي أو الافتراء على العلم؛ فلا يأتي إلا بالنصوص الواضحة، مع الاستدلال لصحة الدعاوى العلميّة بكلام علماء الطبيعة الغربيين من غير المسلمين.

ولا ينتهي الكتاب بتقرير ما سبق؛ إذ إنّه ليس كتابًا للعرض أو السرد، وإنّما هو كتاب للسجال ودعوة أهل الكتاب إلى الحق؛ ولذلك فهو يحاكم الكتاب المقدس الذي يؤمن به اليهود أو تؤمن به الكنائس إلى العلم وحقائقه، شارحًا للنصوص بلغتها الأصلية إذ اقتضى المقام ذلك، ومراجعًا لمخطوطات التوراة والإنجيل عند اختلافها، ومستشهدًا بأقوال كبار النقاد والمفسرين من النصارى واليهود.

وإنّا لنرجو أن يكون في الكتاب تجديد لمبحث موقف العلم من القرآن والكتاب المقدس، خاصة مع الهجمة الإلكترونية على القرآن والتشكيك فيه بدعوى أنه واقع في مخالفة قطعي العلوم.

«رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْـزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

رواسخ

مقدمة أ. د. عبدالرحمن الشهري

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفتُ د.سامي عامري من خلال بعض الإصدارات التي صدرت له مؤخراً، ثم شاهدتُ له العديدَ من الفيديوهات عبر اليوتيوب في مناقشة كثير من القضايا المشكلة في الرد على الملحدين ثم لقيته بعد ذلك فأحببته وسعدت به كثيراً لعمقه العلمي، وحسن بيانه، وحسن مناقشته للقضايا التي يتناولها، والتي قلَّ مَن يُحسنها بمثل بيانه وسعة اطلاعه، ومعرفته بعدد من اللغات القديمة والمعاصرة، وهو مشروع باحث عميق جدير بكل حفاوة وتقدير، أسأل الله أن ينفع بعلمه، وأن يُمكِّنَ له للمزيد من الإفادة والإبداع.

وها هو في هذا الكتاب يأتي بالجديد البديع في مناقشة قضية في غاية الأهمية والحساسية، وهي الموازنة بين موقف القرآن الكريم والتوراة والإنجيل من العلم التجريبي المعاصر وحقائقه، وهو موضوعٌ سَبَقَ إلى طرقه الطبيب الفرنسي الشهير موريس بوكاي في كتابه الذي ترجم باسم (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، والذي تفرد بمناقشة هذه القضية الحساسة ولم يأت بعده مثله في بابه مع كثرة المستجدات في موضوعه، وأحسب أن هذا الكتاب الذي بين يديك سيكون حلقة مهمة جداً في هذا الموضوع، وخطوة نوعية في إعادة طرح هذا الموضوع للنقاش مع عمق علمي ظاهر، وحسن تتبع لجزئيات المسألة في المصادر المختلفة بعدة لغات، وإنصافٍ يثلج الصدر للموافق والمخالف، وهذا النوع من الكتابة وفي مثل هذا الموضوع الدقيق هو الذي يبلغ غايته بهدوء، ويصل للقارئ المتعطش بيسر وسهولة، ويأخذ بيد الباحث الحريص لمواضع الإشكال فيزيلها واحدة تلو الأخرى.

إن القضايا التي ناقشها الباحث الكريم في بحثه هذا ما تزال مجالاً للكتابة والبحث والنقاش، وقد أدلى الباحث برأيه الجدير بكل تقدير، واجتهد في كثير من مسائله بما يحسب له ويشكر عليه في قضايا الإعجاز العلمي وبعض ضوابطه، ومناقشة بعض من كتبوا فيه من المعاصرين، وأرجو أن يلقى الكتابُ ومؤلفه ما يليق به في ميدان البحث العلمي في الدراسات القرآنية والعقدية من النقاش والجدل العلمي البناء حتى تنضج أفكاره، وتنمو قضاياه، فإن النقد العلمي لمثل هذه الدراسات هو الذي ينضجها ويبرز قيمتها ومدى عمقها وإفادتها في حقلها.

وقد زاد إعجابي بالكتاب أنه يصدر ضمن مشروع يقوم المؤلف بالكتابة فيه تحت مسمى (الانتصار للقرآن) وهو موضوع يستهويني منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، مما دفعني لتبني عدد من المشروعات والكتابات فيه على صفحات ملتقى أهل التفسير وغيره، وأرجو أن يوفق الله المؤلف الكريم للمزيد من المؤلفات الرصينة التي تخدم هذا المشروع المبارك في الدفاع عن القرآن والانتصار له بعلم وحكمة وحسن بيان، وأسأل الله للكتاب والمؤلف المزيد من النجاح والقبول والنفع، كما أسأله لمركز رواسخ - هذا المركز العلمي الواعد الذي يشق طريقه بقوة نحو القمة - النجاح والتوفيق لمزيد من البحوث والإصدارات النافعة النوعية التي تثري ساحتنا العلمية المتعطشة للبحوث النوعية الرائدة.

أ.د.عبدالرحمن بن معاضة الشهري

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض

مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية

مقدمة د. منقذ السقار
دكتوراه مقارنة أديان، باحث ومؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسل الله، وبعد؛

يبدو الصراع بين الإسلام والمسيحية حتميًا؛ بسبب طبيعة الدينَيْن؛ فكلاهما يؤمن بالعالمية، ويسعى للتمدّد على حساب الدين الآخر، ولكل من أتباع الدينَيْن ذكريات في القديم والحديث تحفّز ذهنية المؤمنين بهما لاستحضار هذا الصراع في صوره المختلفة.

ومع ظهور الحركة الاستشراقية في أوربا انتقل الصراع القديم بين الإسلام والمسيحية إلى مجالات جديدة؛ فقد أخذ المستشرقون على عاتقهم نصب جدُر عالية بين المسلمين وشعوب أوروبا التي أجزم بأنها لو اطّلعت على حقائق الإسلام، لما غاير حالها حال كثير من شعوب العالم التي فارقت ظلماتها إلى نور الإسلام ووضوحه وتوافقه مع نداء الضمير ومقتضيات العقل.

ووجلاً من ذلك أعلنت الحركة الاستشراقية الحرب على الإسلام، بضراوة؛ فكان الكذب والتدليس المنهج الغالب على دراسات كثير من أعلامها وهم يترجمون القرآن أو يكتبون عن حضارته وأصوله. وقد استطاعوا على مرّ القرون أن يرسّخوا صورة نمطية قميئة للإسلام في الذهنية الغربية تختصر هذا الدين في أنّه أنشأ أمّة صحراوية همجيّة، تعبد أحجار الكعبة، وتتعطّش بشوق لدماء المسيحيين الأطهار.

واليوم، ومع ظهور وسائط التقنية الحديثة، ألقت عامة الكنائس بثقلها في الحملات الجديدة على الإسلام. ووفق صحيفة (فليت إم زونتاج) الألمانية، فإن منظمة رابطة الرهبان لتنصير الشعوب أطلقت برنامجًا تنصيريًا بعنوان «مليون ضد محمد»، ويبدو

أن البرنامج قد تحوّل إلى واقع تجسّــده قنوات فضائية ومواقع إلكترونية، لا تفتر عن الكذب على الإسلام، وتتهمه بما مللنا سماعه من أراجيف وأضاليل.

وإنّ أعظـم التهـم التي يُرمـى بها النبيّ ﷺ أنّـه عليم بأخبار الأوّليـن؛ الدقيق منها والجليـل؛ حتّى إنّه ربمـا ليخيل لمتتبع شـبهات النصارى حول القـرآن أنّ النبي ﷺ يعيش بيننا في القرن الواحد والعشرين؛ فيستطيع عبر محرك البحث جوجل أن يراجع كل المخطوطـات القديمـة، بلغاتهـا المختلفة، مسـتعينًا بمجموعة مـن المترجمين المحترفيـن في اللغات القديمة للوصول إلى المعانـي الدقيقة التي لا يكفل المترجم جوجل الوصول إليها. كما أنّه ينقّح للنبيّ ﷺ سـليم الأخبار من سـقيمها بعضُ أكابر الأكاديميين المتخصصين في شتى العلوم؛ ويستلون له الحقائق العلميّة من بين ركام الأسـاطير؛ ليكـون ذاك مضمون كتابه: القـرآن! وقد أكذبهم اللـه بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت: 48].

وقد أصابت المكتشـفات العلمية الحديثة الكنيسـة بالصداع، وكانت سـببًا رئيسًا في اتجاه أوربا إلى الإلحاد بعد أن عجزت كتبها عن مسـايرة العلم، لتثبت أنها ليست تنزيل العليـم الخبير. وفي المقابل، كان المسـلمون مستبشـرين بالمعطيات العلمية الجديدة، مستشرفين لفتوح العلم، فليس ثمّة ما يخافون منه، فلئن كان القرآن الكريم من اللــه، فإنّه بالضرورة يتوافق مـع العلم الصحيح. وهكذا فالمسـلمون على موعد مـع براهين جديـدة تثبت أصالة دينهـم وربانية مصدرهم، وتحقق موعـود الله لهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلـت: 53]. والعلـم الحديـث كان علـى الموعـد، فجاء مصادقًا على صحّة كثير مما تعرضت لذكره نصوص القرآن والسـنة الصحيحة، فدخانية السـماء كانت حديثًا قرآنيًا سـابقًا لعلوم القرن العشـرين، وكذلك الحال في نظرية الانفجار الكبير واتساع السماء وتباعد المجرات، فبهذا وأمثاله أضحى الإعجاز

العلمي الشامخ في نصوص القرآن والسنة حجة الله على أهل هذا العصر الذي برع أبناؤه في العلوم والمعارف التي تتكشف يومًا بعد يوم، لتثبت صدق معطيات القرآن التي أطلقها في عصر كان فيه الجهل مطبقاً على العالم، وبخاصة جزيرة العرب، حيث عاش النبي ﷺ.

ولم يكن غريبًا في عصر الثورة العلميّة والفلسفية أن تتطور مدارس النقد الديني لتضع معتقدات الأديان الكبرى وكتبها على ميزان العلم، بشقيها اللاهوتي والعلمي. وقد صدرت في أثناء ذلك دراسات كثيرة في هذا الباب؛ ومنها ما كتبه الطبيب الفرنسي **موريس بوكاي** الذي عرض المعطيات التوراتية والإنجيلية والقرآنية على ميزان العلم، ثم خرج بنتيجة مهمة يلخصها قوله: «لم أجدِ التوافقَ بين الدِّين والعلم إلا يومَ شرعتُ في دراسة القرآن الكريم؛ فالعلم والدين في الإسلام شقيقانِ توءمان؛ لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوانِ كلَّ مسلمٍ إلى طلب العلم، طبعًا إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام»، وكذلك: «إن أول ما يُثِير الدهشة في رُوحِ مَن يُواجِه نصوص القرآن لأول مرَّة هو ثراءُ الموضوعات العلمية المعالجة، وعلى حين نجدُ في التوراة – الحالية – أخطاءً علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أيَّ خطأ، ولو كان قائل القرآن إنسانًا، فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره؟! ليس هناك تفسير وضعيٌّ لمصدر القرآن».

وإنّ المرء ليعجب من تنكّب مسلمي هذا الزمان عن خوض هذا المجال والإسهام فيه، فلا أعلم كتابًا في المكتبة الإسلامية يعالج هذا الموضوع المهم، فقد انكفأ كُتابنا ومثقفونا على التصدي لفرق بادت في التاريخ، لتبقى المكتبة العربية فقيرة عن موضوع يتعلق بروح العصر الذي بات يبالغ في تعظيم العلم، ويستهدف ديننا بهذا المارد الجديد، وقد كنّا أولى الناس بامتطائه والقدح بزناده.

ولقد سرني ما وجدت في كتاب أخي الدكتور **سامي عامري** من تقحّم سديد

لمـا قصّر فيه الآخرون، فكان كتابه «**العلم وحقائقه ..بين سـلامــة الـقــرآن الكــريم وأخـطـاء الـتوراة والإنـجيل**» لبنة مهمة في التأسيس لهذا النوع من النقد، وهو بذلك يشـعل الفتيـل لـكل دارس يتطلع إلى تقديم مادة تتسـامى عن المراوحـة في المكان الذي تسمّرت عنده مكتبة الجدل الديني، فلا تكاد تتجاوز مطبوعاتها ما خطه العلامة رحمت الله الهندي قبل مائة عام.

وقد طوّف بنا الدكتور سامي في اتجاهين، تناول في الأول منهما مفهوم المعجزة، وصورتهـا في النص القرآني، وناقش انتقادات معارضي شـرعية البحث في الإعجاز العلمـي في القـرآن والكتاب المقدس، ثـم انتقل إلى الوجهة الأخـرى فدرس كتب اليهود والنصارى المقدسـة والقرآن، ووضعها أمام حقائق العلم والمعرفة باتجاهاتها العلمية والجغرافية والتاريخية واللغوية.

والدكتور سـامي مـن أقدر الباحثيـن في هذا المجـال، فعلاوة على مـا حباه الله مـن معرفة باللغـات القديمة والحديثة، فإنه على معرفة واسـعة بما انتهى إليه الكتاب الغربيون في القرنين السابقين، لذا نقل إلينا شذرات من الجاد والرصين من مؤلفاتهم، ليقدم نقلة في الجدل الديني لم يألفها القارئ العربي منذ بوكاي.

فأسأل الله أن يتقبل منه، وأن يجزيه خير الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده..

«رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي؛ يَفْقَهُوا قَوْلِي»..

أمّـا بعد، فإنّ الحوار العقدي يكتسـي في أيامنا رداءً من الجدل قد حَمي نسـيجه؛ وهـو ما أخـرج الجدل في مباحثه من مسـاحات النقـاش العلمي الهـادئ إلى أطوار مـن العنف والقسـوة اللفظيّة البريئة من طلب الحق وتقصّـد الصواب. وليس الحوار الإسلامي-النصراني، أو الإسلامي-الإلحادي، ببعيد عن ذلك. وذاك حال قد يتلبّس به صاحب المذهب الحق عندما لا يحسـن التعبير عن مقالته، ولا يجيد عرضها بعيدًا عن شوائب التدليس أو البتر. وصاحب المقالة الباطلة أعظم وقوعًا في مخالفة الحق، والتعسّف في الاستدلال لمذهبه، والمكابرة عند مضائق الجدل.

وتعتبر مباحث سلامة القرآن والكتاب المقدس النصراني من الخطأ أوضح أبواب المشاكسـة حين النقاش. وقد تضخّمت كتابات النصارى والملاحدة في باب دعوى معارضـة القـرآن لصحيح العلم؛ حتّى أصبحت مادة قارة فـي جدلهم الهجومي على الإسـلام وربّانيّته؛ فلا يخلو خطاب منصّر شـهير من إحالة إلى أمر الخبر العلمي في القرآن، وهو ما تلقّفه الملاحدة، وأطنبوا في تكراره، واستمرؤوا إسراره وإعلانه.

وعـادة المعارضيـن لربّانية القرآن في باب الخبر العلمي الإنكارُ على الدراسـات الإسـلامية -في بـدء النظر- أنّها تنحو بصـورة كليّة إلى السـرد والتجميع لا التحرير والتحقيق. ورغم أنّ البحث الإسلامي لا يخلو من نقص، شأنه شأن أيّ عمل بشري، إلا أنّ إزهاق علميّة الخطاب الإسلامي كليّةً جورٌ وتعسّف؛ فالحديث في باب سلامة النـص القرآني من الخطأ العلمي، أو إعجازه في البـاب ذاته، حديث كثير التفاصيل، تجتمـع فيـه متفرّقـات معرفيّـة كثيرة في بـاب علـوم القـرآن، والمعـارف التوراتية والإنجيليـة، وتاريـخ العلـوم الطبيعيـة وحقائقها، والمـوارد المعرفيـة الخرافية...،

ولذلك قد يكبو فرس المصيب؛ فيسيء في مقام الانتصار للحق، تكلّفًا أو تعسّفًا أو عجزًا عن أن يحيط بأطراف الموضوع.

وإذا كان الخطاب التنصيري يعتمد على منهج نشر الشبهات دون تحرير للمسائل على سنّة الأصول العلميّة، والفرار من مناقشة براءة الكتاب المقدس للكنيسة من مخالفة حقائق العلم الحديث؛ إشغالًا للمسلمين بدفع تهمة معارضة كتابهم لصحيح العلم، فإنّ وظيفتنا أن نُقَوِّم حركة المسير، ونطرح الأمر على صورة عادلة وموضوعيّة، بمناقشة الاعتراضات العلميّة على مُحكمات القرآن، وما يؤخذ على الكتاب المقدس في الباب ذاته.

ولسنا مع ذلك ننكر أنّ الحديث في باب الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة قد عرف بعد صعودٍ وسُعودٍ انعطافة حادة؛ بالتوسّع غير الحميد من بعض أعلامه، ومن غير المقدّمين في بابه على السواء، في نسبة دعاوى إلى القرآن ليست فيه ولا منه. وقد ازداد الأمر سوءًا بعد حملات الإسقاط التي سُيِّرت ضدّ الخط الدعوي، وهو ما أحدث عزوفًا شديدًا عند عدد من الدعاة عن الاستدلال بالإعجاز العلمي عند الانتصار لربّانيّة القرآن. وهي ردّة فعل سلبيّة حادة حِدّةَ من يتكلّفون الحديث في هذا الإعجاز دون ضابط في الفريق المقابل.

وقد امتدّت الانعطافة السلبيّة إلى مجامع المسلمين في الغرب؛ فقد كان الحديث في موافقة القرآن حقائق العلم برهانًا جذّابًا للعقل المادي الغربي الذي يبحث عن الأدلّة الدانية المباشرة، غير أنّ الهجمة الإلكترونيّة الفاحشة على أدبيات الإعجاز العلمي في المواقع الأعجميّة عامة، والإنجليزيّة خاصة، أحدثت انتكاسة لدى عدد من المهتدين إلى الإسلام، بل إنّ بعض الذين كانوا متحمّسين بغرارة للإعجاز العلمي انقلبوا متحمّسين ضدّه، بذات الغرارة التي لا تتمهّل لتحرير المسائل؛ فهي تقبل بجزم غير متمهّل، وترفض بقطع غير متأن.

ولعلّه من المهم بيان أنّ من أسباب الانحراف في الحديث عن الإعجاز العلمي

فـي القـرآن، رفعه إلى أعلى مراتـب الأدلّة على ربّانيّة القرآن، رغـم أنّ حقّه أن يكون متأخرًا عـن الأدلّة الأظهر، كالإعجـاز البلاغي، والغيبي، والتاريخـي...، والمغالاة كلّهـا مقبوحة لأنّها خروج عن صـراط الاعتدال. فالإعجاز العلمـي في القرآن وجه إضافـي لخارقيّـة القـرآن، وعدمه لا يعود علـى أصل إعجاز القـرآن بنقض. ووجود معارضات له لا يشكّك في صدقه، فضلًا عن التشكيك في أصل إعجاز القرآن كليّة.

وقد كنتُ في مستهل نظم هذا الكتاب أنوي اختبار براءة القرآن والكتاب المقدس مـن الخطأ فـي باب العلـم الطبيعـي والتاريخ، لارتبـاط البحث في العلـم والتاريخ بكشوف العصر ودلالتها على بشريّة الكتب المقدسة عند أهلها، غير أنّي تركت ذلك إلـى إفراد موضوع التاريخ بكتاب منفصل بعد أن تضخّم كلٌ من البحثين، خاصة وقد ذاع عزوف القرّاء عن المطوّلات. والغاية من هذه الصفحات بسـط الأمر على صورة تسـتوعب أطرافه، وتكشـف دقيق ملامحه، وتسـبر غوره حين الحاجة إلى النبش في الأصول التاريخية للأخبار، والأصول اللغوية للتقريرات.

والكتـاب بذلـك يعلنهـا صريحـة أنّنـا نقبـل التحـدّي الـذي يعلنـه المنصّرون (والملاحدة) بتكرار لجوج؛ فسـننظر في الأخبار العلمية للقـرآن والكتاب المقدس بتـأن، ونختبر صحّة تفاصيلهما العلميّة في ضوء ما تطمئنّ الجماعة العلميّة اليوم إلى صحّته. ولن نخفي مستورًا، أو ننكر ثابتًا مقطوعًا به.

ومـا نحن فيـه الآن باب من الجدل يقتضي الأمانة مـن كلّ فريق، وعميق الإخلاص فـي اقتفاء آثـار الحقيقة؛ فإنّ نسـبة كتاب إلى الوحـي البريء من الخطـأ لهو من أعظم المباحـث؛ لتعلّـق الأمر بإدراك خطاب الـربّ، وهدايته؛ فإنّه متى عُلِـم الطريق إلى الله سبحانه، انقشعت غمامة الحيرة والتيه من أمام العين التائقة إلى الهداية والنجاة.

ويزعم صاحب هـذا الكتاب أنّ هذه الصفحات التي بين يديك قد دُفعت إلى المطبعة لتحقيق فائدة جديدة للقارئ العربي، وهي فتح مساحات أوسع من النظر في قضايا صحيح العلم وصادق الوحي حتى تقوم الحجّة على كلّ من يزعم أنّه يريد الحق ويذعن للبرهان.

وليس هذا الكتاب أوّل دراسة إسلامية في أمر العلم في القرآن الكريم، فقد سبقته مطبوعات كثيرة. وليست تقريراته كلّها طريفة بلا سلف؛ بل المؤلّف قد أفاد من جهود مؤلّفين كُثر، من المسلمين وغير المسلمين. والكتاب -مع ذلك- يسعى إلى إضافة جديد من خلال تجاوز بعض أوجه النقص في المتاح من الكتابات، وأهمّها:

- إعادة تعريف مصطلح «الإعجاز العلمي»، وإخراجه من الدائرة الضيقة لمفهوم «السبق العلمي».
- جمع الأخبار العلمية في القرآن والكتاب المقدس معًا في كتاب واحد؛ فإنّ عامة الكتّاب المسلمين قد اقتصروا على بحث المسائل العلميّة في القرآن دون مقارنتها بما جاء عند أهل الكتاب.
- جمع **أهمّ الاعتراضات العلمية المشهورة للنصارى والملاحدة على القرآن** -ما كان منها في الكتب، وما ذاع منها على وسائل التواصل الاجتماعي-، وجوابها.
- بيان بعض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن، خاصة القضايا التي وقع فيها مؤلّفو أصحاب الكتاب المقدس في أخطاء علمية.
- تجاوز ما قد يُستدرك على الطبيب الفرنسي **موريس بوكاي**[1] في كتابه «La Bible, le Coran et la Science: Les Écritures Saintes examinées à la lumière des connaissances modernes» الذي صدر أشهر تعريب له تحت عنوان «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، وهو أهم كتاب -بلا منازعة- في تناول دراسة القرآن والكتاب المقدس من زاوية علمية[2].

---

(1) موريس بوكاي 1920-1998(Maurice Bucaille): طبيب باطني فرنسي من أسرة كاثوليكية. عضو المؤسسة الفرنسية لعلم المصريات. ألّف في المقارنة العلمية والتاريخية بين القرآن والكتاب المقدس أكثر من كتاب. يُعتبر كتابه « La Bible, le Coran et la Science » أكثر المؤلفات انتشارا في المكتبة الغربية في بابه.

(2) رغم أهمية كتاب بوكاي، وفرادته، إلا أنه يؤخذ عليه توسّعه الشديد في المقدمات التعريفية على حساب مناقشة أصل الموضوع، وقلّة المسائل العلمية التي درسها، وعدم اعتنائه بدراسة تقريرات الكتاب المقدس بلغته الأصلية، وضعف اهتمامه بأثر الحضارات القديمة في ظهور الخلط العلمي في الكتاب المقدس، وضعف تواصله مع تفاسير الأحبار والآباء والنقاد المعاصرين. ولسنا بذلك نبخس حق الكتاب؛ فهو رائد في بابه، وفيه جهد كبير محمود.

● الرد على اعتراضات المنصّر الأمريكي **ويليام كامبل**[1] في كتابه الشهير في الردّ على كتاب **موريس بوكاي** سـالف الذكر[2]؛ فقـد ظنّ نصارى الغرب أنّ كتاب **كامبل** قد حسم معركة الجدل مع كتاب **بوكاي**، خاصة في مبحث علم الأجنّة في القرآن.

والغاية التي يريد أن ينتهي إليها الكتاب تتحقّق بإثبات:

1 - خلو القرآن من الأخطاء العلمية رغم اقتضاء السياقات وقوعه في ذلك.

2 - تلبّس الكتاب المقدس بمخالفة صحيح العلوم.

وأمـا **مباحث الإعجاز العلمـي في القرآن -بمعناه الضيق-، فهـي من الزيادة على المطلوب**؛ فلو خلا منها الكتاب، فلن يضرّه ذلك في بلوغ هدفه وإتمام رسالته.

زلـل الكتاب المقدس في خبر المباحـث العلمية، وبراءة القـرآن من الزلل في المباحث ذاتها، عنوان إعجاز القرآن وتحريف أسفار أهل الكتاب.

هذا الكتاب ليس في الإعجاز القرآني بالسـبق العلمي، وإنما هو في إعجازه في براءته من الزلل العلمي.

والكتـاب -رغم حرص مؤلفه على الاسـتيعاب، دون إطنـاب- لا يزعم أنّه أنهى بحث كلّ شيء في الباب، وإنّما هو يفتح للقراء عامة، والباحثين خاصة، أبوابًا جديدة لاستكمال البحث، وكشف مزيد من الحقائق عن حقيقة الأخبار العلمية في أسفار[3] المسلمين وأهل الكتاب.

---

(1) ويليام ف.كامبل William F. Campbell: طبيب ومنصّر أمريكي. سافر إلى البلاد العربية لتعلّم اللغة العربية. اشتهر بكتابه في الرد على بوكاي، ومناظرته للدكتور ذاكر نايك في موضوع العلم بين القرآن والكتاب المقدس.

(2) كتاب كامبل: The Quran & the Bible in the Light of History & Science.

(3) أسفار: جمع سِفر، أي كتاب. وتُستعمل الكلمة خاصة بمعنى الكتب المقدسة.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: وهو خاص بعموم الحديث عن العلم الحديث والكتب المقدسة عند المسلمين وأهل الكتاب. وينتظم الحديث فيه في ثلاثة فصول.

الفصل الأول: وهو متعلّق بعلاقة القرآن بدعاوى العلم الحديث، وطريق فهم الحديث العلمي في القرآن، مع ضبط معنى الخارقة العلمية القرآنية.

الفصل الثاني: وهو حصر لأهم ما يُعترض به على الخائضين في مباحث الإعجاز العلمي في القرآن، سواء على مستوى التنظير، أو على مستوى التطبيق.

الفصل الثالث: ويتعلّق بمصادر الخبر العلمي عند أهل الكتاب، وعلاقة الكتاب المقدس بدعاوى العلم الحديث، ومواقف المفسّرين اليهود والنصارى من مسألة براءة الكتاب المقدس من الزلل العلمي.

الباب الثاني: وهو خاص بتتبع موقف الكتاب المقدس والقرآن من الظواهر الطبيعية المرتبطة بنشأة الكون، وشكله، ونهايته، والدورة المائية، والجغرافيا، والتأثيل اللغوي، والحساب.. مع سبر الواقع العلمي السائد من زمن ظهور أسفار الكتاب المقدس حتى زمن البعثة النبوية، وتتبّع الاعتراضات التنصيرية والإلحادية على تقريرات القرآن في القضايا العلمية السابقة.

الباب الثالث: يسير على سُنّة الباب السابق في عرض المسائل ومناقشتها، وهو خاص بقضايا علوم الأحياء، وأهمّها علم الأجنّة الذي طال حوله الجدل في العقدين الأخيرين، وكثرت فيه معارضات المنصّرين؛ بما استوجب تتبّع دقيق خبرها، وذلك بدراسة نصوص القرآن والكتاب المقدس ضمن إطار الثقافات التي احتضنت البيئة التي ظهرت فيها هذه الأسفار المقدسة. كما يعتني هذا الباب بالحديث في علم الأمراض وعلم الحيوان، وخبر الكائنات الخرافية، وعلم النبات، وما بقي من متفرقات لا تنتظم في سلك واحد.

وقبل أن ننهي الكتاب بملخّص لما انتهى إليه البحث، في عشرين نتيجة معتصرة، نتناول في ملحـق خاص أهم دعاوى الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس بالنقد في ضوء دلالات النصوص وحقائق العلم وآثار الاقتباس مما عند الأمم الأخرى.

ربّ يسّر، وأعِن..

اللهم بارك في القارئ والمقروء.. واجعل الكتاب حجّة لنا عند الحساب.

اللهم اغفر لي حظّ النفس من هذا الكتاب.

الباب الأول
العلم الحديث
والكتب المقدسة

الحديث في شأن الكتب المقدسة وعلاقتها بالعلم، يبدأ من تأصيل النظرة قبل تناول تفاصيل الدعاوى العلمية لهذه الأسفار بالنقد؛ فإنّ طبيعة هذه العلاقة محلّ جدل ونزاع طويلين. وتأصيل النظرة إلى علاقة النص المقدس بالعلم الطبيعي متّصل بعدد واسع من الأسئلة التي يجلّي أجوبتها الغبش الذي ران على هذه الصلة؛ بما فتح للمرتابين والمشككين مداخل لبثّ تقريرات لا يصحّ التسليم لها بعد الفهم والنقد..

ومن أهم الأسئلة المطروحة في بابنا هذا:

● هل بالإمكان فكّ علاقة الكتب المقدّسة بكشوف العلم الطبيعي في باب السرد والوصف؟

● ما شرعية الحديث في تقويم الأخبار العلمية في الكتب المقدسة؟

● ما تعريف الإعجاز العلمي في الكتب المقدسة، وما هي ضوابطه؟

● هل تطعن التعقيبات النظرية والتطبيقية على أبحاث الإعجاز العلمي في شرعية الإعجاز العلمي ذاته؟

● ما سبب اتّجاه كثير من مفسّري أهل الكتاب ولاهوتييهم إلى الفكّ الجذري للعلاقة بين الكتاب المقدس وكشوف العلم؟

حول تلك الأسئلة سندندن في هذا الباب..

الفصل الأول

الوحي والعلم الطبيعي

من أعظم الخطأ عند تنــاول الخبر العلمي في القرآن والكتاب المقدس، البدء في النظر في النصوص وموافقتها الأخبار العلمية، دون توطئة بمقدمات تجيب عن أسئلة ذائعة، كثيرًا ما ترِد ذهن الســامع، أو تدفع معارضاتٍ يوردها النصراني أو اليهودي أو الملحد، أو حتّى المسلم.

إنّها أسئلة كثيرة توطّئ أجوبتها لنفض غبار الريبة عن فهم الموضوع..

المبحث الأول:
الوحي الإسلامي والخارقة العلمية

القرآن كتاب ينسبه المسلمون إلى الوحي الإلهي، ويرونه معجزًا في باب البلاغة والبيان. وطريق العلم بذاك الإعجاز التذوّق للمتحقّق بصفة العلم بالبيان العربي، والعلم بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن بعد شيوع آيات التحدّي لمن هم دون ذلك. وأمّا الخارقة العلمية في القرآن، فشرعيّة الاستدلال بها لربانيّة القرآن مسبوقة بفهم علاقة القرآن بالخبر العلمي.

المطلب الأول: الغاية الكبرى من الكتاب الإلهي

غاية بعثة الأنبياء وإرسال الرسل هداية الخلق إلى الربّ المعبود، وبيان طريق عبادته، ومعرفة سبل صلاح الناس في دنياهم بتنظيم أمرهم في إشباع الجوعات وترتيب العلاقات.. فالإنسان لا تستقيم حياته على صراط الهداية حتى يعرف ربّه، ونفسه، والطريق إلى ربّه، والسبيل لإصلاح ما بينه وبين الناس.

وليس من شرائط استقامة أصول حياة الناس تفصيل دقيق الخبر العلمي في الجغرافيا أو علوم طبقات الأرض أو علوم النبات؛ فالإنسان قد يصلح أمره، ويستقيم حال الجماعة المؤمنة، ولو كان في معرفة الإنسان بعالم الطبيعة التي تحيط به بعض خلل وشوائب جهل.

ولا يُعرف في تاريخ البشر أنّ كُتبًا مقدّسة زعمت بيان كلّ شيء في أمر العلوم الطبيعية. وأقصى ما قرّرته الكتب المقدّسة -عند أهلها- الإعلان أنّ من غايات الخلق أن يسير الإنسان في الأرض ليكشف خبأها، ويفكّ لغزها، بما يقرّبه إلى ربّه، وييسّر له سُبل نفع نفسه والناس.

ونقول مع سبقَ إنه علينا ألّا ننكر حقائق أخرى مهمة، تأتلف مع ما سبق ولا

تختلف معه، منها أنّ الكتاب الموحى به من الربّ، بريء من الخطأ، فلا يزلّ في باب الخبر ولا يجور في باب الإنشاء. وورود أخطاء علميّة في الأسفار المقدّسة برهانُ أصلها الأرضي أو تحريفها البشري. والنظر العلمي في الكتب المقدسة عندها آليةٌ نقدية لاختبار أصلها، وتاريخ تحريفها على أيدي البشر.

ثم إنّه لا يمتنع عقلاً أن يكون البيان العلمي غرضًا من أغراض الأسفار المقدسة، من باب دعم غرض عقدي، لا أصالة. والبرهان العملي لذلك قول القرآن: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾[1]- قال **الشوكاني**: «سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله في الآفاق وفي أنفسهم»[2].

كما أنّ النظر المباشر في كثير من الكتب المقدسة كاشف -حقيقة- أنّها تخبر بتقريرات علمية قابلة للفحص. ولا يمكن تجاهل صريح حديث الكتب الدينية في تفصيل خبر الظواهر الطبيعية، بدعوى أنّ هذه الكتب لم تنزل إلّا للحديث في الخبر الروحي.

ونحن لا ننكر وجود أساليب بيانية مختلفة في عامة الكتب المقدسة عند أهلها، ولا نغفل أنّ الحديث الشعري أو الرؤيوي قد لا يَطلب مطابقة عالم الطبيعة، ولكنّنا نعرف أيضًا أنّ عامة الكتب المقدسة المشهورة اليوم تخبر عن عالم الطبيعة بعبارات واضحة ومباشرة. ولذلك تقتضي الأمانة العلميّة أن نُسلِّم للكتب المقدسة أنّ ما تقوله في عالم الطبيعة هو من باب الإخبار عن وصف عالم المادة، ولا نتكلّف صرف الحديث عن ظاهره، إلّا بقرينة.

---

(1) سورة فصلت/ الآية (53).

(2) الشوكاني، فتح القدير (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ)، 4/ 599.

المطلب الثاني: القرآن .. معجزة لكلّ عصر

قال **ابن حجر**: «ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات؛ **فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه**؛ فعمّ نفعه من حضر ومن غاب، ومن وجد ومن سيوجد»[1].

لقد ظهر القرآن في مكة حيث نزل كثير من آياته على مدى 13 عامًا، ثم نزلت عامة الآيات الأخرى في المدينة على مدى عشر سنوات. وكانت الثقافة العلمية المهيمنة على الحجاز، ثقافة الصحراء والبداوة، في أمة لم تعرف التصنيف والبحث المدرسيّ. ولسائل -عندها- أن يسأل بشوق: «ما شكل الكون، وحقيقة العالم الأكبر والأصغر في بيئة البداوة والجهل؟».

ويأتي الجواب سريعًا مدعومًا بشواهد التاريخ أنّ ثقافةً لم تعرف الكتابة والتأليف في العلوم وفي غيرها، ومسكونة بالإيمان بالأرواح المتصرفة في الأقدار والآلهة ذات المزاج المتقلّب، فرحًا وحزنًا، رضى وغضبًا، لا بد أن تحمل تصورًا للكون لا يعترف بالقوانين الكونية إلا قليلًا، ويسند الأمر كلّه أو جلّه لعوالم الخرافة.

والناظر في القرآن الذي يضمّ مئات الآيات، التي قد تبلغ الألف، في خبر الكون، وبدايته، والشمس والقمر والنجوم وحركتها، والسحب والمطر والرعد والبرق، والحيوانات والحشرات.... -وهو ما يشكّل مادة خصبة للخطأ والخرافة-، لم يعكس ثقافة العصر، ولم يُظهر أوهام الرعاة في الصحراء، بل أبان عن صدق مستعلٍ على خرافات العصر، وموافق لما يُكشف من حق.

وقد يعترض معترض هنا بقوله: لكن لم يتحدّ القرآن بخبره العلمي أحدًا! فلا يجوز عندها أن يُسمّى ذاك إعجازًا علميًا لأنّ المعجزة هي «أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ)، 9/ 7.

بِالتَحَدِّي سالِمٌ عن الْمُعَارَضَةِ»![1].

وجواب الاعتراض السابق ظاهر في بيان حقيقة أنّ كلمة «إعجاز» حادثة، لم ترد في آية ولا حديث. وقد تطوّر معنى مصطلح «معجزة» في المكتبة الإسلامية ليغدو اليوم في لساننا الدارج المقابل العربي لمصطلح miracle في الإنجليزية والفرنسية؛ أي الخارقة المفارقة للسنن الكونية دون شرط التحدي. وتقييد المعجزة -بالمعنى المعاصر- عندها بالتحدي لتكون حجّة على النبوة؛ ضعيف؛ فإنّ القصد بالمعجزة هنا -في الخبر العلمي- هو ما يقابل مطلق «الآية» في الاصطلاح القرآني، لا «المعجزة» في الاصطلاح الكلامي. فيكفي أن تظهر الخارقة التي لا يُؤتاها البشر بالتعلم أو السحر على يد رجل ينسب نفسه إلى النبوة، ويكون متلبسًا بأعراضها الخلُقيّة ومضامينها الخيرة؛ حتى تكون الخارقة حجّة لنبوّته.

وقد مال الشيخ المفسّر **ابن عاشور** إلى أنّ الإعجاز العلمي (والعلم عنده أوسع من العلم بالمعارف الطبيعية المصطلح عليها بالعلم الطبيعي اليوم، وإن كان العلم بالطبيعة أحدها) حاصلٌ به التحدي، وإن كان هذا التحدّي غير صريح. قال رحمه الله: «وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه، أي مجموع هذا الكتاب، إذ ليست كل آية من آياته، ولا كل سورة من سوره، بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن وغير حاصل به التحدي، إلا إشارة نحو قوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[النساء: ٨٢][2]»، وبذلك يكون ما يُعرف بالإعجاز العلمي -عند الإمام **ابن عاشور**- أحد أوجه التحدّي القرآني الدال على ربّانيّة القرآن؛ إذ التحدّي قائم بطلب إثبات مخالفة القرآن للحق الذي فيه، ومن تقريرات القرآن، أنّه كلام ربّ العالمين، البريء من زلّة مخالفة حقائق الكون.

---

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1394هـ/ 1974م)، 4/ 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 1/ 129.

الإعجاز العلمي -عند الإمام **ابن عاشور**- لم يتحدّ القرآن به في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24]، وإنّما التحدّي مضمّن في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:82].

المطلب الثالث: المعجزة العلميّة التي لا مراء فيها

أظهر بعض الباحثين معارضة لأبحاث الإعجاز العلمي لقيامها -عندهم- على ظنيّة كلّ الخبر القرآني؛ باحتماله لمعان متعددة. وهو حكم متعجّل، وقد يتعسّف في إثبات الظنيّة تعسّف من يقول بقطعية الدلالة في مقام الظنيّة.

والاتفاق حاصل بين جميع الباحثين المسلمين أنّ الخبر القرآني الذي نزل في بيئة الجهل المنعزلة عن أسباب المعرفة العلميّة، وقبل عصر المجهر وغزو الفضاء، لا يعارض صحيح العلم في شيء؛ فلا هو قال بخرافات عصر التنزيل، ولا تنبّأ بما أثبت العلم لاحقًا خطأه. وذاك وجه من الإعجاز العلمي سديد وعظيم.

وقد أحسن الشيخ **فهد الرومي** بيان وجه حقيقة المعجزة العلمية في القرآن من هذا الوجه، في قوله: «وقد يحسب أحد أن السلامة من مصادمة الحقائق العلمية أمر هيِّن، فما على المتكلم إلا أن يتجنب الخوض في مجالاتها، ويحذر من الوقوع في مبهمات العلوم، وغوامض المعارف، وأسرار الكون وخفايا العلم، وبذا يظفر بهذه السمة. والأمر حق لو كان القرآن سلك هذا المسلك، لكنه وقد أنزل قبل أربعة عشر قرنًا من الزمن عرض لكثير من مظاهر هذا الكون، كخلق السموات والأرض وخلق الإنسان، وسوق السحب وتراكمها، ونزول المطر، وجريان الشمس، وتحدث عن القمر والنجوم والشهب وأطوار الجنين، وعن النبات والبحار وغير ذلك كثير، ومع

ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يصادم جزئية من جزئياته، فإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازًا علميًّا للقرآن»[1].

مسألة براءة القرآن من الخطأ العلمي، هي إذن مسألة عظيمة ومثيرة للفكر؛ فإنّ جميع محفّزات سقوط القرآن في محنة مخالفة حقائق العلم قائمة:

- كثرة الآيات الكونية
- تنوّعها
- العقل الأسطوري العربي
- أخطاء التوراة والإنجيل والتلمود في الأبواب ذاتها التي تناول خبرها القرآن -وهي الأسفار التي اتفق عامة المستشرقين أنّها مصدر خبر القرآن في العقائد والشرائع والقصص-[2]...

ومن المهم هنا بيان أنّ القول بإعجاز القرآن العلمي لخلوّه من الأخطاء العلميّة كليّة مع قيام الحوافز السياقية للوقوع في إيراد الخرافات والأباطيل العلميّة، ليس من الدعاوى التي تُلقى أمام الناس في الكتب والمحافل العلمية دون برهنة وتفصيل. وإنّما الأمر يقتضي تتبّع المسائل التي ادّعى المخالفون أنّها من الخطأ العلمي في القرآن، وبيان براءة القرآن من الزلل فيها، وكذلك بيان أخطاء ثقافة عصر التنزيل، خاصة ما كان من الأخطاء العلمية في الكتاب المقدس والتلمود، وكشف تجانف القرآن عن موافقتها تصويرها الفاسد لعالم الطبيعة. وهذا ما يسعى كتابنا هذا لبيانه بالتفصيل المحكم.

القول بإعجاز القرآن لخلوه من الخطأ العلمي، حقٌّ؛ لاقتضاء ظهور هذا الكتاب في عصر الجهل، وحديثه عن كثير من مظاهر الكون، أن يعكس بعض جهالات الأمم الماضية في خبر الطبيعة.

(1) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن (الرياض، 1424هـ - 2003م)، 1/ 295.
(2) تحدثنا عن هذه الشبهة بتفصيل وتفنيد في كتابنا: هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى (الكويت: مركز رواسخ، 2018).

المبحث الثاني: في مفهوم الإعجاز العلمي

تعريف «الخارقة العلميّة» في القرآن -في العرف المعرفي السائد-: ما أخبر به القرآن من حقائق علمية قبل أن يكشفها أي إنسان. وفي الانحياز إلى التعريف السالف عجَلة في البحث تقتضي التحقيق الهادئ، قبل الاسترسال في البحث.

المطلب الأول: ضوابط الخارقة العلمية في القرآن

التعريف الكلاسيكي للإعجاز العلمي هو: «سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزّل القرآن الكريم»[1].

التعريف السابق ضيّقَ واسعًا دون ضرورة؛ إذ لم يراعِ طبيعة الخبر القرآني في بيئته الأولى؛ فالخارقة العلميّة في القرآن لا تقتصر -على الصواب- على السبق العلمي المحض، وإنما يتحقق هذا الإعجاز في كتاب يقرر أنه حق إلهي صرف بثلاثة طرق، نذكرها من الأَولى إلى الأدنى:

الطريق الأول: أن يكون القرآن قد سبق الجميع بالخبر العلمي. وهذا وجه لا اعتراض عليه.

الطريق الثاني: أن يكون الخبر العلمي القرآني شاذًا في بيئته، يستنكره السامع -وإن قال به قلّة-، أو لا يكون معروفًا أو مشتهرًا في الحجاز، وإن كان معروفًا خارجها. ووجه الإعجاز هنا يتبيّن من موافقة المرجوح المردود -دائمًا- رغم أنّ الأصل في من يدّعي النبوّة زورًا أن يوافق معارف عصره العلمية ولا يشاكسها، خاصة أنّ دعوته لا علاقة لها بتقرير تصورات مادية جديدة للظواهر والقوانين الكونية.

---

(1) زغلول النجار، قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2006)، ص 86.

الطريق الثالث: أن يكون الخبر معروفًا، ولكنّه محل خلاف كبير في الثقافات التي يُقال إنّها مؤثرة في البيئة العربية (اليهودية والنصرانية واليونانية). ووجه الإعجاز هنا هو موافقة الحق في كلّ القضايا العلميّة الخلافيّة زمن البعثة، في ما كان ظاهرًا، وما كان محلّ تردّد من أهل العصر.

ولاكتمال صورة الحكم بالإعجاز العلمي في القرآن، نحتاج أن نضع شروطًا محكمة في باب اللغة، والعلم، والتاريخ؛ تكون حاكمة على الخبر أنّه خارق للمعرفة البشريّة.. وهي فيما نرى:

الشرط الأول: موافقة اللغة العربيّة -زمن التنزيل- للخبر العلمي موضوع الإعجاز؛ فلا يجوز مثلًا أن تُفسّر كلمة «ذرّة» في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [الزلزلة: 7]، بما يُعرف اليوم في الاصطلاح العلمي بالذرّة atom؛ فإنّ هذا الاشتراك اللفظي حادث بعد نزول القرآن؛ وبالتالي فالاصطلاح الجديد خارج عن المساحة الدلاليّة للفظ القرآني.

الشرط الثاني: مراعاة السياق؛ فلا يجوز تفسير العبارة القرآنية بما هو خارج عن سياق الخبر القرآني.

الشرط الثالث: صحة الخبر العلمي على أسس برهانية. وأقوى هذه الأخبار ما اجتمعت له براهين الصحّة والإجماع العلمي.

الشرط الرابع: توثيق كل خبر علمي من مصادر علمية، إلا ما كان معروفًا ومتفقًا عليه لبداهته في ثقافتنا الحالية، ككروية الأرض، وردّ ظاهرة الندى لملامسة بخار الماء لسطح بارد، وأن الإنسان نتاج اجتماع الحيوان المنوي للرجل وبويضة المرأة[1].

الشرط الخامس: عدم فشو هذا الخبر العلمي في الثقافة اليهودية والنصرانية زمن البعثة، أو الثقافة اليونانية التي تشرّبها أهل الكتاب -لا التي رفضها أهل الكتاب-،

(1) عامة المسائل العلمية المذكورة في كتابنا هذا من جنس المعارف العلميّة الشائعة.

فهي المعارف التي يقول المستشرقون إنّها أثّرت في أرض الحجاز التي كان يحكمها الجهل.

الشرط السادس: ألّا يكون الخبر العلمي شائعًا في جزيرة العرب بين أهل الكتاب وغيرهم؛ ولذلك لا يجوز الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نوح: 14]، للقول بإعجاز القرآن أنّه أخبر أنّ الجنين ينتقل من طور إلى طور في بنائه، على خلاف الثقافة السائدة أنّ الجنين ينشأ كلّه صغيرًا ثم يكبر؛ إذ إنّ نظرية الأطوار كانت شائعة قبل الإسلام في الجزيرة العربية وغيرها، وقد أدّى تبني **أرسطو** لنظريّة الأطوار إلى شيوعها، كما أنّها صريح التلمود.

الشرط السابع: تكرُّر أنواع الإعجاز السابقة، كلّها أو بعضها؛ حتى لا يُردّ الأمر إلى الصدفة.

إذا اجتمعت الشروط السابقة في الخبر القرآني، كان الخبر آيةً دالة على ربّانيّة القرآن، سواء وصفناها بالمعجزة أو التزمنا باصطلاح «الآية» القرآني؛ فالعبرة بدلالة التقرير القرآني على استعلائه على معارف العصر، وموافقته المفاجئة للخبر العلمي الصحيح.

الإعجاز العلمي أوسع من السبق العلمي. والاقتصار على السبق العلمي المحض في تعريف الإعجاز القرآني إجحاف في حق الخارقة العلمية في القرآن.

المطلب الثاني: وماذا عن العلم الطبيعي والسنّة النبويّة؟

يهتم كتابنا هذا -حصرًا- بالتقريرات العلميّة الإسلاميّة الواردة في القرآن الكريم، ولا يتناول الخبر العلمي في السنّة النبويّة إلّا عند الضرورة (الحديث في علم الأجنّة مثلًا). وسبب ذلك أنّ الكتاب قد حصر مقارنته بين الكتاب المقدس للمسلمين، والكتاب المقدس للنصرانية.

والاعتراض على الخبر العلمي في السنّة النبويّة يحتاج تنبيهًا إلى أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ التعامل مع السنّة النبوية يجب أن يكون مُطّردًا على منهج واحد؛ فمبدأ الاحتجاج بالأحاديث النبويّة يجب أن يقوم على التمييز بين صحيحها وسقيمها في باب نسبتها إلى نبيّ الإسلام ﷺ. ولا يوجد منهج موضوعي جاد للتعامل مع الأحاديث بتمحيص متونها وأسانيدها غير المنهج الحديثيّ الإسلامي الذي قعّد قواعد دقيقة ومحكمة لفحص المتون والأسانيد[1]. ويلزم ضرورة من قبول منهج التمحيص الإسلامي للأحاديث، الإقرار بنبوّة محمّد ﷺ؛ لأنّ الأحاديث قد تضافرت أسانيدها وتواترت دلالاتها على صدق نبيّ الإسلام ﷺ وثبوت معجزاته.

وقد علم المستشرقون الحقيقة السابقة؛ فواجهوها برفض السند كليّة، إلا أحاديث قليلة جدًا توافق تفسيرهم المادي للنبوّة. ويلزم ممّا سبق أنّ كلّ اعتراض بالأخطاء العلميّة -المدعاة- في السنّة، والتي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة أو اليدين، لإنكار النبوّة؛ مردود بمئات الأحاديث التي تشهد متونها للنبوّة. ولا حلّ عندها أمام المخالف إلّا الإقرار بالنبوّة إذعانًا للدلالات الحاسمة للأحاديث. ويلزمه لذلك تأويل الأحاديث العلمية الصحيحة التي استنكرها بادئ الأمر على غير المعنى المنكر علميًا، وذاك عامة يسير، أو ردّ جميع التراث النبوي جملة وتفصيلًا. وأمّا الانتقاء؛ فمنهج الْتِقاطي ذوقي غير علمي، لا يرضاه عاقل منصف.

والأمر الثاني: هو أنّ كلّ الأحاديث التي يستدلّ بها المخالفون للطعن في الخبر العلمي النبوي، هي أحاديث آحاد. وحديث الآحاد المقبول يفيد الظنّ الراجح عند عامة علماء الأمة -إلا من شذّ، كابن حزم رحمه الله-، إلاّ أن تحتفّ به القرائن -عند

(1) انظر في المنهج الحديثي ودقّته: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث (دمشق: دار الفكر، 1988م)، وفي المنهج الحديثي ومقارنته بمنهج المستشرقين: سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز براهين، 1438هـ/ 2017م)، ص 73-103.

فريق[1]، وهو مذهبنا- أو أن يبلغ التواتر إسنادًا عند فريق آخر؛ ليصير قطعيّ الثبوت. ولذلك فحديث الآحاد الذي لم يعتضد بما يرفعه إلى مرتبة اليقينيات - بإفادة العلم لا الظنّ-، مردودة نسبته إلى النبيّ ﷺ - دون حرج - إذا أظهر البحث العلمي اليوم بيقين[2] أنّه مخالف للعلم. فمخالفة العلم من أسباب ردّ الحديث عند المحدّثين - وفق قواعد المنهج نفسه الذي استند المحدثون إليه للحكم على موثوقية النصوص -. ومن صريح أقوال علماء المسلمين في ذلك، قولهم إنّ من جملة دلائل الوضع في الحديث أن يكون مما «**تدفع العقول صحته**... ويلتحق به ما يدفعه **الحس والمشاهدة**»[3]. ومخالفة العلم داخلة في مخالفة الحسّ والمشاهدة -على المعنى الواسع-. ويلزم من ذلك أنّ حديث الآحاد الذي يفيد الظنّ الراجح -لا اليقين- لا يهدم من الإسلام أمرًا قطعيًا، ولا يُستدلّ به على إنكار النبوّة الخاتمة[4].

لا سبيل للاستدلال بالحديث النبوي في أيّ بحث، دون الإقرار بنبوّة محمّد ﷺ.

المطلب الثالث: حقيقة الخطأ العلمي

يقوم الجدل الإسلامي-النصراني، والإسلامي-الإلحادي، في باب ربّانية الأسفار المقدسة على وجوب الإقرار بانتقاض ربّانيّة النص المقدس بثبوت الخطأ

(1) قال ابن تيمية: «ولا يقول عاقل من العقلاء إنّ مجرّد خبر الواحد، أو خبر كلّ واحد يفيد العلم» (شرح الأصبهانية، تحقيق: محمد السعوي، الرياض: دار المنهاج، 1430هـ/ 2010م)، ص 545، وأصرح منه قوله -رحمه الله-: «الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْعِلْمَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الْمُخْبِرِينَ بِهِ. فَرُبَّ عَدَدٍ قَلِيلٍ أَفَادَ خَبَرُهُمْ الْعِلْمَ بِمَا يُوجِبُ صِدْقَهُمْ وَأَضْعَافُهُمْ لَا يُفِيدُ خَبَرُهُمْ الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ قَدْ يُفِيدُ الْعِلْمَ إذَا احْتَفَتْ بِهِ قَرَائِنُ تُفِيدُ الْعِلْمَ» (مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/ 1995م) 18/ 40.

(2) دعوى يقينية التقرير العلمي المخالف لحديث الآحاد ظنيّ الثبوت -غير المعتضد بالقرائن-، تحتاج إثباتًا، حتّى لا يُعارض الظنيّ بالظنيّ. وذاك واقع في كثير من معارضات المخالفين.

(3) ابن حجر، النكت على ابن الصلاح (المدينة المنورة، 1404هـ/ 1984م)، ص845.

(4) انظر في التأصيل للاستدلال بكشوف العلم الحديث لإعلال الحديث أو تقويته: جميل فريد أبو سارة، أثر العلم التجريبي في كشف نقد الحديث النبوي (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016).

العلمـي فيه؛ وهو ما يقتضي إقامة تعريف محكم لحقيقة «الخطأ العلمي»؛ فإنّ نسـبة النصوص المقدسـة إلى الخطأ تُواجِه تَكلُّف فريقين؛ أحدهما يتعسّف في نسبة النص إلـى الخطأ، والآخر يتعامى عن رؤية الخطأ. وعند احتداد الخصومة الفكريّة تتشـنّج نفوس الفريقين للانتصار للمذهب الذاتي، وترك القراءة الهادئة والمنصفة للنصوص.

ونحن نقول: الخطأ الذي يُرَدّ به النص المقدس، ويُلقي عليه تهمة التلفيق البشري، هو الذي يخالف حقيقة علمية ثابتة. والإشكال -في عامة الأحوال- عند الحديث في الأخطاء العلمية في الأسـفار المقدسـة، ليس في صحّة الخبر العلمي المحتَجّ به ضد النـص المقدس، وإنّما هو في فهم النص المقدس على صـورة يقطع معها المرء أنّها تخالف الحقيقة العلميّة.

وقد نزل القرآن العربي في بيئة اتّسـعت لهجات أهلها، وتعدّدت أساليبهم البيانيّة. وما شـاع اليوم من قواعد مدرسـيّة في النحو والصرف والبلاغة ليس سـوى بعض ما كان يلتزم به العرب أو بعض العرب، والعربية أوسـع من المحفوظ في لسـاننا العربي اليوم. وشـواهد الشـعر المحفـوظ عن عرب الجاهلية تشـهد لذلـك. ولذلك يجب ألّا يبـادر المرء إلى اسـتنكار فهـم الآية دون عرضها على واسـع فهم اللغـة العربيّة. كما يحسـن بالباحث في هذا الشـأن أن يعود إلى أئمة النظر في مسـائل شـرح الكلِم العربي وأساليب البيان، مع مراجعة أهل التفسير في نقلهم تفسير الصحابة والتابعين، وخيارات أئمة التفسير المتأخّرين أيضًا.

وأمـا الكتـاب المقدس، فإنّ العهـد القديم منه قـد كُتب عامته بالعبريـة القديمة، وبعضـه بالآراميـة، فيما كُتـب العهد الجديـد كلّـه باليونانيّة. وهو مـا يقتضي معرفة اختلاف أسلوب التعبير في هذه اللغات الثلاث.

لا تطرح يونانية العهد الجديد إشكالات تفسيرية كبيرة في الجانب التطبيقي بسبب ثراء التراث اليوناني المكتوب، وعلمنا بالأدب اليوناني السابق للقرن الأول، والتالي لـه، والمعاصر لزمن التأليف. كما أنّ هناك مؤلّفين كثرًا من النصارى يونانيي اللسـان

ألّفوا كتبًا في مسائل متعلقة بالعهد الجديد، وقد عاشوا غير بعيد عن زمن كتابة أسفار العهد الجديد، أي في زمن قريب من اللسان الأول قبل تطوّره اللاحق.

كما لا يواجهنا العهد الجديد في دلالاته على معاني جمله وإيحاءات صوره بإشكالات كبيرة؛ لأنّه من السهل التمييز بين تعبيراته عن حقيقة عالم الطبيعة، والتعبيرات المجازية، والحديث الرؤيوي.

الإشكال الأساسي يكمن في العبرية والآرامية الكتابيتين. ولأن الجزء الآرامي في العهد القديم صغير جدًا؛ فإنه لا يدخل عمليًا في باب الاستشكال، ويبقى النص العبري هو المشكل بجد؛ إذ إنّ العبريّة التوراتية لغة ميتة، توقّف الناس عن استعمالها منذ زمن بعيد. ولما تمّ إحياء الدراسات التوراتية، كان الاعتماد بصورة كبيرة في فهم العبرية على المعروف من شقيقاتها من اللغات السامية، خاصة العربية والآرامية والسريانية والأكاديّة... كما يُعتمد مرّات كثيرة على السياق في ضبط معنى الكلمة لجهلنا الأصلي بمعناها أو لاتساع المجال الدلالي للفظ العبري. وذاك يقتضي ألّا نستعجل القطع بمعنى العبارة العبريّة إذا حامت حولها ريبة الإبهام.

كما أنّ تناول العهد القديم للإخبار عن عالم الطبيعة حريّ بأن يكون محلّ حذر وتمهّل من الدارس؛ فإنّ العهد القديم متنوع الأنساق الأدبية؛ ففيه السرد الروائي، والخطاب الشعري، والأسلوب الحِكمي، والنفس الفلسفي، وفيه الرؤى. وأحيانًا تتداخل هذه الأساليب حتّى إنّه يعسر التمييز بين الخبر العلمي واللغة المجازيّة.

والقرآن والكتاب المقدس بذلك يجب أن يُفهما ضمن المجال العرفي اللغوي لعصر الظهور أو التأليف؛ فلا تُسقَط على الكلام معان دلالية حادثة نجزم -أو نرجّح- أنّ أهل عصر الظهور أو التأليف لم يعرفوها، كتفسير بعض المتعسّفين من الملاحدة عبارة «نوع» «מִין» [مِينْ] في قصة خلق الأحياء في الفصل الأول من سفر التكوين بالمعنى الحادث في علم التصنيف Taxonomy لمصطلح species ؛ للقول بخطأ التوراة.

الخطأ العلمي في الكتب المقدسة هو: دعوى علمية صريحة يقدّمها النص المقدّس تخالف حقيقة علمية بدلالة اللفظ والسياق، دون أن يحتمل نص هذا التقرير في لغته الأصلية -بلا تعسّف بيّنٍ يخالف أصول اللغة زمن التأليف أو التنزيل- تأويلًا يتقي هذا الخطأ.

وأخيرًا، قد يقول قارئ بعد الانتهاء من هذا الكتاب الذي بين يديه: إنّك رفعت في هذا الكتاب تهمة الخطأ عن القرآن مستدلًا على ذلك في عامة الأحوال بدلالات اللفظ العربي وسياق الآيات، غير أنّك لم تتأوّل نصوص الكتاب المقدس على الصورة نفسها عند تهمة الخطأ!

وذاك سؤال مشروع، وجوابه أنّ هذا الكتاب يمثّل الحصيلة الختاميّة لنظر المؤلف في أخبار القرآن والكتاب المقدس؛ فقد طُبع بعد أن استبعد المؤلّف نصوص الكتاب المقدس التي قال فيها باحثون آخرون إنّها تخالف العلم، ورأى المؤلّف أنّ تهمة مخالفة العلم فيها مُتكلّفة، وأنّ ألفاظ الكتاب المقدّس وسياقاته تمنعان صحة التهمة، وهي نصوص كثيرة؛ ومن ذلك -مثلًا- اتهام الكتاب المقدس بالخطأ عندما جعل الخفافيش من الطيور (لاويين 11/ 19)، في حين أنّ الخفافيش تصنّف اليوم أنّها من الثدييات. وهي تهمة شائعة، لكنّها باطلة؛ فإنّ هذا التقسيم اصطلاحي حادث، ولا خطأ في الزمن القديم في وصف الخفاش أنه طائر؛ لأنّه -في حقيقته- كائن يحسن الطيران، وقائمة الأخطاء العلمية في الكتاب المقدس عند الملاحدة أوسع في عدد من الأبواب مما في كتابنا؛ غير أنّها لا تلتزم النهج العلمي في النقد[1] .

(1) انظر مثلا:
C. Dennis McKinsey, The Encyclopedia of Biblical Errancy (Amherst: Prometheus Books, 1995), pp.209-230

الكتاب إذن يكتفي بعرض النصوص المشـكلة في الكتاب المقدس، والنصوص المستشـكلة في القرآن، والنصوص المدّعى إعجازها في القرآن والكتاب المقدس.. ومن هناك يبدأ البحث..

الفصل الثاني
الإعجاز العلمي في القرآن، الدعوى ومعارضاتها

تَعـرف المكتبة العربية المطبوعة، ومنشـورات الشـبكة العنكبوتيـة، جدلًا حاميًا حـول شـرعية الإعجـاز العلمـي في الكتـب المقدسـة عامة، وفـي القـرآن خاصة. وتدور الإشـكالات المطروحة من جانب منكري شـرعية هذا الوجه الإعجازي على معارضاتٍ نظريةٍ عامةٍ للقول بالإعجاز العلمي، وأخرى تستشـكل الجانب التطبيقي عنـد القول بإعجاز نصوص مخصوصة.. والواجب النظر في الوجهين السـالفين من المعارضة؛ إنصافًا للمخالفين؛ بعدم إغفال ما يُنكرونه على الخائضين في هذا الباب..

المبحث الأول:
إشكالات نظرية في الإعجاز العلمي

يقوم الجدل الواسع اليوم حول شرعية الإعجاز العلمي – في جانب منه– على استشكال الاعتراف بهذا المبحث المعرفي برمّته؛ إذ يقول فريق من منكري الإعجاز العلمي إنّ من طبيعة الوحي الديني أنّه لا يوافق العلم[1] في باب الأصل والمنهج؛ ولذلك فالانتصار للوحي بالعلم الطبيعي لا يستقيم. وتلك دعوى تركن إلى إجمالات تحتاج تفصيلًا وبيانًا لمغالطاتها.

المطلب الأول: بين مفهومي العلم والدين

يقول عدد من أنصار العلمويّة في العالم العربي، ودعاة المذهب الإيمانوي[2] في الغرب إنّ الاستدلال للإيمان الديني ببرهان الإعجاز العلمي، أو أيّ برهان آخر من أيّ جنس، باطل ضرورة؛ فإنّ الإيمان الديني قائم على التسليم لا البرهنة. كما أنّ الاستدلال بالوحي للعلم داعٍ لترك البحث العلمي، والركون إلى أخبار الأسفار المقدسة التي لم تنزل لصناعة وعي علمي.

(1) يُنكر بعض الكتّاب المسلمين قصر مصطلح العلم –في هذا الباب من السجال–على العلوم الطبيعية؛ وكأنّ العلوم الشرعية خارجة عن جنس العلوم!
والجواب هو أنّ هذه قضية اصطلاحية بحتة؛ فإنّ العلم في التعريف التراثي يقابل الجهل، ويطابق «معرفة المعلوم على ما هو به»، ويعني أيضًا اليقين، ويستعمل لوصف فنون المعرفة المختلفة دون الاقتصار على العلم الطبيعي؛ فيقال للمعارف المتعلّقة بالعقيدة، علوم أصول الدين، وهي مواضيع يرتبط كثير منها بأبحاث الميتافيزيقا التي يرفض الماديون اعتبارها من المعارف الجديرة بالاعتبار.
والعلم في حديثنا في هذا الكتاب له معنى مخصوص غير المعنى التراثي؛ إذ هو يُقابل الاصطلاح الغربي «science»؛ فهو علم مخصوص، متعلّق حصرًا بالبحث في القوانين الماديّة. وقد قيل: «لا مشاحة في الاصطلاح». وهي قاعدة صحيحة إلّا أن يوهم الاصطلاح معنى باطلًا. وليس مصطلح العلم –في أعرافنا اليوم– بموهم لمعنى احتكار المعرفة الطبيعيّة لأبواب المعرفة البشريّة؛ إذ إنّ الذهن ينصرف دائمًا إلى معنى دراسة العالم الطبيعي عند الحديث عن «science» في العالم العربي، وإن كان ملاحدة العالم العربي يعملون لاستيراد المعنى الفاسد لمصطلح علم؛ تأثرًا منهم بالعلموية الغربية، ودعاوى الوضعيّة المنطقيّة التي تحتكر المعرفة في القضايا التحليلية (كالرياضيات) والقضايا التجريبيّة.
(2) Fideism

الاعتراض السابق مبني على مقدمة فاسدة؛ وهي أنّ الإيمان الديني قائم - ضرورة - على التسليم لا الاستدلال والبرهنة. وهي مقدمة تعارض صريح القرآن في دعوته المخالفين إلى معترك البرهان؛ دلالة على أنّ البرهان هو الذي يفصل بين العقائد المشتجرة في أصول المسائل وفروعها: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:111]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:117]. والقرآن هو الذي طلب من المخالفين أن يتفكّروا طلبًا للحق: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ﴾ [سبأ:46]. والإسلام هو الذي جعل البرهان الأوسع للتوحيد، برهان النظم؛ بالنظر في المخلوقات ودقّة صنعها، وغائيّة تركيبها: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك:3-4]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: 18-20]. ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:190-191]، بكى رسول الله ﷺ ليله كلّه، وقال: «لَقدْ نَزلتْ عَليَّ اللَيلَةَ آيةٌ، وَيلٌ لِمنْ قَرأَها وَلَمْ يَتفكَّرْ فيها»[1]. والقرآن هو الذي جعل إعجازه برهان ربّانيّته: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:38].

والقول إنّ الإيمان الديني مفارق كلّه للاستدلال والبرهان، أصله مذهب الإيمانويين الغربيين - بعد العصر الكانطي - والملاحدة. وهي تهمة تُرمى بها

(1) رواه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب التوبة (ح/ 626). وصححه الألباني.

النصرانيّـة دائمًا. وذاك اتّهام جائـر حتّى في حقّ النصرانيّة؛ فإنّ الكنيسـة إيمانويّة في ما خالف العقل؛ كعقيدة التثليث واسـتحالة الخبز إلى جسد الرب، لكنّها في تاريخها القديـم كانـت تقدّم دائمًا براهين عقليّـة على وجود الله ووحدانيّتـه، كما في كتابات أوغسـطين وأنسـلم، والمدرسـيين كتوما الأكويني. والتيـار الدفاعـي النصراني في الغـرب اليوم له إصدارات واسـعة جدًا فـي دلائل وجود الله. كما يسـتدلّ النصارى لألوهية المسـيح بمعجزاته، وبقيامته – المزعومة – من الموت. ونحن رغم قولنا إنّ معجزات المسـيح لا تدلّ على ألوهيته، إلا أنّ اعتقاد الكنيسـة أنّها برهانٌ، يدفع عنها تهمة أنّ النصرانيّة ترى الإيمان قائمًا على التسليم الأعمى المحض دائمًا في كلّ أمر.

وأمّـا القـول إنّ البحث في الإعجـاز العلمي، دعـوة إلى الكسـل العلمي، وترك البحث المعملي والرصدي، والانشغال بكتب التراث، فهو اعتراض عاطفي لا يوافق حقيقـة الحال المُنكَر عليه هنا؛ إذ ليس في الحديث عـن الإعجاز في أعداد محدودة مـن الآيات، دعوة إلى ترك البحـث العلمي المادي في الظواهـر الطبيعية؛ فالإعجاز العلمي لا يدعو بصورة مطابقية أو تضمنية أو التزامية إلى الانكفاء على القرآن والسنة لمعرفـة الكـون حصرًا. بل لو قـال القائل عكس ذلك، لكان أقـرب إلى الصواب؛ إذ الإعجـاز العلمي دعوة إلى الكشـف عن أسـرار الطبيعة بالمناهـج العلمية المعترف بصحتهـا عند أهل التخصص – لتقوم الحجة على المخالـف–؛ بما يؤول إلى إثبات إعجـاز آيات قرآنية لا تُدرك دقـتها إلا بالتعمق في البحث العلمي الذي يسـلّط على هذه الآيات أنوارًا تكشف أعماقها.

وإذا ادعى مُدَّعٍ أن العلم بأدوية الأمراض البدنية – مثلًا – سـبيله ما جاء في القرآن والسـنة حصـرًا؛ فجوابه أن الرسـول ﷺ كان عامة يتـداوى –أو يدعـو أصحابه إلى التـداوي– بأدوية عصره، ولم يخالف ذلك إلا في مسـائل قليلة؛ كقوله ﷺ: «الكَمْأَةُ

مِنَ المنِّ وَماؤُها شِـفاءٌ لِلعَينِ»[1]. ودلّ البحث التجريبـي اليوم أن ماء الكمأة[2] يمنع حدوث التليف في مرض التراكوما Granular conjunctivitis الذي يؤدّي إلى زيادة غير طبيعية بالأوعية الدموية بالقرنية[3]. وقد اعتمد المسـلمون التوجيه النبوي السابق فـي علاج أعينهم دون عون من ثقافة العصر؛ فشُـفوا[4]. ولم يكن القرآن والسـنّة مع ذلك مصدرين أساسـيين للبحث في الأدواء البدنيّة ودوائها؛ فإنّ للبحث الطبيّ –عند أعلام الطب في تاريخ الإسلام– سبيله التجريبي الخاص.

وقـد بـدأ المسـلمون في تطويـر العلـوم المتعلّقة بالأمـراض بالنظر في أسـبابها الماديـة، وحلولها العملية؛ ولذلك حصلت طفـرة معرفية كبرى على أيديهم في زمن وجيـز. وتُرجمت مؤلفاتهـم إلى اللاتينية وغيرها لأنها تعتمـد معايير مادية صرفة في فهم الأمراض وتطلّب العلاج، فلا يجد من يستفيد منها حرجًا في قبولها وإن لم يكن

(1) رواه البخاري، كتاب تفسـير القرآن، سـورة البقرة، باب: وقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (ح/ 4208)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها (ح/ 2049).

(2) يُسمى هذا النبات في بعض البلاد العربية اليوم: الفقع.

(3) ألقـى الدكتور المعتز بالله المرزوقي في المؤتمر العالمي الأول (الكويت، 1981) عن الطب الإسـلامي محاضرة عـن نتائج معالجته لآفات عينية مختلفة بتقطير ماء الكمأة في العين، ولقد تم اسـتخلاص العصارة المائية منها في مختبـر فيلانوف بأوديسـا. ثم تم تجفيف السـائل حتى يتمكن مـن الاحتفاظ به لفترة طويلة، وعند الاسـتعمال تم حـل المسـحوق في ماء مقطر لتصـل إلى تركيز ماء الكمأة الطبيعي نفسـه وهو ماء بني اللون لـه رائحة نفاذة ولقد عالـج بـه حالات متقدمة من (الترخومـا) فكانت النتائج إيجابية، حيث تم تشـخيصه عند 86 طفلاً، تم تقسـيمهم إلـى مجموعتين، مجموعـة عولجت بالأدوية المعتـادة، ومجموعة عولجـت بعدما أضيف مـاء الكمأة إلى تلك المعالجات حيث تم تقطير ماء الكمأة في العين المصابة 3 مرات يومياً ولمدة شهر كامل وكان الفرق واضحاً جداً بين المجموعتين، فالحالات التي عولجت بالأدوية المعتادة ظهر فيها تليف في ملتحمة الجفون، أما التي عولجت بماء الكمأة المقطر عادت الملتحمة إلى وضعها السوي دون تليف الملتحمة.
(قسـطاس إبراهيم النعيمي، الإعجاز العلمي في حديث: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين». الموقع الرسمي لجامعة الإيمان).

<1728=no_article?aspx.articles/main/org.jameataleman.www//:http>

(4) وفي ذلك – مثلًا – قال النووي: «وقد رايت انا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي وعاد إليه بصره، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبدالدمشقي صاحب صلاح ورواية في الحديث، وكان اسـتعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركاً به فنفعة الله به» (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392 هـ، 14 / 15)
والعجيب أن أعداء الإسـلام في القرون الهجرية الأولى كانوا يسـخرون من حديث الشـفاء بالكمأة. فقد نقل القاضي عبـد الجبـار في القرن الرابع الهجري، في كتابه «تثبيت دلائل النبوة» قولهـم: «لا يعرف الناس في أدوية العين ماء الكمأة». (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1436هـ/ 2015م، 2/ 540).

مسلمًا. ولم يجعل المسلمون علمهم بوجود مسائل طبيّة قليلة في القرآن والسنّة مانعًا دون البحث التجريبي المحض؛ بل دفعهم حديث: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنزِلْ داءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفاءً، عَلِمهُ مَن عَلِمهُ وَجَهلهُ مَن جَهلهُ»[1] إلى البحث العلمي عن الدواء بعدما أدركوا أنّ الله –سبحانه– قد جعل في عالم الطبيعة –بفضله– ما يرفع الداء.

المطلب الثاني: بين الثابت والمتحول

أبحاث الإعجاز العلمي مدانة عند خصومها بمحاكمة الثابت (الدين) إلى المتحوّل (العلم الطبيعي)؛ فالعلم تصحيح متواصل لأخطاء الماضي، والوحي حقيقة مطلقة لا تتغيّر؛ فلا يلتقيان. ولذلك فالانتصار للثابت بالمتحوّل هو تعظيم للمتحوّل وتسييل للثابت.

ويضيف أحدهم قائلًا: «الاستشهاد بالعلم لمصلحة الدين لا يخلو من خطورة، ذلك أنّ من المعروف أن العلم لا يستنكف من تصحيح ذاته، وهذا يقودنا إلى إمكانية أن يرفض العلم «حقيقة» علمية كان قد أقرّها من قبل! أضف إلى ذلك أن العلم لا يكون علمًا إلا بعد أن يكون خاضعاً لـ«مبدأ التزييف»، أما مفهوم «الدين» فيتعارض اصطلاحيًا مع هذا المبدأ»[2].

وتلك معارضةٌ لا يسلّم لها؛ فإنّ القول إنّ العلم متحوّل، متغيّر، غير صحيح بهذا الإطلاق، ولا يقول به أحدٌ واقعيًا، وإنّما هو إطلاق شائع عند التنظير في عصر النسبوية؛ حيث القطع في أيّ شيء ضَرْبٌ مستنكر من الدوغمائيّة! والعبارات القاطعة بإثبات حقائق علميّة للممارسين للبحث العلمي لا تخفى على مطّلع على أدبياتهم، ويزداد الأمر وضوحًا في إنكارهم العنيف على مخالفيهم وصفهم للعالم الطبيعي عند الخلاف العلمي؛ فإنّهم يصمون خصومهم أنّهم أصحاب عقلية خرافية، ويرون أنّهم أعداء«للحقيقة» و«التنوير». وهذا فيلسوف العلوم الأشهر في القرن العشرين وحتّى اليوم في نفي إمكان العلم بحقيقة علمية؛ بدعوى أنّ العلم قائم على هدم الفرضيات لا القطع بها، يعترف في لقائه مع

---

(1) رواه أحمد، 1/ 377.

(2) فهد راشد المطيري، الإعجاز العلمي وفلسفة العلم
< http://www.fahadrashed.com/2013/11/blog-post_25.html.

صاحب كتاب «نهاية العلم» أنّه يُنكر أن يكون العلم عاجزًا عن إدراك حقائق علمية قطعية، وصرّح له أنّ هناك نظريات علميّة صائبة بقطع اليوم، وإن لم يحدّدها عينًا[1].

وبعيـدًا عن ظاهرة الفصام البيّن بين الجانبين النظـري والعملي عند الحديث عن الحقيقـة العلميّـة النهائية، يتّفق جميـع الناس على الجزم بصحّة عـدد من التقريرات العلميّة؛ بسـبب أنّ أصـل العلم بها يعود إلـى واحدة من الحـواس الخمس؛ كعلمنا بصحّة وصف ما نراه، أو طبيعة ما نلمسه من الظواهر المركّبة في الطبيعة.

ورغم أنّ العلم بالحواس قد ينتهي أحيانًا إلى وهم، كظنّ من يرى منازل الشـمس أنّ الأرض ثابتة والشـمس وحدهـا هي المتحرّكة، إلا أنّنا جميعًـا نوقن جزمًا بصدق عامة ما تدركه حواسنا[2]، كعلمنا ببعد القمر عنّا اليوم بعد الارتفاع في السماء، وكروية الأرض، وتفاصيل علم الأجنة، وعضيّات الخليّة، وتفاعل المركّبات الكيميائيّة...

كمـا أنّه يُتوصّـل إلى اليقين العلمي بالحسـاب الرياضي، وبتكاثـر القرائن تكاثرًا عظيمًا. وكثيرًا ما تسبق الحسابات الرياضيّة العلم الحسيّ في إثبات الظواهر الطبيعية. وقد كانت أهم الكشوف الفلكيّة متأخرة عن العلم بها رياضيًا...

فالخبر العلمي -إذن- أوسـع من المسائل التي يستشكلها العلماء، والتي تغمض عليهـم بما يدفعهـم إلى الاختلاف فـي أمرها بين عصـر وعصر أو فـي العصر ذاته؛ فوصـف المـاء -كيميائيًّا- H_2O حقيقـة يتعامل مع نتائجهـا العلمـاء كلّ دقيقة دون أدنى ارتياب. وتطّرد النتائج المسـتفادة من هذه الحقيقة دون اضطراب، على خلاف النظريات المركّبة للظواهر الغامضة.

ومـن الناحيـة التطبيقية في حديثنـا عن الإعجـاز العلمي في هذا الكتـاب، يُعتبر -عامـةً- خبرُ أصل الكون ومآله الباب الوحيد الـذي يقبل الجدل في يقينيّته، فالأول

---

(1) John Horgan, The End of Science (New York: Basic Books, 2015), p.30

(2) الحواس لا تخطئ؛ لأنها لا تحكم. فالعقل يحكم بعد أن يتلقى المادة المعرفية الخامة من الحواس.

متعلّق بالماضي، والثاني متعلّق بالمستقبل، وعامة المباحث الأخرى مبصرة بالعين أو الرصد بالآلات، أو مدركة بالحساب الرياضي.

وحديثنا عن أصل الكون ليس أمره من الخفاء المطلق؛ وذاك لاجتماع المشاهدة البصرية فيه (فإننا لا نرى من السماء غير الماضي؛ بسبب حاجة الضوء إلى أزمنة طويلة للوصول إلينا)، ودقّة الحساب الرياضي، وتكاثر صدق النبوءات التي توقّعها العلماء بعد قولهم بالانفجار العظيم؛ ولذلك فالنزاع مع الملاحدة وعموم النصارى حول الإعجاز العلمي في هذا الباب مردّه إلى دلالة الآيات على مقولات الكوسمولوجيا الحديثة، لا صدق هذه المقولات العلميّة.

وأمّا استشكال الحديث عن آخر الزمان؛ فمعارَض بأنّ مباحثه الجادة التي نرضاها في باب الإعجاز العلمي قليلة عددًا، وقائمة على الاستدلال بالمعلوم من حال الكون اليوم. ونهاية البحث الإعجازي في هذا الباب، بموافقة القرآن لأمور مختلفة لا تبلغ آحادها مبلغ اليقين، لكن اجتماعها في كتاب من القرن السابع يوافق ما عليه كبار الفيزيائيين اليوم؛ حري بإثارة النظر.

ثم إنّ جانب التحوّل في المعرفة العلميّة لا يلزم منه القول بسيولة هذه المعرفة؛ فقد يتحوّل الناس من مذهب إلى آخر، مع قطعهم اليقيني بخطأ المذهب القديم وصحّة القول الحادث؛ كانصرافهم عن مذهب الأرض القرص إلى كرويتها منذ قرون طويلة من خلال القرائن الممتنع نقضها، والتي تَأكّد صدقها مع الرؤية المباشرة اليوم للأرض من السماء، وكذلك انتقاض وهم عدم مشاركة الرجل أو المرأة في نشأة الجنين بتطوّر علم الأجنّة، وعلمنا أنّ النحل يصنع العسل في بطنه ولا يلتقطه من الزهور بفمه.. وغير ذلك كثير.

والمسير إلى امتحان القرآن بحقائق الواقع منهج يدعو إليه القرآن؛ فهو ظاهر في امتحان القرآن بدعوة الآيات منكري إعجازه أن يأتوا بمثله، أو أن يقيموا البرهان على

تناقضه، أو أن يثبتوا أنّ خبره مصدره ثقافة أهل مكّة: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: 49]..، والحقيقة الكبرى هي أنه لا تعارض بين كتاب الله المقروء (القرآن) وكتاب الله المنظور (الطبيعة)؛ ونحن نمتحن ربانية القرآن بحقائق العلم اليقيني، ونمتحن دعاوى العلم بالطبيعة بحقائق القرآن –بعد علمنا بربانية القرآن–.. والحق واحد لا يتعدّد؛ فلا يتناقض..

وجواب الاعتراض على الإعجاز العلمي بالقول إنّ الوحي –على خلاف العلم– غير قابل للتصحيح؛ فجوابه تأكيدنا أنّ مُحكم الوحي لا يمكن أن يُخالف صحيح العلم؛ فلا يقع التعارض بين الدين الحق والعلم الطبيعي الحق. وإذا وقع تعارض، لزم من ذلك سوء فهم النص الديني أو فساد الدعوى العلميّة. وأمّا إذا حصل الخلاف الحقيقي بين العلم الحق والنص المقدس؛ فلا شكّ أنّ النصّ المقدس يكون عندها محرّفًا أو مقطوع الصلة بالوحي. ولا قداسة مبدئيّة للنص الديني قبل الاختبار، وقيام براهين صدقه.

والقول إنّ «العلم لا يستنكف من تصحيح ذاته» لا يلزم منه أنّ العلم يصحّح نفسه دائمًا؛ فقد أيقن الإنسان منذ قديم الزمان أنّه لا يستغني عن الطعام والشراب ليملك القدرة على الحركة والمشي. وقد طوّر علم البيولوجيا الحديث وعينا بسبب ذلك، لكن لم يفكّر أحد بإمكان نقض حقيقة العلاقة السببية بين الأكل والشراب وطاقة القدرة على الحركة. فالعلم يصحّح ما يحتاج إلى تصحيح، ولا يهتم بتصحيح كلّ شيء. ولا يمكن البتّة للعلم أن يقوم على سوقهِ بدءًا دون مقدّمات يقينيّة؛ فتراكم الظنون لا يولّد علومًا.

إنّ العلم لا يستنكف عن تصحيح خطئه إذا بان الخطأ، ولا يسعى إلى نقض كلّ معرفة بشريّة مكتسبة. وكثير من معارفنا العلمية الأولى لا تزال إلى اليوم قائمة ثابتة؛ لوضوح جانب العلمية في فهم الظاهرة الطبيعيّة. وهي معارف وإن كانت بسيطة، إلا

أنّها داخلة ضرورة في مفهوم المعرفة العلميّة.

وأمّا القول إنّ «العلم لا يكون علمًا إلا بعد أن يكون خاضعاً لـ«مبدأ التزييف»، [و] أما مفهوم «الدين» فيتعارض اصطلاحيًا مع هذا المبدأ»؛ فعجَلة في التقرير؛ فإنّ «مبدأ التزييف» falsification principle [1] كمعيار للفصل بين العلم الحق (أو الممكن) والمزيّف محلّ جدل جاد بين فلاسفة العلوم؛ وقد أعلن فيلسوف العلوم **فايراباند** [2] في سبعينات القرن الماضي وجوب تجاوز مشكلة تعريف ما هو «علميّ»؛ باعتبار ذلك مشكلة زائفة؛ قائلًا: «لا توجد أيّ قاعدة، مهما كانت معقولة وقائمة على أساس راسخ في المنطق والفلسفة العامة، لا تُنتهك في وقت ما أو آخر»[3]؛ بما يلزم معه تجاوز فكرة «المعيار الأوحد» لعلميّة الأفكار والنظريّات. كما أنّ مبدأ التزييف محلّ إنكار عند عدد من العلماء من الناحية العمليّة؛ إذ إنّ هذا المعيار يُخرج مباحث واسعة من علم الكوسمولوجيا مثلًا من دائرة العلم؛ على خلاف إجماع العلماء على اعتبارها من جنس العلوم. كما أنّ معيار قابليّة التزييف يعود على مبدأ قابليّة التزييف بالنقض؛ لأنّ هذا المبدأ غير قابل للتزييف علميًا!

والدين خاضع ضرورة إلى مبدأ التزييف، وليس بمنأى عن ذلك، ولكنّ خضوعه لمبدأ التزييف يختلف عن طبيعة خضوع العلم لـه؛ فإنّ العلم يخضع في كلّ مراحله لمبدأ التزييف –عند من يتابع **كارل بوبر** مركزيّة هذا المعيار للفَصل بين العلم الحق والعلم المزيّف–، في حين يخضع الدين لمبدأ التزييف في تأسيس أصوله؛ فالقرآن خاضع للاختبار لمعرفة صدقه؛ فقد عرض التحدّي أن يُؤتى بمثله على جميع البشر منذ أكثر من 14 قرنًا، كما أخبر عن قصص الأولين، وأخضع نفسه للاختبار التاريخي الأركيولوجي...، وبنجاح هذا الكتاب في اختبار التزييف، يلزم تصديقه في جميع

(1) مبدأ التزييف: أن تكون الدعوى قابلة للتخطئة عند اختبارها.

(2) بول فايراباند (1924-1994) Paul Feyerabend: فيلسوف علوم نمساوي شهير، درّس في جامعة كاليفورنيا.

(3) Paul Feyerabend, Science in a Free Society (London : Verso, 1978), p.98

تفاصيــل تقريراته؛ إذ إنّه إذا ثبتــت ربّانيّة الأصل وحفظ النص من التحريف، نجم عن ذلك ضرورة صدق جميع تقريراته.

والبنــاء المنطقــي لدعوى اســتعلاء تفاصيل النــص المقدس (القــرآن) على مبدأ التزييف -بما سبق بيانه-، سليم لا تشوبه شائبة اعتلال:

1 - القرآن كلام الله المعصوم من الخطأ.

2 - الآيات العلميّة بعض آيات القرآن الذي هو كلام الله.

3 - الآيات العلمية معصومة من الخطأ.

والجدل عندها في الــردّ على المعترض، ليس في صحّة البناء المنطقي، وإنّما هو في صحّة المقدّمــة الأولى[1] القائلة إنّ القرآن كلام الله. وتلك دعوى براهينها لائحة من جهات مختلفة[2].

(1) النقاش هنا ليس في دلالة الإعجاز العلمي على ربانية القرآن، وإنّما في اســتعلاء الخبر القرآني اليقيني على اختبار التزييف إذا ثبت الأصل الرباني للنص المقدس وحِفظه بلا تحريف.

(2) انظر كتب دلائل النبوة وإعجاز القرآن، ومنها: سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز تكوين، 2017).

المبحث الثاني:
إشكالات تطبيقية في الإعجاز العلمي

المجادلة في الجانب التطبيقي لأبحاث الإعجاز العلمي خيار عامة المنصّرين والملاحدة؛ لأنّ عامتهم لا يُنكر إمكان قيام صفة الخارقة العلميّة في الكتاب الديني؛ فقالوا: نحن نجوّز عقلًا وجود إعجاز علمي في كتاب يُنسب إلى الوحي، لكنّنا ننكر أن يكون في القرآن شيء من ذلك.

ونحن وإن كنّا نقرّ أنّ الممارسة التطبيقيّة لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن لا تخلو من غلط وشطط، لكنّنا ننكر أن يعود ذلك بالنقض على جميع الأوجه المستدَلّ بها لإثبات الإعجاز. والاعتدال بين الإنكار والإسراف هو مذهب العدل في إثبات إعجاز الآيات القرآنية في باب الخبر العلمي.

المطلب الأول: التكلّف في إثبات الإعجاز العلمي

ينكر فريق من المعارضين لأبحاث الإعجاز العلمي جديّة هذه الأبحاث وسلامتها من المغالطة، بقولهم إنّهم يرفضونها لثلاثة أسباب، **أولها**: أنّ المسلمين يسارعون تحت شعار «الإعجاز العلمي» إلى تبني النظريات الحديثة للقول إن القرآن قد أخبر عنها سلفًا، ولا يستنبطون النظريات العلمية من القرآن قبل تأكيدها علميًا! **وثانيها**: أنّ جميع الأمثلة المذكورة في الإعجاز العلمي في القرآن دلالتها ظنيّة، وتحتمل خلاف التفسير الإعجازي! **وثالثها**: أنّ القرآن لم يأت بأي دعوى علمية لم تكن معروفة وشائعة زمن البعثة!

والرد على المعارضة الأولى من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ليس من عادة النص القرآني صدم القارئ بالمعارف المخالفة لما يُدركه حسًا؛ لأنّ تكذيب القرآنِ كُفْرٌ؛ ولذلك تحدّث القرآن عن الشمس وحركتها

الظاهرية في النهار بما يوافق إجماع أهل الأرض على مدى تاريخ البشـرية، وجاءت الإشارة إلى حركة الأرض إيماءً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء: 33]؛ ولـم يفهم الناس حركة الأرض من الآية السابقة حتّى وصل العلم إلى تلك الحقيقة الطبيعية التي كانت أكبر صدمة علمية في تاريخ الغرب في محنة **غاليليو غاليلي**.

الكتاب الديني الذي يطلب من الناس تصديق كلّ خبره، ثم يخبرهم بما يخالف ما تدركه حواسهم بصورة صادمة (لا بما لا تدركه حواسهم فقط)؛ قد يفتن الناس فتنة تدفعهم إلى الكفر به؛ فيدخلون النار أبداً؛ ولذلك فالسبق العلمي يكون في ما لا تدركه الحواس، وأما ما خالف الحواس؛ فتأتي الإشارة إليه بشيء من الخفاء لتتوافق مع الكشوف اللاحقة دون أن تصدم معارف السابقين.

الوجـه الثانـي: اللفتات العلمية الإعجازية فـي القرآن قليلة؛ ولذلـك لا يُتوقّع أن تكـون آيات القـرآن العنصر الموجّـه **لعامة** الاختيـارات العلمية فـي البحث العلمي الاجتهادي.

الوجـه الثالث: كان النص القرآني موجِّهًا علميًا للمسـلمين في **بعض** الاختيارات العلميـة القليلـة المخالفة لثقافة العصـر، ويظهر ذلك في موقف علماء الإسـلام من الطب اليوناني المجمع على مشـاركة دم الحيض في خلق الجنين كما سيأتي بيانه في حينـه في هذا الكتاب، واتّجاه اليهود في القرون الوسـطى إلى القول بكرويّة الأرض بعد أن أخذوا ذلك من المسـلمين الذين اسـتدلوا بالعلم والقرآن لصالح مذهبهم في شكل الأرض.

وأمّـا الاعتـراض على الإعجـاز العلمي في القرآن والسـنّة بظنيّـة جميع أوجهه؛ فجوابـه أنّ ذاك حسـم للقول عجول، وهذا الكتاب لا يسـلّم لهـذه الدعوى في عامة

الأمثلـة التـي يذكرها، كما أنّ موافقة المعنى الأظهر لآيـة قرآنية لحقيقة علميّة ما، مع احتمـال النص معان أخـرى أقلّ ظهورًا، داخل في حديثنا عـن الإعجاز الصادق، إذا تكررت هذه الظاهرة.

ثـم هب أنّ آيات الإعجاز كلّها تفيد الظنّ الغالب؛ أفلا يسـتدعي ذلك العجب أن تتكاثـر هذه الدلالات اللغوية في كتاب بعيد عن عصر العلم، ويُنسـب كلّ ما فيه إلى ثقافـة بيئة متخلّفة معرفيًا، مع غياب هذه الظاهرة في الكتاب المقدس رغم وفرة آياته الكونيّة؟!

إنّ كثـرة الآيات التي يغلب علـى الظنّ أنّها توافق حقائق العلـم الحديث، ظاهرة يجب ألّا تمرّ دون اسـتثارة انتباه القارئ؛ إذ إنّ طبيعة مضامين النص القرآني، وسـعة اللسـان البياني العربي، والثقافة العلمية الخرافية لعصر التنزيل، كلّ ذلك حافز للنفور من موافقة المعنى الأظهر للنص للحقيقة العلمية.

والاعتـراض الثالث واقع هو أيضًا في المغالطة؛ فإنّ دعوى أنّ القرآن لم يأت بأيّ تقرير علمي غير شائع في عصر التنزيل (ولذلك فليس فيه شيء من الإعجاز العلمي)، موهم بغير حقيقة الحال، والرد عليه من أوجه:

الوجـه الأول: هناك نصوص كثيرة تقرر أمـورًا في وصف الطبيعة لم تكن معروفة عصر التنزيل، ومنها الأصل الدخاني للكون، وترتيب الخلق (على غير ترتيب الكتاب المقدس، والموروث البابلي...)، والأمواج الداخلية، والإيماء إلى أنّ دم الحيض لا يشارك في نشأة الجنين...، ولذلك قال الشيخ **محمد قطب** -رحمه الله-: «بعض هذه الإشـارات كان جديدًا على أولئك المخاطبين بالقرآن أوّل مرّة، لا يعرفون أسرارها، أو لا يعرفـون تفاصيلها.. وقـال لهم الله في كتابه المنزّل إنّهم سـيعرفونها ذات يوم: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصّلـت: 53]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمـل: 93]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: 88]. فأمّا الذين آمنوا فقد أخذوا هذه الإشارات بالتسليم، وإن كانوا لا يعرفون

كلّ شـيء عنها، ما دامت من عند ربّهم الذي آمنوا به وصدّقوه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقـرة: 26]، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: 7]»[1].

الوجـه الثاني: ذكر القرآن أوصافًا لبعض ظواهر الطبيعـة لم تكن معروفة في مكة والمدينـة ومـا جاورهما، مثـل كروية الأرض التي قـال بها اليونـان ورفضها العرب والنصارى السريان المتاخمين لهم.

الوجـه الثالث: في القرآن تقريرات علمية صوّبت أخطـاء الكتاب المقدس؛ ومن ذلـك وصـف القـرآن الجبال أنها أوتـاد منغرزة من أعلـى لا أعمدة قائمـة من تحت الأرض، كمـا تجانـف القرآن عن وصـف الأرض أنها قائمة على المـاء رغم أنّ ذاك مذهب العرب كما يظهر من أشـعارهم وقول اليهود والنصارى زمن البعثة. وذاك من أقوى دلالات مخالفة القرآن لثقافة العصر.

المطلب الثاني: في منهج تخطئة الكتاب المقدس

يجد فريق من المسـلمين حرجًا في القطع بخطأ أحكام الكتاب المقدس في عدد من المسـائل العلمية؛ لأنّ القرآن يقرّر أنّ الكتـاب المقدس في أصله وحي معصوم، ناله شـيء مـن التحريف لاحقًـا. وأصل الحرج قولهـم باحتمال تخطئـة نصٍّ ما في الكتاب المقدس، أصله سماوي لم يُحرّف!

وجوابنا هو أنّ الحكم بفسـاد القول إذا خالف الحق، لا اعتبار فيه للاحترازات إذا قام البرهان على الفساد المنكر. فالأمر في العلوم اليقينية ومحكمات النصوص يجب أن يطّرد على مذهب واحـد في محاكمة القرآن والكتاب المقدس. ومن بيّنات ربانيّة القرآن فساد كلّ قول يَزعم مخالفة نص فيه مُحكم العلوم.

وعلماء الإسـلام قد لا يجـدون برهانًا قاطعًا على القول بضعف حديث يُنسـب

(1) محمد قطب، لا يأتون بمثله! (القاهرة: دار الشروق، 1422هـ/ 2002م)، ص 193-194.

إلـى النبـيّ ﷺ بنـاء علـى البحث في السـند (سلسـلة رجـال الحديث)، غيـر أنّهم يجزمون بوضع الحديث نفسـه إذا رأوه مخالفًـا للحسّ؛ لبراءة الوحي من الخطأ في المحسوسـات والمعقولات. قال **ابن الجوزي**: «المسـتحيل لَو صدر عَن الثِّقَات رُدَّ وَنسـب إِلَيْهِم الْخطأ. أَلا تـرى أَنه لَو اجْتمع خلق من الثِّقَـات فَأخْبرُوا أَن الْجمل قد دخل فِي سم الْخياط لما نفعتنا ثقتهم وَلَا أثرت فِي خبرهم، لأَنهم أخبروا بمستحيل، فَـكل حَدِيـث رَأَيْته يُخَالف الْمَعْقُـول، أَو يُنَاقـض الْأُصُول، فَاعْلَم أَنـه مَوْضُوع فَلَا تتكلف اعْتِبَاره»[1].

ومحفّـز الحرج الذي يجده بعض المسـلمين في تقرير مخالفـة الكتاب المقدس للعلم فـي مواضع كثيرة جدًا، ظنّهم أنّ تحريف الكتاب المقدس الذي يقول به النقاد هـو تحريـف بعض كلمات أسـفار الأنبيـاء في مواضع محـدودة. والحقيقـة هي أنّ التحريف المشـار إليه في القرآن وعليه النقاد أيضًا، غير ذلك؛ إذ إنّ الجماعة العلميّة متّفقة[2] أنّ التوراة المنسـوبة إلى موسى عليه السـلام جلّ ما فيها ملفّق، وقد ضاعت غيرما مرّة، ونُقّحت بصورة واسـعة في القرن الخامـس قبل الميلاد[3]، والخلاف هو في صحة نسبة أقل القليل منها إلى موسى عليه السلام لا تحريف القليل منها. كما أنّ إنجيل المسيح الذي جاء خبره في القرآن هو غير أناجيل النصارى، وليس في أناجيل النصارى غير كلمات قليلة من الممكن أن تصحّ نسبتها إلى المسيح عليه السلام، وأمّا رسـائل بولس التي تشكّل الجزء الأكبر في العهد الجديد؛ فهي كلام رجل كذب على الله وعلى المسيح[4].

(1) ابـن الجـوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمـن محمد عثمان (المدينة المنورة: المكتبة السـلفية، 1386 هـ – 1966 م)، 1/ 106.

(2) ما كان في تراثنا الإسـلامي من خلاف حول مبلغ تحريف أسـفار أهل الكتاب قد حُسم أمره اليوم بلا رجعة، وذلك بالمسير إلى ما اختاره الإمام ابن حزم من أن التحريف واسع جدًا.

(3) فصّل الإمام ابن حزم أمر التحريف وفحشـه، مسـتعينًا بنصوص العهد القديم نفسـها، في كتابه: الفصل في الملل والأهواء والنحل. والنقاد الغربيون اليوم أشدّ إنكارًا من الإمام ابن حزم لأصالة عامة ما في التوراة.

(4) See Douglas Del Tonto, Jesus' Words Only (Infinity Pub, 2006)

لم يقع تحريف التوراة والإنجيل بتغيير بعض كلماتهما، وإنّما تم الأمر بصناعة نص بشري جديد لم يستبقِ من التوراة والإنجيل الأصليين غير كلمات قليلة أو أخبارِ قَصصٍ. وذاك ما انتهى إليه النقاد في الغرب ممن يؤمنون بوجود توراة أولى لموسى عليه السلام. وهو ما يَلزم ضرورة من نسبة إنجيل إلى المسيح لا يؤمن بوجوده النصارى.

وفي سياق إحكام دلالات نصوص الكتاب المقدس، وإمكان تأويلها عن ظاهرها، قد يعترض معترض بقوله: «لماذا تتّخذون تفاسير علماء النصارى واليهود حجّة على الكتاب المقدس إذا أدانت الكتاب المقدس، ولا ترون تفاسير علماء الإسلام حجة إذا خالفت العلم؟».

وجوابه أنّنا لا نستدل بتفاسير علماء النصارى المتقدمين أو المتأخّرين إلا حيث توافق صريح النصوص، وقد تركنا نقولًا كثيرة عنهم في تفسير كثير من أعداد العهدين القديم والجديد؛ لأنّ النصوص تحتمل -بجد- معاني مختلفة، أو لأنّ فهمهم كان أثرًا عن بيئتهم العلميّة لا عن دلالات النصوص. وما نحكم به لعلماء أهل الكتاب، نحكم به لعلماء الإسلام في تفسير القرآن والسنّة؛ فلا تكون أقوال آحادهم حجّة للنص أو عليه إلّا متى وافقت الدلالات اللغوية والسياقية، ولم تكن أثرًا عن سلطان ثقافة العصر.

الفصل الثالث
التراث الكتابي والعلم الطبيعي

استغرق الحديث عن علاقة الكتاب المقدس بالعلم الطبيعي من العلماء سيلاً من الحبـر؛ وتعدّدت في النظر إليه الأوجه، وسـبب ذلك اختـلاف المقدمات، وتفاوت التزام الناظرين الموضوعية والخضوع لحقائق منطوقات النصوص. وذاك يسـتدعي أن نمهّـد للبحث بما يكشـف حقيقته، ونوضّح منهجنا الـذي اخترناه في هذا الكتاب لمحاكمة الكتاب المقدس في ضوء معارفنا العلميّة.

المبحث الأول:
مصادر القراءة العلمية عند اليهود والنصارى

مصادر الخبر العلمي عند اليهود والنصارى واسعة، والعلم بها واجب لأنّه يحدّد من أين يستقي أهل الكتاب المتديّنون الخبر المعصوم المتعلّق بالشأن العلمي، كما يحدّد مصادر هذه المعرفة المتاحة زمن البعثة النبوية عند أهل الكتاب المجاورين لبلاد العرب.

وهذه المصادر على قسمين، أسفار الكتاب المقدس، وأسفار أخرى دينية الطابع أيضًا خارج القائمة القانونية الرسميّة.

المطلب الأول: تعريف الكتاب المقدس

تؤمن الكنائس بقداسة مجموعة من الكتب صغيرة الحجم مطبوعة بين دفتي كتاب واحد يُسمى «الكتاب المقدس». وهو في طبعة «ترجمة الرهبانية اليسوعية» -مثلًا- في حدود 2800 صفحة. ويتألّف الكتاب المقدس من جزءين، أوّلهما العهد القديم، وهو يضم قرابة 419 ألف كلمة عبرية (وآرامية)[1]، وثانيهما العهد الجديد الذي يضم قرابة 138 ألف كلمة يونانية.

العهد القديم هو القسم الذي يؤمن بقداسته اليهود والنصارى معًا، وهو يتكوّن من 39 سفرًا، والسِّفر -بكسر السين- كلمة تعني في العربية والعبرية والآرامية وعامة اللغات الساميّة «كتاب». ويؤمن الكاثوليك بسبع كتب زائدة على القائمة التي يؤمن بها اليهود والبروتستانت، وتُسمّى بالكتب الأبوكريفا.

تسمية «العهد القديم» تسمية نصرانيّة لأنّها تقابل مسمّى العهد الجديد الذي سنذكره لاحقًا. والاسم اليهودي لهذه الأسفار «التناخ» «תַּנַ״ךְ» وهو اختصار

(1) الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم المعتمدة عند الكاثوليك فيها أسفار زائدة.

لأسماء المجموعات التي تنقسم إليها هذه الأسفار:

● التاء اختصار لاسم التوراة «תּוֹרָה» [تورا]. والتوراة هنا اسم للكتب الخمسة التي تُنسب إلى موسى عليه السلام، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية. والاتفاق حاصل بين النقاد اليوم أنّ هذه الأسفار قد كُتبت بعد عصر موسى عليه السلام بقرون(1).

● النون لأسفار الأنبياء «נְבִיאִים» [نبيئيم](2). وتنقسم إلى مجموعتين، أسفار الأنبياء الأوائل נביאים ראשונים [نبيئيم روشونيم] (يشوع والقضاة وصموئيل 1و2، وملوك 1و2)، والأنبياء المتأخرين נביאים אחרונים [نبيئيم أحَرونيم].

● الخاء تكتب كافًا وتنطق خاءً لأنّ الكاف في آخر اللفظ العبري تنطق بصورة رخوة (احتكاكيّة). وهي اختصار لكلمة כְּתוּבִים [كتوبيم] أي «الكتابات»، وهي بقية أسفار العهد القديم.

وهنا قائمة أسفار العهد القديم عند اليهود والبروتستانت (وعند الكاثوليك والكنائس الأرثوذكسية أسفار أخرى زائدة):

سفر التكوين	سفر الخروج	سفر اللاويين	سفر العدد	سفر التثنية
سفر يشوع	سفر القضاة	سفر راعوث	سفر صموئيل الأول	سفر صموئيل الثاني
سفر الملوك الأول	سفر الملوك الثاني	سفر أخبار الأيام الأول	سفر أخبار الأيام الثاني	سفر عزرا
سفر نحميا	سفر أستير	سفر أيوب	المزامير	سفر الأمثال
سفر الجامعة	سفر نشيد الأنشاد	سفر إشعياء	سفر إرمياء	سفر مراثي إرمياء
سفر حزقيال	سفر دانيال	سفر هوشع	سفر يوئيل	سفر عاموس
سفر عوبديا	سفر يونان	سفر ميخا	سفر ناحوم	سفر حبقوق
سفر صفنيا	سفر حجي	سفر زكريا	سفر ملاخي	

(1) See John J. McDermott, Reading the Pentateuch: a historical introduction (New York: Pauline Press, 2002), p.21

(2) تُقرأ: نفيئيم مراعاة لقاعدة «بجد كفت» العبرية الخاصة بتغيّر نطق بعض الحروف تبعًا لموقعها من المقاطع أو الكلمة. ونحن نلتزم في نقحرة transliteration الكلمات العبرية في هذا الكتاب نقل الحروف دون مراعاة تغيّر الصوت تبعًا لموقعها من الكلمة؛ حتى يستبين أصلها السامي.

وأمّا العهد الجديد؛ فهو مجموع الكتب التي تقدّسها الكنيسة بعد رفع المسيح إلى السماء بإسباغ صفة «القانونية» عليها، وليس من بينها مكتوب يُنسب إلى المسيح. والعهد الجديد يُسمّى مجازًا «الإنجيل». وكلمة «إنجيل» من اليونانية «εὐαγγέλιον» [إفنجليون] أي الخبر السار أو البشارة.

ظهرت تسمية العهد الجديد بهذا الاسم «Ἡ Καινὴ Διαθήκη» [هِي كايني دياثيكي] في القرن الثاني الميلادي في كتاب ترتليان[1]: «الرد على مرقيون». وسبب التسمية أنّ «العهد[2] القديم» كان عهدًا بين الله ومن خاطبهم بالوحي أن يعملوا الصالحات ويلتزموا به لنيل الخلاص يوم القيامة، ولكن تبيّن للإله (!) أنّ البشر على فساد عظيم أصيل منعهم أصل الالتزام بالعمل الصالح؛ ولذلك أبرم الربّ عهدًا جديدًا مع الناس يقوم على أنّ طريق الخلاص مقصور على الإيمان أنّ الإله الأب قد أنزل الإله الابن من السماء إلى الأرض ليموت على الصليب فداء لخطايا الناس؛ إذ لا تطهّر من خطيئة دون دم، ولا يوجد دم طاهر بلا خطيئة غير دم الابن!

وهاهنا قائمة أسفار العهد الجديد التي تؤمن بها عامة كنائس الشرق والغرب:

إنجيل متّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا
أعمال الرسل	الرسالة إلى روما	الرسالة الأولى إلى كورنثوس	الرسالة الثانية إلى كورنثوس
الرسالة إلى أهل غلاطية	الرسالة إلى أفسس	الرسالة إلى فيلبي	الرسالة إلى كولوسي
الرسالة الأولى إلى تسالونيكي الأولى	الرسالة الثانية إلى تسالونيكي الأولى	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس
الرسالة إلى تيطس	الرسالة إلى فليمون	الرسالة إلى العبرانيين	رسالة يعقوب

(1) ترتليان (Tertullian (160-220: أهم آباء الكنيسة اللاتين في القرن الثاني. صاحب ردود واسعة على الهراطقة قبل أن يتحوّل هو نفسه إلى مذهب هرطقي آخر عمره.

(2) هي عهود، أهمّها عهود الربّ مع إبراهيم وموسى وداود عليهم السلام.

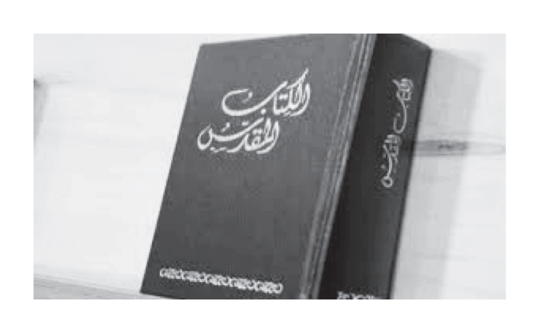
الرسالة الأولى لبطرس	الرسالة الثانية لبطرس	رسالة يوحنا الأولى	رسالة يوحنا الثانية
رسالة يوحنا الثالثة	رسالة يهوذا	سفر رؤيا يوحنا	

ويقسّم كلّ سفر في الكتاب المقدس إلى مجموعة فصول، ويسمّى كلّ فصل عند النصارى العرب: فصلًا أو إصحاحًا. والفصول متفاوتة الحجم، وهي في الأغلب في حدود صفحتين أو ثلاث بالخط الصغير. وقد تمّ تقسـيم أسفار الكتاب المقدس إلى فصول سـنة 1238م على يد الكاردينال **هوج دو سـان شـير**[1]، وقُسّمت الفصول إلى أعداد سـنة 1551م على يد **روبرت ستيفانوس**[2]. وأفاد ذلك في سهولة الوصول إلى المقاطع المطلوبة في الكتاب المقدس عند الإحالة أو الاقتباس.

ونحـن عندما نحيل إلـى نص من الكتاب المقدس في المؤلَّـف الذي بين يديك؛ فنقول مثلًا: سـفر التكوين 1/ 20؛ فذاك يعني أنّ الإحالة هي إلى العدد العشـرين من الفصل الأوّل من سفر التكوين.

(1) هوج دو سان شير (1216-1262) Hugues de Saint-Cher: كاردينال وشارح للكتاب المقدس.
(2) روبرت سـتيفانوس (1503-1559) Robert Stephanus: كاتب إنجليزي، له عنايـة بالطباعة، خاصة طباعة الكتاب المقدس.

صورة لنسخة مطبوعة من الكتاب المقدس



٢ — اسم السفر ⇦ التكوين ١ ⇨ رقم الفصل

٩ وقال الله: «لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى مكان واحد، وليظهر اليبس»، فكان كذلك. ١٠ وسمى الله اليبس أرضا ومجتمع المياه بحارا. ورأى الله أن ذلك حسن.

١١ وقال الله: «لتنبت الأرض نباتا: عشبا يبزر بزرا، وشجرا مثمرا يحمل ثمرا، بزره فيه من صنفه على الأرض»، فكان كذلك، ١٢ فأخرجت الأرض نباتا: عشبا يبزر بزرا من صنفه، وشجرا يحمل ثمرا، بزره فيه من صنفه. ورأى الله أن ذلك حسن. ١٣ وكان مساء وكان صباح: يوم ثالث.

١٤ وقال الله: «ليكن في جلد السماء نيرات تفصل بين النهار والليل، وتشير إلى الأعياد والأيام والسنين، ١٥ ولتكن النيرات في جلد السماء لتضيء على الأرض»، فكان كذلك. ١٦ فصنع الله الكواكب والنيرين العظيمين: الشمس لحكم النهار، والقمر لحكم الليل، ١٧ وجعلها الله في جلد السماء لتضيء على الأرض ١٨ ولتحكم النهار والليل وتفصل بين النور والظلام. ورأى الله أن هذا حسن. ١٩ وكان مساء وكان صباح: يوم رابع.

٢٠ وقال الله: «لتفض المياه خلائق حية ولتطر طيور فوق الأرض على وجه السماء».

٢١ فخلق الله الحيتان الضخمة وكل ما دب من أصناف الخلائق الحية التي فاضت بها المياه، وكل طائر مجنح من كل صنف. ورأى الله أن هذا حسن. ٢٢ وباركها الله قال: «إنمي وأكثري وأملإي المياه في البحار، ولتكثر الطيور على الأرض». ٢٣ وكان مساء وكان صباح: يوم خامس.

٢٤ وقال الله: «لتخرج الأرض خلائق حية من كل صنف: بهائم ودواب ووحوش أرض من كل صنف»، فكان كذلك: ٢٥ صنع الله وحوش الأرض من كل صنف، والبهائم من كل صنف، والدواب من كل صنف. ورأى الله أن هذا حسن.

٢٦ وقال الله: «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل ما يدب على الأرض». ٢٧ فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر، ذكرا وأنثى خلقهم. ٢٨ وباركهم الله، فقال لهم: «أنموا وأكثروا وأملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض». ٢٩ وقال الله: «ها أنا أعطيكم كل عشب يبزر بزرا على وجه الأرض كلها، وكل شجر يحمل ثمرا فيه بزر، هذا يكون لكم طعاما. ٣٠ أما جميع وحوش الأرض، وجميع طير السماء، وجميع ما يدب على الأرض من الخلائق الحية، فأعطيها كل عشب أخضر طعاما». فكان كذلك. ٣١ ونظر الله إلى كل ما صنعه، فرأى

المطلب الثاني: المصادر العلمية خارج الكتاب المقدس

الثقافة الكتابية[1] المنتشرة في الجزيرة العربية كانت تَمْتَح من أكثر من مصدر؛ فبالإضافة إلى الدلالات الصريحة للكتاب المقدس، كان أهل الكتاب يستقون معارفهم العلمية من مراجع دينية تحوم حول الكتاب المقدس، وأخرى دنيوية محضة.

أهم مصدر ديني كان اليهود يرجعون إليه لمعرفة شؤون العالم في وصف الظواهر الطبيعية، والأدواء والأدوية... إلخ كان التلمود البابلي والآخر الأورشليمي، وهما يضمّان متنًا واحدًا كُتب بالعبرية، وهو المشنا מִשְׁנָה، وقد شرح لاحقًا بتفصيل -من خلال حوارات الأحبار- بما يتجاوز حدود المتن، ويسمى الجمارا גמרא. وقد اشتهرت الجمارا البابلية بصورة أوسع من الجمارا الأورشليمية.

ويمثّل التلمود وعاءً معرفيًا واسع المعاني، ومن أعظم أوجه أهميته في باب دراسة الخبر العلمي عند أهل الكتاب أنّه كثيرًا ما ينقل حوارات الأحبار ومناظراتهم وتدارسهم المسائل العلميّة. **وكلّ دراسة لخبر الثقافة الكتابية زمن البعثة النبوية تتجاهل ما جاء في التلمود من تفصيل، بتراء**؛ لأنّها قاصرة عن إدراك المعرفة السائدة بين اليهود في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي.

كما تعتبر الترجومات תרגום إحدى المصادر المهمة في الخبر العلمي عند اليهود؛ إذ إنّ اليهود بعد السبي البابلي اتّجهوا تدريجيًا إلى اتخاذ الآرامية اللغة الأساسية للتعبير الثقافي، الديني وغيره. وتُسمى هذه الترجمات بالترجومات. ومن أبلغ ميزات هذه الترجمات أنّها ليست نقلًا حرفيًا للأصل العبري؛ وإنما هي ترجمات تفسيريّة تعكس في كثير من الأحيان ثقافة العصر الذي كتبت فيه، بعيدًا عن حروف الأصل المترجم عنه.

---

(1) الكتابية: نسبة إلى الكتاب المقدس أو أهل الكتاب.

ويستفاد أحيانًا من الترجمة اليونانية الأشهر للعهد القديم، والمسمّاة بالترجمة السبعينيّة -والتي تمّ إنجازها في القرن الثالث قبل الميلاد- في ضبط معنى الأصل العبري؛ إذا كان الأصل العبري واسع المجال الدلالي.

وللترجمة السريانية للكتاب المقدس -والمسمّاة بالبشيطا (أي البسيطة)- أهمية خاصة في دراسة علاقة البيئة السريانية المجاورة للحجاز بفهم النصارى لكتابهم المقدس؛ فإنّ السريانية هي اللغة الدينية الأوسع انتشارًا في تلك البيئة، وهي قد تفيد في بيان فهم أهل تلك البيئة لدلالات النصين العبري واليوناني في تلك الأرض.

كما ساهمت الكتابات الدينية النصرانية واليهودية التي لم تدخل القائمة الرسميّة للأسفار المقدسة في صناعة العقل العلمي لأهل الكتاب؛ إذ إنّها كانت تُتداول منسوخة، كما تحوّل كثير من خبرها إلى ثقافة شعبيّة شفهية عند أهل الكتاب، خاصة أنّها سدّت كثيرًا من الفراغ المعرفي في تصوّر الكون وتفسير ظواهره مما لا تفصيل له في الكتاب المقدس. ومن أهم هذه الأسفار سفر اليوبيلات، والمسمّى أيضًا سفر التكوين الصغير، وفيه شرح لأيام الخلق الست، وسفر أخنوخ وفيه وصف لرحلة أخنوخ في الكون.

كما يُستفاد بصورة بالغة من مؤلفات آباء الكنيسة، خاصة شروحهم لأسفار الكتاب المقدس؛ فإنّها تشرح التصوّر الكوني المبثوث في أسفار الكتاب المقدس. وأهم هذه المؤلفات في موضوعنا كتابات الآباء السريان، وأعلام الآباء اليونان واللاتين؛ **كترتليان وأريجانوس[1] ويوحنا ذهبي الفم[2] وأوغسطين[3] وجيروم[4]**.

---

(1) أريجانوس (185-254) Origen: أحد أهم آباء الكنيسة الأوائل. لاهوتي وفيلسوف ومفسّر للكتاب المقدس.

(2) يوحنا ذهبي الفم (347-407) John Chrysostom: رئيس أساقفة القسطنطينية. من أبرز اللاهوتيين النصارى الأوائل. يعتبر من أهم قدّيسي الكنيسة الأرثوذكسيّة، كما أنّه من المراجع الكبرى للكنيسة الكاثوليكيّة. لُقّب بذهبي الفم لبلاغته في مواعظه وخطبه.

(3) أوغسطين (354-430) Augustine: أحد آباء الكنيسة اللاتين وقديسيها الأبرز. فيلسوف ولاهوتي. له تأثير كبير في لاهوتيي الكاثوليك والبروتستانت إلى اليوم.

(4) جيروم (347-420) Jerome: أحد آباء الكنيسة وقديسيها. أشرف على أهم ترجمة لاتينية للكتاب المقدس: الفولجاتا.

ولفهم الكتاب المقدس، ودلالات ألفاظه، والتصوّرات العلمية للظواهر الطبيعية التي يشير إليها، لا بدّ من الرجوع إلى معارف الأمم الوثنية التي عاش بينها اليهود، والتي أبان المحقّقون من النقاد أنّها من أهم أصول المادة المعرفية التي عبَّ منها المؤلّفون؛ فإنّ كشوف القرن التاسع عشر وما يليه قد أظهرت أنّ قراءة أسفار الكتاب المقدس -خاصة سفر التكوين والمزامير وسفرَي أيوب وإشعياء- دون النظر في ثقافة عصر التأليف الحقيقي لا بدّ أن تنتهي إلى الغفلة عن حقيقة الصورة العلمية الحرفية التي رسمها المؤلف في سفره. ومن أهم تلك المعارف ما كشفه المنقّبون في تاريخ الشرق الأدنى القديم، خاصة في منطقة رأس شمرة حيث اكتُشفت كتابات باللغة الأوغاريتية سنة 1928، ولعلّ أهمها النصوص المسماة بدورة البعل[1].

ولتراث بلاد ما بين الرافدين في باب معرفة أصول التوراة، مقام خاص؛ فإنّ ملاحمه ورؤاه العلمية أبرز مدخل للفصول الأولى من سفر التكوين. وأبرز هذا التراث إنوما إليش 𒂊𒉡𒈠𒂊𒇺 ... وملحمة الخلق والطوفان الأكادية ملحمة أتراحسيس[3]. وفي التراث السومري القديم -أيضًا- حديث عن أقدم ملاحم الخلق المكتوبة، وفيها خبر مبكّر عن الطوفان.

ومع اكتشاف حجر الرشيد، وفك رموز اللغة الهيروغليفية، انفتحت أمام البحث التاريخي أبواب جديدة أبانت عن وجوه تشابه كثيرة بين أساطير المصريين وقصص الكتاب المقدس وعقائده.

وللتراث اليوناني حضور في غير قصة الخلق، في تكوين التصور النصراني واليهودي للظواهر الطبيعية؛ فإنّ التراث اليوناني في الطب وغيره قد هيمن على البيئة المجاورة للجزيرة العربية. ويُعتبر التراث العلمي الأرسطي الأعظم تأثيرًا في البيئة النصرانية المجاورة للبيئة العربية زمن البعثة النبوية.

(1) Baal Cycle

(2) تُكتب بالحرف اللاتيني: Enuma Elish

(3) تُكتب بالحرف اللاتيني: Epic of Atrahasis

إنّ قـراءة الكتـاب المقدس والعقـل العلمي في القرن السـابع الميلادي، حاجة ضروريـة لفهم حقيقة الخبـر العلمي في الكتـاب المقدس والقـرآن. وكلّ امتحان للكتاب المقدس والقرآن علميًا دون ذلك، لا يخرج عن وصمة السطحية والسذاجة والعجلـة؛ فالنـص لا يكشـف حقيقـة نفسـه وطبيعة نسـيجه خارج طبيعـة عصره ومقولاته.

ومن الضروري هنا التنبيه إلى مسـألة **أساسيّة ومحوريّة** في قراءة علميّةِ التقريرات القرآنية الكونيّة، وهي أنّه **يكاد**[1] **يجمع المستشـرقون أن عامة قصص القرآن وعقائده يهوديّة المشـرب لما بيـن القرآن والتراث اليهودي من تشـابه**؛ حتّى قال المستشـرق **نولدكـه**[2] -المتخصص في اللغات السـامية والأديان- إنّه بدراسـة القرآن وموافقته للتلمود يجوز لنا أن نسـتنتج أن نبي الإسـلام قـد درس التلمود[3] (رغـم أنّ التلمود قد عُرِّب كلّه أوّل مرة سـنة 2011م!). ولذلك لا يسـتقيم للمستشرقين قول الاقتباس مـن اليهوديّة في العقائد والقصص حتـى يجمعوا إلى ذلك خبر العلم الطبيعي. وبيان خلـوّ القرآن مـن التأثير اليهودي في بـاب العلوم الطبيعيّة، ناقـض لأصل الاعتراض الاستشـراقي الـذي قامـت دعواه فـي نفي المصـدر الربّانـي للقرآن علـى الاقتباس المكثّف من التراث اليهودي.

وممّـا يذكـر في أمـر العلاقـة الموهومة بين القـرآن وأهـل الكتـاب أنّ فريقًا من المستشـرقين المعاصريـن قد اضطرّ إلى تكذيب التراث الإسـلامي في نسـبته نزول القـرآن إلى بداية القرن السـابع بين وثنييـن؛ لوفرة المعارف التوراتيـة والإنجيلية في القـرآن بما يمنع أن يكـون أصل هذا الكتاب أحد رجال العرب فـي بيئة وثنية صرفة.

---

(1) قلّة قليلة فقط من المستشرقين تقول إن الأثر النصراني أكبر من الأثر اليهودي، انظر مثلا:
Tor Andræ, Der Ursprung der Islams und das Christentum, Uppsala: Almqvist & Wiksells, 1926

(2) ثيودور نولدكه (1836 - 1930) Theodor Nöldeke: رأس المستشرقين في عصره. كان له اهتمام خاص بالدراسات القرآنية ودراسات العهد القديم.

(3) Theodor Noldeke, Sketches from Eastern History, tr. John Sutherland Black (London: Adam and Charles, 1892), p.31

وزعــم هؤلاء المستشــرقون أنّ القرآن قد ظهر في آخر القــرن الثاني الهجري على يد جماعة من النصارى المتهوّدين[1].

لـو اكتفـى الباحـث بدراسـة الخـبر العلمـي في القـرآن بمقارنتـه -فقـط- بالتـوراة والتلمـود لاختبـار بـراءة القـرآن مـن الخطـأ؛ لأصـاب؛ لأنّ القـرآن لا يخـرج عنـد عامـة المسـتشرقين عـن أن يكـون كتابًـا يهوديًـا أو ربانيًـا؛ فـإذا انتقضـت يهوديـة المـشرب ثبـت الأصـل الربـاني. والبحـث -كـما سـيأتي- كاشـف عـن إعجـاز الخـبر العلمـي القـرآني بمخالفـة التـوراة والتلمـود، وتصويـب خطئهـما، والإخبـار عـمّا لم يذكـراه مـن حقائـق.

وليـس لعرب الحجاز مسـاهمة تذكر، ولـو عرضًا، في البحـث العلمي. ومعرفة ثقافتهـم العلمية لاختبار أصل الخبر العلمي في القرآن، ليسـت من المطالب الملحة - مـن الناحيـة العمليّة- في دراسـتنا هذه؛ لأنّ ثقافة الرعـاة أو النائين عن المدنية في القـرن السـابع الميـلادي معروفة، فهـي تجمع بين البسـاطة، والعزوف عـن التنظير السُـنَني الخارج عن مألوف المشـاهدات، والخرافية في أبواب الطب والفلك وكثير من مباحث المعرفة التي يقصر النظر المباشر عن إدراكها[2]. والدارس للثقافة العلميّة في مكّة والمدينة من اللمحات المتاحة من تراث السيرة النبوية سينتهي إلى ما قررناه.

---

(1) See John Wansbrough, Quranic studies (Oxford: Oxford University Press, 1977); Patricia Crone, M.A. Cook, Hagarism: The Making of the Islamic World (Cambridge ; New York : Cambridge University Press, 1977), K.-H. Ohlig & G.-R. Puin, eds. The Hidden Origins of Islam: New Research into Its Early History (Amherst : Prometheus Books, 2008).

(2) من أمثلة ذلك شـيوع التنجيم بين العرب الجاهليين، واعتقادهم أن مواقع النجوم دالة على أخبار المسـتقبل (انظر عبد المجيد بن سـالم المشـعبي، كتاب التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسـلام، الرياض: أضواء السـلف، 1419هـ/ 1998م، ص 117-126).

وقـد درس **جورج صليبا** [1]-أحد مؤرّخي العلوم العربيّة والإسـلامية- في مقالته «العلم قبل الإسـلام» واقع العلوم في البيئة العربيّة وما جاورها قبل الإسـلام، وانتهى إلـى أنّ معرفتنا بالثقافة العلميّة العربية بطريق مُحكَم، أمر مشـكل؛ لأنّ أقدم مصادرنا متأخرة، تعود إلى القرن التاسع الميلادي. وأقصى ما نملك معرفته هو أنّ العرب كان لهـم اهتمام كبير بالنبات، وذاك يظهر من المعجم الأدبي الواسـع لأسـماء النباتات، كمـا كان لهم اهتمام بما يُستشـفى به من الحيوانات. وأمّا البيئـة البيزنطيّة المجاورة؛ فلم تحسن هضم التراث الفلكي اليوناني، وكانت كتابتها دونها قيمة. وكانت الواجهة الدينيـة هي أحســن طريق للتعبير عـن الأفكار العلميـة فيها، ويظهـر بعض ذلك في الإمبراطورية الساسانية التي كانت الثقافة الطبية فيها تعتمد على الأفستا[2].

(1) جورج أ. صليبا (1939) George A. Saliba: أستاذ العلوم العربية والإسلامية في جامعة كولومبيا.

(2) George A. Saliba, Science before Islam, The different Aspects of Islamic Culture, Science and technology in Islam. Part I, The exact and natural sciences eds. A. Y. al-Hassan, et al., (Paris: UNESCO Pub., cop. 2001), pp.27-49

المبحث الثاني: علماء اليهود والنصارى وأزمة العلم الحديث

كان الكتـاب المقدس علـى مدى قرون طوال فـي منأى عن النقد فـي باب الخبر العلمـي، بل كان هذا الكتاب المصدر الرئيس للحديث العلمي عند أهل الكتاب ومن استفاد منه من المسلمين؛ بسبب كثرة التفصيل الخبري فيه. ثم تحوّل الأمر من التسليم للنـصّ إلى أزمـة الرفض أو التأويـل؛ للخروج بسـلامة من احتـراب النص المقدس وكشـوف العلم.. وذاك يسـتدعي منّا سـبرًا لواقع قـراءة أهل الكتاب لمـا عندهم من وصف للطبيعة في أسفارهم المقدسة، وبيان المنهج الأعدل في قراءة هذه الأسفار.

المطلب الأول: الكتاب المقدس وثورة الكشوفات

خروج أسفار الكتاب المقدس من تحت الهيمنة التفسيرية الاحتكاريّة للكنيسة، وثورة المطبعـة التي دفعت دفق الأفكار، مـع انتهاج ربط المعارف الكتابيّة بمسـاحات معرفية أخـرى كالأنثروبولويجيـا والأركيولوجيـا ... كلّ ذلك وضع هذه الأسـفار أمام طوفان الكشوف الحديثة التي زعزعت اليقين القديم في خلو الأسفار المقدسة من الخطأ.

وقـد كانت الضربة الأشـدّ الموجّهة إلى أسـفار الكتاب المقـدس ما تحصّل عند الأجيال الأخيرة من كشوف أثريّة وفتوح علميّة؛ إذ قاد النبش في تراث الأمم المعاصرة لكتابة هذه الأسفار أو السابقة لها - في بلاد الرافدين وكنعان (الشام) ومصر - إلى أنّ أخطاء الكتاب المقدس وأساطيره زلّات تشـرّبها المؤلّفون من بيئتهم ولم يختلقوها من عدم؛ فقد كانت هي معارف العصر المقبولة عند عامة الناس في غالب الأحيان.

وقد انقسـم رجال اللاهوت أمام الكشف السابق إلى فريقين، فريق اختار التشبّث بدعـوى براءة أسـفار الكتـاب المقدس مـن الخطـأ، واعتمد -في مواجهـة معارف

العصـر– علـى التكلّف في تأويل النصـوص بصورة بالغة التعسّـف، أو إنكار حقائق العلم الحديث، أو الجمع بين التأويل المتعسّـف حينًا، وإنكار بعض الكشوف أخرى –وهو خيار عامة الإنجيليين، وأنصار «نظريّة الأرض الفتيّة»[1] خاصة–.

واختار فريق آخر الإقرار بفســاد كثير من التقريرات العلميّة في الكتاب المقدس. وانقســم هؤلاء إلــى طائفتين، طائفة قـرّرت ترك الإيمـان لامتناع الجمع بيـن ربانيّة الأسفار المقدســة وتلبّسها بالخطأ البيّن الكاشف عن بشـريّة النصوص. ومن هؤلاء **جيرالد لارو**[2] –القسـيس السـابق، والحاصـل على درجة الدكتوراه في الدراسـات الدينيـة مـن «Pacific School of Religion»، والـذي درّس تاريخ الكتاب المقدس والأركيولوجيـا–؛ إذ واجهته حقائق البحث العلمي والتاريخي بما لا يسـتطيع دفعه؛ فقـال –كافرًا بربانية الكتاب المقدس–: «رؤى كُتَّاب [الأسـفار المقدسـة] –كما تمّ التعبيـر عنها في الكتاب المقدس– تعكس الأفـكار والعقائد والمفاهيم المتداولة في عصرهم، وهي محدودة بالمعرفة المتاحة في تلك العصور»[3].

واختار فريق آخر القول إنّ أسـفار الكتاب المقدس بشـريّة في حديثها في العلوم، ربّانيّة في حديثها في العقائد؛ فالوحي قد نزل ليرتفع بالناس إلى السـماء حيث الجنّة لا لإخبارهم عن البنية الفيزيائية للسـماء! وذاك مذهـب كثير من لاهوتيي الكاثوليك وليبراليي البروتستانت.

ويظهر قول النصارى المتبرّئين من عصمة الكتاب المقدس مع الاستمساك بقداسة النـص (!) في قول بابا الفاتيكان يوحنا **بولس الثاني**[4] الذي أعلن ما يشـبه البراءة من تاريخية قصة الخلق التوراتية، زاعمًا أنّها ذات دلالة روحية محضة، وذلك في رسالته

(1) القائلون إن سن الكون والأرض لا يكاد يتجاوز 6 آلاف سنة.

(2) جيرالد أ. لارو (1916-2014) Gerald A. Larue: أستاذ دين أمريكي، لاأدري.

(3) "The views of the writers as expressed in the Bible reflect the ideas, beliefs, and concepts current in their own times and are limited by the extent of knowledge in those times." Gerald A. Larue, 'The Bible as a political weapon', Free Inquiry (Summer, 1983), 39

(4) يوحنا بولس الثاني (1920-2005) John Paul II: بولندي. تولى البابوية من سنة 1978 إلى سنة 2005.

إلـى «الأكاديميـة البابوية للعلـوم» (3 أكتوبـر 1981م)؛ إذ كتب: «أثـار كل من علم نشـأة الكون وعلم تطوّره دائمًا اهتمامًا كبيرًا بين الشـعوب والأديان. يحدّثنا الكتاب المقدس نفسـهُ عن أصل الكون وتكوينه، لا من أجل تزويدنا بأطروحة علمية، ولكن من أجل تقرير العلاقات الصحيحة للإنسـان بالله وبالكون. وتَودّ الأسـفار المقدسة ببسـاطة أن تعلـن أن العالم قد خلق من قبل الله. ومن أجـل تعليم هذه الحقيقة، **تعبّر الأسفار المقدسة عن نظرتها بعبارات الكوسمولوجيا المتداولة زمن حياة المؤلّف**.

يرغـب الكتـاب المقدس أيضًا أن يخبـر الناس أنّ الكون لم يخلـق كمقرّ للآلهة، كما هو تعليم نظريات نشـأة الكون وتطوره الأخرى، وإنّما تم إنشاؤه لخدمة الإنسان ومجـد اللـه. كلّ تعليم آخر عـن أصل الكون وتشـكيله هو غريب عـن نوايا الكتاب المقـدس الذي لا يرغب في تعليـم الناس كيف خلقت السـماء، ولكن كيف يذهب المرء إلى السماء (الجنّة)»[1].

وانقسـم اليهود في أمر العهد القديم إلى المذهبين السابقين ذاتهما في أمر عصمة النـص من الخطأ العلمي؛ فاختار لاهوتيون أرثوذوكس وعلماء طبيعة محافظون مثل **جيرالـد شـرويدر**[2] القول بعصمـة النص من الخطـأ العلمي، في حيـن ذهب أحبار إصلاحيـون وليبراليـون كثر إلـى القول المقابـل، مقرّين بأثـر البيئة التـي عاش فيها المؤلفون في صناعة الخبر العلمي للأسفار المقدسة.

وهنـاك مـن الباحثين من فصّل في أمـر التوجّهات الدينية في أمـر عصمة الكتاب المقدس بتقسيمات أدق؛ فهي عنده:

- العصمـة المطلقـة (Absolute Inerrancy): الاعتقـاد أنّ الكتـاب المقـدس صادق بصورة تامة، من كلّ جهة، في أبواب العقائد والتاريخ والعلم.

---

(1) <http://www.ewtn.com/library/PAPALDOC/JP2COSM.HTM>

(2) جيرالد شـرويدر Gerald Schroeder : فيزيائي أمريكي يهودي. له عناية خاصة بالتوفيق بين الكشـوف العلمية في باب الفيزياء وتقريرات التوراة. من أهم مؤلفاته: Genesis and the Big Bang (1990).

- العصمـة الكاملـة (Full Inerrancy): الاعتقاد أنّ الكتـاب المقدس لم يُكتب ككتاب مدرسـي في العلم أو التاريخ، وإنّما يراعي وصف الظواهر الطبيعية بما يوافق ما يراه الإنسـان؛ فتوصف الشـمس بالشـروق والغـروب رغـم أنّ الأرض هي التي تتحرّك حول الشمس.
- العصمـة المحدودة (Limited Inerrancy): الاعتقـاد أنّ الكتاب المقدس قد قُصد منه كشـف غايات الربّ ومشـيئته؛ ولذلك فأخبار التاريـخ والعلم تعكس ثقافة عصر المؤلّف لا حقيقة العالم.
- عصمـة الهـدف (Inerrancy of Purpose): الاعتقـاد أنّ الكتـاب المقـدس معصوم فقط فيما يتعلّق بطرق النجاة يوم القيامة، وليس هو معصوم في وصف الواقع.
- موحى بـه وغير معصـوم (Inspired: Not Inerrant): الاعتقـاد أنّ المؤلّفين بشر، وهم عرضة لكلّ أعراض الخطأ البشري[1].

وقـد كان التيّـار الإنجيلي في أمريكا مجتمعًا في عمومـه على معنى عصمة النص المقـدس فـي الأمر الدينـي والعلمي والتاريخي حتى القرن التاسـع عشـر حيث بدأ ظهور جيل جديد من اللاهوتيين المتذمّرين من خطورة ربط قداسة النص بعصمته من الخطأ، غير أنّ هذه الظاهرة لم تبدأ في التوسّـع إلا منتصف القرن العشرين حيث أثار **إدوارد كارنل**[2] المعمداني والمدرس في جامعة بايلور ضجّة سنة 1954 بدعوته إلى فصل القول بأصالة الوحي وعصمة الأسـفار في بـاب العلم عن عقيدة عصمة النص في بلاغ الإيمان. وكان انحياز اللاهوتي الشـاب **دانيال فولر**[3] ابن الإنجيلي الشـهير **تشالز فولر** –مؤسس Fuller Theological Seminary[4]– إلى إنكار عصمة الكتاب

(1) Edward D. Andrews, The Christian Apologist: Always being prepared to make a defense (Cambridge: Christian Publishing House, 2016), p.217

(2) إدوارد ج. كارنـل (Edward J. Carnell (1919-1967: قسـيس لاهوتي ودفاعي أمـريكي. عـمل رئيسًـا لـ Fuller Theological Seminary.

(3) دانيال فولر (Daniel Fuller (1925: أستاذ الهرمينوطيقا في Fuller Theological Seminary.

(4) واحدة من أشهر الكليات اللاهوتية القريبة من التيار المحافظ في أمريكا.

المقدس من الخطأ العلمي والتاريخي أحد أهم الخروق في نسيج الإنجيليين.

واجه جمهور الإنجيليين هذه النزعة التحرّريّة بصورة صارمة، بإصدارهم وثـيقة: «Chicago Statement on Biblical Inerrancy» سنة 1978، والتي تمت صياغتها والموافقة عليها من مئتي قيادي إنجيلي أنكروا فيها أن تكون «عصمة الكتاب المقدس مـن الغلط والخطأ قاصرة على مواضيع روحيـة أو دينية أو تعويضية، دون التقريرات المتعلقة بمجالات التاريخ والعلوم»[1].

ورغـم محاولـة كثير من الإنجيليين فـرض معنى العصمة كما في وثيقة شـيكاغو السـابقة، إلّا أنّ عـددًا متناميًا مـن الإنجيليين المتخصصين في الدفـاع عن النصرانية والكتـاب المقدس يتفلتون من المفهوم الكلاسـيكي للعصمة، وهـو ما ظهر مؤخرًا بصورة واضحة في هجمة **نورمان جزلر**[2] -أشهر مفكّري النصرانية في أمريكا- على **مايـكل لكونا**[3] -أحد أنشـط المدافعين عن أصول النصرانية فـي مواجهة الملاحدة والمسـلمين-؛ فقد ذهب **لكونا** إلى أنّـه «غالبًا ما يكون من الصعب تحديد أين ينتهي التاريخ ثم تبدأ الأسـطورة»[4]، وأقرّ أنّ أصحاب الأناجيل قد يغيرون تفاصيل الرواية بوضع كلام متحدثٍ على لسان آخر لأسباب ما[5]. وغلّف **لكونا** جميع مظاهر الخطأ والتناقض بدعوى أنّ ذاك مسـلك أدبي قديم عند اليونـان والرومان اعتمده أصحاب الأناجيل.

(1) "We deny that Biblical infallibility and inerrancy are limited to spiritual, religious, or redemptive themes, exclusive of assertions in the fields of history and science."
نص الوثيقة:
< https://library.dts.edu/Pages/TL/Special/ICBI_1.pdf >

(2) نورمان جزلر (1932) Norman Geisler: لاهوتي وفيلسـوف أمريكي معمّر. لـه عناية خاصة بالدفاع عن النصرانية في مواجهة الإلحاد.

(3) مايكل لكونا (1961) Michael Licona: دفاعي نصراني أمريكي. له عناية خاصة بتاريخية قيامة المسيح من القبر بعد حادثة الصلب المزعوم. من أهم مؤلفاته: The Resurrection of Jesus: A New Historiographical Approach.

(4) Michael R. Licona, The Resurrection of Jesus (IVP Academic, 2010), p.34

(5) Sean McDowell, "New Research on Gospel Contradictions, Interview with Mike Licona." Sean McDowell Blog, February 12, 2016
<http://seanmcdowell.org/blog/new-research-on-gospel-contradictions-interview-with-mike-licona>

وممّا يثير العجب وقوف أشـهر كبار المدافعين عن النصرانية في أمريكا من النقاد في صفّ **لكونـا**، مثل **دانيال والس**[1] **وغاري هبرمـاس**[2] **وج.ب.مورلند**[3]، بدعوى أنّ مذهـب **لكونـا** لـم ينقض معنى عصمـة النص مـن الخطأ والغلـط، رغم وضوح مذهـب **لكونا**، خاصة في كتابـه «لماذا توجد اختلافات بيـن الأناجيل؟»[4]. كما قال الفيلسـوف واللاهوتي **ويليام لين كريج** -أشـهر المدافعين عـن النصرانية في العالم اليوم- لما سُـئل عن تناقضات الأناجيل: «أنا لا أصرّ على عصمة الأسـفار المقدسـة مـن الخطـأ» «I don't insist on the inerrancy of Scripture»؛ مؤكـدًا أنـه يهتم أكثـر بالمضمون العـام لهذه الأناجيل[5]. وهو قول من الممكـن أن يُفهم -في أفضل الأحوال- أن صاحبه لا يعتقد وجوب القول بعصمة الأناجيل، وإن كان هو يميل إلى القـول بالعصمة؛ بما يُظهر تخلخل هذه الثقة في قلـوب الصف الأول من المدافعين عن النصرانية.

وقـد مسّ تيّـار المقرّين بأغـلاط الكتاب المقـدس بعض رجال الديـن النصارى العرب؛ فقال **الأب سـهيل قاشـا**[6] -مثلاً-: «لقد اكتشف دارسو ثقافات الشرق القديم منذ قرن ونيف أنّ **الثقافات السومريّة والأكديّة والأشوريّة والكلديّة قد أسهمت إسهامًا هامًـا في تكوين آداب العهد القديم وتشـكلِ بعض مفاهيمـه ومقولاته وصياغة بعض**

---

(1) دانيال ب. والس (1952) Daniel B. Wallace: عالم نقد نصي للعهد الجديد ويونانية العهد الجديد. له عناية بالدفاع عن أصالة نص العهد الجديد في مواجهة من يقولون بتحريفه الفاحش.

(2) غـاري هبرماس (1950) Gary Habermas: ناقد أمريكي محافظ مهتم بتاريخية المسـيح في العهد الجديد وقيامته من الموت. أستاذ في قسم الفلسفة في Liberty University.

(3) ج.ب.مورلند (1948) J.P. Moreland: لاهوتي وفيلسوف أمريكي بارز. أستاذ فلسفة في Talbot School of Theology. له عناية خاصة بالرد على الملاحدة والماديين.

(4) (Licona, Why Are There Difference in the Gospels? (New York: Oxford University Press, 2017

(5) Professor, Was Jesus Really Born to a Virgin?, New York Times, 21-21-2018

https://www.nytimes.com/2018/12/21/opinion/sunday/christmas-christian-craig.html>

(6) سهيل بن بطرس بن متي قاشا (1942): باحث عراقي نصراني واسع التأليف. عضو اتحاد المؤرخين العرب ومدير الاكليريكية الكبرى للسريان.

تصوّراته.. العهد القديم وريث فلسفة السلوك والتربية البابليّة والأشوريّة»[1]. ويظهر هذا المسلك في العالم العربي عامة عند النصارى الكاثوليك اللبنانيين لانفتاح عدد منهم على الجو النقدي الحديث في فرنسا، وتحوّل عقيدة عصمة الكتاب المقدس إلى خرافة في عالم الأكاديميا الضاغطة عليهم.

المطلب الثاني: حصر الوحي في الخبر الإيماني، بين مذهبين

يقول الحبر اليهودي **يوسف هرتز**[2]: «موضوع [سفر التكوين] ليس تعليمَ الحقائق العلميّة، وإنّما هو إعلانٌ أعلى للحقائق الدينية المتعلّقة بالله، والإنسان، والكون. يبدو «الصراع» بين الحقائق الأساسيّة للدين وحقائق العلم الثابتة غير واقعيّ بمجرّد أن يعترف الدين والعلم بالحدود الحقيقيّة لمجالهما»[3].

ومذهب **هرتز** بذلك قريب مما قرّره المفكّر اليهودي الأرثوذكسي والكيميائي **يشعياهو ليبوفيص**[4] في قوله: «كامل قضية الصراع بين العلم والإيمان، وجميع المحاولات للتحقق من صدق التوراة على أساس البحث العلمي، ولا سيما المحاولات السخيفة «لإنقاذ» صدق التوراة من خلال التشكيك في يقينية النتائج التي تم الحصول عليها من خلال المنهج العلمي، أو من خلال توضيح أن «الحقائق العلمية» غير مؤكدة ومحلّ ظنّ، في حين أن التوراة صحيحة تمامًا - كل هذه الأمور خطأ بصورة مطلقة في فهم العلم، وتعاطٍ خطر من زاوية نظر إيمانيّة دينيّة... التوراة ليست مصدرًا للمعلومات العلمية؛ إنّها مصدر للخوف من الله، وحب الله، وعبادة الله»[5].

---

(1) سهيل قاشا، حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس (بيروت: دار المشرق، 1995)، ص 67، 69.

(2) يوسف هـ. هرتز (1872-1946 Joseph H. Hertz): حبر هنغاري، وناقد كتابي. عمل رئيسًا لأحبار المملكة المتحدة من 1913 إلى 1946 سنة وفاته.

(3) Joseph H. Hertz, The Pentateuch and Haftorahs (London: Oxford University Press, 1940), p.195

(4) يشعياهو ليبوفيص ישעיהו ליבוביץ (1903-1994 Yeshayahu Leibowitz): أستاذ الكيمياء الحيوية والكيمياء العضوية في الجامعة العبرية في القدس. غزير التأليف في الفكر اليهودي والفلسفة الغربية.

(5) Yeshayahu Leibowitz, Judaism, Human Values, and the Jewish State (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1995), p. 339

وتلك دعوى تحاول الهروب من مشـكلة معارضـة الكتاب المقدس لحقائق العلم بالزعم أنّ الكتاب المقدس كتاب بعيد عن الخبر العلمي؛ فهو كتاب روحي منفصل عن التفصيـل العلمي لعوارض الوجـود. وذاك نهج فيه تكلّف؛ إذ لا ينطلق من النص وإنّما يريد أن يسلّط عليه مقولات ومناهج ليست منه ولا فيه؛ فالكتاب المقدس غزير الإخبار عن العالم، وأصله ووصفه، منذ البدء إلى نهاية الكون. وإذا كان الكتاب المقدس ناطقًا بالدعوى العلميّة؛ كان إنكار ذاك الطابع تكذيبًا لأمر واقع؛ وجلًا من المحاكمة.

وللخـروج مـن إشـكالية الأخطـاء الظاهرة، ظهـر فريـق متعاظم عددًا مـن علماء النصارى المؤمنين بربانية الكتاب المقدس ممن يرفضون عقيدة (inerrancy) ويتبنون عقيدة (infallibility) الأسـفار؛ أي التمييز بيـن خلو الكتاب المقدس من كلّ خطأ من أيّ جنس كان، وخلو الكتاب المقدس من كلّ ما يمنع نقل الرسالة الإلهية الدينية.

وقد حاول اللاهوتي والبيولوجي المعروف **دنيس لامورو**[1] تسويغ تلك الدعوى بقوله: «من أجل الكشف عن الحقائق الروحية للشعوب القديمة بأكبر قدر ممكن من الفاعلية، استخدم الروح القدس وجهة نظرهم الظاهرية القديمة للطبيعة. أي إنّه بدلاً من إرباك كُتّاب أسـفار الكتاب المقدس وتشـتيتهم وقرّاءهـم بمفاهيم علمية حديثة، **نزل الله إلى مستواهم واستخدم علم عصرهم**»[2].

الهـروب إلى الأمام، والفرار من مواجهة حقيقة صدق اللفظ والمعنى؛ هو الخيار الذي انحاز إليه هؤلاء؛ فقد أدرك جمهرة من الكتّاب النصارى واليهود من اللاهوتيين وعلماء الطبيعة أنّ حقائق الكون في مشاقة مع دعاوى الكتاب المقدس؛ ولذلك فرّوا إلـى إنكار صدق خبـر الكتاب المقـدس العلمي؛ لينـزوي الصدق فيه في المسـائل اللاهوتيّة، وربّما أيضًا الأخلاقيّة.

---

(1) دنيس أُ. لامورو (1954) Denis O. Lamoureux: رئيس قسم العلم والدين في St. Joseph's College. حاصل على دكتوراه أولى في اللاهوت وأخرى في البيولوجيا. نشأ أصوليًا قبل أن يتحول عن ذلك، وإن بقي نصرانيًا.

(2) Denis Lamoureux, Evolutionary Creation: a Christian approach to evolution (England: The Lutter-worth Press, 2008), p.110

وقـد واجه النصـارى واليهـود الأصوليون مخالفيهـم المتدينّين المشـككين في صدق النصوص المقدسة، بالقول إنّ التشكيك في بعض الكتاب تشكيك فيه جميعًا؛ إذ لا دلالـة لصدق الخبـر اللاهوتي إذا كان الخبر العلمي الذي يسـاميه غير صحيح؛ فالكتـاب يُلزم قارئه أن يصدّق ربانيّـته لأنه يدلّ بجميعه على مصـدره العلوي؛ وإذا بدا على بعضه ما يشـدّه إلى الأصل الأرضي والافتعال البشري سقط الجميع إذا كان الجميـع قد نُقل إلينـا بطريق واحد، والناس لا يكذّبون الرجـل حتى يكون كلّ كلامه من الكذب، وإنّما يسقطون عدالته إذا ثبت في بعض كلامه باطل.. والكلام المنسوب إلى الربّ أحرى أن يقع تحت هذا الحكم الأخلاقي[1].

المطلب الثالث: كيف نقرأ الكتاب المقدس؟

الكتاب المقدس مكوّن من أسفار لكُتّاب مختلفين، من بيئات مختلفة، من أجناس أدبية متنوعة (نثر، وشـعر، وقصة، ومراثي، ورؤى...)؛ ولذلك لا يسـتقيم أن نحاكم هذه النصوص علميًا بالطريقة نفسها، ونبسطها للنقد دون تمييز بين نسيجها المختلف طبيعة ولونًا.

ونحن نوافق الدفاعيين النصارى بعض دفاعهم عن كتابهم في مواجهة الملاحدة؛ فإنّ النصوص التي تطفح بالصور الخيالية والنمط الشـعري الحاد لا يمكن أن تُحاكم إلـى الحكم العلمي الصارم، لأنّها لا تبغـي توصيف الواقع بدءًا. ولذلك فمنهجنا في هذا الكتاب في بيان أخطاء التوراة والإنجيل:

- تفسير النصوص بدلالة لغتها الأصلية.
- تأكيـد معانـي النصـوص في لغتهـا الأصلية اسـتنادًا إلـى الترجمـات القديمة والحديثة عند الاقتضاء.

(1) See Don Batten؛ Jonathan D. Sarfati, 15 reasons to Take Genesis as History (Brisbane, Australia : Creation Ministries International, 2006)

- مراعاة السياق.
- تأكيد استنباطاتنا بما قرّره الأحبار وآباء الكنيسة، عند الحاجة .
- الاهتمام البالغ بأقوال المفسـرين للكتاب المقدس من علماء النصارى واليهود والنقـاد الأكاديميين حتى لا نُتّهـم بالقول العاطفي المنحاز إلـى جانب إدانة الكتاب المقدس بدءًا.
- كشـف معرفـة النصـارى الأوائـل والمتأخرين بعـدد من هذه الأخطـاء بدلالة محاولة تحريف النصوص - أو ترجماتها - التي تتضمن المنكرات العلميّة.
- توثيـق الحقائـق العلمية مـن المراجـع المتخصصة إلا أن تكـون حقائق بدهية -ككروية الأرض-.

تلـك معالم منهجنا في قراءة النص المقدس النصراني قبل محاكمته. ونحن نبغي من ذلـك إنصاف الكتاب المقدس؛ فـلا نقع في فخ منهج الانتقـاء والالتقاط، وإنّما نحن نسـير على خطى غيرنا من الباحثين غير المسـلمين الذيـن لا يُعرف عنهم تحيّز ضد النصرانية عند استنطاق النصوص.

الباب الثاني:
الأسفار المقدسة وعالم الأرض والسماء

حديث القرآن والكتاب المقدس عن الظواهر الطبيعية المتعلّقة بالأرض والسماء، واسع جدًا، في مساق الوصف المباشر، وعند الحديث عن عظمة الله –سبحانه– وملكوته، وتذكير الإنسان بما يحيطه من خَلق بديع... وتشكّل الصور المجموعة في هذه النصوص، مادة ثريّة لاختبار صدق هذه الأسفار في إخبارها عن صورة العالم وحقيقة عمله، وذاك بعد استبعاد النصوص ذات الطابع الشعري المحض، والأخرى التي ليس من غاياتها نقل حقيقة العالم إلى الأذهان..

والظواهر التي جاء خبرها في القرآن والكتاب المقدس مما لا يتعلّق بعالم الأحياء –الذي سنتناوله بالدراسة في الباب التالي– تتعلّق بمسائل تطوّرت فيها معارفنا منذ القرن التاسع عشر بصورة كبيرة، وغدا القول فيها سهلًا مقارنة بثقافة العصر القديم، حيث كانت آلات النظر ومناهج البحث بسيطة.. وهي:

- نشأة الكون في بدايته الأولى.
- شكل الكون بالنظر إلى أجرامه الكبيرة.
- نهاية هذا العالم بالنظر إلى ما نعرفه من واقع الكون اليوم، وانهيار أجرامه.
- قيمة الماء وحقيقة الدورة المائية بظواهرها المختلفة.
- جغرافيا البلاد ومواقع المدن والقرى والبحار والبحيرات.
- دراسة أصول الأسماء وعلاقة ذلك بالتفسيرات القديمة الساذجة لها.
- علم الحساب، وأخطاء الجمع والحذف.

وفي ذاك العالم سيكون تجوالنا في الفصول التالية.

الفصل الأول
بدء الخلق بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية لبدء الخلق حتى عصر البعثة النبوية

اهتم الإنسـان منذ سـحيق الزمان بسؤال النشأة الأولى؛ نشـأة الكون والبشر؛ فلا تخلو حضارة بسـيطة أو واسـعة الخبر من حديث في الشـأن العظيم الدال على مبدأ الوجـود وغايته. وفـي الحضـارات البابلية والمصريـة والفارسـية والصينية وغيرها تفصيل واسع في هذا الباب.

وقد كان أمر نشـأة الكون والإنسـان في تلك الحضارات أسـير العقل الأسطوري الذي لا يحدّ خياله الديني شـيء، غيـر أنّنا بعد تطور علم الكوسـموجونيا[1]، وقدرة الرصد الفلكي على رؤية الفصول الأولى لنشـأة الكون (لأنّ مرائي السماء البعيدة لا تنقـل لنا الحاضر، وإنما تنقـل لنا الماضي من خلال الضوء المسـافر إلينا منذ بلايين السـنين) أصبحنا نعلم مراحل مهمّة من تاريخ تطوّر الكون، وتوسّعه منذ 13.7 بليون سنة حتى اليوم، وهي حقائق عامتها متين، عن مشاهدة أو حساب أو قياس...

وقد أُلّف عدد من أسفار العهد القديم في بيئات شرقية متشبّعة بأساطير السومريين والبابليين، ومتشـربة لشيء من آثار المصريين والكنعانيين؛ فجاء أثر ذلك واضحًا بلا خفاء في الفصول الأولى لسفر التكوين.

لم يكن التراث اليوناني مصدرًا للخبر العلمي عن أصل الكون في البيئة النصرانية منذ زمن المسـيح؛ فقد وقف أصحاب تلك الأسـفار من التراث اليوناني موقفًا سلبيًا لمعارضتـه خبـر التوراة، ولاسـتغناء النصارى بمـا عندهم من تفصيل لنشـأة الكون والحياة والدواب والطير والحيتان والإنسان عن الإفادة من غيرهم.

ولا يُعرف لعرب مكّة في القرن السابع الميلادي اهتمام خاص بأصول نشأة العالم، ولا يظهر ذلك من المحفوظ من شـعرهم، ولا يمثّـل تراثهم مادة مغرية للحديث في

(1) Cosmogony: علم يعتني بنشأة الكون، ونشأة خصائصه لاحقًا.

النشأة الأولى، على خلاف التوراة التي أشبعت هذا الأمر تفصيلًا، خاصة في الفصلين الأول والثاني من سفر التكوين.

ولا شكّ أنّ المصدر البشري الوحيد المحتمل للقرآن هو ما جاء في الكتاب المقدس وتراث التلمود وكتابات آباء الكنيسة وأبوكريفا[1] أهل الكتاب..، وهي عامة المصادر التي يرى المستشرقون أنّها مصدر جميع خبر القرآن، في باب العلوم والعقائد والقصص والأخلاق...، فهل يوافق الكتاب المقدس صحيح العلم؟ وهل يوافق القرآن تراث أهل الكتاب أم يخالفه؟ وهل ينحاز القرآن عند المخالفة إلى موافقة صحيح العلم؟

(1) الكتب الأبوكريفية: لغة: المخفية، واصطلاحًا: الكتب الدينية التي حرمت من دخول قائمة الكتب الدينية الرسمية.

المبحث الأول:
الكتاب المقدس وقصة بدء الخلق

فتح الانفجار المعرفي في دراسات البحث عن أصول الكون منذ بداية القرن العشرين (مع تطوّر المراصد والقدرة على حساب سنّ الأجرام السماوية بآليات مختلفة ودقيقة ومتعاضدة) بابًا واسعًا لدراسة التاريخ القديم للأرض والمجموعة الشمسية والكون. وقد اقترن ذلك بتطوّر مباحث النقد الأعلى[1] للتوراة، ودراسات أساطير الأوّلين بعد ازدهار كشوف الأركيولوجيين. وقد أبان كلّ ما سبق عن النسيج البشري المشوّش لقصة الخلق التوراتية وأصولها الوثنية. ومن النظر في فوضى الأصول يبدأ النظر.

المطلب الأول: فوضى أصول قصة الخلق التوراتية

خبرُ الخلقِ التوراتي مشكل في أصوله قبل النظر في تفاصيله لمحاكمته علميًا؛ ذلك أنّه خبر مضطرب لا يعود إلى أصل واحد في مصدريه القريب والبعيد. وأعني بالمصدر القريب أصل النسيج الأدبي، وبالآخر البعيد الأصل الذي استقى منه من صاغوا هذا النسيج؛ أي البيئة المعرفية التي أثّرت في أفكارهم.

الفرع الأول: قصتان لبدء الخلق

من المتفق عليه بين جمهور النقاد المتخصصين في الدراسات التوراتية أنّ الكتب الخمسة المنسوبة لم يكتبها موسى عليه السلام، وإنّما هي تعود إلى مصادر مختلفة، يرى كثير من النقاد أنّها أربعة مصادر رئيسة:

1. المصدر الإلوهيمي، حيث يُسمّى الإله: إلوهيم אֱלֹהִים قبل إعلان الربّ عن اسمه لاحقًا إلى موسى عليه السلام أنّه «يهوه».

(1) النقد الأعلى Higher Criticism : مجموعة مناهج لدراسة التاريخ الأدبي للنص، ومعرفة مؤلفه، وغاية النص، ومعاني النص الأصلية.

2. المصدر اليَهوي، حيث يُسمّى الإله: يَهْوه יְהוָה .

3. المصدر الكهنوتي.

4. المصدر التثنوي: سفر التثنية.

وقد تم دمج المصادر السابقة[1] بصورة غير محكمة تنكشف تفاصيلها بما يَظهر من تكرار للأخبار مع تعارض بيّن في التفصيل. ومن اليسير الكشف عن وجود قصّتين للخلق؛ قصة إلوهيمية، وتبدأ من تكوين 1/ 1 إلى 2/ 4، وقصة يَهَوية، وتبدأ من تكوين 2/ 4 إلى 2/ 25، وبين القصّتين تناقض فاحش؛ فلا سبيل للجمع بينهما، بالإضافة إلى مخالفتهما لحقائق العلم.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أنّ الكشف عن تعدد مصادر التوراة انطلق من وضوح وجود قصّتين للخلق، وقد استفزّ هذا التضارب الظاهر النقّاد للبحث عن سبب وجود قصّتين اثنتين متتاليتين دون توافق، لينتهي الأمر إلى الكشف عن ما يُعرف اليوم بـ«نظرية الوثائق» «The Documentary Hypothesis»، والتي أدّى الحفر النقدي إلى تطويرها بالحديث عن مصادر أكثر وأعقد من الأربعة التي تحدّث عنها **فلهاوزن**[2].

وتظهر المقارنة بين قصّتي الخلق في الفصلين الأوّلين لسفر التكوين مبلغ اختلاف القصّتين فيما يتعلّق بترتيب الخلق[3]:

---

(1) لست أوافق على هذا التقسيم الرباعي، فالتقسيم أعقد من ذلك، ولكنّ هذا التقسيم الذي اجتهد كثير من الباحثين في بيان مواضعه في الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام، أثبت وجود روايات متخالفة للحدث الواحد، ورؤى متباينة في الموضوع الواحد.

(2) يوليوس فلهاوزن (1844–1918) Julius Wellhausen: ناقد كتابي ومستشرق ألماني شهير. له مساهمات في دراسات العهدين القديم والجديد، والإسلاميات.

(3) لن نتحدّث هنا عن الاختلافات الأسلوبية واللاهوتية، وغيرهما مما يميّز النصّين بعضهما عن بعض.

القصة الأولى (تكوين 1-2/ 4)	القصة الثانية (تكوين 2/ 4-25)
1	
السماوات والأرض (تكوين 1/ 1)	السماوات والأرض (تكوين 2/ 4-6)
الضوء والليل والنهار (تكوين 1/ 2-5)	خلق آدم (تكوين 2/ 7)
قبة السماء (تكوين 1/ 6-8)	خلق النبات (تكوين 2/ 8)
البحر واليابسة (تكوين 1/ 9-10)	
العشب والبقل والشجر والثمر (1/ 11-12)	
الشمس والقمر والنجوم (1/ 14-18)	
2	
الطيور والكائنات البحرية (تكوين 1/ 20-22)	الحيوانات البرية والطيور والأنهار (تكوين 2/ 10-20)
الحيوانات الزاحفة والوحوش والبهائم وآدم وحواء (تكوين 1/ 24-27)	حواء (تكوين 2/ 21-23)

من أهم الاختلافات بين القصّتين أنّ آدم عليه السلام قد خُلق في القصة الأولى في آخر أيام الخلق (اليوم السادس)، وخُلق في القصّة الثانية أوّل شيء بعد خلق السماوات والأرض. وقد خُلق آدم عليه السلام في القصة الأولى مع حواء في الحين نفسه، وفي القصة الثانية خُلق آدم ثم خلقت النباتات والحيوانات ثم خُلقت حواء.

الفرع الثاني: الأثر الوثني في الخبر التوراتي عن بدء الخلق

كان عامة علماء الكتاب المقدس حتى منتصف القرن التاسع عشر يعتقدون أنّ قصص الكتاب المقدس عامة، وقصص الخلق خاصة، فريدة لا نظير لها في الأدبيات الدينية. ومع تطوّر المعرفة باللغات القديمة وتوسّع الكشوف الأركيولوجيّة في بلاد

الشام وفارس والعراق انتقل البحث النقدي إلى طور جديد وخطير.

بدأ الفتح الجديد بكشف خبايا مندثرة منذ آلاف السنين، وذلك بفكّ سرّ اللغة المصرية القديمة (المحفورة على الجدران، والحجارة، والتوابيت)، والنصوص المسمارية في بلاد ما بين النهرين (المخبوزة على ألواح طينية)، والتي لم تكن معانيها معروفة حتى نفضت عنها الغبار الاكتشافات الأثرية في 1820 و 1850 على التوالي. ثم اكتشف علماء الآثار عشرات الآلاف من الألواح المسمارية التي هي أقدم من أقدم النصوص الباقية من الكتاب المقدس العبري. ونشر **جورج سميث**[1] -وهو الرائد في دراسة أساطير بلاد ما بين النهرين- سنة 1876 كتابه: «رواية الكلدان لقصة التكوين»[2]. وتراكمت بعد ذلك معرفتنا بأساطير الخلق عند السومريين والبابليين والأكاديين والحيثيين والأوغاريتيين بما رسم معالم العقل الخرافي القديم في تصوّر لأصل الكون.

وأمام تراكم كشوف المشابهات بين أخبار العهد القديم وأساطير الأوّلين، أذعن عدد كبير من الأكاديميين النصارى واليهود إلى حقيقة أثر خرافات الأمم الداثرة في صناعة قصّة الخلق كما جاءت في الفصلين الأوّلين من سفر التكوين.

وقد جاء في الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia في مقالها عن «الكوسموجونيا» -أصل الكون-: «يجب أن يُنظر إلى علم أصل الكون -أو لنكن أكثر دقة، علم الكونيات- الخاص بالكتاب المقدس، ويُحلَّل في الضوء المستمد من المقارنة مع حالات التشابه المماثلة مع غير العبرانيين. وبالمقارنة مع الشعوب القديمة الأخرى؛ فإنّ الشكل الذي يُقدّم فيه علم الكون اليهودي نفسه في الكتاب المقدس ليس هو الأصل»[3].

---

(1) جورج سميث (George Smith (1840-1876: عالم أشوريات شهير. أوّل من اكتشف ملحمة جلجامش وترجمها.

(2) Chaldean Account of Genesis

(3) Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. The Jewish Encyclopedia (Funk and Wagnalls, 1916), 4 /280

وأضافت الموسـوعة اليهودية: «كما هو مكتشـف الآن في الفصل الأول من سفر التكوين، يبدو أنّ هذا الفصل مركب من أسطورتين قديمتين أو أكثر. يضم هذا الفصل إلى جانب تلك العناصر البابلية المشـار إليها سـابقًا، ذكريات تقليد بابلي آخر لعصر بدائي»[1].

ويذهـب كثير من النقـاد إلى أنّ قصّـة الخلق التوراتيّة مقتبسـة بصورة واسـعة - تحديدًا- من الأسـطورة البابلية إنوما إليش التي تشـاركها فـي تفاصيل كثيرة للخلق الأوّل؛ كالأصل المائي للكون. وأمّا راحة الربّ فقد ذكرت في مصادر بابليّة أبكر مثل ملحمة أتراحسـيس التي تعود إلى القرن الثامن عشـر قبل الميلاد. وأشار بعض النقّاد مثل **هرمان** Herrmann، **ونوتر** Notter، **وأولتفت** Ultvedt، أنّ قصة الخلق التوراتية أقرب إلى قصص الخلق المصريّة القديمة[2].

وقد أذعن الأب **سـهيل قاشـا** لخرافية قصـة البدء التوراتيّة؛ فقـال: «لم تكن قصّة الخلق -لا سـيما في سـفر التكوين- إبداعًا من كتبة التوراة، بل كانت نقلًا ممسـوخًا من أصولها السامريّة»[3].

(1) Ibid., 4 /281

(2) G. J. Wenham, Genesis 1–15. (Dallas: Word, Incorporate, 2002), 1 /8

(3) سهيل قاشا، بابل والتوراة (بيروت: دار أبعاد، 2011)، ص188.

ولعلّ أهم أوجه التشـابه بين الرواية الأسـطورية البابلية والرواية التوراتية للخلق هي[1]:

الأسطورة البابلية	التوراة
كانت الأرض بلا شكل وفارغة من الأزل.	وصِفت الأرض بأنّها תֹהוּ וָבֹהוּ [توهو وبوهو] أي بلا شكل وفارغة. تكوين 1/ 2: «كانت الأرض خربة وخالية».
وجود فوضى مائية (watery chaos) سابقة لخلق الكون.	تكوين 1/ 2: في البدء كانت روح الله ترف على وجه المياه.
الكون كبيضة محاصرة بالمياه.	الكون كبيضة محاصرة بالمياه.
الإلهة البحر اسمها تيامات.	تكوين 1/ 2: «على وجه الغمر ظلمة». كلمة «غمر» في الأصل العبري תְהוֹם تهوم، وهي اسم وإن لم يكن نحويًا مؤنثًا، إلا أنه استعمل مع أفعال ونعوت مؤنثة (تكوين 7/ 11، 49/ 25؛ تثنية 33/ 19، إشعياء 51/ 10...). ويتابع كثير من النقاد هـ. غنكل H. Gunkel قوله منذ أكثر من قرن إنّ هذه الكلمة بقيّة من التراث البابلي، وهي تعني «البحر/ المحيط الأوّلي» «primeval ocean».
ظهور الليل والنهار قبل خلق الشمس.	تكوين 1/ 3-5،16: ظهور الليل والنهار قبل خلق الشمس.

(1) Leonard W. King, Enuma Elish: The Seven Tablets of Creation (New York: AMS Press, 1976), pp.lxxxii-lxxxviii

لما قتل الإله (مردوك) الإلهة (تيامات) التي هي البحر، قام بشقّها نصفين، ثمّ شكّل من الأوّل قبّة السماء، ومن الثاني شكّل البحر والأرض.	تكوين 1/ 6-7، 9-10: أنشأ الله جلدًا يفصل بين الماء الذي فوق قبّة السماء والماء الذي تحتها، ثم كوّن من الماء السفلي البحار. مزمور 74/ 13: «أَنْتَ شَقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ». مزمور 148/ 1، 4: «سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي... سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ». مزمور 104/ 3: «المسقّف علاليه بالمياه».
حدث صراع بين الإله مردوك والإلهة البحر في بدء الخلق، وكانت الإلهة البحر على شكل تنين.	تكرّر الحديث عن صراع الربّ مع التنين في (إشعياء 27/ 1؛ 51/ 9؛ المزمور 74/ 13...).
خلق الربّ النجوم بعد ذلك في قبّة السماء.	تكوين 1/ 14: «وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء». فالأنوار موضوعة في هذه القبّة الصلبة، كما الأنوار في السقف، ملتصقة بشيء ثابت.
الأرض قائمة على أعمدة (يظهر ذلك في الفن البابلي القديم).	1 صموئيل 2/ 8: «لأَن لِلرَّبِّ أَعْمِدَةَ الأَرْضِ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا الْمَسْكُونَةَ»، وزكريا 10/ 4، والمزمور 47/ 9...

المطلب الثاني: الأخطاء العلمية لقصة بدء الخلق في الكتاب المقدس

حقّق البحث العلمي في القرن الماضي إنجازات عظيمة جدًا في فهم ترتيب الخلق وظهور الأجرام السماوية والأصناف الكبرى للكائنات الحيّة. وعامة الكشوف العلميّة اللاحقة تساهم في توضيح دقيق تفاصيل هذه الاكتشافات ولا تهدمها. وقد استطاع العلماء إثبات أعمار هذه المخلوقات باعتماد أكثر من طريقة علميّة؛ لتنتهي النتائج إلى تطابق أو تقارب كبير.

وقد انتهى البحث العلمي إلى أنّ ترتيب الخلق[1] ينافر بصورة واضحة الترتيب التوراتي، وهو ما يكشفه الجدول التالي[2]:

ترتيب سفر التكوين	ترتيب العلم الحديث
اليوم الأول: السماوات والأرض (ومعهما الماء) والضوء. اليوم الثاني: الحاجز الفاصل بين المياه. اليوم الثالث: اليابسة، العشب والبقل والشجر والثمر. اليوم الرابع: الشمس والقمر والنجوم. اليوم الخامس: الطيور والسمك والكائنات البحرية. اليوم السادس: الحيوانات الزاحفة والوحوش والبهائم والإنسان.	13,7 بليون سنة، خلق الكون. 4,6 بليون سنة، خلق الشمس **(اليوم الرابع بحسب التوراة)**. 4,5 بليون سنة، خلق الأرض **(اليوم الأول بحسب التوراة)** 4,5 بليون سنة، خلق القمر **(اليوم الرابع بحسب التوراة)** 500 مليون سنة : خلق السمك **(اليوم الخامس بحسب التوراة)**. 438 مليون سنة: خلق النبات الأرضي **(اليوم الثالث بحسب التوراة)**. 360 مليون سنة: الشجر الأوّل **(اليوم الثالث بحسب التوراة)**. 300 مليون سنة: أولى الزواحف **(اليوم السادس بحسب التوراة)**. 200 مليون سنة: أولى الثدييات الأرضية **(اليوم السادس بحسب التوراة)** 150 مليون سنة: الطيور الأولى **(اليوم الخامس بحسب التوراة)**.

(1) لا علاقة للجدول التالي بدعوى التطوريين أن هذه المخلوقات جاءت بالتدرج عن بعضها البعض. وإنما العمدة ظهور هذه المخلوقات في السجل الأحفوري على التوالي. والتقديرات التالية قد تتغيّر لاحقًا قليلًا، لكن يبقى جوهرها قائمًا؛ لأنّها قائمة على رصد الآثار مباشرة.

(2) Natan Slifkin, The Challenge of Creation: Judaism's Encounter with Science, Cosmology, and Evolution (NY., Lambda, 2008), p.188

والأمر يحتاج تفصيلًا لكشف مخالفات الكتاب المقدس للعلم الحديث في باب ظهور العالم وأشيائه.

المثال الأول: خلق ماء البحار من ماء قبّة السماء

تكويـن 1/ 2: «وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ».

يقول الناقد الكبير **ناحوم. م. سـارنا**[1]: «الغمـر: في العبرية «تِهوم»، الماء الكوني السـحيق الذي يلف الأرض. لا يذكر النص شـيئًا عن كيفية ظهور هذه الكتلة المائية إلـى الوجود أو متى جاءت... من المفيد أن يتم التعامل مع كلمة «تِهوم» كاسـم علم عبري... وعلى الرغم من أنها ليست لفظة مؤنثة من الناحية النحوية، إلا أنها تستخدم فـي كثير من الأحيان مع فعـل أو صفة مؤنّثة. وفي بعض الأحيان يتم تجسـيدها. في سـفر التكوين 49/ 25 وسـفر التثنية 33/ 13 «الرابضة تحـت»، وفي حبقوق 3/ 10: «أَعْطَـتِ اللُّجَّـةُ صَوْتَهَـا» في حالة مـن الذعر في غضـب الله القادم. وأخيـرًا، تظهر «تِهوم» في إشعياء 51/ 10 في سياق أسطوري. **تشير كل هذه الحقائق إلى أن «تِهوم» ربمـا كانت في يوم من الأيام اسـم كائن أسـطوري يشـبه إلى حدٍ كبيـر «تِيامات» في بلاد ما بين النهرين، وهي تجسيد للتنين الأنثوي للمحيط المالح البدائي، والذي يمثل القوى العدوانية للفوضى البدائية التي تصارع إله الخلق**»[2].

والجانـب الأسـطوري المباشـر لصـراع الإله مع التنيـن المائـي الأوّل يظهر في مواضع أخرى:

مزمـور 74/ 13-14: «أَنْتَ شَـقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَـرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ. أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لِوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَامًا لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ».

---

(1) ناحوم. م. سـارنا (Nahum M. Sarna (1923-2005: ناقد توراتي بارز. له عناية خاصة بسِـفري التكوين والخروج. درّس في عدد من الجامعات الأمريكية، منها: The Jewish Theological Seminary.

(2) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; Commentary in English. The JPS Torah commentary (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1989), p.6

مزمور 89/ 9–10: «أنت متسلط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكنها. أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بددت أعداءك».

ويظهر الأصل السماوي لماء البحر بوضوح في تكوين 1/ 9–10: «وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، **وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا**. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ».

كما جاء في 2بطرس 3/ 5: «لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ».

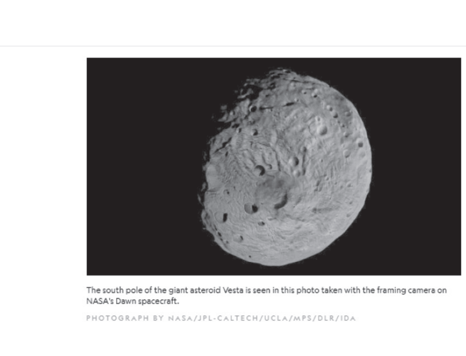
وذاك تصوّر مقتبس من الحضارات القديمة. وهو ما أقرّ به هامش الترجمة الكاثوليكيّة الأشهر The New American Bible تكوين 1/ 2: « وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة...»: «الغمر: البحر الأوّلي طبقًا لعلم نشأة الكون عند قدماء الساميين... كوّن جزءٌ من هذا الكيان الكبير البحور المالحة (العددان 9–10)، وشكّل جزءٌ آخر الماء العذب الذي تحت الأرض (مزمور 33/ 7، حزقيال 31/ 4) والذي يفيض على الأرض كعيون وينابيع (تكوين 7/ 11 و8/ 2، وأمثال 3/ 20)».

وقد اجتهد الناقد **ستيفن ديمتاي**[1] لتفسير أصل الاعتقاد أنّ ماء البحر جزء من ماء السماء في مؤلّفه عن الفصل الأول من سفر التكوين؛ فقال: «عندما نظرت شعوب البحر الأبيض المتوسط القديمة نحو الأفق، رأت أنّ المياه التي في الأعلى تلتقي في نهاية البصر بمياه البحار، وأنّ كُلًّا من المياه الزرقاء في الأعلى والمياه الزرقاء تحتها تتلامس عند الآفاق. وهكذا لوحظ أن المياه التي في الأعلى –أي السماء– كانت نقطة انطلاقها في الأفق حيث كانت تتلامس مع المياه في الأسفل، ثم قفزت المياه إلى الأعلى لتكون مثل القبة، ونزلت مرة أخرى لتلتقي بالمياه في الأسفل عند الأفق المعاكس. ووفقًا لهذه الملاحظات التجريبية المحدودة، فإن البشرية القديمة التي كانت تعيش

(1) ستيفن ديمتّاي Steven DiMattei : ناقد أمريكي متخصص في دراسات النصرانية المبكرة والعهد الجديد. درّس في University of Houston و Cornell University.

عند البحر المتوسّـط، ومنها جماعة الإسرائيليين، قد أدركت أن عالمها محاط بجرمين كبيريـن من الماء، ذاك الذي في الأعلى والآخر الذي هو في الأسـفل، وأن تلك المياه التي كانت مرتفعة جدًا فوقها مثل القبة قد تم الاحتفاظ بها بطريقة ما»[1].

يقول القرآن في مقابل ما سبق: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١﴾ (النازعات:30-31). قال **ابن كثير**: «دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها»[2]. وتشـير آخر الدراسـات العلمية إلـى أنّ أصل ماء الأرض الأوّل خرج مـن باطنها[3]، وإن لم يصر ذلك بعدُ حقيقة يقينية. ويبقى -على كلّ حال- أنّ القول التوراتي إنّ أصل الماءِ الأول على الأرض هو الماء الذي كان فوق قبّة السـماء [ولذلك تبدو السـماء زرقاء!] قبل أن ينفصـل عنه، منكر علمي يخالـف جميع معارفنا، ولا توجد له أدنى قرينة؛ ولذلك ترفضه الجماعة العلميّة جزمًا.



---

(1) Steven DiMattei, Genesis 1 and the Creationism Debate: Being Honest to the Text, Its Author, and His Beliefs (Eugene, Oregon : Wipf & Stock Publishers, 2016), pp. 21-22

(2) ابن كثير، تفسـير القرآن العظيم، تحقيق: سـامي بن محمد سـلامة (دار طيبة للنشـر والتوزيع، 1420هـ/ 1999م)، 1/ 215.

(3) Bob Holmes, Origin of Earth's water traced back to the birth of our planet
<https://www.newscientist.com/article/dn28485-origin-of-earths-water-traced-back-to-the-birth-of-our-planet/>

المثال الثاني: خلق الضوء قبل الشمس والنجوم

تكويـن 1/ 1–5، 14–16 : «فـي البـدء خلق اللـه السـماوات والأرض، وكانت الأرض خربـة وخاليـة، وعلى وجه الغمر ظلمـة، وروح الله يرف علـى وجه المياه. وقـال اللـه: ليكن نور، فكان نـور. ورأى الله النور أنه حسـن. وفصل اللـه بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا، والظلمة دعاها ليلا ... وقال الله: لتكن أنوار في جلد السـماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنوارا في جلد السـماء لتنير على الأرض. وكان كذلك فعمـل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم».

يفهـم من النص السـابق أنّ النـور على الأرض قد ظهر قبل ظهور الشـمس. وفي ذلك قال قديس الكنيسـة **أمبروسيوس**[1]: «ثلاثة أيام [من أيّام الخلق] مرّت. في هذه الأثناء، لم يبحث أحد عن الشمس، إلا أنّ تألُّقَ النور كان ظاهرًا في كل مكان .... **نور النهار شـيء مختلف عن نور الشمس والقمر والنجوم**.... لليوم .. ضوؤه ... الهادئ .... تضيف الشمس إشراقها إلى نور النهار»[2].

وأمر التمييز بين الشمس والنور واضح أيضًا في نصّ سفر الجامعة 12/ 2: «قَبْلَ مَا تُظْلِمُ الشَّـمْسُ وَالنُّورُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَرْجعُ السُّحُبُ بَعْدَ الْمَطَرِ»؛ فإظلام الشمس غيـر انقطاع النـور.. علمًا أنّ الأصل العبري لكلمة «نور» هنا نفسـه في الفصل الأول من سفر التكوين אוֹר [أُور].

ووجـود الضـوء الغامر للأرض قبل خلق الشـمس والقمر شـائع جدًا في قصص الخلـق في الحضارات القديمة، ومنها حضارات بـلاد الرافدين ومصر القديمة. وقد

(1) أمبروسيوس (397-337) Ambrose: أحد آباء الكنيسة وقديسيها. أسقف ميلان. اشتهر بمحاربته للهرطقة في عصره.
(2) Saint Ambrose, Hexameron, Paradise, and Cain and Abel, trans. J. J. Savage (New York: Fathers of the Church, 1961), pp. 126, 130, 132

شــهد الناقد **هيدل**[1] في أمر التشــابه بين قصة الخلق التوراتية وأســطورة إنوما إليش أنّ «القصتين كليهما تشـيران إلى وجود الضوء وإلى تعاقب الليل والنهار قبل إنشـاء الأجرام السماوية»[2].

وقال الباحث **رنجرن**[3] في مقاله: «النور والظلام في الديانة المصرية القديمة» إنّ الأسـاطير المصرية تخبر أن الإله «شُو» هو مصدر الضوء لا الشمس؛ وقال في ذلك: «يشـير هذا الربط بين شـو والضوء إلى أنّ الضوء ليس بالضرورة مرتبطًا بالشمس (أو القمر) كمصدر، ولكن يُنظر إليه على أنه شيء يملأ الهواء بين الأرض والسماء»[4].

المثال الثالث: خلق الأرض قبل جميع كواكب السماء ونجومها

تبـدأ قصّـة الخلق فـي الفصـل الأوّل بوجود الأرض فـي اليـوم الأوّل: «وكانت الأرض خربـة وخاليـة» (1/ 2)، ولـم تظهـر الكواكب والنجـوم إلا لاحقًا (1/ 16). وذاك مخالف للمعلوم اليوم من أنّ الأرض سـنّها 4.5 بليون سـنة، وهي أصغر سـنًا من الشـمس التي ظهرت منذ 4.6 بليون سنة، ومن كثير من الكواكب والنجوم الأسنّ بكثير[5].

المثال الرابع: خلق النبات قبل الشمس

خلـق اللـه نبات الأرض فـي اليوم الثالث من أيـام الخلق (تكويـن 1/ 11–12)، وخُلقت الشمس في اليوم الرابع (تكوين 1/ 14–18). وذاك منكر علميًا؛ لأنّ النبات لا سبيل لأن يوجد وينمو في غنى عن ضوء الشمس.

---

(1) ألكسـندر هيـدل (Alexander Heidel (1907-1955: ناقـد كتابـي، ومتخصص في الأشـوريات. عمـل باحثًا في المؤسسة الشرقية في جامعة شيكاجو.

(2) Alexander Heidel, The Babylonian Genesis (Chicago: University of Chicago Press, 1942), p.101

(3) هلمـر رنجرن (Helmer Ringgren (1917-2012: لاهوتي سويـدي. أسـتاذ مقارنة الأديـان في Åbo Akademi University، وأستاذ تفسير العهد القديم في Uppsala University .

(4) Helmer Ringgren, 'Light and Darkness in Ancient Egyptian Religion', in Liber Amicorum: Studies in Honor of Professor Dr. C. J. Bleeker (Leiden: Brill, 1969), p.144

(5) موقع وكالة الفضاء الأمريكية: ناسا
< html.age_uni/universe/gov.nasa.gsfc.wmap//:https >

وقد اعترف الدفاعي النصراني **بنيامين سميث**[1] أنّه «إذا كان الكتاب المقدس يقول إنّ الشمس قد خلقت في اليوم الرابع بعد خلق الأرض، فإنّ كلّ أمل في التوفيق بين سفر التكوين وعلم الفلك سيضيع»[2]. ولذلك حاول بعض الدفاعيين النصارى الإيهام أنّ سفر التكوين يومئ إلى خلق الشمس قبل النبات، دون تصريح، وذلك للخروج من المأزق العلمي؛ بدعوى أنّ خلق السماء في البدء يقتضي خلق كلّ ما فيها من أجرام[3]. وأنكر مذهبهم جمهور الدفاعيين النصارى -في موافقة لإجماع المفسّرين الأكاديميين-؛ معترفين أنّ الكتاب المقدس صريح في أنّ الشمس خلقت بعد ظهور النبات[4]؛ فلا يُترك التصريح إلى تأويلات بعيدة متكلّفة.

المثال الخامس: تزامن خلق الشمس والقمر مع خلق النجوم

تكوين 1/ 16: «فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ».

بدأت النجوم في التشكّل منذ الفترة الأولى لخلق الكون، بعد 180 مليون سنة فقط من خلق الكون[5]، وأمّا الشمس والقمر فلم يوجدا إلاّ في الثلث الأخير من عمر كوننا.

(1) بنيامين د. سميث Benjamin D. Smith: باحث نصراني أمريكي خريج Luther Rice College.

(2) Benjamin D. Smith, Genesis, Science, and the Beginning (OR: Wipf & Stock, 2018), p.28

(3) Hugh Ross , Creation and Time: A Biblical and Scientific Perspective on the Creation–Date Controversy (Colorado Springs, Co : NavPress, 1997) pp.149–153

(4) Jason Lisle, Taking Back Astronomy: The Heavens Declare Creation and Science Confirms It (AR: New Leaf Publishing Group, May 1, 2006), p.43

(5) Fingerprinting the very first stars
< http://www.astronomy.com/news/2018/03/fingerprinting-the-very-first-stars >

المبحث الثاني:
قصة بدء الخلق في القرآن

تُعتبر التفاصيل العلمية الكثيرة في الكتاب المقدس في شأن نشأة الكون، مع ما اقترن بها من تفاصيل أوسع وأدق في التراث الشفهي اليهودي والنصراني، حافزًا مغريًا -بالغ الإغراء لكاتب القرآن- أن ينحو نحو أهل الكتاب ويقتبس منهم بغزارة -لو أنّ القرآن كتاب بشري نبعت أفكاره من ثقافة أهل الكتاب كما هو إجماع المستشرقين اليوم-.

وقد فوجئ المستشرقون أنّ التشابه في أمر نشأة الكون بين القرآن وتراث أهل الكتاب ضعيف، في حين يتضخم هذا التشابه بصورة بالغة في كتب التفسير التي رأى كُتّابها أنّ المادة الخبريّة التفصيلية عند أهل الكتاب ثريّة، وشائقة، وماتعة، وحرِيَّة أن تروي ظمأ الباحثين عمّا يروي شوقهم لمعرفة قصّة البدء.

بل قل: لقد كانت جاذبيّة قصّة البدء التوراتية مغريّة بصورة بالغة في القرن السابع الميلادي، حتّى إنّ من الصحابة وكبار التابعين من أكثروا النقل عن التراثين التوراتي والتلمودي في هذا الباب[1].

وقد تحدّث القرآن عن قصّة البدء في غيرما سورة، وذكر تفاصيل كثيرة، لكنّه تجاوز خطأ تراث الأوّلين بصورة مثيرة، وذكر فوق ذلك تفاصيل علميّة من خارج ثقافة العصر تنبئ بأصله الربّاني.

---

(1) دلّ الحديث النبوي: «حدّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» (رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح/ 3274) على جواز رواية أخبار البدء -وغيرها- عند أهل الكتاب إلا أن يَثبت أنها باطلة. وقد روى أهل القرون الإسلامية الأولى أخبار أهل الكتاب في قصة البدء دون حرج؛ لأنّ زمانهم لم يسعفهم للكشف عن فساد عامة ذاك التراث. وأما اليوم فالحرج الشرعي قائم في شأن رواية تلك الأخبار، لقيام الحرج العلمي.

المطلب الأول: الإعجاز العلمي القرآني في قصة بدء الخلق

الحديث عن بداية الكون مرتع الخرافات والأوهام في الحضارات القديمة؛ حيث الفصول الأولى للبدايات[1] مجال خصب للحديث الملحميّ عن صولة الآلهة الوثنية وجرائمها، وتفسير نشأة الأجرام تفسيرًا ساذجًا بدائيًا.. وقد اقتحم القرآن باب بدايات الكون – وقد علِمتَ محاذيره–؛ ففتح المجال للناس ليختبروا صدق تقريراته[2]. وكان هذا الاختبار شائقًا لأسباب، منها:

- عِلمنا بالثقافة العلميّة الكونيّة السائدة في القرن السابع.
- الفساد الواضح للثقافة العلمية في هذا الباب، بما يمنع التباس الحقّ بالباطل.
- النجاحات العظيمة لعلم الكوسمولوجيا اليوم.

والناظر في مواضيع البدايات، يلحظ إعجاز القرآن في المثالين التاليين:

المثال الأول: توسع الكون

اهتداء العلماء في بداية القرن العشرين إلى توسّع الكون بالحساب الرياضي، تمّ تأكيده لاحقًا بالرؤية المرصادية، أولًا من طرف **هابل**، ثم بقية المراصد، فما عاد هناك شك معتبر في هذا الشأن، فقد اعتضد البحث النظري بالكشف العملي؛ حتى صرّح الفيزيائي **أندرو ليدل**[3] أنّ الكشف بأنّ «كوننا يتمدّد حاليًا، قد تمّ تأكيده بلا شكّ»[4].

وتوسّع الكون يبعد على العقل القديم تصوّره؛ فإنّ افتراض توسّع سقف الأرض لا يكاد يدلّ على معنى معقول أو متصوّر[5]، ورغم ذلك فمن السلف من فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: 47]، بمدّ

(1) الحضارات القديمة وأسفارها المقدسة كانت تقول بأزليّة الكون. والمقصود بالبدايات هنا الأحداث الأولى بتصوير كوننا لا بدأ المادة.

(2) بعد العلم بربانية القرآن، يكون القرآن حجّة على تقريرات العلم لأنه كلمةُ من أنشأ الكون وقوانينه.

(3) أندرو ل. ليدل(Andrew R. Liddle -1965): أستاذ الفيزياء الفلكية في Royal Observatory Edinburgh.

(4) Andrew Liddle, An Introduction to Modern Cosmology (Chichester, West Sussex: John Wiley and Sons, 2015), p.xi

(5) ذاك يختلف عن اعتقاد أنّ الربّ قد بسط السماء فوق الأرض؛ كما تُبسط الخيمة على الأرض؛ فذاك تصوّر قديم شائع.

السماء، **كعبد الرحمن بن زيد بن أسلم** (توفي عام 182هـ)، وهو من أعلام المفسّرين في زمن تابعي التابعين[1]. وبالدلالة نفسها قال **أبو إسحاق الزجاج** النحوي (متوفى 311هـ)[2]. وقال **ابن كثير**: «﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها، فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي»[3]. ويُستأنس بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ١٠٤﴾[الأنبياء:104]» للقول إنّ طيّ الكون في آخر الزمان هو مقابل توسعته في أوّله، فكما بُدئ الكون بالتوسّع يُردّ بالطيّ. **ورغم أنّ معنى التوسّع ليس قاطعًا هنا، إلّا أنّ له وجهًا لغويًا قويًا**، ولعلّ ميل جماهير المفسرين القدماء إلى خلافه أنّهم ما كانوا يعرفون أنّ الكون يتوسّع حقيقة.

المثال الثاني: نشأة الكون من نار لا من ماء

كان الاعتقاد السائد في كثير من الأمم القديمة أنّ أصل الكون ماء، فهو التصوّر المصري القديم، وتصوّر حضارات بلاد ما بين النهرين وقدماء اليونان، وهو كذلك قول بعض أبرز فلاسفة اليونان: **طاليس**[4] **وأنكسمندر**[5][6]. وهو أيضًا التصوّر الذي تبنّاه النصارى، ويظهر في كتابهم المقدس في **الرسالة الثانية** لبطرس 3/ 5: «السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً **مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ** ἐξ ὕδατος καὶ δι᾽ ὕδατος».

والأصل المائي للكون ظاهر في الكتاب المقدس، حتّى إنّ عددًا من النصارى المحافظين اليوم يحاول الانتصار لهذا المفهوم -الذي حسم العلم أمر فساده-، ومن

(1) ابن الجوزي، زاد المسير (بيروت: المكتب الإسلامي، 1423هـ/ 2002م)، ص 1351.
(2) المصدر السابق.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 424.
(4) طاليس (624 - 546) ق.م Thales: أحد أبرز مفكري اليونان القدماء. عالم رياضيات وفلكي. اعتبره سقراط أوّل فلاسفة اليونان. تُنسب إليه «مبرهنة طاليس».
(5) أنكسمندر (610 - 546) ق.م Anaximander: تلميذ طاليس. فيلسوف وفلكي وعالم رياضيات. من أوّل من نعرف من المفكرين المهتمين بالتفسير العلمي للظواهر الطبيعية. من مؤلفاته: «حول الطبيعة» «Περὶ φύσεως».
(6) David Toshio Tsumura, The Earth and the Waters in Genesis 1 and 2: A Linguistic Investigation (Sheffield Academic Press, 1989), p.143

هؤلاء الفيزيائي **راسل همفريز**[1] في كتابه «Starlight and time: Solving the puzzle of distant starlight in a young universe» (1996م).

العجيب هنا هو أنّ القرآن جاء مخالفًا الأسطورة القديمة مبيّنًا أنّ السماء كانت دخانًا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت:11]. والدخان كما نعرفه اليوم هو الآتي من النار، وكذلك كان عند العرب زمن البعثة، ولذلك قال صاحب «لسان العرب» في مادة «دخن»: «والدخان : العثان، دخان النار معروف».

وما جاء به القرآن هنا- عجيب؛ لا -فقط- لأنّه يخالف ثقافة العصر، وإنّما لأنه يسير بصورة معاكسة تامة لتلك الثقافة؛ إذ يجعل أصل الكون نارًا لا ماءً!

لِمَ لمْ يُتابع القرآن -المنسوب إلى محمّد ﷺ- ثقافة العصر[2]، خاصة أنّ النبيّ ﷺ

---

(1) راسل همفريز Russell Humphreys: فيزيائي أمريكي من أنصار التفسير الحرفي للتوراة، ودعوى الأرض الفتية (أي أنّ عمر الأرض والكون 6000 سنة فقط). وهو عضو نشط في مؤسسة الأرض الفتية الأمريكية: «Creation Ministries International».

(2) ملحوظة: أخرج أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي ميمونة عن أبي هريرة، قال: قلت يا رسول الله: «إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء». فقال: «كل شيء خلق من ماء». قال: قلت: «يا رسول الله، أنبئني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنة». قال: «أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام».

وقد أخرجه الحاكم 4/ 129 و160 في موضعين، ولم يذكر في الموضع الأول الشطر الأول من الحديث. وكذلك أخرجه ابن حبان 508 و2559 دون أن يذكر في الموضع الأول الشطر الأول منه، وهو الشطر الذي يدلّ على أنّ الماء هو أصل الكون.

والحديث مداره على أبي ميمونة. وقد قال الإمام الدارقطني: «أبو ميمونة عن أبي هريرة عنه قتادة مجهول يترك»، وقال ابن معين: «أبو ميمونة الأبار صالح»، أي إنّ حديثه يُكتب للاعتبار لا الاحتجاج (تهذيب التهذيب، مَن كنيته: أبو ميمون وأبو ميمونة، 1167)، وقد وهم من صحّح الحديث إذ ظنّ أبا ميمونة الفارسي الثقة نفسه الأبار. وذهب البخاري ومسلم وأبو حاتم وغيرهم كالدارقطني إلى التمييز بينهما. والحديث بذلك ضعيف الإسناد. وقد ضعّفه الألباني لذلك في السلسلة الضعيفة 3/ 492، وهو آخر قوليه فيه.

أما الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال: «قلنا يا رسول الله: ما لنا إذا كنا عندك، رقت قلوبنا، وزهدنا في الدنيا، وكنا من أهل الآخرة. فإذا خرجنا من عندك، فآنسنا أهالينا، وشممنا أولادنا، أنكرنا أنفسنا». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك، لزارتكم الملائكة في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيغفر لهم» قال: قلت: «يا رسول الله، مم خلق الخلق؟» قال: «من الماء». قلنا: «الجنة ما بناؤها؟» قال: «لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران... الحديث»، فقد ضعّفه الترمذي بقوله: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل». أمّا من صحّح الحديث، كالألباني، فقد صحّحه بشواهده، دون «مم خلق الخلق؟»، أي إنّ هذه الزيادة المتعلّقة بالماء لا تصحّ بذاتها ولا تشهد لها أحاديث صحيحة أخرى، فهي ضعيفة.

يسعى إلى استجلاب أهل الكتاب إلى دعوته؛ فوافق «قرآنه» كثيرًا من قصصهم التاريخي وخبرهم الديني دون حرج؟

لـن تجد جـواب ذلك إلّا في شـهادة العلم المعاصر؛ إذ يخبـرك أنّ كوننا قد ظهر إلـى الوجـود بعد انفجـار عظيم حـام، وهو المعـروف علميًـا «بالانفجـار العظيم» «Big Bang»، أو بعبـارة الفيزيائي **فرنسـيس ب. كسـافييه**[1]: «يتّفق جـلّ الفيزيائيين والكوسـمولوجيين اليوم أنّ الكون من المحتمل أنّه قد تطوّر عن **كرة ناريّة** من المادة مع انفجار أوّلي (الانفجار الكبير)، والكون منذ ذلك الحين في توسّع»[2].

وفـي لقـاء للبروفسـور **يوشـيودي كـوزان** -مديـر مرصـد طوكيو- مع الشـيخ **عبدالمجيـد الزنداني**، قال: «إن هذا القرآن يصـف الكون من أعلى نقطة في الوجود؛ فكل شـيء أمامه مكشـوف. إنّ الذي قال هذا القرآن، يرى كل شـيء في هذا الكون، فليس هناك شيء قد خفي عليه».

قال **الشـيخ الزنداني**: سـألناه عن الفترة الزمنية التي مرت بها السماء يوم أن كانت في صورة أخرى، فأجاب: لقد تضافرت الأدلة وحشـدت وأصبحت الآن شـيئاً مرئيًا مشاهدًا. نرى الآن نجوماً في السماء تتكون من هذا الدخان الذي هو أصل الكون كما نرى في (هذا الشـكل): هذه الصورة حصل عليها العلماء أخيراً بعد أن أطلقوا سـفن الفضـاء. إنها تصور نجمًا مـن النجوم وهو يتكون من الدخـان. انظروا إلى الأطراف الحمـراء للدخان الـذي في بداية الالتهاب والتجمع وإلى الوسـط الذي اشـتدت به المادة وتكدسـت فأصبح شيئًا مضيئًا. وهكذا النجوم المضيئة كانت قبل ذلك دخانًا، وكان الكون كله دخانًا».

ثم علّق **كوزان** على من شبّه مادة الكون بالضباب لا الدخان بقوله: إنّ لفظ الضباب لا يتناسب مع وصف هذا الدخان، لأن الضباب يكون باردًا، وأما هذا الدخان الكوني

---

(1) فرنسيس ب. كسافييه Francis P. Xavier: أستاذ الفيزياء في Loyola College في الهند.

(2) Francis P. Xavier, God of the Atoms (New Delhi: ISPCK and LIFE, 2006), p.94

فإنّ فيه شيئاً من الحرارة. نعم، الدخان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة. ويكون معتمًا. وهذا وصف الدخان الذي بدأ منه الكون. قبل أن تتكوّن النجوم كان عبارة عن غـازات تعلق فيها مـواد صلبة وكان معتمًا. قال: وكذلك كان حـارًا، فلا يصدق عليه وصف الضباب، بل إنّ أدقّ وصف هو أن نقول: هو دخان.

وهكـذا أخذ يفصل فيمـا عرض عليه من آيات وأخيراً سـألناه: مـا رأيك في هذه الظاهرة التي رأيتها بنفسـك، العلم يكشـف بتقدّمه أسـرار الكون، فإذا بكثير من هذه الأسـرار قد ذكـرت في القرآن أو ذكرت في السـنة. هل تظن أنّ هـذا القرآن جاء إلى محمد ﷺ من مصدر بشري؟ كما نرى هذه المحاورة معًا.

ردّ البروفيسور **يوشيودي كوزان**: «وقبلنا كان هؤلاء الفلكيون المعاصرون يدرسون تلك القطع الصغيرة في السـماء. لقد ركزنا مجهودنا لفهم هذه الأجزاء الصغيرة لأننا نستطيع باستخدام التلسكوب أن نرى كل الأجزاء الرئيسية في السماء، ولذلك أعتقد أنه بقراءة القرآن وبإجابة الأسئلة أنني أستطيع أن أجد طريقاً في المستقبل للبحث في الكون»(1).

تعقيب:

أجـرام السـماء أصلها ما يُسـمّى بالغبار الكونـي، ولا يصحّ وصـف تلك المادة بالدخان!

الجواب:

وصفُ القرآن لِمَا نشأت منه أجرام السماوات بالدخان، صادق من وجهين:

الوجـه الأول: الدخـان بلغة عصـر التنزيل القرآنـي: الكثافة الغازيّـة الناجمة عن الاحتراق أو الانفجار. ووصف أصل السماء أنّه دخان وصف دقيق بلغة القرن السابع

(1) عبد المجيد الزنداني، عن تطابق بعض الكشوف الكونية مع الأخبار القرآنية.
الموقع الرسمي لجامعة الإيمان التي يرأسها الشيخ الزنداني:
<http://:www.jameataleman.org/main/articles.aspx?selected_article_no=1510>.

الميلادي؛ إذ السـماوات ناجمة عن قنبلة ناريّة أولى انفجرت وتبعثرت صانعة الكون المتمـدّد من أصل لا هو صلب ولا سـائل وإنّما هو غازي، حـار، يعيق الرؤية كليًا أو جزئيًـا[1]. وقد عبّر عالم الفيزياء النظرية الشـهير الملحد **سـتيفن هاوكنج** عن تقريرنا بقوله: «**بإمكانـك أن تقول إنّنا قد صُنعنا من دخان الانفجار العظيم**»[2]. أو هو انفجار النجـوم –لاحقًا– لتنتج مـادة غازيّة حارة تعيق الرؤيا السـهلة أيضًا. ومحاكمة اللفظ القرآنـي يجب أن تكون أساسًـا إلى العـرف اللغوي زمـن التنزيل. فالتعبيـر القرآني صادق ضرورة ضمن المعجم اللغوي للقرن السـابع، سـواء تعلّـق بالانفجار الأوّل، أو بانفجار النجوم لاحقًا.

الوجـه الثاني: يصوّر كثير من العلماء المادة التي تتكوّن منها الأجرام أنّها «دخان» أو «smoke» بالإنجليزيّـة، تمييـزًا لهـا عـن الغبـار. وفي ذلـك يقول علمـاء الفلك العاملون في مشـروع «مرصد هيرشـل الفضائي»: «يتكوّن الغبار الكوني من جزيئات صغيـرة من المواد الصلبة التي تطفو في الفضاء بين النجوم. **إنه ليس مثل الغبار الذي تجده في منزلك، وإنّما هو أقرب إلى الدخان، والمتكوّن من جسـيمات صغيرة تتنوع من مجموعات من جزيئات قليلة إلى حبيبات من 0.1 مم حجمًا**»[3].

(1) وهذا الوصف يصدق على الكون في بدايته، وأيضًا بعد ذلك لمّا كان حارًا والرؤية فيه غير واضحة؛ فإنّه بذلك –مع أصلـه النـاري الأوّل– يحتفظ بوصف الدخان في اللسـان العربي. وهو تنبيه واجب، ردًا علـى من قال إنّ الدخان المذكـور في القرآن كائن في اليوم الرابع من أيام الخلـق لا الأول. فالكون ناجم عن انفجار، وكلّما احتفظ الكون بآثار دخانيّته (الحرارة وحجب شيء من الرؤية) صحّ وصفه بالدخان.

(2) «You could say that we are made of the smoke of the Big Bang». قالهـا فـي الفديو التالي «سـتيفن هوكينغ – قصة كل شيء 1/ 6 »، الدقيقة 12/ 38:

https://www.youtube.com/watch?v=VhRLoPDM-UA&feature=youtu.be >

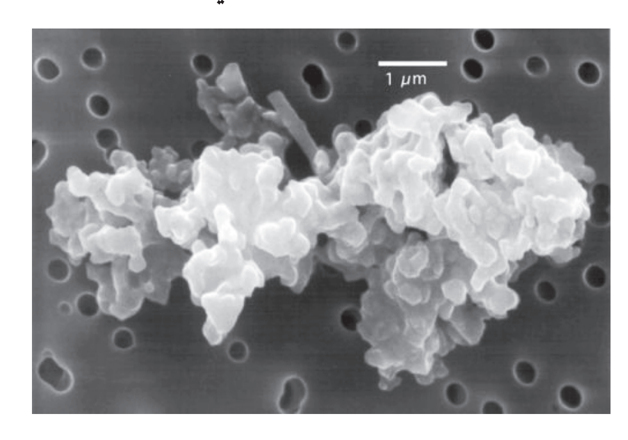
(3) "Cosmic dust consists of tiny particles of solid material floating around in the space between the stars. It is not the same as the dust you find in your house but more like smoke with small particles varying from collections of just a few molecules to grains of 0.1 mm in size. Dust is important because we find lots of it around young stars. In fact it helps them to form, and it is also the raw material from which planets like the Earth are formed."

http://herschel.cf.ac.uk/science/infrared/dust >

وفي دراســة جديدة نُشرت مؤخرًا في مجلة «Nature»، اكتشف علماء من جامعة آرهــوس ومعهــد نيلز بور في جامعة كوبنهاغن كيف يتم إنشــاء الغبــار الكوني عندما تنفجر النجوم العملاقة على شــكل ســوبرنوفا؛ مما يرســل موجات صدمة هائلة إلى طبقات من الغاز المضغوط[1]. وذاك يربط ما بين الانفجار والحرارة من جهة والغبار الكوني الذي يمنع الرؤية ويستحق -بجميع هذه الأوصاف- أن يكون دخانًا.

وجــاء فــي مقــال منشــور بعنــوان: « Supernovae Produce Dust More Efficiently Than Previously Thought »: «لقد اكتشفنا للتو أن بعض السوبرنوفا لديها عادات ســيئة؛ فهي **تقذف كميات هائلة من الدخان، تعرف باسم الغبار الكوني**. **وهذا يحل لغزًا قديمًا حول أصل الغبار الكوني**، ويوحي بأن السوبرنوفا -وهي نجوم متفجرة - كانت مسؤولة عن إنتاج أولى الجسيمات الصلبة في الكون»[2].

صورة للغبار الكوني



(1) Christa Gall, et al. 'Rapid formation of large dust grains in the luminous supernova 2010jl', in Nature, (volume 511, pp. 326–329 (17 July 2014

(2) Fraser Cain, 'Supernovae Produce Dust More Efficiently Than Previously Thought', universetoday.com, JULY 17, 2003

< https://www.universetoday.com/8716/supernovae-produce-dust-more-efficiently-than-previously-thought/ >

تعقيب:

الدخان في الآية هو بخار الماء، وبذلك فسره عدد من المفسرين الأوائل.

الجواب:

1 - القرآن نزل بلسان بيّن، وأفصح ما يعبر عن البخار: «البخار». وأما الدخان، فالمتبادر منه في لسان العرب ما ينشأ عن النار؛ ولذلك قال **ابن منظور** في «لسان العرب» تحت مادة «دخن»: «الدُّخَان العُثانُ، دخان النار معروف، وجمعه أَدْخِنة ودَواخِن ودَواخِينُ»، باعتبار ذلك المعنى الأوّلي لكلمة دخان. وجاء في معجم «مقاييس اللغة» مادة «دخن»: «الدال والخاء والنون أصلٌ واحد، وهو الذي يكون عن الوَقُود، ثمَّ يشبَّه به كلُّ شيء يُشْبِهُهُ مِن عداوةٍ ونظيرها. فالدُّخَانُ معروفٌ». ومن أراد أن ينقل اللفظ عن هذا المعنى الأوّل إلى المعنى الثاني فعليه البرهان.

2 - لم يرد خبر في القرآن ولا عن رسول الله ﷺ عن الدخان أنّه أثر عن الماء الأوّل، رغم ذكر القرآن لأمر الماء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7]، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كَانَ اللَّه وَلَمْ يَكنْ شَيءٌ قَبلهُ، وَكانَ عَرشهُ عَلى المَاءِ، ثُم خَلقَ السَّمواتِ وَالأرضَ، وَكتبَ في الذِّكرِ كُلَّ شَيءٍ»[1]، كما أنّه لا يصحّ شيء في أنّ الماء أصل الكون، فكلّ ما روي في ذلك ضعيف.

3 - ما نقله العلماء عن الدخان أنّه بخار الماء أصله الإسرائيليات التي فُسّر بها أمر الدخان؛ إذ لم يُدرك الأوّلون مصدر الدخان في بدء الخلق، ولم يتصوروا أمر الانفجار الأوّل، ولو علموا أمر هذا الانفجار لأجمعوا على ترك القول بالبخار. ومما يؤكد أصل الاستقاء من الإسرائيليات أنّ الخبر المروي عن الصحابة في إثبات البخار متشبّع بالإسرائيليات التي نقطع اليوم بفسادها وأصلها اليهودي؛ إذ تُقرّر -مما تقرّره- أنّ الأرض قائمة على حوت كبير؛ فقد روى أبو مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب النبي - ﷺ - : «خلق الله الأرض

(1) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، (ح/ 6982).

على حوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن (ن والقلم وما يسطرون)، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمانُ، ليست في السماء ولا في الأرض»[1]. كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أوّل ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رُفع بخار الماء، فخُلقت منه السماوات، ثم خلق النّون، فبسطت الأرض على ظهر النّون، فتحركّ النّون، فمادت الأرض، فأُثبتت بالجبال»[2]. والقول إنّ الأرض قائمة على ظهر حوت ضخم خرافة من خرافات أهل الكتاب التي لا أثر لها في القرآن أو السنّة.

4 – النصوص الشرعية –كما هو مقرر عند أهل العلم– ظاهرة في تقريرها أنّ العرش فوق السماوات السبع، وهو محمول على الماء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7]، وإذا تبخّر الماء صعد إلى أعلى ولم ينزل إلى أسفل. ومعلوم أنّ السموات السبع، –ومنها سماؤنا– قائمة تحت العرش.

5 – لا يتبخّر الماء إلّا أن يكون حارًا إلى درجة الغليان. وليس في وصف القرآن والسنّة للماء الذي تحت العرش إعلامٌ بحرارته.

6 – من السلف من فسّر الدخان أنّه أثر الأرض لا الماء، ومنهم مجاهد تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما؛ إذ قال –كما رواه **الطبري**–: «خلق الأرض قبل السماء، فلما خلق الأرضَ ثار منها دخان»[3].

7 – الأصل في الخبر القرآني موافقة أهل الكتاب أخبارهم بالحرف أو ما قاربه؛ لأنّ هذه الموافقة من أعظم أوجه دلائل ربانية القرآن الذي جاء به رجل أميّ، غير أنّ القرآن ترك اللفظ الصريح في الدلالة على البخار، وهو: البخار...، والقول بصدفية موافقة كلمة «دخان» لحقائق العلم هنا تعنّت!

(1) رواه الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجيزة: دار هجر، 1422هـ/ 2001م، 18/ 556.
(2) المصدر السابق، 23/ 140 .
(3) المصدر السابق، 1/ 463.

المطلب الثاني: هل أخطأ القرآن في قصة الخلق؟

حـاول الملاحدة الطعـن في قصّة الخلـق القرآني؛ فلم يجدوا غير مسـألة ترتيب الخلق[1]، ومسـألة تاريخ ظهور البشـرية (وسِـنّ الكـون تبعًا لذلك) التـي زعموا أنّ القرآن وافق فيها التوراة.

الاعتراض الأول:

روى **مسـلم** عن ابْنُ جُرَيْجٍ، قال: أَخْبَرَنِي إِسْـمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ أَيُّوب بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَـلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بِيَـدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّـبْتِ، وَخَلَـقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّـجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبعَـاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الـدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّـلَام بَعْـدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَـاعَةٍ مِنْ سَـاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ»...، فهو حديث رواه مسـلم، ويخالف الترتيب المذكور سابقًا في هذا الكتاب للخلق!

الجواب:

الحديث السـالف ضعّفـه –منذ قـرون– من هم أعلم مـن الإمام **مسـلم** بالعِلل؛ **كـالبخاري وابن المديني**، وضعّفه أيضًا أقران الإمام **مسلم** من المحدّثين؛ **كـابن معين وعبـد الرحمن بن مهدي**، وأنكره أئمة آخرون، **كـالبيهقي وابن تيمية وابن القيم**، قبل ظهور المعارف العصرية.

وقـد قـال الحافظ **ابن كثير** عن الحديـث ذاته: «اختلف فيه علـى ابن جريج، وقد تكلـم في هذا الحديث علي بن المدينـي، والبخاري، والبيهقي وغيرهم من الحفاظ.

(1) سـنتناول هنا الطعن في ترتيب الخلق في الحديث النبوي، ونتناول في الفصل السـابع من الباب الثاني أمر ترتيب الخلق قرآنيًا، في بحث شبهة الخطأ الحسابي في القرآن.

قـال البخاري في التاريخ: وقال بعضهم عن كعـب وهو أصح. يعني أن هذا الحديث مما سـمعه أبـو هريرة وتلقاه مـن كعب الأحبـار، فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسـان للحديـث، فهذا يحدثه عن صحفه، وهذا يحدثـه بما يصدقه عن النبي صلى الله عليه وسـلم، فكان هـذا الحديث مما تلقاه أبـو هريرة عن كعب عـن صحفه، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبي ﷺ»[1].

والحديـث مخالـف صراحة للقرآن مـن أوجه، بل ليـس فيه من ترتيـب القرآن شيء:

● يزعم هذا الحديث الباطل أنّ الخلق تمّ في سبعة أيام، وفي القرآن أنّ الخلق في ستة أيام. وبذلك أعلّه **ابن القيم**[2].

● خلـق الأرض وتقدير ما فيها فـي أربعة أيام في القرآن، وفـي الحديث أنّ خلق الأرض في سبعة أيام. ولا ذكر لخلق السماوات وتسويتها.

● ليـس للشـرّ وجـود اسـتقلالي حتّـى يُخلق في يـوم معيّـن؛ فهو أثـرٌ عن فعل المخلوقات. كما أنّ الشـر المحض لا وجود له، قال **ابن القيم**: «الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض»[3].

وأمّا من ناحية الإسناد، فقد أعلّ الحفّاظ الحديث من ثلاثة أوجه:

● الحديـث من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبـار موقوفًا عليه. قال **البخاري**: «روى إسـماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الـتربة يـوم السبت»، وقـال بعضـهم عن أبي هريرة، عن كعب، وهو أصح»[4].

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي (دار هجر، 1424هـ/ 2003م)، 1/ 33.
(2) ابـن القيـم، المنار المنيف في الصحيح والضعيـف، تحقيق: يحيى الثمالي (مكة المكرمـة، دار عالم الفوائد، 1428 هـ)، ص78.
(3) ابن القيم، شـفاء العليل في مسـائل القضاء والقـدر والحكمة والتعليل (بيروت: دار المعرفـة، 1398هـ/ 1978م)، ص184.
(4) البخاري، التاريخ الكبير، 1/ 413.

● الحديث رواه إسماعيل بن أمية، عن إبراهيم بن أبي يحيى، وإبراهيم هذا متهم بالكذب[1]، وبهذه العلّة ضعّف **ابن المديني** الحديث، قال: «ما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى»[2].

● في الإسناد أيوب بن خالد. قال الحافظ **الأزدي**: «أيوب بن خالد ليس حديثه بذاك، تكلّم فيه أهل العلم بالحديث، وكان يحيى بن سعيد ونظراؤه لا يكتبون حديثه»[3].

النتيجة:

أنكر أئمة العلل أن يكون حديثنا هذا صحيح النسبة إلى رسول الله ﷺ؛ ولذلك فلا حجّة فيه لمعارض.

الاعتراض الثاني:

فصل الأرض عن السماء خرافة بابليّة قديمة تبنّاها القرآن.

الجواب:

أولًا: فصل الأرض عن السماء صحيح علميًا؛ لأنّ السماء في الاصطلاح القرآني ما كان في علو فوق الأرض؛ **فكلّ ما علا الأرض -أي ما عداها- فهو سماء لها**. ولم تظهر الأرض إلا بتميّزها عن بقية الأجرام لتدور حول الشمس. ولا يزال العلم حائرًا في أصل الأرض؛ فقد قيل إنها ناجمة عن تجمد «لسحب من الغبار والغاز»، وقيل غير ذلك..، وأيًا ما كان أصلها؛ فهي لم تصر على صورتها الحالية إلا بعد أن انفصلت عن الأجرام الأخرى التي صارت تحيط بها من الاتجاهات الأخرى لتكُون لها سماءً.

---

(1) النسائي، الضعفاء والمتروكين، ص 42.

(2) البيهقي، الأسماء والصفات، 2/ 255-256.

(3) ابن حجر، تهذيب التهذيب (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ)، 1/ 401.
انظر في تفصيل الكلام في ضعف الحديث: سليمان بن محمد الدبيخي، أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (الرياض: مكتبة دار المنهاج، 1427هـ)، 357-360.

ثانيًـا: المصدر الأساسـي -المزعـوم- لاقتباس القـرآن من الأمـم الأخرى هو الكتاب المقدس. وليس في الكتاب المقدس شـيء من ذلك. ولا يوجد حافز واقعي لأنّ يقتبـس نبي الإسـلام ﷺ -إن أنكرنا نبوّته- من الحضارات البعيـدة القائلة بفتق الأرض عن السماء.

ثالثًا: الأسـطورة البابليّة إنوما إليش لا تقول إنّ الأرض ظهرت بفصل السماء عن الأرض بعـد أن كانتـا مـادة أولى واحدة، وإنّما تقـول إنّ الإله مردوك قـد قتل الإلهة تيامـات التي هـي الإلهة البحر، ثم شـقّ جثّتها نصفين؛ فرفع النصـف الأعلى؛ فكان السماء، وبسط الآخر ليكون الأرض. وليس ذاك في الخبر القرآني؛ فأصل الكون في القرآن ليس آلهة مقتولة، ولا هو الماء.

رابعًا: وجود أساطير قديمة تقول بفصل السماء عن الأرض، لا يدلّ على الاقتباس ضـرورة؛ لأنّ الحضـارات الوثنيـة القديمة كانت تؤمـن بوجود مادة أزليّـة أولى غير مشكّلة، تم فصل بعضها عن بعض لإنشاء السماء والأرض. وليس في القرآن حديث عن المادة الأولى الأزلية.

الاعتراض الثالث: زمن خلق آدم عليه السلام وسنّ البشريّة

يزعم القرآن والسـنّة أنّ عمر البشـرية لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين. وذاك خطأ بشهادة العلم الحديث والأحافير!

الجواب:

السبيل إلى معرفة سنّ الكون والبشرية في الكتاب المقدس، يسير؛ وذلك بالنظر في جداول الأنساب والترتيب الزمني للأحداث التاريخية منذ خلق آدم -عليه السلام-،

ثم زيادة خمسة أيام على ذلك؛ إذ إنّ آدم عليه السلام قد خلق في اليوم السادس[1].
والتفصيل يظهر في الجدول التالي:[2]

الأب	الابن	المدة	حصيلة المدة	المرجع
آدم	شيت	130	130	تكوين 5
شيت	أنوش	105	235	تكوين 5
أنوش	قينان	90	325	تكوين 5

(1) أيـام الخلـق في التوراة طولهـا كأيامنا. وقد درس غرهارد. ف. هاسل –أسـتاذ العهد القديـم واللاهوت الكتابي– كلمة «يوم» في سـفر التكوين 1 في مقاله « «أيام» الخلـق في تكوين 1: «أيام» حرفية أم «مدد/ عصور» زمنية رمزية «مـن أكثـر من زاوية لغوية وسـياقية، مع عرض المذاهب المتخالفـة، وانتهى إلى القول: «لـم يكن بإمكان مؤلّف سـفر التكوين أن يقدّم طرقًا أكثر شـمولًا وإحاطة بالمسـالك التي تعبّر عن فكرة «اليوم» الحرفي من تلك التي تمّ اختيارها. هناك غياب تام لمؤشـرات من حروف الجر، والتعبيـرات التحديدية، وبناء الجمل، والروابط الدلالية–النحوية، وغير ذلك مما يمكن على أساسـه أن تُحمل عبارة «يوم» في أسـبوع الخلق على أي شـيء آخر غير اليوم المعتاد الذي يتكون من أربع وعشرين ساعة». مضيفًا أنّ الصياغة النحوية والصرفية واللفظية مع التقريرات الإلهية في سفر الخروج 20/ 8–11 و31/ 12–17، كلّها تؤكّد الفهم الحرفي المعتاد لكلمة يوم».

Gerhard F. Hasel, 'The "Days" of Creation in Genesis 1: Literal "Days" or Figurative "Periods / Epochs" (Of Time?,' in Origins 21(1): 38 (1994

= وأمـا الأيام السـتة في القرآن، فليـس فيها ذكر الصباح أو المسـاء، ووجود الصباح والمسـاء عمدة من فهم هذه الأيـام علـى أنها أيام من أيامنا في التوراة. علمًا أنّ كلمة «يوم» فـي العربية، هي كما في العبرية، تحتمل معنى اليوم المعـروف لدينـا، وأدنى من ذلك –أي بعضه–، وأطول من ذلك، بما يعني المـدة الطويلة من الزمان. قال الراغب الأصفهانـي (توفـي 502 هـ) في كتابه «المفردات فـي غريب القرآن»: «اليوم يعبَّر به عن وقت طلوع الشـمس إلى غروبهـا. **وقـد يعبّر به عن مدّة مـن الزمان أيّ مدة كانت**». (الأصفهاني، المفردات فـي غريب القرآن، بيروت: دار القلـم، 1412هـ، ص894)، والقرآن دال على تعدّد مدد «اليوم». قال تعالى: «وَيَسْـتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّـهُ وَعْـدَهُ وَإِنَّ يَوْمًـا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَـنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون» (الحج:47)، وقـال تعالى: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِـينَ أَلْفَ سَـنَةٍ» (المعارج/ 4)، ولذلك كان المفسّـرون في سـعة في اختيار معنى «يوم» في أيّامِ الخلق. قال ابن كثير: «واختلفـوا فـي هذه الأيام، هـل كل يوم منها كهـذه الأيام».(ابن كثير، تفسـير القرآن العظيم، الريـاض: دار طيبة، 1420هـ/ 1999م، 3/ 426)، واختار فريق من المفسّـرين أنّ هذه الأيام هي محض مُدد. قال (ابن عاشـور): «وقيل المراد: في ستّة أوقات، فإنّ اليوم يطلق على الوقت كما في قوله تعالى: «وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه» (الأنفال:16) أي حين إذ يلقاهم زَحْفًا، ومقصود هذا القائل أنّ السـماوات والأرض خُلقت عالَمًا بعد عالم ولم يشـترك جميعُها في أوقات تكوينها» (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 2/ 162).

(2) Lita Cosner, How does the Bible teach 6,000 years?
< http://creation.com/6000-years >

الجدول يضم المدّة بين خلق آدم عليه السـلام وخروج بني إسـرائيل مع موسى عليه السلام، كما في التوراة، بذكر المـدد الزمنية بين الشـخصيات المتتابعة زمنًا على التقديرات التوراتية. وبجمع هـذه المُدد تراكميًا تكون النتيجة: 2728 سنة.

قينان	مهللئيل	70	395	تكوين 5
مهللئيل	يارد	65	460	تكوين 5
يارد	أخنوخ	162	622	تكوين 5
أخنوخ	متوشالح	65	687	تكوين 5
متوشالح	لامك	187	874	تكوين 5
لامك	نوح	182	1056	تكوين 5
نوح	الطوفان	600	1656	تكوين 7/ 11
الطوفان	أرفكشاد	2	1658	تكوين 11
أرفكشاد	شالح	35	1693	تكوين 11
شالح	عابر	30	1723	تكوين 11
عابر	فالج	34	1757	تكوين 11
فالج	رعو	30	1787	تكوين 11
رعو	سروج	32	1819	تكوين 11
سروج	ناحور	30	1849	تكوين 11
ناحور	تارح	29	1878	تكوين 11
تارح	إبراهيم	130	2008	تكوين 11
إبراهيم	إسحاق	100	2108	تكوين 21/ 5
إسحاق	يعقوب	60	2168	تكوين 25/ 26
يعقوب	مصر	130	2298	تكوين 47/ 9
يعقوب في مصر	الخروج	430	2728	الخروج 12/ 40

إنّ القول إنّ سنّ الكون يتجاوز بضعة آلاف من السنين يقتضي تكذيب التوراة بالقول بكذب سلسلة الأنساب وتوثيق الأحداث، وهو ما لا يجرؤ عليه النصراني أو اليهودي الأرثوذكسي.

والمعنى الظاهر الحرفي هو مذهب عامة آباء الكنيسة، قبل «مجمع نيقية» وبعده. وبحساب أيام الخلق الست مع سنّ البشرية من آدم عليه السلام إلى المسيح، لا تتجاوز المدّة بضعة آلاف من السنين. وممن قال بذلك من الآباء[1]:

الكاتب	تاريخ حياته	تاريخ خلق آدم	المرجع
كلمنت السكندري	150–215م	5592	Miscellanies 1.21
يوليوس أفريكانوس	160–240	5500	Chronology, fragment 1
هبوليتوس الرومي	170–236	5500	Daniel 4
أريجانوس	185–253	10000>	Against Celsus 1.20
يوسابيوس القيصري	263–339	5228	Chronicles
أوغسطين	354–430	5600>	City 12.11

وهي أيضًا نظرة اليهود وأعلام النصرانية عبر القرون[2]:

التلموديون	5344 قبل الميلاد
الترجمة السبعينية للتوراة، الفاتيكان	5270 قبل الميلاد
قديس الكنيسة بيدا (توفي 735م)	5199 قبل الميلاد
المؤرخ اليهودي يوسيفوس	4698 قبل الميلاد
الحساب السامري	4427 قبل الميلاد
الترجمة السامرية للتوراة	4305 قبل الميلاد
النص العبري الماسوري للتوراة	4161 قبل الميلاد
بلايفير ووالكر	4008 قبل الميلاد

(1) Jonathan Sarfati, Refuting Compromise (Green Forest, AR: Master Books, 2004), p.122

(2) Hales, A New Analysis of Chronology and Geography, History and Prophecy 1: 210, 1830 (Cited in: Sarfati, Refuting Compromise, p. 131)

آشر وسبنهايم وكالمت وبلير...	4004 قبل الميلاد
كبلر عالم الفلك (توفي 1630م)	3993 قبل الميلاد
بتافيوس (توفي 1652م)	3984 قبل الميلاد
ملانكتون المصلح (القرن السادس عشر)	3964 قبل الميلاد
لوثر المصلح (القرن السادس عشر)	3961 قبل الميلاد
لايتفوت	3960 قبل الميلاد
كورنليوس لبد	3951 قبل الميلاد
إزاكسن	3950 قبل الميلاد
ستروكيوس	3949 قبل الميلاد
الحبر اليهودي لبمان (توفي 1654م)	3616 قبل الميلاد

لم ترد في القرآن إشارة إلى سنّ البشرية، لكن دلّت السنّة على أنّ سنّ البشريّة أعظم بكثير من أوهام الكتاب المقدس، وهذا ما بيّنه الإمام **ابن حزم** في زمن تشرّبَ فيه الأخباريون المسلمون دعاوى النصارى، بل ونقلوا سلاسل أنساب التوراة دون برهان من قرآن أو سنّة.

قال **ابن حزم** منذ أكثر من عشرة قرون من الآن: «وأما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف. والنصارى يقولون للدنيا خمسة آلاف سنة. وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا. وأما من ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل، **فقد كذب، وقال ما لم يأت قط عن رسول ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه عليه السلام خلافه**، بل نقطع على أن للدنيا أمرًا لا يعلمه إلا الله عز وجل... ، وقول رسول الله ﷺ: «ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في

الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»[1].

هذا عنه عليه السلام ثابت، وهو عليه السلام لا يقول إلا عين الحق، ولا يسامح بشيء من الباطل. وهذه نسبة من تدبّرها، وعرف مقدار أعداد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنّه الأكثر، **علم أن للدنيا عددًا لا يحصيه إلا الله الخالق تعالى**.

وكذلك قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وضمّ أصبعيه المقدستين السبابة والوسطى[2].

وقد جاء النص بأنّ الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله عزّ وجل، لا أحد سواه. فصحّ أنه عليه السلام إنما عنى شدة القرب لا فضل طول الوسطى على السبابة، إذ لو أراد فضل ذلك، لأخذت نسبة ما بين الأصبعين، ونسب ذلك من طول الوسطى، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة، وهذا باطل.

وأيضاً فكأن تكون نسبته عليه السلام إيانا إلى من قبلنا بأنه كالشعرة في الثور كذبًا ومعاذ الله من ذلك.

فصحّ أنه عليه السلام إنما أراد شدة القرب، وله عليه السلام مذ بعث أربعمائة عام ونيف، والله أعلم بمقدار ما بقي من عمر الدنيا. **فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى**، فهذا الذي قاله عليه السلام من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار»[3].

إنّ السنّة النبوية الصحيحة تخبرنا إذن أنّ ما مضى من زمن طويل جدًا لا يساوي فيه سنّ أمة الإسلام شيئًا. وذاك لا يلتقي مع تقدير اليهود والنصارى أن سنّ الكون ستة آلاف سنة من اليوم. ولم يصحّ من السنّة غير ذلك رغم ثراء التراث النبوي.

تعقيب:

روى **الطبراني** – في «الكبير» و«الأوسط»– وغيره بإسنادهم عن أبي توبة، قال: حدثنا

(1) متفق عليه. لم أجد اللفظ كما عند ابن حزم. وألفاظ الحديث عند البخاري ومسلم دالة أيضًا أنّ القصد عدد أفراد الأمة مقارنة بعدد البشر منذ آدم عليه السلام حتى آخر الحياة الدنيا؛ بما يدلّ على عمر البشريّة الطويل. جاء في روايةٍ عند البخاري: « أوّل من يدعى يوم القيامة آدم. فتراءى ذريته. فيقال: هذا أبوكم آدم . فيقول: لبيك وسعديك! فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك. فيقول: يا رب، كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين. فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون؛ فماذا يبقى منا؟ قال: إنّ أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود». (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، 6529).

(2) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين، (ح/ 6138)، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، (ح/ 5244).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999، 1/ 325–326.

معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، قال: سمعتُ أبا سلام قال: سمعتُ أبا أمامة أن رجلًا قال: «يا رسـول الله، أنبيّ كان آدم؟» قال: «نعم»، قال: «كم بينه وبين نوح؟» قال: «عشـرة قرون». قال: «كم بين نـوح وإبراهيم؟» قال: «عشـرة قرون»...الحديث. وذاك يدعم مذهب النصارى في أنّ عمر البشرية لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين.

الجواب:

أولًا: الحديـث رواه **الطبرانـي**، ويبدو أنّه قد أعلّه (ضعّفه) في «الأوسـط» (405) بالتفرّد، إذ أخرجه في معجمه الأوسط الخاص بالأحاديث الأفراد -وهو بذلك كتاب علل-، وقال: «لا يُروى هذا الحديث عن أبي أمامة إلا بهذا الإسـناد، تفرّد به: معاوية بن سـلام». وهذا باب عظيم من أبواب تضعيف ما يرويه الثقات إذا تفرّدوا وكانوا من الطبقات المتأخرة (توفي معاوية بن سلام سنة 170هـ)[1].

معاوية بن سـلام ممن اختلف أئمة الجرح والتعديل في توثيقهم؛ فقد قال فيه **ابن معين**: «صدوق الحديث»[2]، بل لقد ضعفه **أبو حاتم الرازي** بقوله: «لا بأس بحديثه»؛ أي لا يُحتج به[3].

وقال فيه **يعقوب بن شـيبة**: «ثقة صدوق»، وهو منه تضعيف له[4]، وقد قال الإمام

---

(1) قـال الإمـام ابن رجب في وصـف منهج أئمة الحديـث المتقدمين: «وأما أكثـر الحفاظ المتقدميـن فإنهم يقولون فـي الحديـث إذا تفرّد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافـه: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلـك علّة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشـتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يسـتنكرون بعض تفرّدات الثقات الكبار أيضًـا، ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه». (شـرح علل الترمذي، تحقيق: همام عبـد الرحيـم، الزرقاء: مكتبة المنـار، 1407هـ/ 1987م، 1/ 352)، وهذا هو مذهب يحيى القطـان وابن المديني وغيرهما..، فأحاديث كبار الثقات قد تردّ لنكارة المتن، فكيف بمن دونهم؟!

(2) الأصـل أنّ مصطلـح «صـدوق» من مراتب الجرح عند ابن معيـن، ولكن لما نقل الدارمي عن ابـن معين قوله فيه: «ثقـة»، كان الجمـع بين القولين أنه في أدنى مراتـب الثقات، وربما-أيضًا- ظهر لابن معيـن في آخر قوليه - وهو الـذي نـرى أنه الذي نقله عنه عباس بن الوليد الخلال- أنه ضعيف؛ إذ ظهـر له من حاله ما يدعو إلى تضعيفه، فقد كان مـن شـأن ابن معين توثيق من ظهر له حسـن حاله في أوّل الأمر، ثم هو بعد ذلـك يضعّفه لما يبدو له بعد ذلك غير ذلك.

(3) هذا اصطلاح خاص بأبي حاتم، فقد قال ابن أبي حاتم -مثلاً-: «سـألت أبي عن علي بن علي الرفاعي. قال: ليس بحديثه بأس. قلت: يُحتج بحديثه؟ قال: لا» (ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1271 هـ/ 1952 م، 6/ 169). وقـال أيضًا: في محمد بن سـليمان ابن الأصبهاني: «لا بأس به، يُكتب حديثه، ولا يُحتج به» (الجرح والتعديل، 7/ 268).

(4) هذا اصطلاح خاص بيعقوب بن شـيبة السدوسـي؛ فإنّـه إذا قرن عبارة «ثقة» بما «دونهـا» كـ«صدوق»، كان ذاك منه تضعيفًا للراوي، فقد قال مثلًا في محمد بن مسـلم بن تدرس: «ثقة صدوق، وإلى الضعف ما هو» (المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ/ 1992م، 26/ 408)، وقال في عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: «ضعيف الحديث، وهو ثقة صدوق، رجل صالح» (تهذيب الكمال، 17/ 106).

الذهبي في تفرّد الصدوق: «وإنَّ تفرّد الصدوق ومَن دونه يُعد منكرًا»[1].

ثانيًا: الحديث من رواية أبي سلام ممطور الحبشي، وقد سمع من كعب الأحبار المكثر من رواية الإسرائيليات. وسماع أبي سلام عن أبي أمامة أنكره **أبو حاتم**؛ إذ قال في المراسيل (812) **لابن أبي حاتم**: «ممطور أبو سلام الأعرج الحبشي الدمشقي، روى عن ثوبان والنعمان بن بشير وأبي أمامة وعمرو بن عبسة: مرسل». ويُشكل على ذلك تصريح أبو سلام بالسماع هنا. وربّما كان نقل السماع وهمًا من الرواة، والحديث بذلك مرسل، أو هو من خبر كعب الأحبار، والإرسال هنا يحتاج إلى بحث على كلّ حال، خاصة أنّه - كما يقول **الذهبي**- غالب مرويات أبي سلام مرسلة؛ ولذلك ما أخرج له **البخاري**![2]

ثالثًا: وأمّا متنًا، فالحديث مخالف - مفهومًا - لما ذكره **ابن حزم** من حديث مما هو في أعلى درجات الصحّة (**في البخاري ومسلم**).

رابعًا: الحديث مخالف لصريح القرآن في بيان كثرة الأمم بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، كقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾، [الفرقان:37-38]، فهل يصحّ أن يُقال بكثرة الأمم بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، والعدد لا يتجاوز السبعة في أفضل حال، بعد حذف قوم عاد وثمود وأصحاب الرس؟! فما القلّة في لغة العرب، إذا كانت هذه هي الكثرة؟! ورحم الله **الخطيب البغدادي** (توفي 463هـ) إذ قال: «ولا يُقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنّة المعلومة... وكلّ دليل مقطوع به»[3].

فكيف بروايةِ المتأخّر -المختلَف في ضبطه- روايةً تخالف العقل والنقل بيقين!

---

(1) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 3/ 140-141.

(2) الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة وأحمد الخطيب (جدة: دار القبلة، 1413هـ/ 1992م)، 1/ 293 (5623).

(3) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ/ 1988م، ص432.

خامسًا: صحّ - في المقابل- عن ابن عبّاس - الصحابي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- موقوفًا عند **الطبري والحاكم**- قوله: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق». ولم يرفعه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إلى الرسول ﷺ، وإنّما هو من قوله. وهذا من الأخبار المأخوذة عن أهل الكتاب (الإسرائيليات)؛ فإنّ ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان - كما هو معلوم-كثير النقل عنهم. وقد جاء النص في التوراة، في الفصل الخامس من سفر التكوين، أنّ بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون. كما نصّ اليهود في «التلمود» (אבות2 / 5) على هذا العدد من الأجيال بين آدم ونوح عليهما السلام. وجاء النص في «التلمود» مباشرة بعد الموضع السابق ذكره منه (אבות 3 / 5) أنّ بين نوح وإبراهيم - عليهما السلام- عشرة قرون، وهو أمر مستنبط من التوراة، سفر التكوين، الفصل 11/ 10-26، والمقصود «بالجيل» هنا هو المسافة بين عصر الآباء وعصر الأبناء الذين من أصلابهم. وذاك هو مصدر رواية ابن عباس بيقين، وإن كان قد أخذه مشافهة عن أهل الكتاب، أو- الراجح- مسلمة أهل الكتاب، فقد كان اليهود قديمًا يعتنون عناية بالغة بالأنساب المزعومة في التوراة.

الاعتراض الرابع: القرآن ينفي إمكان العلم بأصل السماوات والأرض

القرآن ينفي -ضرورةً- إمكان العلم بنشأة السماوات والأرض؛ فقد جاء فيه: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾(الكهف/ 51). والعلم الحديث يشهد بإمكان العلم بهذه النشأة.

الجواب:

أولاً: الآية تُفهم في سياقها، وسياقها ليس في إمكان العلم بخلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ

عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾(الكهف/ 50-52).

فالحديث في الآية هو في حضور إبليس ومن معه خلق السماوات والأرض مشاركة لله -سبحانه- في خلقه؛ فالله سبحانه لم يتّخذهم عضدًا، وما كانوا له في الخلق شركاء. قال الإمام **الطبري**: «يقول عز ذكره: ما أشهدت إبليس وذريته (خلق السماوات والأرض) يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها (ولا خلق أنفسهم) يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم ، فأستعين به على خلقه ، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم»[1].

ثانيا: القرآن يدعو إلى السعي في الأرض للعلم بأصل السماوات الأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ (العنكبوت/ 20)، قال التابعي قتادة السدوسي: «﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾: خلق السموات والأرض»[2].

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 15/ 294.
(2) المصدر السابق، 18/ 377.

الفصل الثاني
شكل الكون بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية لشكل الكون حتى عصر البعثة النبوية

اهتمّت البشـرية منذ قديم الزمان بمعرفة شكل الكون؛ فلم يكتفِ الإنسان بما يراه من بسـط الأرض وعلو السـماء وأنـوار النجوم والكواكب، وإنّما سـعى -من خلال ملكة الخيال المحض أو الأسطورة الدينية- إلى أن يرسم الأبعاد الكبرى لهذا الكون وحجـم أجرامه، وتفاعل أفـراده. وقد كان العامل الأسـطوري مهيمنًـا على التصور الكوني الكبروي حتّى إنّه شاع تأليه الأجرام العلوية، خاصة الشمس والقمر والزهرة.

كان دخول الثقافة اليونانية ساحة الموروث المعرفي البشري أهم مساهمة إيجابية للخروج مـن الطور الخرافي لعلمَي الفلك والكوسـمولوجيا، وذلـك بمحاولة فهم النسـيج الكوني مـن خلال ملاحظة حركة الأجـرام. وكان لليونان في ذلك كشـوف مهمّة، خاصة معرفة شكل الأرض ودراسة ظاهرة خسوف القمر.

كان التـراث العلمـي **لأرسـطو وبطليموس** أعظم المسـاهمات العلميـة في فهم صورة الكـون، لكن لم يتبنّ أهل الكتاب ما خالفا فيه ظواهر الكتاب المقدس؛ ليبقى التصـور الكوني النصراني حتّى عصر البعثة النبوية قائمًا على ظواهر نصوص الكتاب المقدس، فيما لم يستطع الأحبار في التلمود الانفكاك عن التراث البابلي الذي شكّل المعين العلمي الحقيقي للأسفار المقدسة.

صورة الكون في الشعر العربي الجاهلي لا تتميّز بشيء ذي بال عن عامة التصورات الساذجة للأمم القديمة، وهي مشابهة بصورة كبيرة لمعتقدات أهل الكتاب. وقد جاء القرآن فخالف الجاهليين والكتابيين، ووافق صحيح العلم الحديث.

والباحـث عن التصّـور الكوني النصرانـي في أقـرب الحواضـر النصرانية لمكّة والمدينة، سـيجده في كتابات النصارى السـريان. وكما يقول **جـون .ل. درايـر**[1] فإنّ آباء الكنيسـة السريان كانوا متشـددين في التفسير الحرفي للكتب المقدّسة، وما كانوا

---

(1) جون ل. درايـر (1852-1926) John L. Dreyer: عالم فلك دنماركي-إيرلندي معروف. له اهتمام خاص بتاريخ علم الفلك من زمن اليونان إلى عصره.

يسمعون لأي تصوّر كوني خارج سفر التكوين[1].

ويخبرنا **بريوشـينكين** عن حال النصارى قبل قرن أو عقود من البعثة النبوية بقوله: «لـم تعترف المسـيحيّة من الإرث الإغريقي القديم كلّـه إلا بتلك التعاليم التي كانت قريبة من روح أيديولوجيتها...

وفي القرن السادس تشكّلت أيضًا المدرسة الأنطاكية للتصورات الكوسموجونية، والجغرافية، والفلسـفية عن الكون. وتلخصت المبادئ الكوسـموجونية الأساسـية لهذه المدرسـة في اعترافها بأنّ الأرض مسطّحة تنبسط فوقها السماء الصلبة المقبّبة، وأنّه ثمّة سماوات تتحبس المياه العلوية بينها، وأنّ هناك محيطًا واحدًا»[2].

فـي تلك البيئة العلميّة ظهر الخبر القرآني عن الكون وشـكله، وقد تعدد الحديث القرآنـي عن هذا الأمر فـي آيات كثيرة جدًا؛ بمـا يمنح القارئ تصورًا مدركًا لشـكل الوجـود المادي، وإن كانت النصوص لا تنزع في عامة الأحوال إلى التفصيل الصادم لعقل عرب القرن السابع.

موضوع شـكل الكـون -إذن- من أعظم مـا يُختبر فيه أمر صـدق الكتب الدينية؛ لسـلطان ثقافـة العصر التي تضطـر الخطاب الدينـي دائمًا إلى الخـوض في مباحث صـورة الأرض والسـماء؛ لتعلّق ذلك بالأمور الحياتية للناس، وما يسـتفز خواطرهم للتعبيـر عما يرونه من تحتهم وفوقهـم وما يحيط بهم مدّ آفـاق نظرهم؛ ولذلك فهذا الفصل وحده كاف لحسم كلّ نزاع في أمر ربانية القرآن والكتاب المقدس.

---

(1) J. L. Dreyer, "Medieval Cosmology", in Milton K. Munitz, ed. Theories of the universe: from Babylonian myth to modern science (Glencoe, Ill.: Free Press, 1957), p.118

(2) س. بريوشـينكين، أسـرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، تعريب: حسّان ميخائيل إسحق، دمشق: دار علاء الدين، 2006، ص 269.

المبحث الأول:
شكل الكون في الكتاب المقدس

بعد أن كفّ العقل النقدي يد الكنيسة عن احتكار الدراسات الدينية، خاصة تلك المتعلّقة بدراسة أصول الكتاب المقدس، أو ما يُعرف بالنقد الأعلى higher criticism والمهتم بأمور، منها أصول الوثيقة، فتحت الكشوف الأركيولوجية الباب للكشف عن الجذور البشريّة لكثير من أخبار الكتاب المقدس. وكانت أعظم المفاجآت انقشاع وهم أصالة التصوّر التوراتي لشكل الكون؛ فقد أثبتت الوثائق القديمة أنّ الكتاب المقدس -بعهديه- متشبّع بالخرافات العلميّة للأمم السالفة التي حاولت أن تفهم الكون وشكله بأدوات علميّة ضعيفة ومعيبة.

وقد رافقت فتوح الدراسات الأركيولوجية في الشرق الأوسط مفاجآت كثيرة لم يتوقعها أحد من الدارسين، وهي أنّ الألواح المطبوخة والنقوش المتناثرة تحفظ سرًا بقي دفينًا قرونًا طويلًا، وهو أنّ قصص التوراة في كثير من تفاصيلها لم تأت بأخبار طريفة، وإنّما هي أساطير الأوّلين التي تمتد جذورها في عروق الثقافات الوثنية السائدة.

ومن أعظم ما استبان في محفوظات الآثار القديمة ما كانت عليه حضارات الشرق الأوسط في أمر الصورة الكونية العلمية كما تظهر في الأشعار والقصص والترنيمات الدينية. وهي مشابهات بالغة الوضوح في دلالتها على وجود صلة قديمة كانت قائمة بين خرافات الأوّلين ودعاوى مؤلّفي أسفار الكتاب المقدس.

وفي قريب من ذلك قال أصحاب كتاب « The IVP Bible background commentary: Old Testament»: «صورة الكون الموصوفة هنا [سفر أيوب 26/ 6-11] **هي النظرة الكونية الشائعة في الشرق الأدنى القديم**. كانت السماء دائرة

(قبة؟) فوق قرص الأرض المستقر على المحيط البدائي. تحت المحيط البدائي كان العالم السفلي الذي هو تقريبًا صورة عاكسة للفضاء فوق الأرض. وهكذا، كان الكون بأكمله عبارة عن كرة هائلة، مقطوعة في الوسط بالأرض»[1].

وفصّل الناقد كايل **جرينوود**[2] الأمر؛ فقال: «نظرًا إلى أنّ بني إسرائيل القدماء تنفّسوا الجو الثقافي نفسه لمن يحاذونهم جغرافيًا، فلا عجب أن النظرة التوراتية للكون تحمل كثيرًا من القواسم المشتركة مع النظرة الأوسع للعالم في الشرق الأدنى. في الكتاب المقدس وفي الأدب القديم وفي الأيقونات في الشرق الأدنى، اعتُبرت الأرض قرصًا مسطحًا -لا كرة- مدعومة بأعمدة تأسيسية. كانت الأرض قطعة أرض صغيرة نسبيًا، تشير نقاط البوصلة الأربعة الخاصة بها إلى نهايات الأرض. شيول، أو مسكن الموتى، تقع تحت الأرض. كانت «أرض اللاعودة» هذه تقع في الطرف الآخر من الكون كالسماء. ثم فصلت السماوات إلى السماوات الدنيا والعلى من خلال قبة أو بناء يشبه الخيمة، يعرف بالجلد. في السماوات الدنيا كانت هناك الطيور والكواكب والنجوم. كانت السماوات العلوية محجوزة للآلهة والملائكة. كان المحيط الكوني بأكمله محاطًا بالبحار الكونية. تم تعليق البحار المذكورة أعلاه على السماء التي فيها نوافذ تهطل منها الأمطار. كانت البحار في الأسفل، والمعروفة أيضًا باسم العمق، مصدر الينابيع والآبار والأنهار والبحيرات. كانت البحار أيضًا مصدرًا للفوضى، أو على الأقل الفوضى المحتملة، التي يجب تقييد صلاحياتها. على الرغم من أن بعض التفاصيل تختلف بين مصر وبلاد ما بين النهرين وسوريا وإسرائيل، إلا أن هذه النظرة الكونية العامة تم تبنّيها في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم»[3].

---

(1) V. H. Matthews, M. W. Chavalas & J. H.Walton, The IVP Bible background commentary : Old Testament (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), p.505

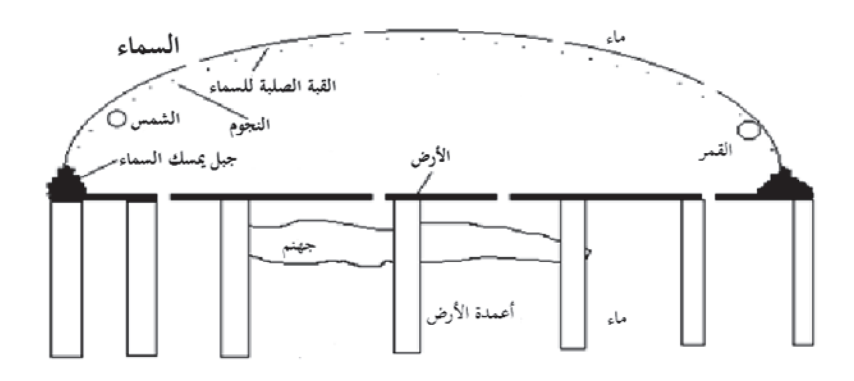
(2) كايل جرينوود Kyle Greenwood: ناقد أمريكي عمل أستاذًا للعهد القديم واللغة العبرية في جامعة Colorado Christian University، قبل أن ينتقل إلى التدريس في قسم العهد القديم في Denver Seminary.

(3) Kyle Greenwood, Scripture and Cosmology: Reading the Bible Between the Ancient World and Modern Science (Downers Grove, Ill.: IVP Academic, 2015), pp. 101-102

كثيرة هي -إذن- تفاصيل الصورة الكونية للأقدمين، والتي نجد صريح خبرها في الكتاب المقدس. والأمر يستدعي سردها، وبيان دقيق وصفها؛ حتى لا يكون خبرنا مجرّد دعوى بلا برهان. ومن أهمها:

- الأرض قرص منبسط.
- تعلو الأرض مباشرة قبة صلبة من الممكن رؤيتها بالعين نهارًا.
- فوق القبة ماء.
- الأرض قائمة على الماء.
- تقع جهنم تحت الأرض.
- الجبال على جانبي الأرض تحمل قبة السماء.
- تحت الأرض أعمدة تحملها...

صورة الكون كما في الكتاب المقدس



المثال الأول: الماء فوق قبة الأرض

تكوين 1/ 6-7: «وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلًا بين مياه ومياه، فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك».

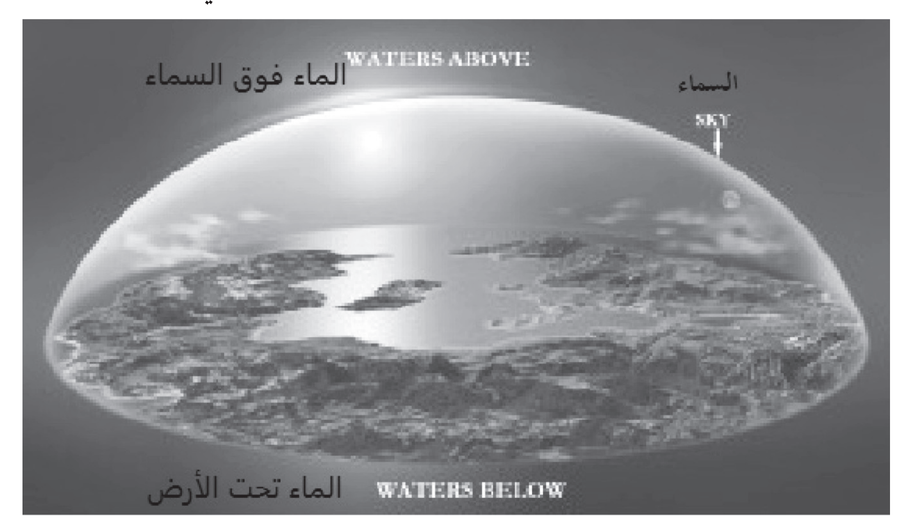
يخبرنا نص تكوين 1/ 6–7 أنّ الله قسّـم الماء الكونـي الأول إلى نصفين بحاجز مادي بينهما، وهو قبّة السماء؛ فصار فوق القبة جزء من الماء الأول وتحتها جزء آخر.

يقـول **جون. هـ. ولتـون** -: «يبدأ اليوم الثاني [من أيّـام الخلق] بفصلٍ آخر: فصلُ الميـاه التي فـوق عن الميـاه التي في الأسـفل. اعتقد الجميـع في العالـم القديم أن هنـاك مياهًا فـوق (بما أنّ هذه المياه تنـزل في بعض الأحيان) ومياهًـا تحتها (بما أنه يمكنـك الحفـر للبحث عن الماء، وحيـث توجد الينابيع تظهر الميـاه). لا يتم تقديم أي معلومات علمية جديدة هنا؛ يعكس النص الطرق التي يفكر بها كل فرد في العالم القديم بالكون»[1].

فكرة المياه التي فوق السماء متكررة في العهد القديم:

مزمور 104/ 3: «الْمُسَقِّفُ عَلاَلِيَهُ بِالْمِيَاهِ. الْجَاعِلُ السَّحَابَ مَرْكَبَتَهُ، الْمَاشِي عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ».

مزمور 148/ 4: «سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ».



(1) John H. Walton, The Lost World of Adam and Eve: Genesis 2–3 and the Human Origins Debate (Downers Grove: Intervarsity Press, 2015) p.36

المثال الثاني: الظلمة الأولى

تكوين 1/ 4-5: «ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلًا. وكان مساء وكان صباح يومًا واحدًا».

فصلُ الله -في بداية الخلق- بين النور والظلمة كاشفٌ أنّ مؤلّف سفر التكوين يجهل أنّ الظلمة لا تعدو أن تكون غيابًا للنور؛ ولذلك قال الناقد **ناحوم. م. سارنا**: «هنا يبدو أنّ الظلام ليس هو مجرد غياب للضوء، وإنّما هو كيان متميّز، أصله قد تُرِك غير واضح»[1].

المثال الثالث: الضوء الكوني

تكوين 1/ 3-5:

وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. **وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ**. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.	וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר וַיְהִי־אוֹר׃ וַיַּרְא אֱלֹהִים אֶת־הָאוֹר כִּי־טוֹב וַיַּבְדֵּל אֱלֹהִים בֵּין הָאוֹר וּבֵין הַחֹשֶׁךְ׃ וַיִּקְרָא אֱלֹהִים׀ לָאוֹר יוֹם וְלַחֹשֶׁךְ קָרָא לָיְלָה וַיְהִי־עֶרֶב וַיְהִי־בֹקֶר יוֹם אֶחָד׃

يقول الناقد **ناحوم. م. سارنا**: «يظهر مفهوم الضوء المستقل عن الشمس مرة أخرى في إشعياء 30/ 26 وأيوب 38/ 19-20. على الأغلب هذا التصوّر مستقى من الملاحظات البسيطة التي تشير إلى أن السماء مضاءة حتى في الأيام الغائمة عندما تُحجب الشمس، وأنّ النور يسبق ارتفاع الشمس»[2].

وأمّا اصحاب كتاب «The IVP Bible background commentary: Old Testament» فيقولون: «لم يعتقد أهل العالم القديم أنّ كل النور يأتي من الشمس.

(1) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.6

(2) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.7

لم يكن هناك علم بأن القمر يعكس ببساطة نور الشمس. علاوة على ذلك، لا يوجد أي تلميح في النص يشير إلى أنّ «نور النهار» سببه أشعة الشمس. كان يُنظر إلى كل من الشمس والقمر والنجوم كأشياء حاملة للنور، وضوء النهار من الممكن أن يكون موجودًا ولو كانت الشمس خلف سحابة أو كان هناك كسوف»[1].

وقد دلّ القرآن في أكثر من آية على ظلمة الكون، على خلاف الكتاب المقدس:

1 - قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحِجر:14-15]. وفي تفسير «سُكّرت» -بتشديد الكاف- قال ابن عباس وقتادة: منعت عن رؤية الحقيقة، من السِّكر، بكسر السين وهو الشد والحبس. وعن الضحاك: شدّت، وعن جوهر: جدعت، وعن مجاهد: حبست، وعن الكلبي: عميت، وعن أبي عمرو: غطيت، وعن قتادة: أخذت، وعن أبي عبيد: غشيت..[2]، فالصعود في السماء يعقبه كفّ البصر فلا يرى شيئًا بسبب الظلام الكوني.

ومن المثير هنا أنّ القرآن قد ذكر أنّ العروج إلى السماء يكون نهارًا؛ فإنّ الآية تقول «فظلوا»، ولم تقل «أمسوا» أو «باتوا». والأصل في عبارة «ظل» فعل الأمر نهارًا[3]. وذاك برهان أنّ قشرة الضياء على الأرض في النهار يعقبها مباشرة ظلام ليلي.

2 - يقول القرآن: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس:37]. فالظلام مهيمنٌ على الكون فوق القشرة المسلوخة من الضياء، كما سيأتي في حديثنا عن سلخ النهار.

3 - قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد:3]. فالليل يغشى النهار أي يغطّيه؛ ففوق كلّ نهار ليل يغطّيه.

---

(1) V. H. Matthew, et al., The IVP Bible background commentary, p.28

(2) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، 1420 هـ)، 6/ 470.

(3) المصدر السابق.

المثال الرابع: تأثير النجوم في أقدار الناس

القضــاة 5/ 19–20: «جَـاءَ مُلُوكٌ. حَارَبُـوا. حِينَئِذٍ حَارَبَ مُلُوكُ كَنْعَـانَ فِي تَعْنَكَ عَلَى مِيَاهِ مَجِدُّو. بِضْعَ فِضَّةٍ لَمْ يَأْخُذُوا. مِنَ السَّـمَاوَاتِ حَارَبُوا. الْكَوَاكِبُ مِنْ حُبُكِهَا حَارَبَتْ سِيسَرَا».

يعكس نص القضاة 5/ 19–20 التصورات البدائية الشائعة عند الأمم الوثنية في أنّ حركـة الكواكب ومواقعها في الكون تحدّد مصائر الناس من نجاح وانتصار وهزيمة، وهو ما يُعرف بعلم التنجيم Astrology، وهو محض دجل.

ويخبرنا التاريخ أنّ عامة الآلهة في تراث الشـرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط كانت ترتبط بالأجرام السـماوية (الكواكـب والنجوم والمذنبات). وقد كان يُعتقد أنّ هـذه الأجرام كانت أحيانًـا تغادر فلكها للانضمـام إلى المعارك البشـرية للنكاية في الأعـداء وإصابة البشـر والحيوانات بالجوائـح المهلكة. ومن ذلك إشـارة نصوص سـرجون في وقـت مبكر من نهاية الألفيـة الثالثة إلى تعتيم الشـمس وخروج النجوم لمحاربـة العـدو. كما تذكـر لوحة من زمـن تحتمـس الثالـث (1479–1425 ق م) مساعدة النجوم التي تلمع من السماء في التشويش على الأعداء[1].

حـاول **آدم كلارك**[2] –المفسّـر– الخـروج من الخرافة التي سـاقها سـفر القضاة 5/ 19–20؛ فقال: «جاءت ملائكة الله لمساعدة بني إسرائيل، «والْكَوَاكِبُ مِنْ حُبُكِهَا حَارَبَتْ سِيسَـرَا»، وذاك هو ربّما بعض العواصف الرعدية، أو غمر كبير من نهر قيشو حـدث، في ذلـك الوقت»[3]. ومعلوم ألا صلةَ مِن لغةٍ بيـن العواصف أو الفياضانات وحرب النجوم!

---

(1) Matthews, et al., The IVP Bible background commentary, p.252

(2) آدم كلارك (Adam Clarke (1760-1832: لاهوتـي وناقـد كتابـي بريطاني معروف. أشـهر أعماله تفسـيره للكتاب المقدس الذي بقي عمدة عند طائفته على مدى قرنين.

(3) Adam Clarke, The Holy Bible Containing the Old and New Testaments (B. Waugh and T. Mason, 1831), 2/25

ينفـي القرآن بصـورة قاطعة ما يُعـرف «بعلم التنجيم»؛ فقد جـاء الخبر عن أفلاك السـماء أنّهـا مخلوقـات للـه، خاضعـة بـلا سـلطان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 18]. وهي مسـخّرة لتدلّ بمواقعها على مسـير الناس في رحلاتهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)﴾ [الأنعام: 97]، وقال سـبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾ [النحل:16].

وجاء في الحديث تحريم اتخاذ النجوم وسـائط لمعرفة الغيب من أحوال الناس: «من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد»[(1)]؛ فالنجوم لا علاقة لها بأقدار الناس في باب الخبر والتأثير.

المثال الخامس: الأرض مسطحة

إنجيل متّى 4/ 8:

ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ **عَالٍ جِدًّا**، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا.	Πάλιν παραλαμβάνει αὐτὸν ὁ διάβολος εἰς ὄρος ὑψηλὸν λίαν καὶ δείκνυσιν αὐτῷ πάσας τὰς βασιλείας τοῦ κόσμου καὶ τὴν δόξαν αὐτῶν

يزعـم مؤلّف إنجيل متّى أنّ إبليس قد أخذ المسـيحَ إلى جبـل[(2)] عال جدًا تطل قمّته على جميع الأرض. وهذا نظريًا محال إلا أن تكون الأرض مسطّحة . والجانب الحرفي في هذه القصّة التي يذكرها صاحب الإنجيل واضح من السـياق، وغياب قرائن المجاز، واسـتعمال عبـارة «عالٍ جدًا» «υψηλον λιαν» [هوبسـيلون ليان] فـي الدلالة على أنّ

(1) رواه أبـو داود، كتـاب الطـب، بـاب فـي النجـوم، (ح/ 3905)، وابـن ماجـه، كتـاب الأدب، باب تعلـم النجوم، (ح/ 3326)، وصحّحه الحافظ العراقي.

(2) يبـدو أنّ مؤلّـف إنجيـل لوقا قد انتبه إلى نكارة ما أورده مؤلّف إنجيل متّى من وجـود جبل يطلّ على جميع العالم؛ ولذلـك حـذف ذكر الجبل، واكتفى بالقول إنّ المسـيح قـد «أُصعد» «αναγαγων»، لكنّه لم يسـتطع أن يفلت من الخطـأ العلمـي في تصوّر وجـود مكان من الممكن أن تطلّ منـه على جميع البلاد المسـكونة. وقد وقع في الزلل العلمـي رغم أنّه قد ضيّق العـرض البصري من «ممالك العالـم» «τας βασιλειας του κοσμου» (متّى 4/ 8) إلى «الممالك التي يسكنها البشر» «τας βασιλειας της οικουμενης» (لوقا 4/ 5).. !!

المقصود هو العلو المادي الحقيقي الذي يمكّن صاحبه من أن يطلّ على جميع الأرض!

ونقرأ في سفر دانيال 4/ 10-11: «وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي: رأيت وإذا بشجرة منتصبة في وسط الأرض ذات ارتفاع عظيم،وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض».

وهذه الرؤيا، وإن كانت منامًا، إلا أنّها تعكس التصوّر القديم القائل إنّ الإنسان لو ارتفع فوق الأرض كثيرًا؛ فسيرى كلّ اليابسة؛ لأنّ الأرض قرص مسطّح.

وقد صرح الكتاب المقدس أن للأرض أركانًا أربعة، بما يمنع تصوّر كرويتها:

«وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة **أطراف** الأرض» (إشعياء 11/ 12) .. ثبوت الأطراف الأربعة؛ يثبت هندسيًا الزوايا الأربع![1]

«وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض، ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما». (الرؤيا 7/ 1).

«فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوج ومأجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدًا كرمل البحر!» (رؤيا 20/ 8).

ولا يُستساغ أن نؤوّل الحديث هنا أنّه يشير -كما يقول الدفاعيون النصارى- إلى الجهات الأربع؛ لأنّ:

أ- تصوّر أنّ للأرض أطرافًا كان هو المعروف والمقبول بين العامة، واليهود خاصة. وقد علّق الناقد **ويليام باركلي** على نص الرؤيا 7/ 1-3 بقوله: «عُبِّر عن هذه الرؤيا بأفكار عن الكون كانت شائعة في الزمن الذي كان يوحنا يكتب فيه. الأرض مربّعة، ومنبسطة، وفي زواياها الأربع، أربعة ملائكة ينتظرون لإطلاق ريح الهلاك. يتحدّث إشعياء عن جمع مشتتي يهوذا من الزوايا الأربع للأرض (إشعياء 11/ 12). حلّت النهاية بالزوايا الأربع للأرض (حزقيال 7/ 2)»[2].

---

(1) اختارت كثير من الترجمات الإنجليزية كلمة corners زوايا كـ: The King James Version و-The English Standard Version و The Darby Translation و The American Standard Version وThe Amplified Bible، وهو نفس ما اختارته الترجمة الفرنسية La Bible de Semeur باعتمادها كلمة: coins ...

(2) William Barclay, The Revelation of John (Philadelphia, Westminster Press, 1976) 2/21-22

ويؤكـد **جون كورت**[1] التصور السـابق الذي كان يحكم عقل كاتب سـفر الرؤيا، بقوله: «افتراض أن للعالم أربع زوايا، وأنه بالإمكان إسـناده كالطاولة برجل أو عمود من كلّ زاوية، كان أمرًا شائعًا في الكوسمولوجيا التقليديّة»[2].

ب – قال **غرنفيل. س. هنري**[3] في الردّ على زعم اعتذاريي الكنيسـة أنّ الحديث هنـا هو عـن الجهات الأربع: «اسـتُعمِلت عبارة «الزوايا الأربـع» 14 مرة في مواضع أخرى من الكتاب المقدس، وكلها تشير إلى أشكال مستطيلة الشكل: طاولة (الخروج 25/ 26، 37/ 13)، ومذبـح مربـع (خـروج 27/ 1–2، 38/ 1–2، حزقيـال 43/ 20، 45/ 19)، وشـبكة من نحاس لهـا أربعة أطراف (خـروج 27/ 4 و38/ 5)، وثوب أو قماش (تثنية 22/ 12، أعمال الرسـل 10/ 11، 11/ 5) وبيت (أيوب 1/ 19) وسـاحة (حزقيال 46/ 21–22). لا توجد أيّة إشـارة إلى الجهات الأربع: الشـمال والجنوب والشرق والغرب بربطها من ناحية التوظيف بعبارة «الزوايا الأربع».

إذا اسـتعملنا المبدأ التفسيري القائل إنّ الكتاب المقدس يفسّر الكتاب المقدس؛ فسـيبدو واضحًا أنّ جملة: «الزوايا الأربع للأرض» تشـير إلى أرض منبسطة لها أربع زوايا، قَطعًا ليست كرويّة»[4].

ت – اختـارت عامة التراجم الإنجليزية معنى الركـن والحد دون الجهة، رغم أنّ كثيـرًا من القائمين على هذه التراجم هم من النصارى، وبعضهم من الأصوليين. وقد اختـارت ترجمة الفولجاتا اللاتينيّة اعتماد كلمة «angulos» في رؤيا 7/ 1، ومن هذه الكلمة اللاتينيّة اشتُقت الكلمة الإنجليزية/ والفرنسيّة: «angle» بمعنى: «زاوية».

ووصـفُ الأرض أنّها ذات أربعـة أركان معروف في الحضـارات القديمة، ومنها مـا كان فـي الأدب الأكادي؛ ومن ذلك وصف الملك الآشـوري توكولتي نينورتا أنّه «ملك الأركان الأربعة»[5].

(1) جون كورت John Court: محاضر سابق في اللاهوت والدراسات الدينيّة ورئيس قسم في جامعة كنت بكنتربري.

(2) John Court, The Book of Revelation and the Johannine Apocalyptic Tradition (Sheffield : Sheffield Academic Press, 2000), p.161

(3) غرنفيل س. هنري Granville C. Henry: أستاذ الرياضيات والفلسفة في كليّة كلارمونت ماك كنا.

(4) Granville C. Henry, Christianity and the Image of Science (Georgia: Smyth & Helwys Publishing, 1998), p.18

(5) Albert Grayson, Assyrian Royal Inscriptions (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1972), p.105

ولأجل ما سبق قال القس حنّا جرجس الخضري عن كَتَبة أسفار الكتاب المقدس: «إنّ هؤلاء استعملوا أسلوبهم البشري؛ لأنّهم تحدّثوا إلى بشر وكان عليهم أيضًا أن يستخدموا ليس فقط أسلوبًا بشريًا واضحًا بل كان عليهم أيضًا أن يستخدموا المفاهيم السائدة والمعروفة والمتّفق عليها بأنّها صحيحة في ذلك الوقت، علميًا وجغرافيًا حتّى ولو كانت غير صحيحة. ومن هنا تظهر مشكلة عدم اتّفاق العلم والكتاب المقدس في بعض النواحي، فالكتاب المقدس يعلّم مثلًا بأنّ الأرض منبسطة مسطّحة وليست كروية (أيوب 9/ 8 و26/ 9، إش 42/ 5، 51/ 13، مز 136/ 6، زكر 12/ 1). والعلم ينادي بأنّ الأرض كروية. وهناك أمثال (كذا) كثيرة أخرى تظهر بعض الاختلافات بين الكتاب المقدس والعلم».[1]

عارضت الكنيسة الأولى بشدّة القول بكروية الأرض؛ وكان أبرز معبّر عن مذهبها الكتاب الذي ألّفه **لاكتانتيوس**[2] في بداية القرن الرابع: «المؤسسات الإلهيّة» «Divinarum Institutionum» حيث أدان في الفصل الثالث منه الذي عنون له بـ: «حول الحكمة الباطلة للفلاسفة» الاعتقادات الهرطقيّة والباطلة للوثنيين الرومان-اليونانيين. ومن هذه الاعتقادات: القول بكروية الأرض. وقد سخر فيه من التصوّر القائل إنّ هناك بشرًا على الجانب الآخر من الأرض يعيشون مقلوبين[3]، وبقي كلامه فاعلاً في الذهنيّة الأوروبية قرونًا؛ حتى إنّ **كوبرنيكس وجاليليو** قد اضطرا إلى ذكر اسمه وإدانته، مع الاعتراف أنّه كاتب مشهور[4]! وقد سبق لقديس الكنيسة **أوغسطين** في كتابه «De Doctrina Christiana» أن مدح **لاكتانتيوس** واصفًا إياه أنّه من الرجال المؤمنين[5]؛ ممّا ينفي عنه التهمة بأنه شاذ عن خطّ الكنيسة!

وألّف الراهب **كوزما إينديكوبليف**[6] السكندري -لمّا كان في دير من أديرة سيناء

(1) حنا جرجس الخضري، جون كلفن، دراسات تاريخية عقائدية، القاهرة: دار الثقافة، ، ص151.

(2) لاكتانتيوس Lactantius (330م - 260م): كاتب نصراني، كان وثنياً ثم تنصّر. تولّى وظيفة تعليم ابن الإمبراطور قسطنطين.

(3) See Pierre Gassendi and Olivier Thill, The Life of Copernicus (Fairfax, VA : Xulon Press, 2002), p.210

(4) Ibid

(5) See Augustine, On Christian Doctrine, in Nicene and Post-Nicene Fathers, 2 /554

(6) كوزما إينديكوبليف (550م) Cosmas Indicopleustes : رحّالة، يعني اسمه : المبحر إلى الهند. كان نصرانيًا نسطوريًا. استوطن الإسكندرية.

في القرن السادس - كتابه: «الطبوغرافيا المسيحيّة»[1]، وهو أشهر كتاب كنسي على الإطلاق في تفصيل طبوغرافيا العالم حسب الفهم الحرفي للكتاب المقدس. وشنّع فيه على القول بكروية الأرض الذي يخالف نصوص الكتاب المقدس.

يقول س. **بريوشينكين** في رسالة كتاب «الطبوغرافيا المسيحيّة» وأثره: «كان من ألمع ممثلي [المدرسة الأنطاكية] كوزما إينديكوبليف الذي كتب في «الطبوغرافيا المسيحية» التي وضعت في العام 535م أنّ الكون عبارة عن «صندوق»، وأنّ السماء تستند على أربعة جدران، وأنّ الأرض تستقرّ في الداخل مع جبل عظيم، ويحيط بها المحيط من الجهات كلّها. وقد لاقت «الطبوغرافيا المسيحيّة» انتشارًا عريضًا جدًا في أوساط القرّاء بفضل الرسومات المنمنمة الجميلة التي زودت بها، والقصص الصادقة البديعة التي رواها المؤلّف عن البلدان التي رآها بنفسه»[2].

شكل الكون كما رسمه كوزما إينديكوبليف:

الكون في علبة، والأرض في شكل مربع، والشمس تشرق وتغيب على جانبي الجبل



(1) ترجمه إلى الإنجليزيّة ونشره محققًا الباحث ج. و. ماك كرندل J. W. McCrindle تحت عنوان: The Christian Topography of Cosmas, An Egyptian Monk» في قرابة أربعمائة صفحة.

(2) أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ص 270.

وقد شنّع قديس الكنيسة يوحنا ذهبي الفم في تعليقه على الرسالة إلى العبرانيين 8/ 1 على القائلين بكروية الأرض، بقوله: «أين هؤلاء الذين يقولون إنّ السماء تدور من حولنا؟ أين هؤلاء الذين يعلنون أنّها كروية؟ **هاتان الفكرتان قد هزمتا هاهنا!**» «Ποῦ τοίνυν εἰσὶν οἱ λέγοντες δινεῖσθαι τὸν οὐρανόν; ποῦ εἰσιν οἱ σφαιροειδῆ αὐτὸν εἶναι ἀποφαινόμενοι; ἀμφότερα γὰρ ταῦτα ἀνῄρηται ἐνταῦθα»[1].

وهو نفس ما قرره الأسقف **سفريان**[2] الذي كان من المقرّبين من يوحنا ذهبي الفم، ومحلّ ثقته في كتابه: «ستة خطب عن خلق العالم»، في تفسيره الحرفي لما جاء في سفر التكوين. فقد كتب أنّ الأرض منبسطة، ولا تمرّ الشمس تحتها في الليل، وإنّما تسافر عبر الأجزاء الشماليّة «كأنّها مخفية بجدار»، واستدلّ بنصوص كثيرة من العهد القديم انتصارًا لقوله[3].

وانتصر **ديودوريس** – أسقف طرطوس في القرن الرابع –أيضًا إلى ردّ القول بكرويّة الأرض[4]، وهو أيضًا ما أعلنه **تيودور** المفسّر الأنطاكي أسقف Mopsuestia في بداية القرن الخامس![5]

ومن بين الآباء السريان،كان أفرام – أكبر الآباء وأهم المفسّرين السريان للكتاب المقدس– قاطعًا في رده الحازم على القول بكروية الأرض[6].

كما جاء التصريح بأنّ الأرض مسطّحة في الكتاب الأبوكريفي سفر أخنوخ الأول

---

(1) John Chrysostom, 'Homily xiv on Hebrews,' in Nicene and Post-Nicene Fathers (New York: The Christian Literature Company, 1890), 14/433

(2) سفريان (408) Severian of Gabala: خطيب نصراني شهير في القسطنطينية. له اهتمام بالمواعظ والتفسير.

(3) See Milton K. Munitz, ed. Theories of the Universe: From Babylonian Myth to Modern Science, p.119

(4) Ibid

(5) Ibid

(6) See Andrew Dickson White, A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom (New York: D. Appleton, 1896), 1 /92

(الفصــول 71–82)[1]، مع العلم أنّ العهد الجديد قد اقتبس من هذا السـفر (رسـالة يهوذا 14–15)[2]، وعدّه **ترتليان** سـفرًا مقدسًا[3]. وكان اقتباس رسالة يهوذا منه وجهًا من أوجه ما احتجّ به **ترتليان** لأصالته[4]، كما اقتبست منه رسالة برنابا[5] مرتين باعتباره سفرًا مقدسًا[6]، وعدّه **كلمنت** السكندري[7] أيضًا وحيًا إلهيًا[8].

وألّـف جون **أنطـوان لترون**[9] مقالته الشـهيرة: «حـول آراء آباء الكنيسـة في علم أوصاف الكون»[10]، وفيها بيّن شـيوع القول بأنّ الأرض منبسطة غير مكوّرة في زمن الآباء وبينهم. وهو المذهب الذي كان عليه عدد من أئمة فلاسـفة اليونان وعلمائهم، ومنهـم **أناكسِـمين**[11] الـذي قال إنّ الأرض قرص بالغ التسـطيح يطفـو على محيط محدود، وكل ذلك محفوظ في الفضاء على وسادة من الهواء.

---

(1) انظر في تفصيل كوسـمولوجيا سـفر أخنوخ الأول، ودلالتها على تسطيح الأرض: David Presutta, The Biblical Cosmos Versus Modern Cosmology, Why the Bible Is Not the Word of God, pp.280-298, Zen Garcia, (Flat Earth as Key to Decrypt the Book of Enoch (Lulu Com, 2016

(2) «عن هؤلاء وأمثالهم تنبأ أخنوخ السـابع بعد آدم، فقال: «انظروا إن الرب آت بصحبة عشـرات الألوف من قديسيه، ليديـن جميـع الناس، ويوبخ جميع الأشـرار الذين لا يهابون الله، بسـبب جميع أعمالهم الشـريرة التي ارتكبوها وجميع أقوالهم القاسية التي أهانوه بها والتي لا تصدر إلا عن الخاطئين الأشرار غير الأتقياء!» (يهوذا 14–15).
وقد كشـفت الباحثة إليزابث كلار بروفت، في قائمة طويلة، المشـابهات بين سـفر أخنوخ وأسـفار العهد الجديد Elisabeth Clare Prophet, Fallen Angels and the Origins of Evil: Why Church Fathers Surpressed the) (Book of Enoch and Its Startling Revelations, pp. 263-293

(3) Robert Henry Charles, The Book of Enoch (New York: Dover Publications, Inc., 2007), pp.38-39

(4) See Tertullian, 'On the Apparel of Women,' in Ante-Nicene Fathers 4/14

(5) رسـالة برنابا: رسالة تنسـب إلى برنابا (وهي غير ما يُعرف بإنجيل برنابا)، كان كلمنت السكندري ومجموعات من النصارى الأوائل يرونها مقدّسة، وهي موجودة في المخطوطة السينائية (انظر William Cunningham, A Disser- (tation on the Epistle of S. Barnabas, pp.lxiii–lxxiv

(6) المصدر السابق، ص 38.

(7) المصدر السابق، ص39 .

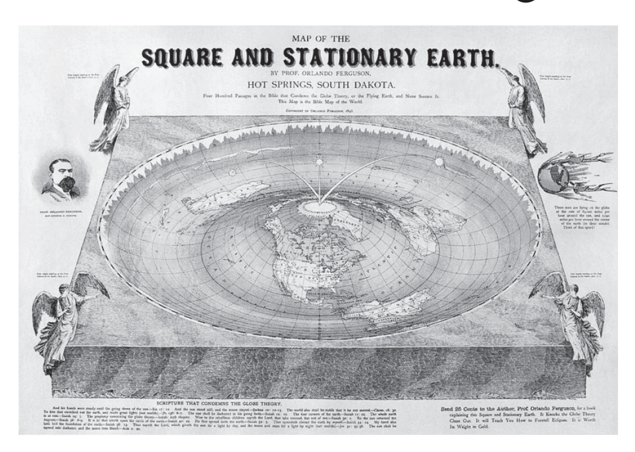
(8) See Adumb. In Ep. Judea

(9) جون أنطوان لترون (1787–1848) Jean–Antoine Letronne: أركيولوجي وعالم لغة يونانية قديمة، فرنسي.

(10) Jean-Antoine Letronne, 'Des Opinions Cosmographiques des Pères de L'Eglise,' in Revue des Deux Mondes, 1834, t.i. p.632

(11) أناكسِمين(585-525 ق م) Ἀναξιμένης: فيلسوف يوناني. آخر تلاميذ المدرسة الميليسية التي أسّسها طاليس.

صورة للأرض رسمها Orlando Ferguson سنة 1893
مع إحالات إلى نصوص الكتاب المقدس



ورغـم أنّ القول بكرويــة الأرض كان معروفًا عند طائفة من كبار فلاســفة اليونان **كأفلاطون وأرسـطو**؛ إلاّ أنّ القائلين بكروية الأرض من النصارى –وهم قلّة شــاذة– في القرون الأولى، لم يجدوا دليلًا لمذهبهم من الكتاب المقدس[1].

(1) لا يكاد يوجد قول محكم لأحد أعلام الكنيسة في القرون الستة الأولى (قرون الآباء عند الكنيسة الأرثوذكسيّة هي الســتة الأولى) في الانتصار لكروية الأرض. نُسِب القول بكروية الأرض إلى قديس الكنيسة أوغسطين. وهو أمر لا يفيد دعوى النصارى في شــيء: (1) اعترف أوغســطين أن أمر تحديد شــكل الكون مرتبط بالمعرفة البشريّة لا بنصــوص الكتــاب المقدس (انظر؛ Louis M. Bishop, 'The Myth of the Flat Earth,' in Stephen J. Harris and Bryon Lee Grigsby eds. Misconceptions About the Middle Ages, New York: Routledge, 2008, p.97)

(2) أثبت ليو س. فرّاري Leo C. Ferrari في مقاله: « Cosmography » ضمن الموســوعة المتخصصة في دراســة فكــر (أوغســطين): Augustine Through the Ages: An Encyclopedia، ص 246 أن أوغســطين كان يــرى أن الأرض مســطّحة غير مكوّرة، وأن الشــمس تتحرّك فوقها على شكل دوائر أفقيّة. كما نُسِب القول بكروية الأرض إلى أمبروســيوس وهو (1) كما هو ظاهر من أســلوب أمبروســيوس في عرض هذه المسألة، من قبيل الترجيح لا الجــزم. وذاك ظاهر من تهوينه من البحث في هذه المســألة وتحديد شــكل الكــون (2) (Hexaem. 1. 6) لم يربط أمبروســيوس بين هــذا التصور وما جاء في الكتاب المقدس! ونُســب القول بكروية الأرض إلى إزيدور أســقف ســفيل (إشبيلية لاحقًا)، وقد توفي بعد أربع ســنوات من وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّ الأمر في فهم عبارته محلّ خلاف بين النقاد لأنّ عبارته تحتمل القول بأنّ الأرض مســطّحة؛ فقد شــبّه الأرض بعجلة، في تكرار لتشــبيه أنكســمندر السابق له، والذي آمن أنّ الأرض قرص مسطّح (Jonathan Lyons, The House of Wisdom, New York : Bloomsbury, 2009, pp. 34–35).

ويتشــبّث بعضهــم بكلام يوحنا فيلوبُنوس (النحوي) John Philoponus فــي كروية الأرض. وقد توفي يوحنا قبل ميلاد الرســول صلّى الله عليه وســلم بســنة أو ســنتين. وعاش في الإســكندرية بعيدًا عن الجزيرة العربية، وكانت أفكاره اللاهوتية محل مخالفة من معاصريه ومن تلاهم، حتّى إنه قد أُدين بالهرطقة من طرف كثير من النصارى في زمانه وبعده، وصدر قرار بلعنه في مجمع القســطنطينية الثالث (680–681م). فهو إذن متأخر زمنًا، ومهرطق من الناحية اللاهوتية؛ بما يمنع أن يُعتبر مذهبه في كروية الأرض حجّة على ذيوعه بين النصارى.

التلمود البابلي يقرر أن الأرض مسطحة: جاء في التلمود البابلي: «يقول حكماء إسرائيل إنّه خلال النهار تسافر الشمس تحت قبّة السماء، وفي الليل تسافر فوق قبّة السماء. ويقول الحكماء الأمميون [غير اليهود]: أثناء النهار تسافر الشمس تحت قبّة السماء وفي الليل تحت الأرض. قال الحاخام [يهوذا هاناسي[1]]: إن نظرتهم منطقية أكثر من نظرتنا؛ إذ إنّه خلال النهار تكون الينابيع باردة، وفي الليل دافئة»[2].

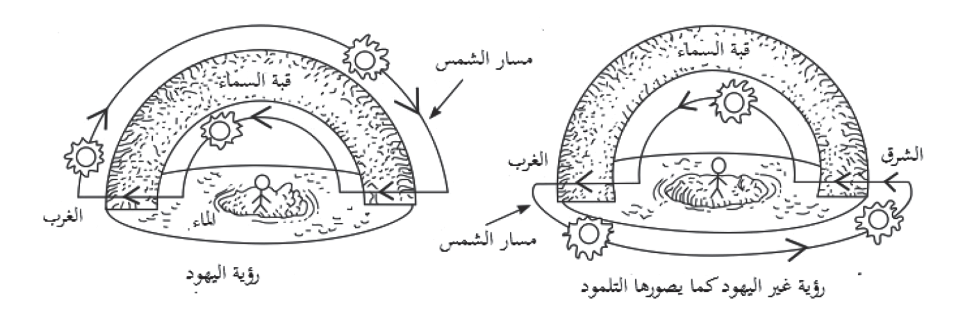
يُخبر نصّ التلمود أنّ حكماء اليهود كانوا يرون الأرض مسطّحة، وأنّ الشمس تظهر تحت قبّة السماء نهارًا، ثم تعبر إلى الضفة الأخرى من وراء القبّة. فيما اعتبر علماء غير اليهود أنّ الشمس تمرّ تحت قبّة السماء نهارًا، ثم تعبر إلى جهة الشروق من تحت الأرض.

موقف علماء يهود واضح في تصوّرهم أنّ الأرض لا يمكن أن تكون كرويّة لأنّ الشمس تشرق على كلّ الأرض مرّة واحدة، ثم تختفي عن الأرض كل لتعبر إلى جهة الشروق من جهة المشرق، وهو ما لا يستقيم في حال كانت الأرض كرويّة؛ إذ إنّ الشمس تكون مشرقة على الأرض كاملة دون انقطاع، وإن كانت تتحرك في إشراقها على الأرض.

وقد مدح الحاخام يهوذا **هاناسي** مذهب غير اليهود الذي يرى أنّ الشمس تمرّ تحت الأرض. وهو مذهب يقرّر أنّ الأرض مسطّحة وليست كرويّة؛ إذ إنّه يفسّر لماذا تكون المياه دافئة ليلًا بالقول إنّ الشمس تسطع على الماء من تحت؛ فالأرض قائمة على الماء.

ومن أهم ما يثير الذهن في النص السابق أنّ اليهود في التلمود البابلي لم يفهموا أقوال اليونان أنّ الأرض كرة؛ إذ يظهر أنّهم ظنّوا أنّ دوران الشمس حول الأرض عند اليونان معناه أنّ الأرض مسطّحة، وأنّ الشمس تختفي تحتها ليلًا، لا أنها تشرق على غير القوم الذين تشرق عليهم نهارًا.

(1) يهوذا هاناسي יהודה הנשיא Yehudah HaNasi (؟– 217): حبر يهودي شهير أشرف على تحرير المشنا.
(2) Babylonian Talmud, Pesachim 94b



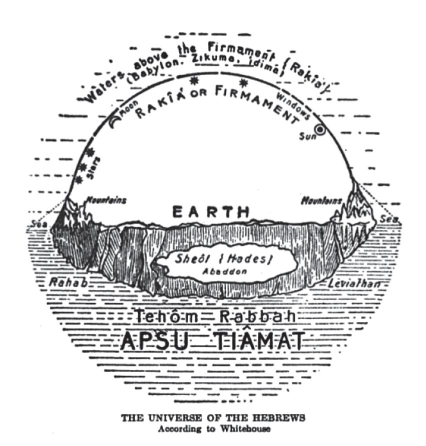
ويُعتبـر القول الإسـلامي بكرويـة الأرض مصدر تحوّل كثير مـن اليهود إلى ترك القول بتسـطيح الأرض إلى كرويتها؛ وهو ما اعترفت به الموسوعة اليهودية المعروفة האנציקלופדיה העברית فـي مقالها «جغرافيا»، بقولهـا: «**كان الرأي الأعلى بين الحكمـاء اليهـود حتى النصـف الثاني من القرن العاشـر يتمثّل فـي أنّ الأرض دائريّة ومسـطحة** [مثل عملة معدنية] محاطة بمياه المحيط وعائمة على السـطح مثل قارب على البحر (مدراش[1] برقي دي ربي إليعازر، الفصل 5 [من القرنين 8 – 9] ومدراش كونن [من القرن العاشـر]). **وصلت معرفة الشـكل الكروي للأرض الحكماء اليهود في البلدان الإسلامية من خلال علم الفلك العربي**؛ وهو مذكور في كتاب [...] قاضي اليهـود في قرطبة في الثلث الأخير من القرن العاشـر. في الوقت نفسـه تقريبًا، رفض كل مـن الحبر شـريرا جـاؤون والحبر حاي جاؤون الـرأي القائل بأن السـماء خيمة على أرض مسـتوية. في القرن الحادي عشـر، كانت الطبيعة الكروية للأرض مقبولة على نطاق واسـع من قبل الحكماء اليهود في البلدان الإسـلامية، ومنهم امتدت إلى بروفانس[2] وإيطاليا»[3].

(1) مدراش מדרש: لغة: من بحث أو درس. اصطلاحًا: مجموعة (وأيضًا منهج) تفاسير الأحبار التي تنأى عن الشرح الحرفي، وتعتمد المنهج (الإشاري) و(المقارن) بربط النصوص ببعضها.
(2) منطقة في فرنسا.
(3) האנציקלופדיה העברית : כללית , יהודית (ספרית פועלים، 1986–1987)، 10/ 69

الأصل العبري لشهادة الموسوعة اليهودية

(...). אולם הדעה השלטת בקרב חכמי־ישראל עד המחצית השניה של המאה ה10 היתה זו של חוג־ארץ המוקף מי־אוקיינוס וצף על פני התהום כאניה בים (פדר"א ה' [מן המאה ה8—9], וכן מדרש „כונן" [מהמאה ה10]). ידיעת כדוריות־הארץ הגיעה לחכמי־ישראל בארצות האיסלאם באמצעות האסטרונומיה הערבית. היא נזכרת בספר על חכמת העיבור מאת ר' חסאן בר' חסמאן הדיין בקורדובה בשליש האחרון למאה ה10, ובערך באותו זמן דחו גם רב שרירא גאון ורב האי גאון את הדעה שהשמים כקובה על פני ארץ שטוחה. במאה ה11 כבר היתה כדוריות־הארץ מקובלת בקרב חכמי־ישראל בארצות האיסלאם, ומהם עברה לפרובינציה ולאיטליה. ...

صورة الكون عند اليهود كما قدّمها الدكتور وايتهاوس (من خلال نصوص العهد القديم)[1]



THE UNIVERSE OF THE HEBREWS
According to Whitehouse

الأصــل الوثني للتصــوّر التوراتي: تصوّرُ أنّ الأرض على شـكل دائـرة هو التصوّر السائد في بلاد الرافدين زمن تأليف أسفار العهد القديم. وقد تحدّث **هوروويص**[2] في

(1) William Fairfield Warren, The Earliest Cosmologies (New York Eaton & Mains, 1909), p. 20

(2) واين هوروويص Wayne Horowitz: أركيولوجي أمريكي له عناية بالآثار القديمة في الشرق الأدنى.

كتابه «الجغرافية الكونية في بلاد ما بين النهرين»[1] أنّ حضارة بلاد الرافدين قد وصفت الأرض أنّهـا قرص مسـطح، واصفة إياها بـ «دائرة الأرض»، أو «دائـرة الأراضي»، أو «دائرة الزوايا الأربع»، أو«دائرة الرياح الأربع»، أو«دائرة (المناطق) الأربع». كما رسـم مؤلف «خريطة العالم» البابلية «حد سطح الأرض كدائرتين متحدتي المركز»[2].

ومن الآثار القديمة في العراق القديم الدالة على دائرية الأرض، هذه القطعة[3]:



كمـا نقرأ الأمر نفسـه في الأدبيات المصريـة القديمة؛ فقد جاء في ترنيمة لرمسـيس الثانـي على لوحـات مختلفة داخل معبد أبو سـمبل: «مثل رع عندمـا يضيء على دائرة العالم»[4]. وورد تعبير مماثل في المعبد الجنائزي لرمسيس الثالث، أو معبد مدينة هابو: «سـيطروا على البلاد على مدى دائرة الأرض»[5]. وقد نقـل الناقد **كيل** في كتابه «رمزية عالم الكتاب المقدس» رسومًا قديمة كثيرة تظهر الأرض على شكل دائري، وتحيط بها المياه من كلّ جهة[6].

---

(1) Mesopotamian Cosmic Geography

(2) John W. Loftus, The Christian Delusion: Why Faith Fails (Prometheus Books, 2010), p.116

(3) Robin A. Parry, The Biblical Cosmos (Lutterworth Press, 2015), p.8.

(4) Adolf Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, Tr. Aylward Blackman (London: Mjethuen, 1927), pp.258-259

(5) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (Princeton: Princeton University Press, 1969), p.262

(6) Othmar Keel, The Symbolism of the Biblical World. Tr. Timothy Hallett (New York: Seabury Press, 1978), pp.37-40

تعقيب:

جاء في سفر إشعياء 40/ 22:

الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ.	הַיֹּשֵׁב עַל־חוּג הָאָרֶץ וְיֹשְׁבֶיהָ כַּחֲגָבִים

وذاك نص صريح أنّ الأرض كروية الشكل.

الجواب:

تلك دعوى مردودة على النصارى. وقد نقل الناقد **جون أوزوالت**[1] إجماع المفسّرين على أنّ نص إشعياء 40/ 22 لا يدلّ على معنى الكرة – على الراجح –، وإن اختلفوا بعد ذلك في دلالة الكلمة العبرية (دائرة) في سياقها[2].

وأسباب رفض ترجمة «كرة» هنا كثيرة، منها:

أولًا: الكلمة العبرية التي عُرِّبت هنا في ترجمة الفاندايك العربية: «كرة» هي «חוג» [حُوج] أي: «دائرة» كما في معاجم اللغة العبرية التوراتيّة[3]!

ثانيًا: جاء في سفر الأمثال 8/ 27: «لما ثبت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة (חוג) على وجه الغمر.»

علق الناقد **فرنز دليتزخ**[4] في تفسيره الشهير لأسفار العهد القديم، على الأمثال 8/ 27، بقوله إنّه يعكس التصوّر القديم الذي كان عند العبرانيين، والمتمثّل في

(1) جون ن. أوزوالت (John N. Oswalt (1940: أستاذ اللاهوت والعهد القديم واللغات السامية في Asbury Theological Seminary.

(2) John N. Oswalt, The Book of Isaiah: Chapters 40-66 (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1996), pp.66-67

(3) See William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, p. 298, The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words, p.363, William Lee Holladay, A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament, p.97, Josiah Willard Gibbs, A Manual Hebrew and English Lexicon, Including the Biblical Chaldee, p.56, Francis Brown, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, 1/295, Alexander Harkavy, Students' Hebrew and Chaldee Dictionary of the Old Testament, p.154

(4) فرنز دليتزخ (Franz Delitzsch (1813–1890: لاهوتي لوثري ألماني. اشتهر بتفسيره الأكاديمي لأسفار العهد القديم، وترجمته العبريّة للعهد الجديد. كان مهتمًا بتنصير اليهود في أوروبا.

الاعتقاد أنّ السماء على شكل قبّة تلامس حواشيها حدود الأرض التي اتّخذت شكل قرص، ويحيط بها الماء من أسفلها وعلى جوانبها[1]!

وقد كتب مؤسس الكنيسة الميثودستيّة - **جون وسلي**[2]-:«كما أن عندنا هنا (دائرة الأرض)، فإننا نقرأ في مواضع أخرى: «دائرة السماء» (أيوب 22/ 14) و«دائرة العمق أو البحر» الأمثال 8/ 27؛ لأنّ شكل السماء والأرض والبحر، دائري»[3].

وقد رسم النصارى الأرض قديماً على شكل دائرة، ومن ذلك الصورة التالية[4]:

صورة لليوم الرابع للخلق

مخطوطة يونانية للكتاب المقدس، القسطنطينية، القرن الثاني عشر

الأرض على صورة أرض مسطحة، في شكل جزيرة[5]



(1) See Franz Delitzsch, Biblical Commentary on the Proverbs of Solomon (Edinburgh: T. &. T. Clark, 1874), 1/188

(2) جون وسلي (1791-1703) John Wesley: رجل دين ولاهوتي أنجليكاني شهير.

(3) John Wesley, Explanatory Notes upon the Old Testament (Ohio: Sch Publisher, 1975), 3/205

(4) Shulamit Laderman, Images of Cosmology in Jewish and Byzantine art: God's blueprint of creation (Boston: Brill, 2013.), pp.III.XIX

(5) Benjamin Anderson, Cosmos and Community in Early Medieval Art (New Haven: Yale University Press, 2017), p.137

وفهــم **مارتن لوثــر**[1] أنّ الوصف بالدائـرة في نصّ إشـعياء 40/ 22 منصرف إلى السـماء لا الأرض؛ فقـال: «إنّـه (الـربّ) يجلس في القبّـة فـوق الأرض» [2]، وهي الترجمة التي اختارتها الترجمة الفرنسـية المسـكونية للكتاب المقدس Traduction œcuménique de la Bible : Il habite, lui, sur le dôme couvrant la terre أي «إنّه يسكن فوق القبّة التي تغطّي الأرض».

ثالـثًا: الكلمـة المعبّـرة عـن معنـى كـرة فـي الكتـاب المقـدس العبـري هـي: דוּר [دُور][3]، وقـد وردت فـي سـفر إشـعياء نفسـه: «ويلـوح بـك تلويحًـا، ويقذفـك ككـرة فـي أرض واسـعة» «צנוף יצנפך, צנפה, כדור, אל-ארץ רחבת ידים» (إشـعياء 18/ 22)[4].

بداية إشعياء 18/ 22 من مخطوطة حلب

(القرن العاشر ميلاديًا)



(1) مارتن لوثر (Martin Luther (1483-1546: راهب ولاهوتي ألماني شـهير. يُعتبر رائد الثورة البروتسـتانتية. تنسـب إليه فرقة اللوثريين.

(2) Martin Luther, Luther's Works, 17/24

(3) اختلـف النقـاد في قراءة هذه الكلمة :هل هي (1) כַּדּוּר: كاف التشـبيه (כּ) مع كلمة (דּוּר) أي كرة = ككرة الحياة (2) أم أنّ الكاف جزء من الكلمة ..؟! وأثبتوا مع ذلك أنه حتى لو ألحقنا الكاف ببناء الكلمة؛ فإنّ المعنى يبقى دالًا على الكرّة. وجمهور النقاد على أنّ الكاف (כּ) هنا للتشبيه.

See Alexander Harkavy, Students' Hebrew and Chaldee Dictionary of the Old Testament (New York : Hebrew Pub. Co., 1918,), p.284, Nathaniel Philippe Sander et Iasac Trenel, Dictionnaire Hébreu-français (Genève : Slatkine Reprints, 2000), p.119

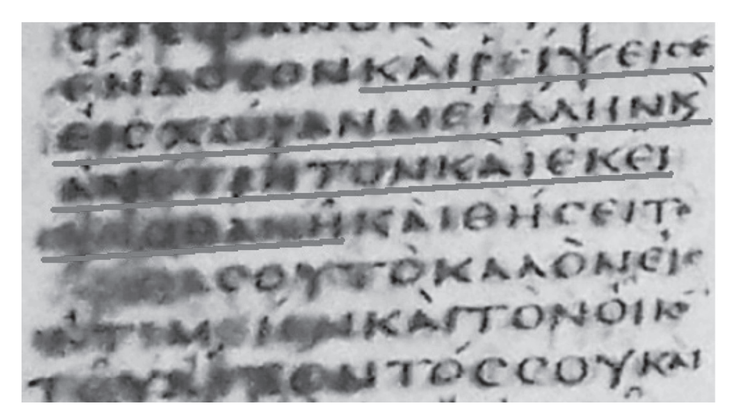
(4) حذفت الترجمة السبعينيّة التشبيه بالكرة من أساسه، رغم أنّ السبعينية مجرد ترجمة للأصل العبري!

إشعياء 22/ 18في الترجمة السبعينية في المخطوطة الفاتيكانية

وسيلقيك في أرض كبيرة لا مقاس لها، وهناك تموت ...

καὶ ῥίψει σε εἰς χώραν μεγάλην καὶ ἀμέτρητον, καὶ ἐκεῖ ἀποθανῇ ...

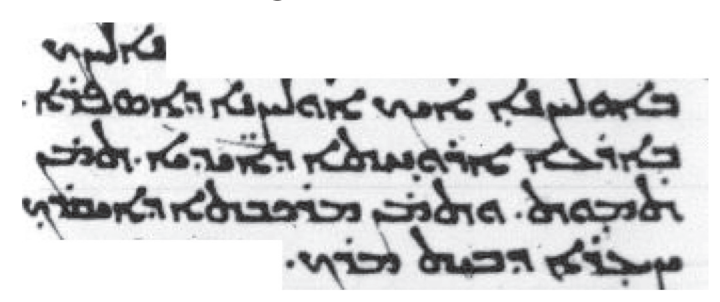
وهــو المعنــى ذاته في ترجمــة الفولجات اللاتينيّة: «ســيقذفك كالكــرة في أرض عريضة ورحبة» «quasi pilam mittet te in terram latam et spatiosam».



إشعياء 22/ 18 في الترجمة السريانية البشيطا: «ܢܟܠܝܟ ܒܐܘܠܨܢܐ ܐܝܟ ܐܘܠܨܢܐ ܕܐܦܣܘܪܐ. ܒܐܪܥܐ ܐܪܘܚܬܐ ܕܐ̈ܝܕܝܐ. ܬܡܢ ܬܡܘܬ. ܘܬܡܢ ܡܪܟܒܬܐ ܕܐܝܩܪܟ ܨܥܪܐ ܕܒܝܬ ܡܪܟ»، «وسـيبتليك كما يبتلي مجموعــة من الجنــود المحاصرين في حصــن لا يملكون الفرار منــه. هناك تموت، وهنـاك تكـون مركبات مجدك، عار بيت سـيّدك» .. وهو معنى بعيـد أيضًا عن النص العبري!

إشعياء 22/ 18 من المخطوطة الأمبروزيانية

(القرن السادس/ السابع ميلادياً)



وفي الترجمات المعاصرة:

الإنجليزية:

The New International Version	He will roll you up tightly like a ball and throw you into a large .country
The New American Bible	And roll you up and toss you like a .ball into an open land
The Revised Standard Version	and whirl you round and round, and throw you like a ball into a .wide land

الفرنسية:

La Bible de Semeur	,et t'envoyer rouler, rouler comme une balle .vers une vaste plaine
Louis Segond	Il te fera rouler, rouler comme une balle, Sur .une terre spacieuse

رابعًا: الكلمة الواردة في الترجمة السبعينية في إشعياء 40/ 22 هي γυρον [جورُن] وهي أيضًا بمعنى دائرة، وهو ما لا ينطبق على الشكل الكروي، وقد وردت هذه الكلمة بهذا المعنى في الترجمة السبعينية في سيراخ 24/ 5 :

γῦρον οὐρανοῦ ἐκύκλωσα μόνη καὶ ἐν βάθει ἀβύσσων περιεπάτησα	أنا وحدي جلت في دائرة السماء وتمشيت في عمق الغمار.

وقد استعملت ترجمة البشيطا السريانيّة في إشعياء 40/ 22 كلمة ܚܘܓܬܗ [حوجتـه] وهي بمعنى دائرة، ولا تطلق في السريانية على الكرة، علمًا أنّ السريانيّة

قد أخذت من اليونانية كلمة كرة؛ فهي في اليونانيّة σφαίρα [سْـفايرا] وفي السريانية ܐܣܦܝܪܐ [إسـبِيرا][1]، واسـتعملت ترجمة الفولجات كلمـة gyrum وهي بمعنى دائرة لا كرة، وتدلّ كلمة sphera على معنى الكرة في اللاتينيّة!

إشعياء 40/ 22 , كلمة ܚܘܓܐ

المخطوطة الأمبروزيانيّة (القرن السادس/ السابع ميلادياً)

خامسًا: عامة الترجمـات الإنجليزية والفرنسـية المعروفة تترجـم كلمة חוג في إشـعياء 40/ 22: دائرة. وبين الشكل الدائري والشـكل الكروي - في غيبة القرائن- فوارق!

الترجمات الإنجليزية:

The New International Version	He sits enthroned above the circle of the earth.
The New American Standard Bible	It is He who sits above the circle of the earth.
The Revised Standard Version	It is he who sits above the circle of the earth.

(1) حرف الباء (p) والفاء يدلّ عليهما في السـريانيّة حرف واحد هو: «ܦ». من ميزات اللهجة السـريانيّة الشرقيّة لفظها حـرف الفاء قاسـيًا على الإطلاق كحرف الـ(p) الفرنجي, ما خلا بعـض الألفاظ التي لا تتجاوز عـدد أصابع اليد الواحـدة؛ فتلفظهـا كالـواو بدلًا من الفاء. وأمّا اللهجة السـريانيّة الغربيّـة فتلفظه ليّنًا على الإطـلاق أي فاءً. (انظر إغناطيوس يعقوب الثالث، البراهين الحسيّة على تقارض السريانيّة والعربيّة، لبنان، 1969، ص 15).

الفرنسية:

Or, pour celui qui siège sur son trône au-dessus du cercle de la terre	La Bible de Semeur
C’est lui qui est assis au-dessus du cercle de la terre	Louis Segond
Il trône au-dessus du cercle de la terre	La Bible de Jérusalem

سادسًا: لم يفهم آباء الكنيسة من نص إشعياء 40/ 22 كروية الأرض، بل فهموا خلاف ذلك؛ يقول قديس الكنيسة **تيودورت** تعليقًا على إشعياء 40/ 22 : «يقول إشعياء إنّه هو الذي جعل الأرض تظهر، إنه هو الذي يحملها بين يديه ويوجّهها. ليس بين البشر والجراد فارق؛ إذا قارن الواحد بينهم وبين قوّة الله. ثمّ علّمنا إشعياء أنّ الله ليس فقط صانع الأرض، وإنّما هو أيضًا خالق السماوات: «هو الذي جعل السماء كغرفة ومدّها كخيمة للسكنى». بما أنّ الأرض تعتبر مثل الطابق الأرضي لبيت، والسماء تشبه سقفًا على شكل قوس وقبّة؛ فقد مال إشعياء إلى مقارنتها بالخيمة»[1]. وهو التصوّر العلمي نفسه الذي تبنّاه كوزما **إينديكوبليف**.

وقد كان بإمكان الآباء استنباط كرويّة الأرض من هذا النصّ لو كان يفيد على الحقيقة ذلك؛ لكنّهم ما اتجهوا ذاك الاتّجاه، بل إنّه حتّى من زُعِمَ في زمن الآباء (القرون الستة الأولى) أنّه يقول بكروية الأرض؛ لم يستنبط هذا التصوّر من هذا النص!

كروية الأرض في القرآن

ذهب جمهور علماء الإسلام إلى القول بكروية الأرض انطلاقًا ممّا جاء في القرآن الكريم. قال **ابن حزم** منذ عشرة قرون في موسوعته في العقائد والفرق: «الفِصَل في

(1) Mark W. Elliott, Ancient Christian Commentary on Scripture, Old Testament XI, Isaiah 40-66 (Downers Grove : InterVarsity Press, 2007), p. 17

الملل والأهواء والنِّحل» تحت عنوان: «مطلب بيان كروية الأرض»: «قالوا: إن البراهين قد صحّت بأنّ الأرض كروية، والعامة تقول غير ذلك، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق **أنّ أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة**[1]، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها. قال الله عز وجل: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[2]....»[3].

وقال **ابن الجوزي**: «أجمعوا على أنّ الأرض بجميع أجرامها من البرد مثل الكرة، ويدلّ عليه[4] أنّ الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب»[5].

وقال **ابن تيمية**: « وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَد بْـنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمُنَادِي مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِمَعْرِفَةِ الْآثَارِ وَالتَّصَانِيفِ الْكِبَارِ فِي فُنُونِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ مِنْ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد: ... أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ بِجَمِيعِ حَرَكَاتِهَا مِنْ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِثْلُ الْكُرَةِ. قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لَا يُوجَدُ طُلُوعُهَا وَغُرُوبُهَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بَلْ عَلَى الْمَشْرِقِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ»[6].

ومن الشهادات العلمية المبكّرة على كروية الأرض في البيئة الإسلامية، شهادة الفلكي الفارسي ابن رسته في القرن الثالث الهجري في كتابه «الأعلاق النفيسة» حيث

---

(1) الصحيح أنّ بعض أهل العلم زمن ابن حزم وبعده قد أنكروا كروية الأرض. وهم قلّة قليلة.

(2) سورة الزمر/ (الآية 5).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 78/ 2.

(4) الدليل الذي سيسوقه ابن الجوزي –وبعده ابن تيمية– دال أنّ التكوير هنا يقصد به شكل الكرة لا الاستدارة على شكل القرص –كما هو زعم بعض المشاغبين–؛ إذ لا مانع من شروق الشمس على الأرض كلّها لو كانت الأرض على شكل قرص مستدير، في حين أنّ ذلك ممتنع على القول إنّ الأرض على شكل كرة.

(5) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1412هـ/ 1992م)، 183/ 1.

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 25/ 195.

قال: «والأرض مستديرة... قائمة في الهواء، يحيط بها الفلك من جميع نواحيها».[1]

وممّا استُدلّ به لكروية الأرض قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد:3].

قال **الرازي**: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ: الْمَدُّ هُوَ الْبَسْطُ إِلَى مَا لَا يُدْرَكُ مُنْتَهَاهُ، فَقَوْلُهُ: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ، يُشْعِرُ بِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ حَجْمَ الْأَرْضِ حَجْمًا عَظِيمًا لَا يَقَعُ الْبَصَرُ عَلَى مُنْتَهَاهُ، لِأَنَّ الْأَرْضَ لَوْ كَانَتْ أَصْغَرَ حَجْمًا مِمَّا هِيَ الْآنَ عَلَيْهِ لَمَا كَمُلَ الِانْتِفَاعُ بِهِ».[2] ومعلوم أن الأرض لها نهاية عند المسلمين وغيرهم زمن التنزيل. والبسطُ الذي لا حدّ له –عندها– هو ما لا ينتهي إلى حافة، أي الدال على الكروية.

وأهم النصوص الدالة على كروية الأرض قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر:5].

قال الإمام **ابن حزم** –منذ أكثر من ألف سنة–: «قَالَ الله عز وَجل ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ **وَهَذَا أوضح بَيَان فِي تكوير بَعْضهَا على بعض،** مَأْخُوذ من كور الْعِمَامَة وَهُوَ إدارتها، **وَهَذَا نَص على تكوير الأَرْض**».[3]

وقالَ العلّامة **ابن عاشور**: «والتكوير حقيقته: اللف والليُّ، يقال: كور العمامة على رأسه إذا لواها ولفها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض، وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كور العمامة، إذ تغشى اللية اللية التي قبلها. وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعاً إيثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن ... فإن مادة التكوير جائية من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير

(1) أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ليدن: بريا، 1892، ص8.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ)، 5/ 19.
(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 78.

من جميع جهاته على التساوي، والأرض كروية الشكل في الواقع، وذلك كان يجهله العرب وجمهور البشر يومئذ، فأومأ القرآن إليه بوصف العرضين اللذين يعتريان الأرض على التعاقب وهما النور والظلمة، أو الليل والنهار، إذ جعل تعاورهما تكويراً لأن عرض الكرة يكون كروياً تبعاً لذاتها، فلما كان سياق هذه الآية للاستدلال على الإلهية الحق بإنشاء السماوات والأرض، اختير للاستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العرضين العظيمين للأرض مادة التكوير دون غيرها من نحو الغشيان الذي عبر به في قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في سورة [الأعراف:54]،لأن تلك الآية مسوقة للدلالة على سعة التصرف في المخلوقات لأن أولها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54]، فكان تصوير ذلك بإغشاء الليل والنهار خاصة لأنه دل على قوة التمكن من تغييره أعراض مخلوقاته، ولذلك اقتصر على تغيير أعظم عرض وهو النور بتسليط الظلمة عليه، لتكون هاته الآية لمن يأتي من المسلمين الذين يطلعون على علم الهيئة فتكون معجزة عندهم»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:54]. ولا يمكن أن يستمرّ الليل في ملاحقة النهار على أرض مسطحة؛ لأنّه سينتهي عند طرف الأرض؛ وذاك يقتضي أنّه ليس للأرض (اليابسة والبحر) أطراف، كما هو حال الكرة مثلًا.

قال صاحب تفسير المنار: «والمعنى هنا أن الله تعالى قد جعل الليل الذي هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الأرض أي يتبعه ويغلب على المكان الذي كان فيه، ويستره حالة كونه يطلبه حثيثاً، من قولهم: فرس حثيث السير، ومضى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 20.

حثيثاً – كما في الأساس وغيره – أي مسرعاً . والمعنى أنّه يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء –كما قالوا–، وهذا الطلب السريع يظهر أكمل الظهور بما ثبت من كون الأرض كروية الشكل، تدور على محورها تحت الشمس، فيكون نصفها مضيئا بنورها دائماً، والنصف الآخر مظلماً دائماً».[1]

ودلّل **ابن حزم** على كروية الأرض شرعًا، بقوله: إنّ القرآن صريح في أنّ الشمس والقمر في السماء، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾. والسماء هي: كل ما علا الأرض. ولو أنّ الأرض كانت مسطّحة؛ للزم أن يخرج القمر والشمس من السماء لنزولهما تحت الأرض. وذاك تكذيب لكتاب الله. قال رحمه الله: « فَلَو كَانَ على مَا يظنّ أهل الْجَهْل لكَانَتْ الشَّمْس وَالْقَمَر إِذْ دَارا بِالْأَرْضِ، وصارا فِيمَا يُقَابل صفحة الأَرْض الَّتِي لسنا عَلَيْهَا، قد خرجا عَن السَّمَاء. وَهَذَا تَكْذِيب لله تَعَالَى. فصح بِهَذَا أَنه لَا يجوز أَن يفارق الشَّمْس وَالْقَمَر السَّمَوَات، وَلَا أَن يخرجَا عَنْهَا؛ لِأَنَّهُمَا كَيفَ دَارا فهما فِي السَّمَوَات. فصحّ ضَرُورَة أَن السَّمَوَات مُطَابقَة طباقاً على الأَرْض»[2]، أي إنّه إذا كان الشمس والقمر في كلّ أحوالهما في السماء، والسماء فوق رؤوس الناس؛ لزم أنّ الأرض كروية لأنّ تسطيحها يمنع بقاء الشمس والقمر فوق رؤوس الناس دائمًا.

وقد تعرّض القرآن لذكر مباحث وإشارات من عادتها أن تكشف انبساط الأرض بلا تكوّر، غير أنّ الخبر جاء على صورة متجانفة عن الخطأ؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس: 24]؛ فالسياق يخبر أنّ القيامة تأتي «ليلًا أو نهارًا»، ولم تقل الآية إنّها تأتي في الليل، ولم تقل إنّها تأتي في النهار، ولو اقتصر القرآن على واحد منهما لأخطأ؛ لأنّ الأرض كروية يجتمع فيها الليل والنهار في الآن نفسه؛ فالمعنى هنا أن القيامة تقوم لآحاد الناس –لا كلّهم– في الليل أو النهار. مع التنبيه أنّ حرف «أو»

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990 م)، 8/ 403.
(2) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 80.

يَـرِد عند بعض الكوفيين والأخفش والجرمي والأزهري وابن مالك بمعنى «و»؛ وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ ﴾ [النـور: 61]. وعلى ذلك فالآية تخبـر أن القيامة تكون ليلاً ونهارًا في الأرض كلها.

وقد اندفع المسـلمون بيقينهم في كروية الأرض إلى الاشـتغال بما ينجم عن هذا التصـوّر من قضايا علميـة، غير مبالين بما عليه النصارى مـن مذاهب في هذا الباب؛ ولذلك – كما يقول **لوسـيان جوباي**[1]– : «قاس المسلمون محيط دائرة الأرض قبل 800 سنة من قبول أوروبا لأول مرّة أنّ الأرض ليست مسطّحة»[2].

وهنا:

- دلّ كلّ مـن القـرآن الكريم والسـنّة النبوية[3] على كرويـة الأرض، في ضوء شواهد اللغة العربيّة.
- نزل القرآن في بيئة تشـهد أشـعارها وخطبها المحفوظة علـى أنّ أهلها كانوا يرون الأرض مسطّحة غير مكوّرة[4].
- جـاء في التلمـود البابلي الذي يمثّل التراث الشـفوي اليهودي الشـائع زمن

(1) لوسيان جوباي Lucien Gubbay : كاتب وناشط يهودي

(2) Lucien Gubbay, Sunlight and Shadow: The Jewish Experience of Islam (London: I.B. Tauris, 2001), p.45

(3) زَعَـم بعض المشـكّكين أنّ حديـث: «ولا تزال التوبـة مقبولة حتى تطلع الشـمس من المغرب، فـإذا طلعت طبع علـى كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل.» (روه أحمد 1671) يدلّ على أنّ الأرض مسـطّحة، تطلع عليها كلّها الشمس في وقت واحد.

وجواب ذلك، هو أنّ هذا الحديث لا يدلّ منطوقه ولا مفهومه على أنّ الشمس تطلع على جميع الناس في الوقت نفسه. وإنّما يُفهم منه أنّ التوبة لا تُقبل من الناس عندما يرون الشـمس طالعة من المغرب. وليس في الحديث ما يمنع أن يرى الناس الشمس تطلع من المغرب، كلّ بلد حسب موقعه في الأرض؛ فتنقطع فسحة التوبة على فريق بعد آخر.

ثـم إنّنا حتى لو سـلّمنا جدلاً أنّ الحديث في رؤية الناس جميعًا الشـمس وهي تخرج من المغـرب؛ فإنّ علمنا اليوم أنّ النـاس قـد أصبحوا يرون بأعينهم ما يقـع في الجهة المقابلة لهم من الكرة الأرضية من خلال الشاشـات، يُسـقط الشبهة؛ لأنّ الرؤية هنا متحقّقة في آن واحد لجميع أهل الأرض عيانًا أو من خلال وسائط إلكترونيّة.

كما أنّ ظهور الشـمس من المغرب يكون بانعكاس حركة الأرض. وليس في الحديث ما يمنع أن تكون حركة الأرض عندها سريعة تُظهر الشمس وهي خارجة من المغرب في أزمنة متقاربة جدًا للناس، في ساعة واحدة.

(4) تشـهد على ذلك الأشـعار والخطب القديمة والمحفوظة اليوم، والتي تذكر بسـط الأرض ومدّها، دون أن تجمع إلى ذلك ذكر تكوّرها، ودون أن تكشـف –تصريحًا أو تلميحًا– تأثّرها بما قاله عدد من أعلام اليونانيين عن كروية الأرض .. وقد كانت بلاد العرب في منأى عن تأثير الفكر اليوناني، منشغلة عنه بحياة البداوة أو التجارة الموسميّة التي لا تتجاوز تبادل بعض المنافع الماديّة الضيّقة.

البعثة النبوية ما يدل على أن الأرض مسطحة.

- أفرام السرياني الذي يمثّل أهم الآباء الذين عاشوا قريباً من البعثة النبوية في أقرب تجمّع نصراني لمكة كان يرى الأرض مسطحة.
- آباء الكنيسة – من غير السريان– ممن كان لهم حضور قوي في ثقافة الشام زمن البعثة كانوا يرون أن الأرض مسطحة.
- اتفق جمهور علماء الإسلام منذ قرون مبكرة على كروية الأرض.
- مصدر القول بكروية الأرض، هو ما ثبت في الوحي أولا.

وفي المقابل:

- ظهرت النصرانيّة في جو فكري يشيع فيه تعظيم الفلاسفة اليونان الذين اشتهرت أقوالهم في مدارس الدولة الرومانية. وقد عُرف عن عدد من أعلام الفكر اليوناني القول بكروية الأرض باعتماد الاستدلال العلمي.
- كلّ من اعتمد الكتاب المقدس مصدرًا لمعرفة شكل الأرض في القرون الأولى؛ توصّل إلى رفض الشكل الكروي.
- هناك شك جاد في أن يوجد إمام واحد من أئمة النصارى قال بكروية الأرض قبل البعثة النبوية.
- القلّة القليلة من أئمّة النصارى التي يُنسب إليها القول بكروية الأرض لا تستدلّ بالكتاب المقدس لصحّة مذهبها.

تعقيب 1:

صرّح القرآن بأن الأرض مسطحة:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية: 17–20]، و﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ [نوح: 19].

الجواب:

أولًا: الأرض التي نراها بأعيننا مسطّحة ومبسوطة على الحقيقة؛ فكل مسافة واسعة من الأرض منبسطة، مع انبعاج خفيف لا يصرف عنها وصف البسط[1]. وقد نقل المفسّر **أبو حيّان** الأندلسي (متوفى 745هـ) عن أبي عبد الله الداراني، قوله: «ثَبَتَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ الْأَرْضَ كُرَةٌ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ قَوْلَهُ: مَدَّ الْأَرْضَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ جِسْمٌ عَظِيمٌ. وَالْكُرَةُ إِذَا كَانَتْ فِي غَايَةِ الكبر كان كل قِطْعَةٍ مِنْهَا تُشَاهَدُ كَالسَّطْحِ»[2].

ثانيًا: وجه ذكر بسط الأرض هو التذكير بمنّة أنّ الأرض ليست حادةَ الطبوغرافيا؛ فبسطها من أسباب إمكان الحياة عليها.

ثالثًا: لا يمكن أن تكون الأرض مبسوطة بصورة كليّة حتى تكون كرويّة؛ فلولا بسطها الدائم لكانت لها نهايات حادة غير منبسطة. قال **الرازي** – المتوفى منذ أكثر من ثمانية قرون– في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾: «سطحًا بتمهيد وتوطئة، فهي مهاد للمتقلّب عليها. ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بكرة وهو ضعيف، لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح»[3].

تعقيب 2:

قال المسلمون بكروية الأرض لأنهم ترجموا كتب اليونان بصورة مبكرة، وهي كتب تقول بكروية الأرض.

الجواب:

أولًا: ترجم المسلمون كتب اليونان بصورة مبكرة، لكنّها لم تنافس ظواهر الأخبار العلمية في القرآن في علم الأجنة، والدورة المائية، والطب الوقائي...، وبقي

---

(1) لم نستدلّ في هذا الكتاب على قول الكتاب المقدس بتسطيح الأرض بما جاء فيه من بسط الأرض؛ لأنّنا نميّز بين صريح النصوص في وصف حقيقة العالم الخارجي، وما احتمل وصف العالم من خلال الرؤية البصريّة المجرّدة التي قد لا توافق الأمر في حقيقته.

(2) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، 1420 هـ)، 6/ 346.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، 31/ 158–159.

المسلمون مخالفين لكثير من تراث **أرسطو وأبقراط**[1] **وجالينوس**.

ثانـيًا: عامة كتب اليونـان التي تمت ترجمتها، نُقلت إلـى العربية من اليونانية عبر السـريانية، لا من اليونانية مباشـرة، ومع ذلك رفض النصارى السريان القول بكروية الأرض بصـورة جازمة؛ فلم يُلـزم العلم بتراث اليونان النصـارى على القول بكروية الأرض لأنّ ألفاظ التسطيح واضحة في الأسفار المقدسة.

ثالـثًا: جمهور الذيـن قالوا بكروية الأرض بصورة مبكرة كانـوا من الفقهاء وأهل الشريعة لا دارسي علوم اليونان.

رابعًا: الخصومة في القرون الأولى بين علماء الشـريعة والمعجبين بتراث اليونان كانت واسعة جدًا.

خامـسًا: التراث التوراتي والتلمودي في البيئة الإسلامية الأولى كان أقوى بكثير من التراث اليوناني، وهو ما يظهر في كتب تفسير القرآن والتاريخ ... والتراث اليهودي ظاهر في إنكار كرويّة الأرض.

سادسًـا: استمرّت معارضة العوام للقول بكروية الأرض زمن جهر علماء الشريعة والفلـك بكرويتهـا. وهو ظاهر من كلام **ابن حزم** السـابق: «البراهيـن قد صحّت بأنّ الأرض كروية، والعامة تقول غير ذلك»[2].

المثال السادس: الأرض مستقرة على الماء

مزمور 136/ 6 : «الباسط الأرض فوق المياه، لأن رحمته إلى الأبد تدوم».

جاء في الموسـوعة اليهوديّة Encyclopaedia Judaica : «كان هناك رأي منتشر بصورة واسـعة، وهو أنّ دائرة الأرض على شـكل صحن يطفو على وجه العمق: أي الماء، وأنّ الجبال تحت العمق؛ وبذلك يستقرّ الكلّ على قاعدة صلبة»[3].

---

(1) أبقراط (370–460 ق م) Hippocrates: طبيب يوناني شهير، لُقّب بأبي الطب لكثرة كشوفه الطبية.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 78.

(3) Art. Geography, Encyclopaedia Judaica, Fred Skolnik؛ Michael Berenbaum, eds. (Detroit: Thomson Gale, 2007), 7/ 489

وربط أصحاب كتاب The IVP Bible background commentary نص مزمور 136/ 6 بالتراث البابلي القديم، بقولهم: «كانت أُسس الأرض في الفهم البابلي للكون قائمة على ما يُسمّى أَبسو. هذه المنطقة المائية البدائية تقع تحت اختصاص الإله المهم جداً إنكي (Enki) / إيا (Ea). من وجهة نظر الجغرافيا الفيزيائية، تمثّل تلك المنطقة سطح الماء الذي يظهر -على سبيل المثال- في المستنقعات والينابيع...»[1].

ومما يشهد لصورة المزمور البابليّة الأصل أنّ التلمود يُخبر عن قول أحد الأحبار إنّ الأرض قائمة على أعمدة، وإنّ الأعمدة قائمة على الماء، وإنّ الماء قائم على الجبال، وإنّ الجبال قائمة على الريح، وإنّ الريح قائمة على الإعصار، وإنّ الإعصار معلّق في يد الله[2].

كما جاء في سفر برقي دي ربي إليعازر -الذي كتب في القرن الثامن أو التاسع- الفصل الخامس: «كسفينة تطفو على قلب البحر، هكذا الأرض تطفو على الماء» «כְּאֳנִיָּה שֶׁהִיא צָפָה בְּלֶב יָם, כָּךְ הָאָרֶץ מְרֻקַּעַת עַל הַמַּיִם».

وهو أيضًا ما جاء في رسالة الراعي **هرماس** -التي كان عدد من النصارى الأوائل يبجّلونها حتّى إنها قد اعتبرت في فترة ما وحيًا[3] - : «هو الذي بكلمة قوّته ثبّت السماء، وقد **أسّسها على البحار** وأنشأها على الطوفان».

لم تكن خرافة استقرار الأرض على الماء من نوادر اليهود والنصارى؛ فقد عرفتها أمم أخرى قديمة؛ ففي إحدى الأساطير البابليّة أنّ مردوخ قد نصب الأرض كحصيرة من القصب عائمة فوق المياه البدائية[4]، ونصرها **طاليس** في نموذجه الكوني؛ إذ اشتهر عنه الزعم أنّ الأرض قائمة على الماء، ومخلوقة من الماء.

---

(1) Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.556

(2) Babylonian Talmud, Chagiga 12b

(3) وقد عرّف القانون الموراتوري الراعي هرماس بأنّه أخ للبابا بيوس الأول، وحضّ على قراءة سفره في المحافل بين المؤمنين (انظر Bruce Metzger, The Canon of the New Testament: its origin, development, and significance (Oxford: Clarendon Press , 1997), pp. 63– 67)

(4) John W. Loftus, The Christian Delusion: Why Faith Fails, p.127

والناظـر في القرآن **يفاجأ بغياب تصريح القرآن باسـتقرار الأرض على الماء**. وقد تكلّف عدد من كبار المفسّـرين المسـلمين الزعم أنّ الأرض مبسوطة على الماء عند تفسـير قولـه تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾، رغـم خلو الآية من الإحالـة إلى ذلك[1]! وهو ما يظهر في الشـعر المنسـوب إلى العصر النبوي؛ كما روي عن زيد بن عمرو بن نفيل[2]:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَـهُ الْأَرْضُ تَـحْـمِلُ صَـخْرًا ثِقَالًا

دَحَــاهَــا فَلَـمَّـا رَآهَـا اسْـتَـوَتْ ... عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا[3]

وفـي ذلك دلالـة على مبلغ عمق تصـوّر اسـتقرار الأرض على الماء فـي الثقافة اليهودية-النصرانية المجاورة للجزيرة العربية.

ولذلـك نقول إنّ ترك القـرآن التصريح بالأصل المائي الذي تسـتقرّ عليه الأرض -كمـا هو التصور الشـائع عند أهـل الكتاب زمن البعثة-، صمـت فصيح، وليس هو بالصمـت السـلبي؛ إذ لا يُتـرك التصريح بأمر مـن أعظم ملامح الصـورة الكونية في كتاب غزير الخبر في شـأن الأرض والبحر إلا لبيان فسـاد تلك الدعوى. والقاعدة أنّ «**الصمتُ في مقام الحاجة إلى البيان، بيانٌ**».

المثال السابع: جهنم تحت قشرة الأرض

تكوين 38/ 42: «فقال: لا ينزل ابني معكم لأن أخاه قد مات وهو وحده باق. فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها **تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية**».

(1) انظر مثلا تفسـير البغوي، معالم التنزيل في تفسـير القرآن (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ/ 1997 م)، 7/ 357، وتفسير الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ)، 5/ 281، وتفسير الواحـدي، الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز (بيـروت: دار القلم، 1415 هـ)، ص590، وتفسـير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10/ 12، وقد نسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) من أحناف االعصر الجاهلي. والد الصحابي سعيد بن زيد.

(3) ابن هشـام، السـيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السـقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشـلبي (مصر: شـركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ - 1955 م)، 1/ 231.
لا يعنينـا هنـا أن تصحّ الرواية عـن زيد بن عمرو بن نفيل، فإنّ القطع أو القول بغلبة الظن بنسـبة آحاد الأبيات دون إسـناد صحيح (في الأغلب) متعذّر. وإنّما يكفينا أنّ هذه الأبيات قد نُسـبت في القرن الثاني إلى زيد على لسان ابن إسحاق (متوفى 151 هـ)، وذاك كاف لإثبات أنّها قريبة العهد من العصر النبوي، وتعكس تصوّراته العلميّة.

تكوين 29/ 44: «فإذا أخذتم هذا أيضاً من أمام وجهي وأصابته أذية **تنزلون شيبتي بشرٍّ إلى الهاوية**».

تكوين 31/ 44: «يكون متى رأى أن الغلام مفقود أنه يموت **فينزل عبيدك شيبة عبدك أبينا بحزن إلى الهاوية**».

العدد 30/ 16: «ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم **فهبطوا أحياء إلى الهاوية** تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب».

العدد 33/ 16: «**فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية** وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة».

أيوب 9/ 7: «السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذي **ينزل إلى الهاوية** لا يصعد».

أيوب 8/ 11: «هو أعلى من السماوات فماذا عساك أن تفعل؟ **أعمق من الهاوية** فماذا تدري؟».

أيوب 16/ 17: «**تهبط إلى مغاليق الهاوية** إذ ترتاح معاً في التراب».

أيوب 13/ 21: «يقضون أيامهم بالخير. في لحظة **يهبطون إلى الهاوية**».

مزمور 15/ 55: «ليبغتهم الموت. **لينحدروا إلى الهاوية** أحياء لأن في مساكنهم في وسطهم شروراً».

مزمور 13/ 86: «لأن رحمتك عظيمة نحوي وقد نجيت نفسي من **الهاوية السفلى**».

إشعياء 9/ 14: «**الهاوية من أسفل** مهتزة لك لاستقبال قدومك منهضة لك الأخيلة جميع عظماء الأرض. أقامت كل ملوك الأمم عن كراسيهم».

إشعياء 15/ 14: «لكنك **انحدرت إلى الهاوية** إلى أسافل الجب».

حزقيال 15/ 31: «في يوم **نزوله إلى الهاوية** أقمت نوحاً. كسوت عليه الغمر ومنعت أنهاره وفنيت المياه الكثيرة، وأحزنت لبنان عليه وكل أشجار الحقل ذبلت عليه».

حزقيال 31/ 16: «صوت سقوطه أرجفت الأمم عند **إنزالي إياه إلى الهاوية** مع الهابطين في الجب، فتتعزى في الأرض السفلى كل أشجار عدن مختار لبنان وخياره كل شاربة ماء».

حزقيال 31/ 17: «هم أيضا **نزلوا إلى الهاوية** معه، إلى القتلى بالسيف، وزرعه الساكنون تحت ظله في وسط الأمم».

عاموس 9/ 2: «**نقبوا إلى الهاوية** فمن هناك تأخذهم يدي وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أنزلهم!».

«الهاوية» في الأصل العبري لكلّ النصوص السابقة: שְׁאֹלָה [شِئُولا] أو שְׁאוֹל [شِئُول]. وشئول في العهد القديم مكان مظلم ينزل إليه الناس بعد موتهم سواء كانوا صالحين أو فاسدين. والكلمة في الترجمة السبعينية اليونانيّة: Ἅιδης [هايديس]، ومعناها اللغوي: المكان الذي لا يُرى. علمًا أنّ هاديس اسم آلهة العالم السفلي في الأساطير اليونانية القديمة[1]. وقد ذهب بعض النقّاد إلى أنّ أصل الكلمة من فعل שָׁאַל [شاءل] أي سأل[2]؛ فالهاوية هي المكان الذي يُسأل فيه الناس يوم الحساب.

ويشهد البحث التاريخي أنّ حضارات ما بين الرافدين كانت تقرّر أنّ العالم السفلي كان مكان إقامة آلهة العالم الآخر والأرواح المنفصلة عن الأجساد في أدنى جزء من الأرض[3]. واعترف اللاهوتي الناقد **إدوارد دويك**[4] أنّ الثقافة البابلية هي أصل الخبر التوراتي عن مكان جهنم -رغم حرصه على نسبة الكتاب المقدس إلى الوحي الإلهي-؛ فقد قال: «من الواضح أن هذه الأفكار الأساسية للديانة البابلية مشابهة لتلك الخاصة بالعبرانيين في عصور ما قبل النبوة كما تظهره الأدلة القليلة

(1) William Smith, Charles Anthon, A New Classical Dictionary of Greek and Roman Biography, Mythology and Geography (New York: Harper & Brothers, 1862), p.952

(2) Hans Wildberger, Isaiah: Isaiah 13-27 (Fortress Press, 1991), p.60

(3) Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels (University of Chicago Press, Chicago, 1949), p.170

(4) إدوارد دويك (Edward Dewick (1884-1958: لاهوتي. أستاذ التاريخ الكنسي في جامعة لفربول.

المتاحـة. لكـن في حين كان دين الشـعب الأم يتحلل ببطء...، كانـت اعتقادات بني إسـرائيل تتطهّر وتترسّـخ بإلهام روح الله. تأثير الأسـاطير البابلية كان بلا شـك بعيد المدى ومستمرًا. ومن الراجح أنّ بعض ملامح الإسخاطولوجيا اليهودية والمسيحية المتأخرة قد تمّ تلقّيها من ديانة بابل عبر التقاليد الشعبية للعامة»[1].

وليس في القرآن ولا صحيح السـنة تحديد مكان النار. قال **زروق** في شرحه لمتن الرسالة لأبي زيد القيرواني: «لم يرد نص صريح في مكان الجنة والنار»[2].

المثال الثامن: قانون الكسوف

يقول **ويليام كاربنتر**[3] في مقدمته لدراسة الكتاب المقدس: «حسنُ فهم العبرانيين لنظرية خسوف القمر محلّ شك، يبدو أنّهم لم يفهموها جيدًا؛ إذ إنّهم يتحدّثون دائمًا عـن هذه الظواهر بعبـارات تدلّ على إيمان منهـم أنها أثرٌ لقوّة فوق طبيعية وسـخط الربّ»[4]. وأحال إلى:

إشـعياء 13/ 10: «فَإِن نُجُومَ السَّـمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا. تُظْلِمُ الشَّـمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، وَالْقَمَرُ لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ».

حزقيـال 32/ 7–8: «وَعِـنْ إِطْفَائِي إِيَّـاكَ أَحْجُبُ السَّـمَاوَاتِ، وَأُظْلِـمُ نُجُومَهَا، وَأُغْشِي الشَّمْسَ بِسَحَابٍ، وَالْقَمَرُ لاَ يُضِيءُ ضَوْءَهُ».

يوئيـل 2/ 10: «قُدَّامَه تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّـمَاءُ. اَلشَّـمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا».

يوئيل 3/ 15: «اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا».

وقد جاء في التلمود أنّ حكماء اليهود قد قالوا إنّ الشمس تكسف لواحد من أربعة

(1) Edward Chisholm Dewick, Primitive Christian Eschatology (Cambridge: University Press, 1912), Appendix A, Babylonian Eschatology, p.402

(2) زروق، شرح متن الرسالة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1427 هـ – 2006 م)، 1/ 69.

(3) ويليام كاربنتر (1797-1874) William Carpenter: لاهوتي إنجليزي.

(4) William Carpenter, An Introduction to the Reading and Study of the English Bible (London: S.W. Partridge, 1868), 2/7

أسباب: وفاة رئيس المحكمة اليهودية دون أن يلقى تمجيدًا مناسبًا –والكسوف بذلك تأبين له من السماء–، وصرخة فتاة مخطوبة في الشارع أُريد اغتصابها، دون صريخ ينقذها، والشذوذ الجنسي، وأخوين أريق دمهما معًا[1].

ومما يؤكد جهل مؤلفي الكتاب المقدس بقوانين الكسوف حديث مؤلف إنجيل لوقا عن كسوف الشمس عند صلب المسيح[2]؛ فإن نصّ لوقا 23/ 45 يقول في الأصول اليونانيّة الأقدم والأوثق: «του ηλιου εκλιποντος» [تو هيليو إكلِبونتوس] أي «كسفت الشمس»، وهي القراءة الواردة في أفضل المخطوطات؛ كالبرديّة 75 والمخطوطة الفاتيكانيّة والسينائيّة. وقد غيّر النسّاخ هذا النص إلى: «وأظلمت الشمس» «και εσκοτισθη ο ηλιος» [كاي إسكوتِستي هو هيليوس] هروبًا من الخطأ العلمي المحقق[3]. وهي القراءة التي اختارتها الترجمة العربية الفاندايك: «وأظلمت الشمس».

شعر **أريجانوس** منذ زمن مبكّر بالمعضلة العلميّة في نصّ لوقا 23/ 45؛ فزعم أنّ القراءة الصحيحة هي القراءة التي يجزم النقاد اليوم –في القرن الواحد والعشرين– أنها المحرّفة، وأنّ التغيير كان عن مؤامرة! فقد كتب قائلًا: «نقول حينئذ إنّ متى ومرقس لم يصرّحا بحدوث كسوف للشمس في ذلك الوقت. ولا قاله لوقا وفقًا لكثير من النسخ، والتي فيها «وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ»، مع ذلك في بعض النسخ لا وجود لعبارة «وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ»، بل «فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا وَكانت الشمس في

---

(1) ת״ר בשביל ארבעה דברים חמה לוקה על אב בית דין שמת ואינו נספד כהלכה ועל נערה המאורסה שצעקה בעיר ואין מושיע לה ועל משכב זכור ועל שני אחין שנשפך דמן כאחד
Babylonian Talmud, Sukkah 29a

(2) «وكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسْطِهِ. وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ». (لوقا 23/ 44–46).

(3) See Raymond Brown, The Death of the Messiah (New York: Doubleday, 1994), 2 /1039

كسـوف». لعلّ شـخصًا ما كانت تحـدوه الرغبة في جعل العبارة أكثـر وضوحًا تجرّأ على وضع: «وكانت الشـمس في كسـوف» في محل: «وأظلمت الشـمس»؛ ظانًّا أن الظلام لا يمكن أن يحدث إلّا بسـبب الكسـوف. مع ذلك أؤمن إلى حد ما أن **أعداء كنيسة المسيح السِرّيين قد حرفوا هذه العبارة**، جاعلين الظلمة تقع بسبب أن «الشمس كانت في كسوف»؛ **لعل الأناجيل تكون عرضة للنيل منها على أرضية عقلانية بوساطة ألاعيب هؤلاء الذين كانوا يتمنون مهاجمتها**»[1].

واعترف الناقد النصراني المحافظ **ويلبور بكرنج**[2] أنّ عبارة [تو هيليو إكلِبونتوس] تعني «كسـفت الشـمس»، وإن كان هو ينتصر للنص المتأخّر الـذي لا ينصره غير قلة قليلة من محافظي علماء النصارى، قائلًا في شرح اختيار عامة النقاد لقراءة الكسوف في إنجيل لوقا:

«المشـكلة: إنّ كسـوف الشـمس مسـتحيل أثناء اكتمال القمر. صُلِب يسوع أثناء الفصح، وكان عيد الفصح دائمًا عند اكتمال القمر (وهذا هو السبب في أنّ تاريخ عيد الفصح يتغيّر). النص النقدي اليوناني UBS يُقدم خطأ علميًا هنا[3].

مناقشـة: الفعـل اليونانـي ἐκλείπω [إكْليبو] شـائع جـدًا، ومعناه الرئيس فشـلَ أو أنهـى، ولكن عند اسـتخدامه في الحديث عن الشـمس أو القمر يشـير هذا الفعل إلـى كسـوفٍ (الكلمة الإنجليزية eclipse كسـوف أصلها ذاك الجـذر اليوناني). في الواقـع، الترجمات الإنجليزية مثل: Moffatt، Twentieth Century، Authentic، Phillips، NEB، New Berkeley، NAB، Jerusalem، تشير بوضوح إلى أن الشمس قـد كسـفت. في حيـن أن ترجمـة مثـل NASB و TEV و NIV تتجنب كلمة كسـفت،

---

(1) Origen, Comm. ser. Matt. 134

(2) ويلبـور بكرنـج Wilbur Pickering : منصّـر، وعالم نقد نصّي يعيـش في البرازيل. من أهـم المدافعين عن دعوى عصمة الكتاب المقدس من الخطأ.

(3) نـص UBS اليوناني للعهد الجديد يمثل في طبعاته المختلفـة وجهة نظر عامة النقاد المتخصصين في النقد النصي، وهو النص الذي تعتمد عليه عامة الترجمات الإنجليزية والألمانية والفرنسية...

والمعنى الطبيعي للنص الانتقائي[1] الذي يتبعونه هو بالضبط كسفت الشمس»[2].

كما علق الناقد **جورج كيرد**[3] -في تفسيره لإنجيل لوقا – على نصّ لوقا 23/ 45: «إنّ حدوث كسـوف للشمس (حسب رواية لوقا) بينما يكون القمر بدرًا عند الفصح، كما كان وقت الصلب، إنما هو ظاهرة فلكيّة مستحيلة الحدوث...

ولقد كان الشـائع قديمًـا أنّ الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سـوء، وكأنّ الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته»[4].

وجاء في معجم الكتاب المقدس Encyclopædia Biblica : «لا شـك أنّ [لوقا] الإنجيلي قد آمن أنّ كسـوف الشمس سـببُ هذه الظاهرة المتصوّرة بسذاجة[5]، رغم أنّـه طبق روايته ذاتها، مات المسـيح في موسـم الفصح -عندمـا كان القمر مكتملًا- حيث **كسوف الشمس مستحيل**»[6].

وتصـوُّرُ الكتاب المقدس والتلمود هو عينه تصوُّرُ مشـركي العرب؛ فإنّه لمّا مات أحد أبناء الرسول ﷺ، قال الرسول ﷺ لمّا ظنّ الناس أنّ ذاك الحدث الكوني المهيب من أثر ما لحق بيت النبيّ ﷺ: «إنّ الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»[7].

---

(1) النص الانتقائي The eclectic text: أي القراءة المنتقاة من أفضل المخطوطات بما يترجّح أنّها كلمات المؤلف.

(2) Wilbur N. Pickering, ‘What Difference does it Make?,’ in , Jay P. Green, Unholy Hands on the Bible: An Examination of Six Major New Versions (Indiana: Sovereign Grace Publishers, 1992), p.557

(3) جورج كيرد (1917–1984) George Caird: لاهوتي وناقد كتابي إنجليزي. أسـتاذ تفسير العهد الجديد في جامعة أوكسفورد.

(4) G.B. Caird, Saint Luke (London: Penguin, 1974), p.253

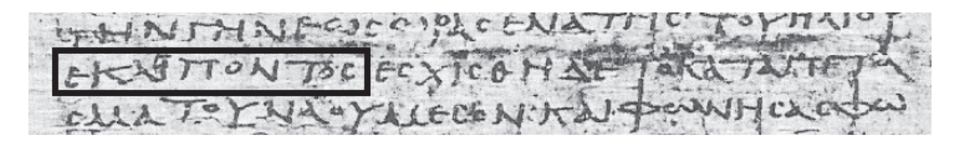
(5) الظلمة عند صلب المسيح.

(6) Art. ‘Eclipse’, Encyclopædia Biblica, T.K. Cheyne and J. Southerland, eds. (New York: Macmillan, 1901), 2/1180

(7) رواه البخاري، كتاب الكسـوف، باب لا تنكسـف الشـمس لموت أحـد ولا لحياته، (ح/ 1009). ومسـلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، (ح/ 901).

البردية 75 (القرن الثالث)

وفيها: كسفت ἐκλιπόντος



مخطوطة بيزا (القرن الخامس)

وفيها: أظلمت ἐσκοτίσθη

المثال التاسع: أعمدة السماء

أهـمّ النصـوص الكتابيّـة الدالة على أنّ للسـماء أعمـدة، ما جاء في سـفر أيوب 26/ 11: «مِن زَجْره ترتعش أعمدة السماء وترتعد من تقريعه».

يقول التعليق على الكتاب المقدس Eerdmans Commentary on the Bible: «أعمدة السماء في العدد 11 هي الجبال التي تحمل السماء»[1].

والملاحـظ في الأدبيـات المصرية القديمـة ذكرها لأعمدة أربع تحمل السـماء؛ فنقـرأ مثلًا ترنيمة النصر لتحتمس الثالث: «أنا أُجدّد مجدك وخوفك في كل الأرض، وأجدّد الخوف منك ما بقيت الأعمدة الأربعة تحمل السماء»[2]. ونقرأ عن الحملات الآسـيوية لرمسـيس الثاني: «أنا أشـرق مثل قرص الشمس وأشـرق مثل رع، كما أنّ السـماء ثابتة علـى دعائمها»[3]. وهو ما آمن به فريق من اليونـان؛ فقد جاء في ملحمة

---

(1) James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. Eerdmans Commentary on the Bible (Michigan: W.B. Eerdmans, 2003), p.348

(2) James B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (Princeton: Princeton University Press,1969) p.374

(3) Ibid., p.240

الأوديسة لهوميروس أن الأطلس يضم أعمدة طويلة تحفظ تباعد الأرض والسماء[1].

لا نجد البتّة في القرآن الكريم حديثًا عن دور الجبال في إمساك السماء، رغم وفرة الآيات التي تصف الجبال ووظائفها، وإنّما نجد في القرآن الكريم نفيًا لوجود أعمدة ماديّة تمسك السماء: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد:2]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [لقمان:10]. وقد اختلف علماء الإسلام في أمر العمد في الآية، فذهب فريق إلى نفي وجود أعمدة، وقال آخرون إنّ هناك أعمدة غير مرئية[2]. والقول الأول أقرب إلى النص. قال **ابن كثير**: «هذا هُوَ اللَّائِقُ بِالسِّيَاقِ، وَالظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ [الحج:65] فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: تَرَوْنَهَا، تَأْكِيدًا لِنَفْيِ ذَلِكَ، أَيْ: هِيَ مَرْفُوعَةٌ بِغَيْرِ عَمْدٍ كَمَا تَرَوْنَهَا، هَذَا هُوَ الْأَكْمَلُ فِي الْقُدْرَةِ»[3]. وعلى كلا الوجهين فالآية تنفي أن تكون الجبال أعمدة للسماء.

المثال العاشر: الجبال أعمدة الأرض

صموئيل (1) 8/ 2: « لأَنَّ لِلرَّبِّ **أَعْمِدَةَ الأَرْضِ**، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا الْمَسْكُونَةَ».

صموئيل (2) 16/ 22: « فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْبَحْرِ، وَانْكَشَفَتْ **أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ** مِنْ زَجْرِ الرَّبِّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِهِ».

أيوب 6/ 9: « الْمُزَعْزِعُ الأَرْضَ مِنْ مَقَرِّهَا، **فَتَتَزَلْزَلُ أَعْمِدَتُهَا**».

أيوب 4-6/ 38: «أين كنت حين **أسست الأرض**؟ أخبر إن كان عندك فهم. من وضع قياسها؟ لأنك تعلم! أو من مد عليها مطماراً؟ على أي شيء قرت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها؟».

---

(1) Homer, Odyssey, 1:53

(2) فسّر بعض المعاصرين هذا الوجه بالجاذبيّة.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 429.

المزمور 18/ 15: « فَظَهَرَت أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ **أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ** مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ».

المزمور 75/ 3: « ذَابَت الأَرْضُ وَكُلُّ سُكَّانِهَا. أَنَا وَزَنْتُ **أَعْمِدَتَهَا**» .

المزمـور 82/ 5: «يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشـون. تتزعزع كل **أسـس الأرض**».

إشـعياء 24/ 18–20: «ويكـون أن الهارب من صوت الرعب يسـقط في الحفرة والصاعـد من وسـط الحفـرة يؤخذ بالفـخ. لأنّ ميازيب من العلاء انفتحت **وأسـس الأرض** تزلزلـت. انسـحقت الأرض انسـحاقاً. تشـققت الأرض تشـققًا. تزعزعت الأرض تزعزعًا. ترنحت الأرض ترنحاً كالسـكران وتدلدلـت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم».

إرميـاء 31/ 37: «هكذا قال الرب: إن كانت السـماوات تقاس من فوق وتفحص **أساسـات الأرض** من أسـفل فإني أنا أيضاً أرفض كل نسـل إسـرائيل من أجل كل ما عملوا يقول الرب».

يقول الناقد **كايل جرينوود**: «أُسس الأرض: سِجِلُّ الكتاب المقدس واضحٌ ومتسق في أنّ الأرض مدعومة بأعمدة أو أسس. الدليل يأتي إلينا من كل من النثر والشعر من الأسـفار المختلفة في كامل الكتاب المقدس. في العهد القديم يتم اسـتخدام أشكال مختلفة من الجذر «ي–س–د» في اللغة العبرية في وصف المؤلفين لبناء المنشـآت. يُسـمّى الأساس نفسـه إما יְסוֹד [يَسـودْ] أو מוּסָד [موسـاد]، في حين أن الفعل من وضع الأساس هو יסד [ياسد]. الكلمات نفسها التي تستخدم لوصف أسس بيت أو معبد أو قصر هي الكلمات نفسـها المسـتخدمة لوصف أسس الأرض. وبالمثل، في الترجمة السبعينية للعهد القديم والعهد الجديد، تستخدم كلمة θεμέλιον [ثميليون] اليونانية لكل من المعنى المشـترك والكوني للأسـاس. إنّ الاسـتخدام المتّسق لهذه الكلمات لكل من المبنى والأرض يدل على أنّ مؤلّفي الكتاب المقدس يقيسـون بناء

الأرض على بناء منزل أو معبد أو قصر»[1].

وقـال الناقد **جون والتون**[2]: «تدلّ هذه الصـور أنّ البحر ما كان يُنظر إليه أنّه ممتد كامتداد الأرض؛ إذ إنّه يُشَبّه بأخاديد تحيط بقطعة أرض أو سياج زريبة. تُقدّر النصوص الأكاديّة مسـاحة البرّ على الأرض أنّها تقارب 3000 ميل تمتد من جبال جنوب تركيا في الشمال حيث منابع دجلة والفرات إلى جنوب شرق إيران في الجنوب. وتمتد من الشـرق إلى جبال زاجروس والهضبة الإيرانية. والمصادر أقل وضوحًا حول الحدود الغربيّـة. وقد كانوا دون شـك علـى معرفة بالبحر المتوسـط، وكانـوا يعتبرونه الحد الغربي الأساسي.

كان يُنظـر إلى الجبال على حدود العالم المعروف أنّها تتقاطع مع السـماء، وربّما تسـندها، وأنّ لهـا جذورًا فـي العالـم السـفلي.وكان يُنظر أحيانًا إليهـا كحاجز للمياه الكونيّة. ومن أمثلة هذه الانطباعات وصف مرتفع «سمريا» في إحدى نقوش سرجون كما يأتي: «جبل سمريا قمّة جبل عظيمة، نتوءاتها المرتفعة مثل حد السيف على رأس سلسـلة الجبال... في الأعلى، تسـند قمتها السـماوات، وفي الأسفل، تبلغ جذورها العالم السفلي».

اعتقد المصريون أحيانًا أيضًا أنّ الجبال تحمل السـماء، وإن كان بالإمكان العثور علـى نمـاذج أخرى، «توجـد فـوق الأرض قبّة السـماء، وهي منفصلـة عن الأرض بالهواء، ومحمولة مثل طبق منبسط كبير على دواعم عند أركان الأرض»[3].

وعلّـق الناقد **جوليـوس أ. بور**[4] على نصّ يونان 2/ 5–6: « قَـدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى

---

(1) Kyle Greenwood, Scripture and Cosmology, p.78

(2) جون هـ والتون(John H. Walton –1952): ناقد كتابي أمريكي. أستاذ في Moody Bible Institute. له عناية خاصة بعلاقة الشرق الأدنى القديم بسفر الخروج.

(3) John Walton, Ancient Near Eastern thought and the Old Testament: Introducing the conceptual world of the Hebrew Bible (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006), p.173

(4) جوليوس أ. بور Julius A. Bewer : أستاذ الفيلولوجيا الكتابيّة في Union Theological Seminary بنيويورك.

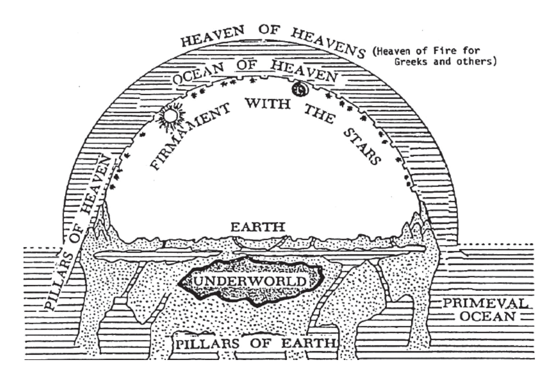
النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِـي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَـيَّ إِلَـى الأَبَـدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِـنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِـي أَيُّهَا الـرَّبُّ إِلَهِي»، بقوله: «اعتقَـد اليهود أنّ الأرض مؤسّسـة على محيط مائي أسـفلها، المزمـور 24/ 2، وأنّ نهايات الجبال، أعمدة الأرض، تمتد عمقًا إلى الأسس. انظر مزمور 18/ 16»[1].

ويقـول الناقـد **تومـاس إدوارد ماك كومسـكي**[2]: في سـفر يونـان 2/ 6: «جذور الجبـال» الـذي كان يُعتقد أنّ الأرض تسـتقر عليه، وهي موجودة فـي أعماق البحر. باختصار، تمثّل «الجبال» و«الأسـس» النهايـات المقابلة من الجهة الأخرى للجبال: «ارتفاعها في السماء يقابل عمق أسسها في الأرض»[3].

لاحـظ أنّ الجبـال التي لهـا نتوء فـوق الأرض، وهي امتداد لأعمـدة الأرض من أسـفل، هـي فقط التي على حواشـي الأرض، وليسـت هـي كلّ الجبـال أو جلها أو أعظمها، أما بقية الجبال فلا تخرق الأرض من أسفل.



وهذه صورة أخرى[4]:



(1) Julius A. Bewer, A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, A Critical and Exegetical Commentary on Jonah (New York: Charles Scribner, 1912), p.46

(2) تومـاس إدوارد ماك كومسـكي (Thomas Edward McComiskey (1928-1996: أسـتاذ العهـد القديم في Trinity Evangelical Divinity School.

(3) Thomas Edward McComiskey, The Minor Prophets: An Exegetical and Expository Commentary (Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1992-1998), p.728

(4) <http://www.webpages.uidaho.edu/ngier/gre13.htm>

ليست الجبال في القرآن الكريم أعمدة للسماء، وإنّما هي تمسك نفسها والأرض التي تحتها أن تميد:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[1].

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾[2].

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾[3].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾[4].

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾[5].

وهنا:

(1) أظهر القرآن الكريم أنّ باطن الأرض يحمل طبيعة مضطربة غير ساكنة.

(2) وَصَفَ القرآن الكريم الجبال أنّها مثل الوتد. والوتد قطعة من الخشب أو الحديد تغرز في الأرض لتشدّ نفسها، فتشدّ الخيمة، ويكون جزؤها الأكبر مخفيًا تحت الأرض.

(3) استعمل كلمة «ألقى» و«نصب» في الحديث عن نشأة الجبال.

يشهد العلم الحديث اليوم على دقّة الأوصاف السابقة التي لم تعرف إلا منذ بضعة عقود بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين[6]:

---

(1) سورة النبأ/ الآيتان (6–7).
(2) سورة النحل/ الآية (15).
(3) سورة الأنبياء/ الآية (31).
(4) سورة الملك/ الآية (16).
(5) سورة الغاشية/ الآية (19).
(6) See Z. R. El-Naggar, The Geological Concept of Mountains in the Qur'an, (Cairo: Al-Falah Foundation, 1424/2003)
زغلول النجار، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرض، بيروت: دار المعرفة، 1428هـ، 2007م، ص 201–215.

أولًا: رسو الجبال فوق قشرة لينة:

وصف القرآن ما تحت القشرة الأرضية بأنّ من طبعه الميد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾[الأنبياء:31]. وماد الشيء «يميد ميدًا: تحرك ومال»[1].

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك:16]، والمور: «مار الشيء يمور موراً: تَرَهْيَأَ أي تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة العيدانة»[2].

المادة التي تحت القشرة الأرضيةcrust هي إذن ذات طبيعة لينة؛ فلو وضع عليها بناء فإنّه (أي ما يوضع فوق الطبقة الدنيا) سيتحرّك ويضطرب ولن يستقر. والعلم قاطع اليوم في تصديق هذا الوصف العلمي الدقيق، فإنّ طبقة الدثار mantle التي تلي قشرة الأرض مباشرة من الأسفل موصوفة بأنّها أشبه بالسائل اللزج viscous fluid، لكنها لزوجة مرنة elastic، وبعيدة عن السيلان.

وفي المقابل، يُفهم من التوراة أنّ الأرض راسية على الماء، وتمنعها الأعمدة السفلية من الغرق، وهو ما يكذبّه العلم! فالدثار ليس سائلًا، وليس هو ماء ابتداء إذ هو طبقة تبلغ ثخانتها 2886 كيلومتر[3]، ويمثّل 84٪ من حجم الكرة الأرضية، ويقع تحت القشرة الأرضية التي لا يزيد حجمها على عشرات الكيلومترات. وتبلغ حرارة الجزء الملاصق للقشرة حدود 1500 درجة، وهي الأقل بالنسبة لما تحتها. والدثار مرن ويتكون من الألوفين وأحجار مماثلة له، وهو بذلك أبعد شيء عن الماء[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ميد.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: مور.

(3) O.G. Sorokhtin, G.V.Chilingarian, N.O. Sorokhtin, Evolution of Earth and its climate birth, life and death of Earth. (Amsterdam: Elsevier Science Ltd, 2011) p. 137

(4) Mantle, National Geographic Encyclopedia </https://www.nationalgeographic.org/encyclopedia/mantle>

ثانيًا: ثبات الجبال بجذرها:

قـال تعالـى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ:6-7]. والوتد في اللغـة العربية ما يُثبّت نفسـه بانغرازه فـي غيره، وأما تثبيت غيره فليـس لازمًا له، فقد يثبّت غيره بتثبيت نفسـه؛ كتثبيت الوتد لنفسـه في الأرض، وتثبيتـه الخيمة بذلك، أو يثبّت نفسه دون تثبيت غيره، وبيان ذلك في النقاط التالية:

● الوتـد فـي «لسـان العـرب» لابن منظـور: «**مـا رُزَّ فـي الحائـط أو الأَرض من الخشب**»[1]. فدلّ ذلك أنّ الوتد كلّ ما غرز في ثابت **لتثبيت نفسه أصالة**، ولذلك تأتي كلّ المعاني الأخرى للواو والتاء والدال بمعنى محض الثبات لا محض التثبيت. قال **ابن منظور**: «ووَتَدَ الوَتِدُ وَتْداً وتِدَةً وَوَتَّدَ كلاهما: ثَبَتَ... والواتِد: الثابتُ»[2].

● في مصنّف **ابن أبي شـيبة** (توفي 235 هـ) بسنده عن عمرو بن ميمون أنّه أوتد له وتد في حائط المسجد، وكان إذا سئم من القيام في الصلاة أو شق عليه أمسك بالوتد يعتمـد عليه. فالوتد في هذا الأثر شـيء صلب ثُبّت فـي الحائط فانغرز فيه، وليس هو لتثبيت شـيء آخـر؛ فمطلق المغروز في الحائط أو الأرض وتد. وفي شُـعَب الإيمان للبيهقي بسـنده عن أبي رافع قـال: «وَتَّدَ فِرْعَـوْنُ لامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُـمَّ حَمَلَ عَلَى بَطْنِهَا رَحًى عَظِيمَةً، حَتَّى مَاتَتْ»[3].

● أخـرج **البخاري** في صحيحـه عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قصـة قتل أبي رافع اليهـودي: «... فلمّـا دخـل الناس أغلـق الباب ثم علـق الأغاليق على وتـد»[4]. قال الحافظ **بدر الدين العيني** عن الأغاليق: «جمع غلق بفتح أوله، وهو ما يغلق به الباب، والمـراد بهـا المفاتيح»[5]؛ فالمفاتيح إذن قد عُلّقت على شـيء مغـروز في الباب، لا

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: وتد.
(2) المصدر السابق.
(3) البيهقي، شعب الإيمان، (ح/ 1517).
(4) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، (ح/ 3813).
(5) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار الكتب العلمية، (1421هـ/ 2001م)، 17/ 183.

لتثبيــت المفاتيــح(!) وإنما لحملها، فدلّ ما ســبق بيقين أنّ العرب مــا كانت تعتقد أنّ الوتد هو محض ما شــدّ الخيمة إلى الأرض، وإنما هو ما شُــدّ إلى شيء ثابت؛ فسواء شدّ غيره أو لم يشدّه، فهو وتد إذا كان مغروزًا في ثابت.

● الوتــد فــي العبرية له معنى الوتد نفســه في العربية، علمًا أن اليــاء العبرية في فاء الجــذر تقابل الواو فــي اللغة العربية (مثال: فعــل ילד [يلد] العبــري يقابل فعل ولد العربي).

نقرأ في المعجم الكلاسيكي لعبرية التوراة لعالم العبرية الكبير فلهالم **جزنيوس**[1] في تعريف «يتد» العبرية[2]:

יָתַד an unused root. Arabic وتد and وطد *to make firm, to fix firmly.* Hence—

יָתֵד const. יְתַד, plur. יְתֵדוֹת, m. Ezek. 15:3, f. Isa. 22:25; Deu. 23:14.

(1) *a pin, a nail,* which is fixed into a wall, Eze. 15:3; Isa. loc. cit.; specially *a pin of a tent,* Exod. 27:19; 35:18; 38:31; Jud. 4:21, 22. *To drive in a pin* or *nail,* is in Hebrew (as in Arabic, see Vit.

Tim. i. p. 134, 228, edit. Manger.), an image of a firm and stable abode, Isa. 22:23; in which sense יָתֵד is used Ezr. 9:8; comp. יָתֵד verse 9, and the roots נָטַע, נָתַשׁ. Also, *a nail* or *pin* is used metaphorically of a *prince,* from whom the care of the whole state hangs as it were, Zec. 10:4; the same person is also called פִּנָּה or *corner stone,* on whom the state is builded.

(2) *a spade, paddle,* Deu. 23:14. יְתַד־הָאֹרֶג Jud. 16:14, *a weaver's spatha.* [In Thesaur. this last passage is not put under this head.]

(1) فلهالم جزنيوس Wilhelm Gesenius (1786–1842): لغوي ألماني لوثري. اشتهر بمعجمه العبري التوراتي.

(2) Friedrich Heinrich Wilhelm Gesenius, Gesenius's Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament Scriptures, ed. Samuel Tregelles (London: Samuel Bagster, 1860), p.376

إنه المعنى نفســه الذي ذكره **ابن منظور** في «لســان العرب»، والمثال الأشــهر في التوراة هو نفسه في العربية، وهو استعمال الوتد لتثبيت الخيمة.

إشعياء 22/ 23:

وَأُثَبِّتُه وَتَدًا فِي مَوْضِعٍ أَمِينٍ، وَيَكُونُ كُرْسِيَّ مَجْدٍ لِبَيْتِ أَبِيهِ.	וּתְקַעְתִּיו יָתֵד בְּמָקוֹם נֶאֱמָן וְהָיָה לְכִסֵּא כָבוֹד לְבֵית אָבִיו

عزرا 9/ 8:

وَالآنَ كَلُحَيْظَـةٍ كَانَـتْ رَأْفَـةٌ مِـنْ لَدُنِ الرَّبِّ إِلهِنَا لِيُبْقِيَ لَنَا نَجَاةً وَيُعْطِيَنَا وَتَدًا فِي مَكَانِ قُدْسِهِ، لِيُنِيرَ إِلهُنَا أَعْيُنَنَا وَيُعْطِيَنَا حَيَاةً قَلِيلَةً فِي عُبُودِيَّتِنَا.	וְעַתָּה כִּמְעַט־רֶגַע הָיְתָה תְחִנָּה מֵאֵת׀ יְהוָה אֱלֹהֵינוּ לְהַשְׁאִיר לָנוּ פְּלֵיטָה וְלָתֶת־לָנוּ יָתֵד בִּמְקוֹם קָדְשׁוֹ לְהָאִיר עֵינֵינוּ אֱלֹהֵינוּ וּלְ-תִתֵּנוּ מִחְיָה מְעַט בְּעַבְדֻתֵנוּ

حزقيال 15/ 3:

هَلْ يُؤْخَـذُ مِنْهُ عُـودٌ لِاصْطِنَاعِ عَمَلٍ مَّا، أَوْ يَأْخُذُونَ مِنْهُ وَتَـدًا لِيُعَلَّقَ عَلَيْهِ إِنَاءٌ مَّا؟	הֲיֻקַּח מִמֶּנּוּ עֵץ לַעֲשׂוֹת לִמְלָאכָה אִם־יִקְחוּ מִמֶּנּוּ יָתֵד לִתְלוֹת עָלָיו כָּל־כֶּלִי

الآيات القرآنية التي تصف الجبال أنها «رواسي» و«أوتاد»، دالة على معنى واحد؛ وهــو أنّ الجبــال راســية لأنها وتديــة، وهي وتديــة ولذلك هي راســية على الأرض، فالجبال راسية على الأرض كما ترسو السفينة على الماء، فينزل جزؤها العلوي تحت

الماء ليحقق التوازن المطلوب للاستقرار، وهو عين كونها أوتادًا. فهي أوتاد منغرزة في الأرض، تثبّت نفسها بانغراز جزئها الأسفل تحت سطح الأرض.

ويشهد العلم الحديث اليوم على دقّة الوصف القرآني العجيب للجبال، والذي لم يُعرف إلا في الزمن المتأخر بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين؛ حتىّ قال الجيولوجي **سيمون لامب**[1]: «كان اكتشاف أنّ للسلاسل الجبليّة جذورًا عميقة [في الأرض] **واحدًا من أكبر الاكتشافات الجيولوجيّة في القرن التاسع عشر وبداية العشرين**»[2].

ويقول الجيولوجيان الأمريكيان **إلدردج م. مورز**[3] **وروبرت ج. تويس**[4] في كتابهما « تكتونيات»، تحت عنوان «تشكّل جذور الأرض»: «جذور الجبال هي مواضع أكبر من السماكة العادية للقشرة الأرضية التي تدعم كل أحزمة الجبال القارية في العالم. في الحقيقة، الشكل المرتفع للجبال قائم لطبيعة السند الإيزوستاتي[5] المتاح بسماكة قشرة الأرض التي «تطفو» في دثار أكثر كثافة»[6].

وقد تمّ الكشف عن حقيقة جذور الجبال على يد الفلكي **جورج إيري**[7] الذي بيّن أنّ الجبال تطفو على القشرة العليا للأرض، وتثبّت نفسها بانغراز جذرها الطويل في طبقة الوشاح بصورة تتناسب طرديًا مع علوّها فوق قشرة الأرض، وهو ما يُعرف علميًا بـisostasy [8].

---

(1) سيمون لامب Simon Lamb : أستاذ فيزياء الأرض في Victoria University of Wellington.

(2) Robert Dinwiddie; Simon Lamb and Ross Reynolds, Violent Earth (London; New York: DK, 2011), p.46

(3) إلدردج م. مورز Eldridge M. Moores (1938 - 2018): جيولوجي من جامعة كاليفورنيا. له عناية خاصة بالقشرة القارية للولايات المتحدة، وجيولوجية اليونان وقبرص وباكستان.

(4) روبرت ج. تويس Robert J. Twiss: جيولوجي من جامعة كاليفورنيا. له عناية خاصة بدراسة لزوجة دثار الأرض.

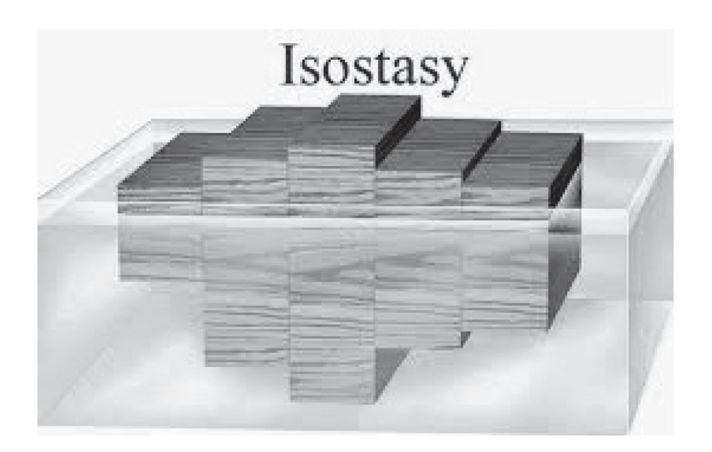
(5) Isostatic support

(6) Eldridge M. Moores, Robert J. Twiss, Tectonics (Illinois: Waveland Press, 2014), p.234

(7) جورج بيدل إيري George Biddell Airy (1801-1892): عالم رياضيات وفلك وفيزياء بريطاني. شغل المنصب الرفيع في زمانه: «Astronomer Royal». طوّر عدة نظريات علميّة.

(8) A.B. Watts, Isostasy and Flexure of the Lithosphere (Cambridge Univ. Press., 2001)

اختلاف عمق انغراز جذر الجبل في الأرض
باختلاف طول الجبل فوق الأرض



تعقيب 1:

قال **ابن كثير**[1]: «روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة، عن محمد بن طلحة التيمي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي سلمة قال: كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة، وكانت قريش تسميه العروبة، فيخطبهم فيقول: أما بعد، فاسمعوا، وتعلموا، وافهموا، واعلموا، ليل ساج، ونهار ضاح، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد»[2].

وكعب بن لؤي قد عاش قبل الإسلام، وزعم أنّ الجبال أوتاد الأرض.

الجواب:

هذه الرواية ضعيفة لا تصحّ؛ ففيها محمد بن الحسن بن زبالة، وهو متروك.

(1) أصحاب هذا التعقيب على الشبكة الإلكترونية ذكروا الرواية بنسبتها إلى ابن كثير، والأصل أن تكون الإحالة إلى الأصل الذي نقل عنه ابن كثير، وهو كتاب: دلائل النبوة لأبي نعيم، (تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، بيروت: دار النفائس، 1406 هـ – 1986م)، 1/ 89.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (دار هجر،1424هـ / 2003م)، 3/ 333.

قال فيه **يَحْيَى بْنُ مَعِين**: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزَّبَالِيُّ واللَّهِ مَا هُوَ بِثِقَةٍ.
وقال أيضاً: ابْنُ زَبَالَةَ كَذَّابٌ خَبِيثٌ لَمْ يَكُنْ بِثِقَةٍ ولا مَأْمُونَ، يَسْرِقُ.
وقال **الْبُخَارِيُّ**: عِنْدَهُ مَنَاكِيرُ.
وقال **أَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ الْمِصْرِيُّ**: كَتَبْتُ عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ فَتَرَكْتُ حَدِيثَهُ[1].

تعقيب 2:

القرآن يقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل:15]، وذاك يعني أنّ الجبال تثبّت الأرض كلّها حتّى لا تضطرب. والعلم لا يشهد اليوم للقول إنّ الجبال تثبّت قشرة القارات حتى لا تضطرب.

الجواب:

الآية لا تتحدّث ضرورة عن جميع الأرض، وإنّما الأرجح أنّها تتحدّث عن الأرض ذات الطابع الجبلي «Mountainous Landscape»[2]، والتي تشكّل خمس مساحة الأرض (24٪)[3]؛ فلا يشمل حديثها الصحاري حيث لا توجد جبال على مساحات واسعة من الأرض. وهذه المساحة الجبلية الواسعة التي يعيش عليها البشر راسية لطبيعتها الجبليّة التي ترسي نفسها وما تحتها بانغرازها في قشرة الأرض الخارجية.

يقول القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:31]. قال **الطبري** : «وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه

(1) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400 هـ- 1980م)، 25/ 64-65.

(2) تُطلق «الأرض» في القرآن على مجموع اليابسة أو بعضها؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾. ولم يته بنو إسرائيل في كامل الأرض وإنما في بعضها، وقال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ (يوسف/ 55)، ولم يتجاوز سلطان يوسف بلاد مصر وما خضع لحكمها في زمانه.

(3) How Much Of The World's Land Mass Is Mountainous?
<https://www.worldatlas.com/articles/how-much-of-the-world-s-land-mass-is-mountainous.html>

يقـول: إنمـا عنى بقوله (وَجَعَلْنَـا فِيهَا فِجَاجًا) وجعلنا في الرواسـي، فالهاء والألف في قوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا) من ذكر الرواسـي»[1]. أي: وجعلنا في الأرض جبالاً ضخمة راسية على الأرض حتى لا تميد بالناس لو كانت بلا رسوّ، كما جعلنا في هذه الجبال (أو بينها) طرقًا يسير فيها الناس.

ومعنى ما سبق أنّه في المسـاحات الجبلية الواسعة التي تشكّل ربع الأرض، تقوم الارتفاعـات التي تظهر أمـام الرائي –والتي كان العرب زمن البعثة يسـمونها جبالاً– بتثبيت الأرض التي تحتهـا؛ بفعل تمدد جزء من هذه المرتفعات في طبقة الدثار التي تلي قشـرة الأرض مباشـرة. يقول علماء الجيولوجيا أصحاب كتاب «فهم الأرض»: «ينطبق قانون isostasy أيضًا على أشكال السلاسل الجبليّة الكبيرة؛ فهي تغوص ببطء بسبب الجاذبية وتنحني القشرة إلى الأسفل. عندما يدخل القدر الكافي من الجذر في الدثار؛ يطفو الجبل»[2]. ولولا هذه الجذور لمادت القشرة وما يعلوها من جبال.

وحتّـى لو قلنا مع المعترض إنّ القرآن يشـير ضرورة إلـى أنّ الجبال تمنع الأرض كلّهـا أن تميـل؛ فليس له أن يعترض بالعلم على القرآن هنا؛ فإنّ ذلك من العجلة؛ فإنّ العلم لم يُثبت إلى الآن أنّ الأرض تثبّت كلّ الأرض، ولا هو أبطل ذلك. والبحث في الجبال ووظائفها، بطيء، ولذلك فالمسارعة بنفي ما لم يُثبته العلم بعد، عجلة[3]. كما أنّ البحث العلمي بدأ يرفع وجه اسـتغراب أثر الجبال على حركة الأرض؛ فقد نُشِـر بحث علمي السنة الماضية في مجلّة علميّة محكّمة، في أثر شكل سطح الأرض على ضَعـف زلزال أصاب منطقة منبسـطة (وادي) في النيبال سـنة 2015. وانتهى المقال

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 16/ 262.

(2) Frank Press, Raymond Siever, John Grotzinger, Thomas H. Jordan, Understanding Earth (New York: Macmillan, 2004, 4th edition), p.418

(3) وقد كنتُ وقعتُ في هذه العجلة في هذه المسألة بعينها، في كتاب «براهين النبوة»، اغترارًا بقول أحد الأركيولوجيين الذين سألتهم. والحق أنّ المعرفة العلمية في هذا الباب بعيدة أن تقطع القول في مسألة بهذا المبلغ من الغموض.

إلـى أنّ الجبال قـد حوّلت أغلب الموجـات الزلزالية إلى الحواف الشـرقية والغربية للوادي، وأنّ ذلك «يشير إلى أنّ التضاريس السطحية قد ساهمت في تقليل اهتزازات هذا الزلزال بعينه، وقلّلت تأثيره داخل الوادي»[1].

تعقيب 3:

قال الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت:

إلــه العالميــن وكــل أرض ورب الراسيات من الجبال

وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
دَحَـاهَا فَلَمَّا رَآهَـا اسْتَـوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا

وذاك يدلّ على أنّ تثبيت الأرض بالجبال كان معلومًا قبل الإسلام.

الجواب:

أولًا: قصيدة أمية بن أبي الصلت، تبدأ هكذا:

إلــه مــحـمـد حــقًا إلـهـي وديــنـي ديـنــه غيـر انـتحال
إلــه الــعـالـميـن وكل أرض ورب الـراسـيات من الجبال

والقصيدة على الظاهر منحولة، لكثرة النقل فيها من ألفاظ القرآن.

ثانيًا: ما قاله أميّة وزيد إنّ الجبال راسية فوق الأرض، لا أنّها مرسية لها.

تعقيب 4:

جـاء في الريـج فيدا الهندوسـي: «هو الذي أرسـى الأرض وثبّتها عـن الاهتزاز، وأسندها بالجبال»[2].

(1) M. van der Meijde, M. Ashrafuzzaman, N. Kerle, S. Khan, H. van der Werff, 'The Influence of Surface Topography on the Weak Ground Shaking in Kathmandu Valley during the 2015 Gorkha Earthquake, Nepal', Sensors. 2020; 20(3):678.

(2) Rig-Veda, Book 2 - HYMN XII. Indra - 2

الجواب:

أولًا: هـل يعتقـد المعترض أنّ القرآن متأثّر بالكتب الهندوسـية المتداولة في بلاد نائيـة عـن مكّة، وبلغة لا يعرفها أحـد من أهلها؟ أم يَعتقد أنّه مجـرّد توافق؟ إن كانت الأولـى؛ فهي بعيدة جدًا، وواقـع التاريخ يقطع بمنع هذا التأثّـر المزعوم. وإن كانت الثانيـة فالاتفـاق في أمر يوافق العلم، صدفة قد تقع، ولا ينفـي ذلك أنّ الخبر العلمي فـي القرآن حق، ومتكرّر ومتنوّع، وليس ذاك فـي كتب الهندوس التي تعجّ بكلّ أنواع الخرافات.

ثانــيًا: الترجمة العربية المعروضة هنا –والمتداولة بيـن الملاحدة– فيها تدليس؛ فـإنّ الترجمـة الإنجليزية تقـول: « He who fixed fast and firm the earth that staggered, and set at rest the agitated mountains»[1]. فالنـص لا يقول إنّ الجبال تسند الأرض، وإنّما يقول إنّ الإله قد جعل الجبال المضطربة مستقرّة.

● خلاصة الخلاف بين التصور القرآني للجبال والتصور التوراتي الشائع أيضًا في حضارات متاخمة للبلاد العربية:

	التوراة والإنجيل	موقف العلم الحديث	القرآن الكريم	موقف العلم الحديث
موقع الجبال؟	تبدأ جذورها من الماء الذي تحت قشرة الأرض.	غلط	مغروزة في الأرض من أعلى.	صح
كيف نشأت؟	تشكّلت قبل خلق الأرض أو معها لأنها قواعد الأرض؛ فلا تستقرّ الأرض دونها فوق الماء.	غلط	تشكّلت بعد خلق الأرض.	صح

(1) https://www.sacred-texts.com/hin/rigveda/rv02012.htm

ما الذي تحتها؟	لا شيء	غلط	باطن الأرض اللين والمضطرب	صح
ما وظيفتها؟	حمل الأرض والسماء	غلط	تثبيت الأرض الجبليّة	صح
سبب الزلازل	تحرك أساسات الأرض	غلط	اضطراب باطن الأرض	صح
هل هذا التصور مشهور عند الأمم البدائية الأسطورية؟		نعم		لا

ومـن المهم التنبيه هنـا أنّ القرآن أدق تعبيرًا في وصف الجبال من الكتب المدرسـية التي تُدرَّس في أقسـام علوم الأرض؛ إذ إنّ الجبـال توصف أنّها ارتفاعات لها جذور (roots)، فـي حيـن يتضمّن القرآن وصف شـكل الجبل ووظيفته فـي كلمة واحدة، وهي «وتد»؛ بما يتضمّن ثلاثة أوصاف دقيقة جدًا:

(1) للجبال امتدادات داخل قشرة الأرض.

(2) وظيفة الجبل تثبيت نفسه والأرض تحته من خلال عمقه الممتد في الأرض.

(3) الامتدادات داخل الجبال عميقة بقدر حاجة تثبيت الجبل حتّى لا يميد (جبال الهملايا ارتفاعها عن سطح الأرض 9 كم، وجذورها في أعماق القشرة 75 كم).

ثالثًا: الجبال تنصب وتلقى:

من عجائب القرآن اسـتعماله لكلمتين ليسـتا مترادفتين، وبينهما فارق واضح في الإيحاء التصويري، أولهما «نصب» وثانيهما «ألقى» عند الحديث عن نشأة الجبال:

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ [الغاشية:19].

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:15].

وعنـد النظر في ما يقرّره العلم نكتشـف دقة الاختيار القرآنـي للألفاظ؛ إذ الجبال -كما يقول علماء الجيولوجيا- أنواع تبعًا لطبيعة النشأة؛ فهي ثلاثة أنواع:

1. «الجبال الالتوائية» «Fold mountains».
2. «الجبال الكتلية» «Block mountains».
3. «الجبال البركانية» «Volcanic mountains»[1].

تتكـوّن الجبال الالتوائيـة والكتلية بنصب الجبـال، فيما تتكوّن الجبـال البركانية بالإلقاء.

الجبال التي تنصب: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الغاشـية:18-19]. وفعـل نصـب فـي «لسـان العرب»: «وضع الشـيء ورفعه»[2]. وفي «معجم الصحاح»: «نصَب الشيء: رفعَـه وأقامَه». وهـذه الجبال التي رُفِعت هـي الجبال الالتوائيـة Fold mountains بفعل تصادم الصفائـح، والجبال الكتلية Block mountains الناتجة عن ارتفاع كتلة صدعية أو ارتفاعها، وفي كلتا الحالتين ينتصب الجبل عالياً مرتفعًا عن سطح الأرض بعدمـا كان دون ذلك. وتمثّل الجبال الالتوائية نسـبة عالية مـن مجموع الجبال، وقد أشـار القرآن بعبارة لطيفة إلـى طريقة تكونها في قوله تعالـى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد:3]؛ فمدّ الأرض يؤول إلى ظهور الصفائح وتدافعها.

الجبـال الملقـاة: قـال تعالـى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل:15]. عبارة «ألقى» عجيبة، ومسـتفزة للذهن؛ إذ الأصل أن ترد عبارة مثل نصب ووضع للدلالة على نشأة الجبال، والصورة الأولى العفويـة التـي يُلقيها فعل ألقـى في الذهن بعيـدة عن تصوّر الإنسـان الذي عاش في القـرون الماضية، كمـا أنّ الجمع بين نصـب الجبال -أي رفعهـا-، وإلقائها، مجهد للذهـن، لكنّ عالم الجيولوجيا اليوم يرى في هذا الإشـكال إعجازًا لأنّه لو اقتصر القرآن علـى نصب الجبال لـكان في الأمر قصور عـن الإحاطة بأوجه نشـأتها؛ إذ إنّ من الجبال مـا لا يرتفع مـن الأرض، وإنما يُرفع بفعل مـا تقذفه الجبال من باطـن الأرض من حمم؛ فينـزل مـن الفوهة المرتفعة إلـى الأرض المنحدرة حولها بما يكـوّن طبقات جديدة تزيد الأرض ارتفاعًا، وهي الجبال البركانية Volcanic mountains، وقد وصف **ويليام كامبل**

---

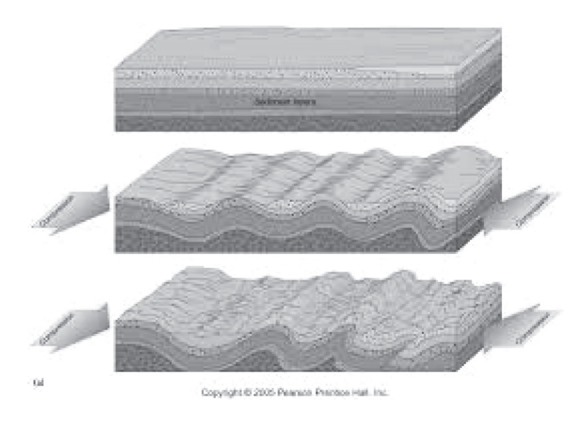
(1) Cliff Ollier and Colin Pain, The Origin of Mountains (London; New York: Routledge, 2000), p.271

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصب.

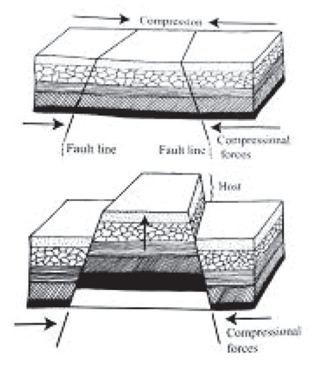
تكـوّن الجبال البركانيّة بقولـه: «وهناك أنواع أخرى من الجبال تكوّنهـا البراكين، إذ **تُلقى thrown up** الحمم والرماد من داخل الأرض، فيتراكم ذلك حتّى يتشكّل جبل عال»[1].

ويتمّ بذلك الجمع بين الرفع والرمي بصورة لا يتصوّرها عقل أهل مكة والمدينة، ولا حتى كلّ الناس إلى هذا الزمان إلّا أهل التخصص في الجيولوجيا ومن قرأ كتبهم.

تكوّن الجبال الالتوائية

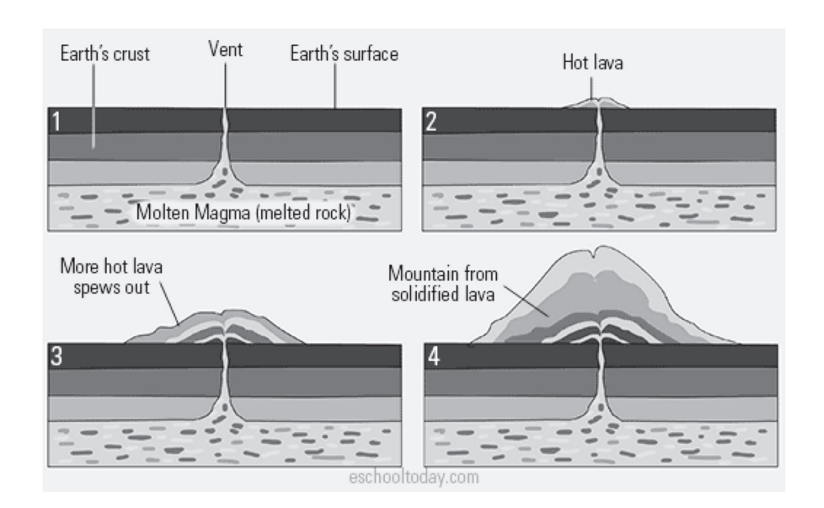


تكوّن الجبال الكتلية



(1) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science (Upper Darby, PA: Middle East Resources, 2002), p.172





المثال الحادي عشر: الأرض الثابتة

مزمور 18/ 15: «فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ».

مزمور 104/ 5: « الْمُؤَسِّس الأَرْضَ عَلَى قَوَاعِدِهَا فَلاَ تَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ».

نصوص الكتاب المقدس صريحة في أن الأرض ثابتة على أعمدة لتثبيتها. وقيام الأرض على هذه الأعمدة لكي لا تتحرك الأرض؛ حجة أنّ الأرض ثابتة لأنّنا لا نجد ذكرًا لشيء تقوم عليه هذه الأعمدة؛ فلو كانت الأرض قائمة على أعمدة، وكانت هذه الأعمدة قائمة على شيء آخر؛ لأمكن القول إنّ ثبات قشرة الأرض لا يتعارض مع تحرك الأرض وأعمدتها تحتها.

تعقيب 1:

جاء في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر:64]؛ فالأرض ساكنة أيضًا لا تتحرّك.

الجواب:

جاء ذكر ثبات الأرض في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر:64] إلا أنّ القرار (الثبات وعدم الميل) متعلق بقشرة الأرض فقط. وهذا مشاهد ومعلوم اليوم وفي الزمن القديم؛ فإنّ الأرض قارة (مستقرة) حتى يطيب عليها العيش. ووجوب صرف قرار الأرض عن معنى الثبات المطلق له قرينة من القرآن نفسه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٣﴾؛ والآية هنا تثبت أنّ الأرض متحركة غير ثابتة بإطلاق؛ إذ إنّ الليل والنهار هنا ظرفا زمان، كناية عن ظرف المكان وهو الأرض. ومعلوم أنّ الليل والنهار لا يتحركان في خط دائري، وإطلاق الظرف وإرادة المحل والمكان من معهود القرآن الكريم ولغة العرب. وقد جاء الفعل في صيغة الجمع (يسبحون)؛ بما يدلّ أن مُتعلَّقه جَمْعٌ؛ وهو: الشمس+القمر+ ما دلّ عليه الليل والنهار؛ وهو الأرض. وعموم قوله «كلٌّ» دال -في الأصل، إلّا بصارف- على عموم حركة كلّ الأفلاك في مدارات.

علمًا أنّ المسلمين قد سبقوا النصارى في القول بحركة الأرض، دون أن تقع بينهم الضجّة التي كانت مع كوبرنيكوس (توفي 1543م) لاحقًا. فقد صرّح بمذهب حركة الأرض أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السِّجْزي -عالم الرياضيات والفلك الشهير- (حوالي 945-1020م). وأقام اختراعه للإسطرلاب الزَوْرقي boat astrolabeعلى أساس حركة الأرض. وهو الاختراع الذي قال عنه البيروني -المعاصر للسجزي-: «رأيت الإسطرلاب المسمى الزورقي الذي اخترعه أبو سعيد السجزي. وقد استحسنته وأطريته؛ إذ يستند إلى الفكرة التي يطرحها بعضهم من أنّ الحركة التي نراها ترجع إلى حركة الأرض لا حركة السماء»[1]. كما أشار البيروني في كتابه العظيم «القانون المسعودي» إلى مذهب السجزي في حركة الأرض. ويبدو أنّ

(1) Dehkhoda, Sharh-i hal-I nabighih-i Shahir-i Iran…m p.12 (Cited in: Seyyed Hossein Nasr, An Introduction to Islamic Cosmological Doctrines, New York: SUNY Press, 1993, p. 135).

أنصار مذهب حركة الأرض في البيئة الإسلامية ما كانوا قلّة هامشية؛ فقد جاء في كتاب عربي يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي: «طبق ما يقوله المهندسون، الأرض في حركة دائرية دائمة، وما يبدو أنه حركة للسماوات هو في الواقع بسبب حركة الأرض لا النجوم»[1]. وفي نسبة هذا المذهب إلى «المهندسين» (علماء الفلك) -بإطلاق-، دلالة على انتشار هذا الرأي العلمي الفلكي. ومن أهم من قال بمذهب حركة الأرض -بعد السجزي- أبو الحسن علاء الدين بن علي الأنصاري، المعروف بابن الشاطر (1304-1375م) في كتابه «نهاية السؤال في تصحيح الأصول»، وقد ذهب بعض الباحثين الغربيين إلى تأثير ابن الشاطر في النموذج الذي عرضه كوبرنيكوس بعده لاحقًا، وأثار العالم النصراني عليه[2].

تعقيب 2:

جاء في الحديث أنّ البيت المعمور في السماء السابعة بحذاء الكعبة، لو سقط على الأرض؛ لوقع فوقها. وذاك يقتضي أنّ الأرض لا تتحرّك؛ فثباتها ضمانة وجود ما يحاذيها في السماء.

الجواب:

حديث البيت المعمور جاء في الصحيحين؛ فقد قال رسول الله ﷺ - واللفظ **للبخاري**-: « فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ. قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ. فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؛ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»[3].

---

(1) M. J. L. Young, J. D. Latham, R. B. Serjeant, eds. Religion, Learning and Science in the 'Abbasid Period (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p.413.

(2) Stephen P. Blake, Astronomy and Astrology in the Islamic World (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2016), p.81.

(3) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (ح/ 3035)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، (ح/ 238).

وليـس في الحديث السـالف ذكر محاذاة البيت المعمـور للكعبة. وأمّا ما جاء في دعوى محاذاة البيت المعمور في السماء للكعبة على الأرض، فلم يصحّ عن النبيّ ﷺ بسند سالم من العلل؛ فقد أخرج **الطبري** عن قتادة قال: «ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال: البيت المعمور مسـجد في السماء بحذاء الكعبة، لو خرّ لخرّ عليها، يدخله سـبعون ألف ملك كل يوم، إذا خرجوا منـه، لم يعودوا». وهو حديث ضعيف لانقطاع الإسناد بين قتادة التابعي ورسول الله ﷺ.

وأخـرج **ابن المنـذر، والعقيلي، وابن أبي حاتم، وابن مردويـه**، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السـماء بيـت يقال له: المعمور. بحيال الكعبـة». قال **ابن كثير**، مضعّفًا له: « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا، تَفَرَّدَ بِهِ رَوْحُ بْنُ جَنَاحٍ هَذَا، وَهُوَ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ مَوْلَاهُمْ أَبُو سَـعْدٍ الدِّمَشْـقِيُّ، وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَيْهِ جَمَاعَـةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ مِنْهُمْ: الْجَوْزَجَانِيُّ، وَالْعُقَيْلِيُّ، وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَغَيْرُهُمْ»[1].

وأخرج **الطبراني، وابن مردويه**، عن ابن عباس قال: قال رسـول الله ﷺ: «البيت المعمور في السماء يقال له: الضراح. على مثل البيت الحرام؛ بحياله لو سقط لسقط عليـه». ضعّفه **السـيوطي**[2]. وقال **الألباني**: «وهذا سـند ضعيف من أجـل عنعنة ابن جريج...، و أما إسـحاق بن بشر فكذاب، فلا يستشـهد به ولا كرامة»[3]. وقد قال في ابن بشـرٍ الإمامُ **مسـلم**: تركوا حديثه. وقال **ابن المديني**: كذّاب، كان يحدث عن ابن طاوس، وابن طاوس مات قبل أن يولد. وقال **الدارقطني**: متروك الحديث[4].

فالحديـث لا يصـحّ مرفوعًا إلى الرسـول ﷺ. ولا يتقوّى بعضـه ببعض للضعف الشديد لهذه الأسانيد المرفوعة؛ فإنّ من شروط ارتقاء الضعيف إلى الحسن لغيره أن يكون ضعف الأسانيد يسيرًا، يقبل الجبر.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 428.

(2) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت: دار الفكر)، 7/ 627.

(3) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (بيروت: مكتبة المعارف، 1415هـ)، 1/ 858.

(4) الذهبي، سـير أعلام النبلاء، تحقيق: شـعيب الأرناؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسـة الرسالة، 1405 هـ/ 1985 م)، 9/ 478-479.

المثال الثاني عشر: قشرة الأرض الهشة

ملوك الأول 40/ 1: «وَكَان الشَّعْبُ يَضْرِبُونَ بِالنَّايِ وَيَفْرَحُونَ فَرَحًا عَظِيمًا حَتَّى انْشَقَّتِ الأَرْضُ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ».

تصدّعت الأرض لمجرّد صراخ جماعة لاهية من الناس، وهو ما يعني أنّ الأرض هشة جدًا حتى إنّ صوتًا بشريًا عاليًا يكفي لشقها.. والسياق كاشف أنه لا تعلّق للأمر بفعل إعجازي، وإنّما هو أثر صرف لصراخ جماعة كبيرة من البشر. وقد حاول أصحاب تفسير The Bible knowledge commentary تخفيف مبالغة نص ملوك الأول 40/ 1 فقالوا إنّ حماسة المحتفلين جعلت الأرض ترتج[1]، رغم أنّ النص يستعمل جذر فعل בָּקַע [باقع] لا جذر فعل רָגַז [راجز]! وعلى كلا الحالين؛ فالأمر منكر علميًا.

المثال الثالث عشر: متى يظهر قوس القزح؟

تكوين 11-16/ 9: «أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ.

وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ:

وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ.

فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ.

فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ».

يخبرنا نص تكوين 11-16/ 9 أنّ الربّ (!) قد أصابه الندم بعد أن أدّاه غضبه إلى إغراق البشريّة بالطوفان زمن نوح عليه السلام؛ ولذلك أراد أن يكبح جماح غضبه

(1) J. F. Walvoord, R. B. Zuck & Dallas Theological Seminary, The Bible knowledge commentary : An exposition of the scriptures (Wheaton, IL: Victor Books, 1985), 1/490

الفائر الذي أدّاه إلى مجاوزة الاعتدال؛ فقرّر أن يُذكِّر نفسه كلّما نزل مطر بخطيئته فلا يعود إلى إبادة البشر، واختار قوس القزح علامة لتذكيره!

وبعيدًا عن فظاعة صورة الإله الجاهل والانفعالي في النص السابق، نعلم أنّ قوس القزح ظاهرة سماويّة طبيعيّة لا علاقة لها بتذكير أحد بشيء؛ فهي ظاهرة طبيعية ناتجة عن انعكاس ضوء الشمس في قطرات المطر أو الضباب وانكساره.. كما أنّ قوس القزح يظهر عادة عند المطر الخفيف الذي لا يُخشى منه الطوفان.

وخبر ربط قوس القزح بمزاج الآلهة معروف في العقائد الوثنية القديمة[1]؛ فقد جاء في نص فلكي قديم من بابل اسمه مول أپين في الحديث عن قوس القزح: «إذا كان في الجنوب: مطر. إذا كان في الشمال: فيضانات. إذا كان في الشرق: مطر. إذا كان في الغرب: دمار»[2]. كما جاء في ملحمة جلجامش أنّ الإلهة عشتار قد اختارت اللازورد (أحجار شبه كريمة زرقاء مع بعض اللون الذهبي) من عقدها كأساس لقَسَم أقسمته حتى لا تنسى أبدًا أيام الطوفان[3].

ولا يوجد في القرآن حديث عن قوس القزح، وإنما جاء في الحديث الباطل معنى قريب مما جاء في سفر التكوين: «لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح شيطان، ولكن قولوا: قوس الله عز وجل، فهو أمان لأهل الأرض»، والحديث موضوع، مفترى على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وهو من آثار ثقافة أهل الكتاب المنتشرة بين المسلمين في القرون الأولى، والتي دسّها الوضاعون في الميراث النبوي، وكشف زيفها علماء الحديث[4].

---

(1) نحن لا نفصل بين عمل الطبيعة وإرادة الرب سبحانه لعقاب قوم أو إكرام آخرين؛ فلسنا على مذهب الربوبيين، وإنما ما ننكره هو أن يكون عمل الطبيعة السنني مرتبطًا في كل تفاصيله بالمزاج المتقلب للإله كما في التصورات الوثنية. الله سبحانه يصرّف عامة الأمر من خلال السنن الكونيّة.

(2) Hermann Hunger, John Steele, Writing Science before the Greeks: A Naturalistic Analysis of the Babylonian (Leiden: Brill, 2011), p. 119

(3) Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.39

(4) ابن الجوزي، الموضوعات، 1/ 143-144.

وقد صحّ عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «... وأمّا قوس قزح فأمانٌ من الغرق بعد قوم نوح عليه السلام» (الأدب المفرد، (ح/ 765). وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله فيه عن أهل الكتاب ظاهر. ويبدو أنه فهم المسألة على غير فهمهم.

المثال الرابع عشر: النجم المتحرك بسرعة

متى 1-11/ 2:

«وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ.

فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟

فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ:

وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ.

حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ.

ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ.

فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ.

فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا.

وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا».

قصّة النجم المتحرّك من أعجب أساطير الكتاب المقدس. فنحن هنا أمام قصة تزعم أنّه لما وُلد المسيح ظهر نجم رآه أهل فارس يدل على ولادته، وأنّه وصل سماء أورشليم، ثم تتبّعه المجوس الذين كان يقودهم بحركته البطيئة حتى وصل بهم إلى بيت لحم، مباشرة فوق المكان الذي يوجد فيه المسيح الرضيع.

وبعيــدًا عــن نكارة انتظار المجــوس –عبّاد النار– مسـيحًا يهوديًــا، وتلفيق نبوءة وهمية عن المســيح من نصَّيّ ميخــا (1/ 5) وصموئيــل 2 (2/ 5)، نقول: هذه القصة فاسدة علميًا من أوجه كثيرة:

1. خبر ظهور النجم العظيم منبئ عن ظهور رجل عظيم منتظر زمانه، خرافة منتشــرة فــي كثيــر من الأمم الســابقة[1]. قال القســيس **جون جيكــي**[2] في كتابــه عن حياة المســيح: «كان –في الحقيقــة– يُعتقد عالميًا أن الأحداث غير العادية، ولا ســيما ولادة الرجال العظماء وموتهم، يُبشَّــر بها بظهور النجوم، وكثير من المذنبات، أو عن طريق التقاء الأجرام السماوية»[3].

(1) قال القمّص عبد المسيح بسيط في مقاله: «هل المسيحيّة مقتبسة من البوذيّة؟!» في سياق دفعه تهمة أن تكون قصّة نجم ميلاد المســيح مأخوذة من البوذيّة – أخطاء الرســم واللغة منقولة كما هي من موقع القمّص–: «... ونجد ما يقرب من ذلك في ســيرة أبن هشــام حديث عن «نجم احمد الذي ظهر في الســماء» حيث تقول في [رواية حسان بن ثابت عن مولده صلعم] قال ابن إســحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ســعد بن زرارة الأنصاري. قال حدثني من شــئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال والله إني لغــلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له ويلك ما لك ؟ قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به...» فهل يمكن لنا أن نسأل الأخوة المسلمين الذين يقولون بما قاله الملحدين عن المسيح وبوذا هذا السؤال؟ من أين اقتبس كاتب السيرة وراوة الحديث فكرة هذا النجم «نجم أحمد» من البوذي كما زعموا عن بوذا؟ أم من هذا الفكر الذي يتحدث عن أن لكل إنسان نجمه؟؟!!».

قلت: قصّة ظهور «نجم أحمد»، باطلة سندًا ومتنًا.

أمّا ســندًا؛ فقد وردت رواية ابن إســحاق بسند فيه مبهمين: «**من شئت من رجال قومي**». ووردت بطرق أخرى فيها الواقدي، والواقدي قد قال فيه البخاري: «تركه أحمد وابن المبارك وابن نمير وإســماعيل بن زكريا... كذبه أحمد وقال معاوية بن صالح: قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب». (ابن حجر، تهذيب التهذيب، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ، 9/ 364). ورواية الكذّاب هدر، لا تقوي إسنادًا، ولا تجبر خبرًا!

وأمّا متنًا؛ فالبشــارة بأحمد قد وردت في الإنجيل لا في التوراة، ولا يُعرف لليهود كتاب ديني يخبر عن ظهور نجم أحمد! كما أنّ مثل هذه الواقعة التي يفترض أن تكون مشهودة من كثير من أهل مكّة، لم ترو عن الكافة من الناس، بل ولا رويت بإسناد واحد صحيح!

فنجم أحمد المذكور ليس إلاّ خرافة رويت عن كذّاب أو كذابين، كنجم المسيح!

(2) جــون كاننغــام جايكــي (1824–1906) John Cunningham Geikie: رجــل ديــن إســكتلندي. صاحب مؤلفات واسعة. نالت كتبه شعبية كبيرة في عصره.

(3) "It was, indeed, universally believed that extraordinary events, especially the birth and death of great men, were heralded by appearances of stars, and still more of comets, or by conjunctions of the heavenly bodies." (John Cunningham Geikie, The Life and Words of Christ, New York: D. Appleton, 1885, 1/144)

2. انقطاع إسـناد متّى لم يجبره أي دعم تاريخي آخر لقصّـة النجم المتحرّك. وينبّهنا الأب الدكتـور ريمونـد براون إلى ما يزيد الأمر سـوءًا، بقوله: «متّى يصف ظاهرة فلكيّـة غير معتادة: النجم الذي ظهر في المشـرق، وعلى ما يبدو أنّه قاد المجوس إلى أورشليم، ثم عاد للظهور واستقرّ فوق مكان ميلاد يسوع في بيت لحم (2/ 2، 9). في كتابي «ميلاد المسيّا» فحصتُ كلّ أثر لذلك في السجلّات الفلكيّة في فترة ميلاد يسـوع: المُذنّبات، وتزامن الكواكب، ونجوم السـوبرنوفا (النجم المسـتعرّ الأعظم). **وأصبح جليًا أنّه لا يوجد سجلٌ فلكيّ لما وُصف في إنجيل متّى**».[1]
3. قـول مؤلف إنجيل متّـى: «وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْـرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَـفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ»، موهم أنّ الإنسـان من الممكن أن يمشـي على الأرض بسرعة النجم نفسه في المساء!
4. يفهم من النص السابق أنّ النجم في السماء قد وقف مباشرة أمام المكان الذي فيه المسـيح؛ وهذا منكر جدًا؛ فإنّ النجوم بعيدة جدًا في السـماء؛ فلا يقال إنّها تقف فوق إنسان أو بيت لتدلّ بدقّة على مكانه!

يخلو القرآن من أي إشارة إلى النجوم المتحركة بسرعة الإنسان، وإنما تبدو النجوم – في القرآن – للعين ثابتة في السماء ليهتدي بها الإنسان في معرفة الاتجاهات:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:97].

المثال الخامس عشر: أرضنا أكبر من الأرض التي بلغها الإنجيل

الرسـالة إلى رومـا 10/ 18: «لكِنَّنِي أَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْـمَعُوا؟ بَلَـى! إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَإِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ أَقْوَالُهُمْ».

(1) ريموند براون، 101 سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، تعريب: ماري فكري، القاهرة: دار الأكويني، 2018، ص155.

يُفهم من كلام بولس أنّ دعوة المسيح قد بلغت في زمنه الأرض كلّها. وذاك باطل ضـرورة؛ فلم تبلغ كامل يهـود الأرض ولا بلغت عامة الأمم الأخرى؛ فالأرض أكبر مـن التي كان يعرفها بولـس. وبولس ما كان يعرف القارة الأمريكية المكتشـفة بعده بقرون.

ليس في القرآن حديث عن حجم الأرض؛ ولذلك لم يفاجَأ المسـلمون باكتشاف الأمريكيتين، على خلاف كثير من النصارى الذين هالهم وجود أرض لم تبلغها دعوة المسـيح؛ بما أنشـأ حالة من الجـدل اللاهوتي الواسـع في ذلك؛ فقـد كان عامة آباء الكنيسة على القول بعدم خلاص من لم يؤمن، سواء بلغته الرسالة أو لم تبلغه[1].

المثال السادس عشر: ظاهرة الريح

خبـر الكتاب المقدس عن الريـح، مُجمل في أغلب الأحيان، لكنّه يورد في بعض الأحيان دعاوى كشف عصرنا فسادها علميًا في شأن أصل الريح وحركتها.

تقـول الموسـوعة اليهوديـة The Jewish Encyclopedia تحت مقـال «رياح»: «كانت مسـاكن الرياح [في الأدب اليهودي القديم] في أركان الأرض الأربعة؛ **هناك كانت الرياح محصورة في المخازن**، والتي منها يطلقها يهوه (إرمياء 10/ 13، 49/ 36، 51/ 16، ...). طبقًـا لسـفر الرؤيـا 7/ 1، تتمّ حراسـة هذه المخازن مـن طرف أربعة ملائكـة تقوم بتقييد الرياح كلّما أرادت أن تتفلّت. لم يكن لدى العبرانيين القدماء أيّ تصور لطبيعة الرياح وأسبابها؛ بالنسبة لهم، كما هو الحال بالنسبة لكل القدماء، كانت الرياح خلقًا غامـضًا، مسـاراتها غير معروفة دائمًا (الجامعة 11/ 5، يوحنا 3/ 8). في الواقـع، تقع الرياح كظاهرة -في عملها وأصلها- كليًا خارج مجال المعرفة البشـريّة (المزامير 107/ 25-27، مرقس 41/4)...»[2].

(1) See Andrew Dickson White, A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom, 1/103

(2) The Jewish Encyclopedia, 12/532

ويشـهد الكتاب المقدس للحركة الدائرية للريح؛ فقد جاء في سفر الجامعة 1/ 6: «اَلرِّيـحُ تَذْهَبُ إِلَى الْجَنُوبِ، وَتَدُورُ إِلَى الشَّـمَالِ. تَذْهَبُ دَائِرَةً دَوَرَانًا، **وَإِلَى مَدَارَاتِهَا تَرْجِـعُ الرِّيحُ**». ليس الحديث هنا عن الحركة الالتفافية للريح؛ وإنّما هي حركة دائريّة كاملة تنتهي بعودة الريح إلى نقطة البدء.

ومـن الواضـح أنّ مؤلّف سـفر الجامعة قد نقل رؤيتـه العلمية لحركـة الريح من ثقافات عصره المتشـربة للمفاهيم الطبيعية من الحضارات السـابقة أو المجاورة لها؛ فإنّنـا نملـك وثيقتين أشـوريتين تتحدثان عن «دائـرة الرياح» [كِبّات سـار]، و«دائرة الريـاح الأربـع» [كبات سـار إربتي][1]، وفي ملحمـة توكولتي نينورتا الأشـورية قام الملك الأشوري بالسيطرة على «دائرة الرياح الأربعة»[2].

ليـس في القرآن شـيء من الأخطاء العلمية السـابقة، وإنّما يخبـر القرآن أنّ الريح تحـرّك السـحب : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعـراف: 57]، وتلقحهـا حتى تمطر: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ [الحجـر: 22] . وهمـا من دقيـق الخبر العلمي، وإن كان الخبـر الأول لا يبعد أن يكون معروفًا عند عامة الأمم السابقة.

(1) Wayne Horowitz, Mesopotamian Cosmic Geography (Winona Lake: Eisenbrauns, 1998), p.261 –260

(2) Ibid., p.261

المبحث الثاني:
شكل الكون في القرآن

ظهر القرآن في القرن السابع في بيئة تشبّعت فيها الذهنية اليهودية والنصرانية بمعرفة مشاعة للكون وصورته؛ فالحبر ومفسر الأناجيل كعوام اليهود والنصارى يحملون تصورًا واحدًا للكون في عريض تفاصيله.

والناظر في الخبر القرآني لا يرى أثارة للثقافة اليهودية-النصرانية الفلكيّة؛ إذ الصورة غير تلك الصورة، رغم أنّ ثقافة أهل الكتاب ثريّة ومكتملة ومغرية بالاقتباس. وقد اقتبس المفسرون والأخباريون المسلمون من ثقافة أهل الكتاب في شكل الكون لسعة خبر الوصف الكوني عندهم، وقدرته على سد ثغرات المعرفة الكونية بين أهل العصر.

المطلب الأول: الإعجاز العلمي القرآني في إخباره عن شكل الكون

وصفُ الكون في القرآن وارد في آيات كثيرة تدعو إلى التأمل في جميل الصنع، وكثير الفضل، وبيان مظاهر الجمال والإمتاع في المخلوقات. وليس المقصد الأعلى لمعاني هذه الآيات تعديل التصور الكوني لعرب زمن البعثة، وإنما تعديل مفاهيم الناس في باب العبادة؛ ببيان أنّ العبادة يجب أن تنصرف إلى الخالق المصوّر، لا إلى من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا.

والآيات القرآنية -مع ذلك- فيها بعض الإشارات الكونية التي تشير إلى طبائع مادية تخالف ثقافة العصر، وتوافق الحق، على غير ما يتوقعه المرء من كتاب رجل عاش في القرن السابع الميلادي في بلاد العرب. وهنا بعض هذه الآيات الدالة على الكمال العلمي للقرآن الدال على أصله الرباني.

المثال الأول: شموس لا شمس واحدة

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾

[الفرقان:61]. والسراج هو الشمس في العرف القرآني:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ:13].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح:16].

ولذلك فسّر العلماء الذي قرؤوا: «وجعل فيها سراجًا» السراج بالشمس في جميع آي القرآن حيث جاءت الكلمة مفردة. قال صاحب «لسان العرب»: «والسراج: الشمس»[1].

كان الناس حتّى زمن قريب يعتقدون أنّ الكون ليس فيه غير شمسنا، ثمّ لمّا توسّع عمل المراصد الفلكيّة اكتشف العلماء أنّ الكون فيه بلايين النجوم؛ إذ إنّ جل طاقة الكون مصدرها هذه الشموس[2]. وهي الحقيقة التي نبّه عليها القرآن بوضوح جليّ في آية 61 من سورة الفرقان في قراءة حمزة والكِسائيّ، وهما قراءتان من القراءات السبع التي أجمع عليها أهل السنّة. وقراءة «سُرُجًا» بالجمع هي القراءة الأشهر في الكوفة في القرون الأولى، ومتلقّاة عن الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ولمّا عجب المفسّرون من أمر هذا الجمع رغم أنّ الشمس - في ثقافتهم العلميّة- واحدة، وكانت الآية قد ذكرت القمر، لم يجدوا مخرجًا غير القول إنّ السرج هنا هي النجوم، رغم علمهم أن كلمة سراج في العرف القرآني تعني الشمس.

والعجيب هنا هو أنّ المفسّرين أصابوا في قولهم دون قصد؛ إذ إنّ جلّ النجوم هي في حقيقتها شموسٌ أيضًا؛ إذ النجم هو جرم سماويّ ينير إنارة ذاتيّة، وينتج طاقته النوويّة في نواته[3]. فاعجَبْ للدقّة القرآنيّة التي ألزمت المفسّرين أن يسبقوا عصرهم دون قصد! علما أنّ مؤلّفي أسفار الكتاب المقدس كانوا يجهلون -كما غيرهم- أنّ النجوم شموس[4].

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرج.

(2) Rudolf Kippenhahn, 100 Billion Suns: The Birth, Life, and Death of the Stars (New York: Basic Books, 1983)

(3) Jonathan Law, Richard Rennie, eds. Oxford Dictionary of Physics (Oxford: Oxford University Press, 2005, 5th ed.), p.501

(4) John H. Walton, The Lost World of Genesis One. Ancient Cosmology and the Origins Debate (Downers Grove, Ill.: IVP Academic, 2009), p. 16

المثال الثاني: القمر المضيء

قـال تعالـى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء:12]

قال ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان القمر يضيء كما تضيء الشـمس، والقمر آية الليـل، والشمس آية النهار، «فمحونا آية الليـل»: السواد الذي في القمر»[1].

واليوم يتّفق عامة العلماء أنّ سـنّ القمر هو سـنّ الأرض نفسـه (4.5 بليون سنة). ويذهـب عامـة العلمـاء إلـى أنّ القمر فـي بدايتـه كان ملتهب السـطح. يقـول عالم الجيولوجيـا **دوغ ماكدوغـال**[2]: «واحـدة مـن أُولى وأهم الاكتشـافات من دراسـة الصخـور التـي جيء بها على يد علمـاء الفلك العاملين في برنامـج أبولو هي أنّ كلّ الجـزء الخارجـي للقمر في بواكيـر حياته كان مصهـورًا، أو بعبارة حرفيّـة: بحر من الصهـارة (magma). الصخـور التي من المناطق العليا القديمـة في القمر، هي بقايا القشرة التي كُوّنت كمحيط صهاريّ متبرّد ومبلور (crystallized) ...»[3].

وقد سُئل عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن السواد الذي فـي القمر، فقال: ذاك آية الليـل مُحِيت[4]. ويقول العلماء اليوم إنّ المساحات التي تبدو لنا سوداء من الأرض هي أثر عن مناطق كانـت ملتهبة، وإنّها طبقات من الحمم المتصلّبة مع تبرّد القمر. والعلم بذلك يشـهد لصواب تفسير عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخذه –كما هو ظاهر– من الآية 12 من سورة الإسراء، علمًا أنّ **غاليليو** لمّا رأى هذه البقع السـوداء بالتلسـكوب، ظنّها بحيرات[5]. وتُسـمّى اليوم «maria»، وهي كلمة لاتينيّة تعني «بحارًا»[6]!

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 517.

(2) دوغ ماكدوغـال Doug Macdougall: أسـتاذ متقاعـد من جامعـة كاليفورنيا حيث قاد أبحاثًا فـي الجيوكيميا. من مؤلفاته: « Why Geology Matters: Decoding the Past, Anticipating the Future ».

(3) Doug Macdougall, Why Geology Matters: Decoding the Past, Anticipating the Future (Berkeley: University of California Press, 2011), pp.66–67

(4) رواه الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 516.

(5) Dinah L. Moché, Astronomy: A Self-Teaching Guide (Hoboken, N.J. : John Wiley, 2009), p.264

(6) Pierre-Yves Bely, Carol Christian, Jean-René Roy, A Question and Answer Guide to Astronomy (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2010), p.97

شكل القمر (منذ 4.5 بليون سنة)

صورة من فيديو عن تاريخ القمر لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا[1]



المثال الثالث: قشرة الضياء

قـد علمـتَ أنّ التوراة تثبت أنّ نـور الكون أصيل فيه قبل ظهـور الأجرام المنيرة؛ فماذا يقول القرآن؟

قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس:37].

تثبت الآية الآنفة أمرين:

أولًا: الظلمـة هـي الأصل، وما ضـوء النهار إلّا شـيء متحيّز فـوق الأرض. قال المفسّـر **ابن عاشـور**: « وَالسَّـلْخُ: إِزَالَةُ الْجِلْدِ عَـنْ حَيَوَانِهِ... فَمَفْعُولُ نَسْـلَخُ هُنَا هُوَ النَّهَارَ بِلَا رَيْبٍ، وَعُدِّيَ السَّـلْخُ إِلَى ضَمِيرِ اللَّيْلِ بِ (مِنْ) فَصَارَ الْمَعْنَى: اللَّيْلُ آيَةٌ لَهُمْ

(1) NASA | Evolution of the Moon
.<https://www.youtube.com/watch?v=UIKmSQqp8wY >
وقد تمّ الاحتفاء بالفيديو في الغرب باعتباره إنجازًا إعلاميًا وعلميًا مميّزًا. انظر مثلا:
Rob Waugh, Incredible Nasa video shows 4.5 BILLION years of the moon's history in just three minutes, DailyMail, 15 March 2012
https://www.dailymail.co.uk/sciencetech/article-2115293/Incredible-Nasa-video-shows-4-5-BILLION- >
<years-moons-history-just-minutes--including-asteroids-shaped-pitted-surface-Earth.html

فِي حَالِ إِزَالَةِ غِشَاءِ نُورِ النَّهَارِ عَنْهُ فَيَبْقَى عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ، فَشُبِّهَ النَّهَارُ بِجِلْدِ الشَّاةِ وَنَحْوِهَا يُغَطِّي مَا تَحْتَهُ مِنْهَا كَمَا يُغَطِّي النَّهَارُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ فِي الصَّبَاحِ. وَشُبِّهَ كَشْفُ النَّهَارِ وَإِزَالَتُهُ بِسَلْخِ الْجِلْدِ عَنْ نَحْوِ الشَّاةِ فَصَارَ اللَّيْلُ بِمَنْزِلَةِ جِسْمِ الْحَيَوَانِ الْمَسْلُوخِ مِنْهُ جِلْدُهُ، وَلَيْسَ اللَّيْلُ بِمَقْصُودٍ بِالتَّشْبِيهِ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ تَشْبِيهُ زَوَالِ النَّهَارِ عَنْهُ فَاسْتَتْبَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ يَبْقَى شِبْهَ الْجِسْمِ الْمَسْلُوخِ عَنْهُ جِلْدُهُ. وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الظُّلْمَةَ هِيَ الْحَالَةُ السَّابِقَةُ لِلْعَوَالِمِ قَبْلَ خَلْقِ النُّورِ فِي الْأَجْسَامِ النَّيِّرَةِ لِأَنَّ الظُّلْمَةَ عَدَمٌ وَالنُّورُ وُجُودٌ، وَكَانَتِ الْمَوْجُودَاتُ فِي ظُلْمَةٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْكَوَاكِبَ النَّيِّرَةَ وَيُوصِلُ نُورَهَا إِلَى الْأَجْسَامِ الَّتِي تَسْتَقْبِلُهَا كَالْأَرْضِ وَالْقَمَرِ»[1].

ثانيًا: النهار قشرة رقيقة تغطّي الأرض؛ ولذلك شُبّهت بالجلد؛ إذ الجلد قشرة رقيقة من كيان ضخم. والعلم يقول لنا اليوم، بعد الصعود إلى الفضاء إنّ النهار مجرّد قشرة لطيفة تغطي جزءًا من الأرض بفعل مواجهتها للشمس؛ فهي لا تتجاوز 300 كم التي تمثّل الغلاف الجوي للأرض، وهي مسافة رقيقة جدًا في كون تقاس فيه المسافات بالسنوات الضوئية.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/ 18.

صورة عن موقع National Geographic المعروف
مع تعليق الموقع: غلافنا الجوي – الخط الأزرق الرقيق
Our atmosphere—the thin blue line(1)



المثال الرابع: الحركة في الكون

وُصفت الحركة الصاعدة إلى السماء في القرآن بلفظ دقيق، وهو العروج، وهو وصف يوافق طبيعة شكل البنية الكونية. جاء في «لسان العرب» في مادة: «عرج»: «عَرَج يَعْرُج، وعَرُج وعَرِج عَرَجانًا: مشى مِشْية الأَعرج بعَرَضٍ فغمز من شيءٍ أَصابه، وعَرَج، لا غير: صار أَعْرَجَ... وانْعَرَج الشيءُ: مال يَمْنَة ويَسْرة».

يقول عالم الفيزياء الكونية **باسل الطائي** في معنى العروج: «وهنا نقف على ملاحظة مهمة جدًا في تنزيل العليم العزيز؛ إذ نلحظ أنّ الله تعالى استخدم كلمة

(1) Resource Library | Encyclopedic Entry, Atmosphere, National Geographic
< /https://www.nationalgeographic.org/encyclopedia/atmosphere >

«عـروج» و«معارج» عند الحديث عن الحركة في السـماء. ولهذا الاستخدام دلالته العلميـة الدقيقة.. إذ يُفهم من معاجم اللغـة العربية أنّ الانعراج هو انحراف وميل في الحركة (فلا يظهر العرج إلّا بالحركة). ونقرأ في لسـان العرب: وانعرج الشيء: مال يمنة ويسرة، وانعرج: انعطف.

وأقـول: أثناء الحركة تصريحًـا بالمضمون.. وهكذا جاء اسـتخدامها في القرآن، فقال تعالـى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:4]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:4].

وقـال تعالـى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر:14].

إنّ اسـتخدام معراج ومعارج عند الحديث عن الحركة في السـماء حصرًا لم يكن اعتباطًا، بل لأنّ الحركة الكونية هي حركة في الزمكان المحدّب بوجود قوى الجاذبيّة الكونيـة لمختلف الأجرام. لذا فـإنّ جميع الحركات في السـماء تكون منعطفة، ولا توجـد حركة علـى خط مسـتقيم بالمفهـوم الإقليدي قطعًـا. وحتّى الضـوء وجميع الإشـارات الكهرومغناطيسـيّة الواصلة إلينا مـن آفاق الكون البعيدة تتخذ مسـارات منعرجة يمنة ويسـرة بحسـب تحدّب المكان فـي الفضاء الكوني. وهذه المسـارات تسمّى الخطوط الجيودسية «Geodesic lines»، والأصحّ تسميتها «المعارج»؛ هكذا بكلمـة واحـدة عربيّة فصيحة وقرآنية نعبـر عن الخطوط الجيودسـية.. فنقول معراج ومعارج.. ونفهم معناها الدقيق، ونفهم التنزيل الحكيم»[1].

تعقيب 1:

قـد جاء في المعاجم أنّ من معاني العروج الصعـود والارتقاء؛ وعلى ذلك فليس في وصف الصعود في السماء إعجاز علمي.

(1) باسل الطائي، خلق الكون بين العلم والإيمان (بيروت: دار النفائس، 1418هـ/ 1998م)، ص 160–161.

الجواب:

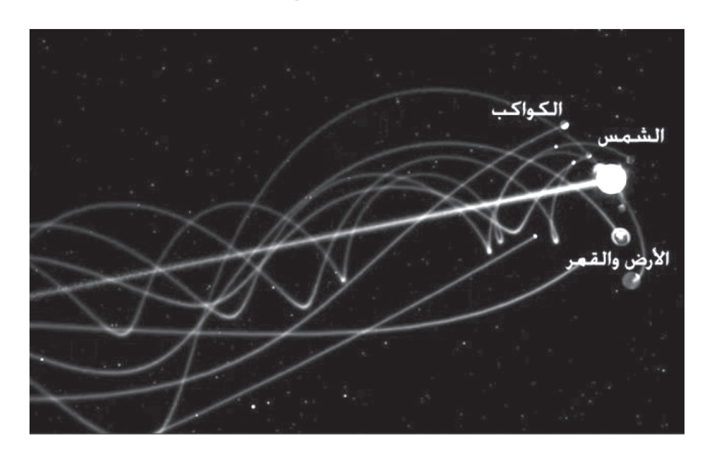
جاء تعريف العروج في المعاجم أنّه الارتقاء، وذاك لا يذهب بإعجاز اللفظ القرآني؛ فإنّ القرآن ينتقي من الألفاظ في اللغة العربيّة ما يكشف العلم دقّته بصورة بالغة؛ فإنّ الصعود في السماء تكفيه عبارة «صعد» و«ارتقى»، غير أنّ القرآن لازم مرّات كثيرة جذر «عرج» للدلالة على الصعود في السماء. فكان وصفه مفهومًا للعربي قديمًا على معنى الصعود، وللمعاصر على أنّه الصعود مع الانحناء. ولا توجد عبارة في لغة العرب أدقّ من هذه العبارة، علمًا أنّ التوراة لا تستعمل عبارة تشير إلى الميل عند الصعود إلى السماء.

ومن دقّة العرف اللفظي في القرآن بما يصف الحركة على معنى يوافق المعنى العام، بما يفهمه السابقون، والأخص بما دلّ عليه الكشف العلمي، وصف حركة الأجرام في السماء بالسباحة؛ فقد وصف القرآن حركة الأجرام وصفًا عجيبًا؛ وهو «السباحة»؛ فشبّه الحركة بحركة السابح، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: 33]، وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: 40].

ورغم أنّ استعارة صفة السباحة لوصف حركة الأفلاك **ليست صادمة لعقل عرب القرن السابع**، إلّا أنّ اللفظ أدقّ مما يتصوّره صاحب القراءة العجِلة؛ فإنّ أهمّ فعل للسابح طبيعة حركته لا سرعته؛ فسرعة الجاري على الأرض أعظم من سرعة السابح.

والناظر في حركة الكائنات البحريّة سريعة الحركة يرى أنّ عامتها يسبح على واحد من وجهين، إمّا بانثناءة الجسم يمينًا وشمالًا، كما هي حركة سمك السلمون مثلًا، أو بالارتفاع والنزول كما هي حركة سباحة الدولفين مثلًا. وبملاحظة حركة الأرض والقمر مثلًا -من بعيد- في دورانهما حول الشمس الدائرة هي أيضًا، نلاحظ أنّ هذا الدوران ليس حول جرم ثابت؛ إذ إنّ كلّ الأجرام في الكون تتحرّك؛ وإنّما

الكواكب تسبح ملتفة يمينًا وشمالًا، وصعودًا ونزولًا، وليست هي الحركة التي كانت تبصرها العين المجرّدة في الليل في القرن السابع[1].



ومما يُضاف هنا قول الشيخ **محمود شكري الآلوسي** (المتوفى 1342هـ/ 1924م): «واستنبط بعضهم من نسبة السباحة للكواكب أنْ ليس هناك حامل له يتحرّك بحركته مطلقًا، بل هو متحرّك بنفسه في الفلك تحرك السمكة في الماء؛ إذ لا يُقال للجالس في صندوق أو على جذع يجري في الماء: إنّه يسبح»[2].

وما قرّره القرآن بنسبة الحركة للأجرام موافق للعلم، مخالف للتفكير البدائي الذي ظنّ الكواكب أو النجوم أشياء مثبتة في قبّة السماء تتحرّك بحركة هذه القبّة الصلبة.

المثال الخامس: صعوبة التنفس في الطبقات العلى للسماء

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: 125].

لما انفتح للبشرية باب للصعود إلى السماء على الحقيقة، اكتشف الناس أنّ الإنسان

(1) الملحوظة التفسيرية المتعلقة بطبيعة حركة الأرض هنا مستفادة من مقالات الباحث عبد الدائم الكحيل.

(2) محمود شكري الآلوسي، ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، تحقيق: محمد زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، 1418هـ/ 1997م)، ص 102.

يضيق تنفّسه إذا ارتفع عن الأرض بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف. ويتعسّر سبيل التنفّس الهادئ بسبب نقصان نسب الأوكسجين في الطبقات العليا للجو.

وقد روى الدكتور **عبد الله المصلح** - أمين عام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة -إسلام عالمة فلك روسية في مؤتمر الإعجاز العلمي في روسيا، وكانت مسؤولة عن تعليم روّاد الفضاء، بعد أن سمعت قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾، وكان ذلك في مؤتمر أقامته الهيئة في روسيا، حيث جاءت تلك العالمة الروسية وجلست إلى الشيخ المصلح برفقة المترجم، ثم انفجرت بالبكاء، فقال لها الدكتور المصلح: ما يبكيك؟ وكان قد سأل عن جنسيتها، فعرف أنها تترية أي إنّ أجدادها كانوا من أهل القبلة، فقال مهدئًا من روعها وممازحًا لها: أتبكين لأنه ذات يوم وقفنا إلى جانب أجدادك التتار، وقدمنا لهم ما يجب على المسلم لأخيه؟، فقالت: «لا، ولكن الذي سمعته الآن هو قمّة الروعة، وهذا ما كنت أدرِّسه لروّاد الفضاء، وما عرفنا هذه الحقيقة العلمية إلا منذ حوالي مئة سنة -أي قرن- فيقينًا هذا القرآن ليس كلام محمد، وإنما هو كلام الله»، وأعلنت إسلامها، وقالت: «والله سوف لن أترك قرية من قرى أهلي التتريين إلا أخبرتهم بأن الشيوعية هي من أفسد عقول الناس، وأن الدّين ليس خرافة، بل هم الخرافيون»[1].

تعقيب 1:

لم يُذكر في تفاسير المتقدّمين معنى الصعود الحقيقي في السماء.

---

(1) عن مقال: 50 عالمًا من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي يختتمون اجتماعًا ببوسعادة (صحيفة الشروق الجزائرية. 27 مارس 2016).
وهذا فيديو يتحدث فيه د. المصلح عن إعجاز الآية وخبر عالمة الفضاء المهتدية.
< GLWWs333958=v?watch/com.youtube.www//:https >
< d8War4bxX9w=v?watch/com.youtube.www//:https >
ونحن نورد هذه القصة للاستئناس لا للاستدلال؛ لأنه لم يصلنا من هذه العالمة تصريح مباشر بما قالت. وهو حال كل قصة غير مباشرة ننقلها في هذا الكتاب.

الجواب:

ما كان الناس قديمًا يتصورون أن يطير الإنسان في السماء؛ ولذلك قالوا إنّ المعنى يدلّ على امتناع الصعود إلى السماء. ونحن اليوم نعلم أنّ الإنسان قادر أن يطير في السماء. وتفسير الآية بالمعنى الحرفي للصعود إلى السماء، وضيق النفس عند الصعود، هو المعنى الحرفي، والأظهر.

تعقيب 2:

كان أهل مكّة يعلمون أنّه عند صعود الجبال يضيق التنفّس.

الجواب:

لا يوجد في مكّة جبل يتجاوز ارتفاعه ثمانية آلاف قدم؛ فجبل الحدب (في الطائف)؛ أطول جبال منطقة مكة ارتفاعه 8684 قدم. كما أنّ كثيرًا منها جبال مجدبة. ولا يبدو خبر ضيق الصدر من مشهور المعارف في بلاد العرب.

تعقيب 3:

مقصد الآية مشقّة الصعود إلى السماء لا الصعود نفسه؛ إذ الآية تقول يصّعّد لا يصعد!

الجواب:

قراءة **ابن كثير**، وهي قراءة سبعيّة، فيها: يَصْعَدُ، بإسكان الصاد، وتخفيف العين. وهي تدلّ على الوجه الذي أنكر المخالف دلالة الآية عليه.

ومن باب الأمانة أذكر أنّ من أهل العلم المسلمين المعاصرين من يرفض الإعجاز في الآية[1]، لأنّهم يرون أنّ الآية صريحة في الدلالة على أنّ وجه الشبه بين من لم يقدّر الله له الهداية ومن قال فيه القرآن ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ هو امتناع الصعود في السماء. وقولهم مشكل من جهة أنّ الإنسان قد

(1) انظر مثلاً مساعد الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، ص 27–30.

استطاع حقيقة الطيران في السماء، والأهم من ذلك أنّ هذا التفسير يُهدر الوجه الدلالي في الحديث عن ضيق الصدر؛ إذ كان يكفي الآية عندها أن تُخبر عن الصعود إلى السماء دون ذكر ضيق الصدر الذي -على قولهم- ليس هو المقصود بالتشبيه، ولا ارتباط له بعسر التنفّس في المناطق العالية.

المطلب الثاني: هل في القرآن أخطاء علمية في خبر شكل الكون؟

اجتهد خصوم الإسلام لبيان وجود أخطاء علمية في القرآن. وقد قلّب النصارى والملاحدة كلّ سوره بحثًا عن معارضة علمية الآيات لصحيح علم الكونيات؛ وكان نهاية أمرهم سوق الآيات التالية لدعم مذهبهم.

الاعتراض الأول: الشمس تغرب في أرض طينية

جاء في قصة ذي القرنين الذي عاش قرونًا قبل البعثة المحمدية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف:86].

تُقرر الآية السالفة أنّ الشمس تغرب على الحقيقة في عين حمئة أي طينية سوداء، أو على القراءة الأخرى: حامية.

الجواب:

تتحدّث الآية عن ذي القرنين أنّه رأى الشمس تغرب في جهة العين الحمئة. ولا تقرّر أنّ الشمس تغرب حقيقة في هذه العين. وتفصيل الردّ على النصارى في الأوجه التالية:

الوجه الأول: وصَفَ الكتاب المقدس ظواهر طبيعيّة كثيرة تبعًا لما يظهر للرائي لا تبعًا لحقيقتها الكونية، كما هو في الآية القرآنية، ومن ذلك ما جاء في سفر القضاة 19/ 14:

فَعَبَـرُوا وَذَهَبُـوا. **وَغَابَـتْ لَهُـمُ الشَّمْسُ عِنْدَ جِبْعَةَ** الَّتِي لِبَنْيَامِينَ.	וַיַּעַבְר֖וּ וַיֵּלֵ֑כוּ וַתָּבֹ֨א לָהֶ֤ם הַשֶּׁ֙מֶשׁ֙ אֵ֣צֶל הַגִּבְעָ֔ה אֲשֶׁ֖ר לְבִנְיָמִֽן׃

لقد غابت الشــمس عن القــوم عند المرتفع المســمّى جبعة، كما غابت الشــمس –فـي الخبـر القرآني– عن ذي القرنين عند العين. الشــمس في ســفر القضاة 19/ 14 تغرب «عند جهة» «אֵצֶל» [إيصل] التلّة، وفي القرآن تغرب «في» عين، فإما أن يكون الغروب في كلتا الحالتين على الحقيقة «عند جهة» و«في»، أو أن يكون ذلك فقط لما يبدو للعين، ولا معنى للتفريق بين الأمرين.

كما جاء في سفر التثنية 11/ 30:

أَمَا هُمَا فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، **وَرَاءَ طَرِيقِ غُرُوبِ الشَّـمْسِ** فِـي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّـاكِنِينَ فِي الْعَرَبَةِ، مُقَابِلَ الْجِلْجَالِ، بِجَانِبِ بَلُّوطَاتِ مُورَةَ؟	הֲלֹא־הֵ֜מָּה בְּעֵ֣בֶר הַיַּרְדֵּ֗ן אַחֲרֵי֙ דֶּ֚רֶךְ מְב֣וֹא הַשֶּׁ֔מֶשׁ בְּאֶ֙רֶץ֙ הַֽכְּנַעֲנִ֔י הַיֹּשֵׁ֖ב בָּעֲרָבָ֑ה מ֚וּל הַגִּלְגָּ֔ל אֵ֖צֶל אֵלוֹנֵ֥י מֹרֶֽה

عبارة «وراء طريق غروب الشمس» « אַחֲרֵי דֶּרֶךְ מְבוֹא הַשֶּׁמֶשׁ» في الحديث عــن جبلَي جرزيم وعيبال يفسّــرها النقاد أنها تعني المنطقــة التي تقع جهة الغرب من الإسرائيليين إذا نظروا عبر الأردن[1].

ويقول صاحبـا كتـاب The Popular Handbook of Archaeology and the Bible –وأحدهمـا (**نورمـان جزلـر**)، وهــو من أشــهر المدافعين عن أصالــة التوراة

(1) S. R. Driver, A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy (Edinburgh: T. & T. Clark, 1902), 3/132

والإنجيل، وله في ذلك مؤلفات كثيرة، وموضوع كتابهما في موافقة التوراة والإنجيل للاكتشـافات الأركيولوجية- إنّ من أسـباب توّهم وجود أخطاء في الكتاب المقدس «إغفال أنّ مؤلّفي الكتاب المقدس بشـر استعملوا عبارات ولغة بشريّة... وذاك يعني أنّ الكُتّاب يستعملون أحيانًا عبارات لغويّة مأخوذة من زاوية الملاحظة والظاهرة؛ أي إنّ الكُتّاب كثيرًا ما يعبّرون عن الحقيقة اعتمادًا على الصورة التي تظهر لهم بها»[1].

ويقـول **برسـوم ميخائيل**: «ويطعن البعـض الآخر في وحي الكتـاب لما يبدو فيه لهم مناقضًا للنظريات العلمية كقول الكتاب مثلًا: «الشـمس تشـرق والشمس تغرب وتسـرع إلى موضعها حيث تشـرق» (جامعة 1/ 5)، مع العلم بأنّ الشمس ليست هي التـي تدور حـول الأرض، بـل الأرض هي التي تدور حول نفسـها فيتولـد من ذلك الشـروق والغروب والنهـار والليل. فنقـول إنّ الكتبة الأطهار إنّما اسـتعملوا ما كان مشـهورًا من الكلام بيـن الناس من اصطلاحـات، مما يلاحظ فيـه موافقته للحواس بدون اعتبار موافقته للعلوم»[2].

ويظهـر أمر الحديـث عن ظواهر الحواس بـدون اعتبار موافقته للعلـوم أيضًا في حديث الكتاب المقدس عن نور القمر؛ فقد جاء في إشعياء 13/ 10:

فَـإِنَّ نُجُـومَ السَّـمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا. تُظْلِمُ الشَّـمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، وَالْقَمَرُ **لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ**.	כִּֽי־כוֹכְבֵ֤י הַשָּׁמַ֙יִם֙ וּכְסִ֣ילֵיהֶ֔ם לֹ֥א יָהֵ֖לּוּ אוֹרָ֑ם חָשַׁ֤ךְ הַשֶּׁ֙מֶשׁ֙ בְּצֵאת֔וֹ וְיָרֵ֖חַ לֹֽא־יַגִּ֥יהַּ אוֹרֽוֹ

الفعل יַגִּיהַּ [يَجِيَهْ] على وزن هِفعيل[3] العبري الذي يقابل وزن أفعل العربي، وهو

(1) Norman L Geisler and Joseph M. Holden, The Popular Handbook of Archaeology and the Bible (Eugene, Oregon: Harvest House Publishers, 2013), p.79

(2) برسوم ميخائيل، موسوعة الحقائق الكتابية (شبرا: مكتبة الإخوة، 2004)، ص 52.

(3) הִפְעִיל

ما يعنـي أنّ الترجمة الحرفية هـي: «يعطي ضوءه»، وهو الثابت فـي عامة الترجمات الإنجليزية:

The moon shall not cause her light to shine.	King James Bible
The moon will not give its light.	New International Version
The moon will not shed its light.	New American Standard Bible

والترجمات الفرنسية:

Et la lune ne fera plus luire sa claret.	Louis Segond
Et la lune ne donnera plus sa clarté.	Traduction Œcuménique de la Bible (2010

إشـعياء 30/ 26: «**وَيَكُونُ نُورُ الْقَمَرِ كَنُورِ الشَّـمْسِ**، وَنُورُ الشَّـمْسِ يَكُونُ سَـبْعَةَ أَضْعَافٍ كَنُورِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فِي يَوْمٍ يَجْبُرُ الرَّبُّ كَسْرَ شَعْبِهِ وَيَشْفِي رَضَّ ضَرْبِهِ».

إشـعياء 60/ 19: «لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّـمْسُ نُـورًا فِي النَّهَارِ، **وَلاَ الْقَمَـرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا**، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ».

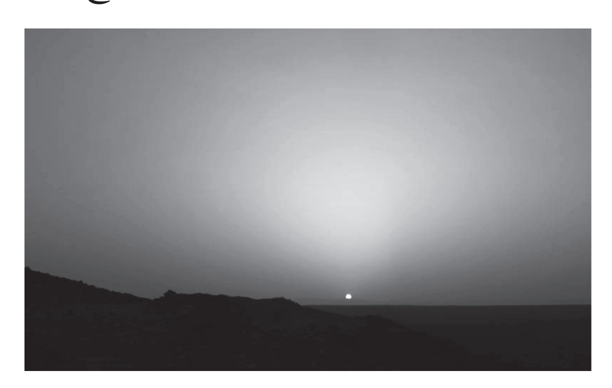
حزقيال 32/ 7: «وَعِنْدَ إِطْفَائِي إِيَّاكَ أَحْجُبُ السَّـمَاوَاتِ، وَأُظْلِمُ نُجُومَهَا، وَأُغْشِي الشَّمْسَ بِسَحَابٍ، وَالْقَمَرُ **لاَ يُضِيءُ ضَوْءَهُ**».

مرقس 13/ 24: «وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذلِكَ الضِّيقِ، فَالشَّـمْسُ تُظْلِمُ، **وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ**».

تكويـن 1/ 16: «فَعَمِلَ اللهُ **النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ**: النُّورَ الأَكْبَـرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَـرَ لِحُكْـمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُـومَ». «النوران» فـي العبريـة: «שְׁנֵי הַמְּאֹרֹת»؛ فهما

-على الأقل في الظاهر- نوران حقيقيان[1].

ولا يزال العلماء إلى اليوم يستعملون عبارات توافق ظاهر الرؤية دون أن يقصد المتكلّم وصف حقيقة الشيء علميًا؛ فنحن -مثلًا- نقرأ في الموقع الإلكتروني الرسمي لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» تعليقًا على الصورة التالية: «في التاسع عشر من شهر مايو عام 2005، التقط تلسكوب تابع لناسا هذه الصورة المدهشة بينما كانت الشمس **تغوص تحت حافة فوهة جوسيف** على كوكب المريخ»[2].



(1) ليس في صريح القرآن إنباء عن القمر أنّه منير بذاته، وإنّما يقول القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس:5].

قال البيضاوي (توفي 1286م) في تفسيره: «وقيل ما بالذات ضوء وما العرض نور، وقد نبّه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرًا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها». (البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ، 3/ 105).

وقال الشوكاني (توفي 1834م) في تفسيره: «قيل: الضياء أقوى من النور، وقيل: الضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض؛ ومن هنا قال الحكماء: إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس» (الشوكاني، فتح القدير، 2/ 483).

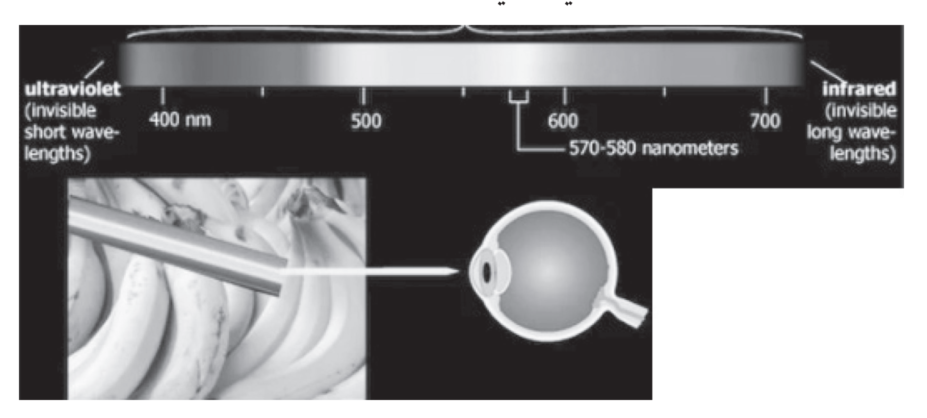
أقوال المفسرين السابقين دالة أنّ النصّ القرآني يحتمل معنى أن يكون ما يخرج من القمر من نور مجرد انعكاس لضوء الشمس؛ فكانت عبارة القرآن بعيدة عن صراحة الكتاب المقدس في نسبة الإنارة إلى القمر نفسه.

ومن الملاحظ وصف القرآن الشمس أنّها سراج. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ [نوح:16]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ [الفرقان:61]؛ والسراج في عرف الناس هو ما يوقد بالزيت، أي بالطاقة التي فيه؛ فيرسل النور. والشمس ترسل النور والحرارة المتوهجة بفعل استهلاكها لطاقتها الموجودة في باطنها.

(2) "On May 19, 2005, NASA's Mars Exploration Rover Spirit captured this stunning view as the Sun sank below the rim of Gusev crater on Mars"

<https://www.nasa.gov/multimedia/imagegallery/image_feature_347.html>

كمـا أنّنـا أحيانًـا نعجز عن التخلّـص من وصف الظواهـر بما تـراه أعيننا دون أن يُطابـق ذلك الواقع؛ فإنّ وصفنا -مثلًا- للأشـياء أنّها حمراء أو خضراء لا يطابق واقع الأشـياء؛ لأنّ الألـوان لا حقيقة لهـا؛ فإنّ رؤيتنا المـوز أصفر اللون سـببه أنّ الموزة تمتص الموجات الضوئية الساقطة عليها، وتردّ أخرى. والموجات الضوئية المردودة إذا كانت من 570 إلى 580 تعطي للشيء اللون الأصفر.



الوجه الثاني: لم تعرف الحضارات القريبة من البلاد العربية زمن النبوة تصورًا كونيًا يقـول إن الشـمس تغرب في العيـون أو الطين، ولا جاء ذلك فـي الكتاب المقدس أو التلمود، وقد عهدنا المستشرقين والمنصرين أن ينسبوا كل شيء إلى التأثير اليهودي- النصرانـي.. وأما أشـهر جغرافي نصراني قبل البعثة بقليل، فهـو **كوزما إينديكوبليف** المتوفى 549م؛ فقد ذهب إلى أنّ الشـمس تغرب -**على الحقيقة لا على فقط ما يبدو للناظر**- وراء جبل عظيم في أقصى الشمال[1].

الوجه الثالث: قال **ابن كثير** منذ سـبعة قرون: «(وجدها تغرب في عين حمئة) أي رأى الشمس في **منظره** تغرب في البحر المحيط، **وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله**

(1) Jeffrey Burton Russell, Inventing the Flat Earth: Columbus and Modern Historians (Praeger, 1997), p.34

يراهـا كأنها تغرب فيـه»[1]، فالقرآن -إذن- ينقل مرأى غروب الشـمس في عيني ذي القرنين. وهو طابع حديث مألوف لا يشير إلى غير ما تراه العين[2].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 191.

(2) أيّد المخالفون مذهبهم بما رواه أحمد (35/ 363) وغيره عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، وَالشَّـمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَـا فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَـذِهِ» ؟ قُلْتُ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ».

قلتُ:

أولا: هـذا الحديـث مروي عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبـي ذر. وهي رواية مخالفة لما رواه جمع من الثقات (الأعمش، ويونس بن عبيد، وموسـى بن المسـيب، وهارون بن سـعد) عن إبراهيم التيمي دون زيـادة: «فَإِنَّهَـا تَغْـرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ». وعلمـاء الحديث مجمعون أنّ الثقة إذا خالف من هـو أوثق منه (ومن باب أولى مجموعة من الثقات)؛ فروايته شاذة. قال القسطلاني: «الشاذ: ما خالف الراوي الثقة فيه جماعة الثقات بزيادة أو نقص؛ فيظنّ أنه وهم فيه» (عبد الهادي نجا الإبياري، نيل الأماني في توضيح مقدمة القسـطلاني لشـرحه على صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001، ص83).

ثانيـا: لم يرو هذا الحديث -باللفظ المعترض به- عن إبراهيم التيمي سـوى الحكم بن عتيبة. والحكم بن عتيبة مدلّس (النسـائي، تسمية مشـايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الذين سـمع منهم، وذكر المدلسين، تحقيـق: حاتـم العوني، مكة: دار عالم الفوائـد، 1423هـ، ص123)، وقد عنعن حديثه هنـا ولم يُصرّح بالتحديث. والحديث المدلّس ضعيف.

ولذلك ترك البخاري ومسلم هذا الحديث بهذا اللفظ، ورروياه دون الإشارة إلى الغروب في العين الحامية.

والحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه لفظه: «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّـمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: «اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ» قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْـجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْـتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِـكُ أَنْ تَسْـجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْـتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٣٨ ﴾ [يس:38].

وقد زعم المنصّرون والملاحدة أنّ الحديث السابق مخالف للعلم لأنّه يزعم أنّ الشمس تغرب عند العرش، حيث تذهب لتسجد، ثم تعود إلى الظهور فوق الأرض بعد ذلك.

قلتُ:

أولا: ليس في الحديث أنّ الشمس تغرب تحت العرش، وإنّما الحديث يذكر أنّ الشمس تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ.

ثانيا: أصل وهم المعترض ظنّه أنّ سجود الشمس يقع بتحرّك الأطراف، والهوي بالرأس لملامسة الجبهة الأرض. وليس الأمر كذلك؛ فإنّ السـجود في الاصطلاح القرآني أوسـع من ذلك. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحـج:18]؛ فـلأرض والسـماء وما فيهما من خلقٍ سـجود. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسـراء:44]. ونحن لا نفقه طبيعة هذا السجود، كما أنّنا لا نفقه طبيعة تسبيح جميع المخلوقات. ولما غمض علينا وعلى المخالف فهم السجود، تعذّر تصوّر السجود والاستئذان.

ثالثا: الشمس وكلّ أجرام سمائنا تحت العرش كلّ الوقت، كما أخبرت بذلك السنّة؛ ولذلك فإخبار الحديث أنّ الشمس «تَذْهَبُ حَتَّى تَسْـجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْـتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا»، لا يُقصد به أنها تخـرج عن مدارها؛ فقد أخبر القرآن أنّ الشـمس تسـير في فلكها دون انقطاع. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٣ ﴾ [الأنبياء:33]. ولذلك فالشمس كلّ حين تسجد وتستأذن على قوم بعد قوم دون أن تغادر فلكها.

وإثبات الحركة المنكرة للشمس ثابت في الكتاب المقدس لا القرآن؛ إذ قد جاء في سفر الجامعة 1/ 5: «وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ، وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ، وَتُسْرِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُشْرِقُ». فالشمس تغرب مرّة واحدة على كلّ الناس، ثم تسرع في حركتها بصورة غير مألوفة لتعود إلى أن تشرق على الناس.

الوجه الرابع: كيف تغرب الشمس على الحقيقة في عين، في حين يقول القرآن ذاته إنّ الشمس تدور في مدار لا تحيد عنه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنبياء:33]؟! فالشمس تسلك مدارها في السماء ولا تغطس في ماء الأرض!

قال **ابن حزم** منذ ألف سنة: «وقد أخبر الله عز وجل أن الشمس تسبح في الفلك، فلو غابت في عين في الأرض كما يظن أهل الجهل أو في البحر، لكانت الشمس قد زالت عن السماء وخرجت عن الفلك، وهذا هو الباطل المخالف لكلام الله عز وجل حقًّا، نعوذ بالله من ذلك»[1].

الوجه الخامس: الزعم أنّ الشمس تغرب في عين ماء كل لحظة غروب لا يلتقي مع تقرير القرآن أنّ للشمس مغارب، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج:40]؛ فهي تشرق وتغرب من مطالع مختلفة عند مرأى الناس. قال **ابن كثير**: «فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»، وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ مَطَالِعِ الشَّمْسِ وَتَنَقُّلِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَبُرُوزِهَا مِنْهُ إِلَى النَّاسِ»[2].

الوجه السادس: لا يمكن حمل غروب الشمس في العين على الحقيقة؛ إذ إنّ القرآن يقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴾ [الكهف:86]. فإنّه لا يمكن أن يعيش قوم عند الشمس، سواء قلنا إنّ الضمير في «عندها» عائد على الشمس -وذاك بيّن-، أو قلنا إنّ الضمير عائد على العين الحمئة؛ فإنّ الشمس تغرب -على زعم المخالف- في العين الحمئة التي يسكن عند حدودها الناس.

الوجه السابع: أجمع خصوم الإسلام أنّ قصة ذي القرنين القرآنية مقتبسة في

---

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 81.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 492.

مجموعهـا من تراث قديم يتحدث عن بطولات الإسـكندر المقدوني، والمعروف بـ Alexander Romance of Pseudo–Callisthenes. وذهب عدد منهم إلى أنّ خبر غروب الشمس في العين الحمئة في القرآن مقتبس من الترجمة السريانية، والمعروفة اليـوم بـThe Alexander Legend، ولكن ذهب البروفسـور **رايـت** Wright إلى أنّ الترجمة السريانية تعود إلى أصلٍ عربيٍّ، وأنها تعود إلى القرن العاشر[1]، وعامة النقّاد على أنّ هذه الترجمة لا تعود إلى ما قبل سنة 629م لإشارتها إلى غزو أرمينيا[2]. وهو ما يعني أنّ أصل خبر الترجمة السريانية جاء من كتاب أُلّف في البيئة الإسلامية.

ثـمّ إنّ الترجمة السـريانية كما نملكهـا اليوم قد حُفظت فـي خمس مخطوطات، أقدمهـا محفوظـة في المتحـف البريطاني، وتعـود إلى سـنة 1708–1709 [3]، وهي تخالـف الأصل الذي نقلت عنه فـي مواضع كثيرة[4]. ونحن نعلم عن شـواهد كثيرة جدًا عادة تحريف المؤلفات الدينية السـريانية والعبرية والآرامية في البيئة الإسـلامية لتوافق الخبر الإسـلامي... كلّ ما سبق يجعل إمكان تأثّر الترجمة السريانية بقصة ذي القرنين القرآنية وما جاء فيها في كتب التفسـير القرآني، الأحرى بالقبول. ولذلك قال المستشرق **ب.م. ويلر** [5]: «سورة الكهف، الآيات 60–82 ليست ضرورة مستمَدة من قصص الإسـكندر. على العكس من ذلك، أظهر فحص أكثر دقة للنصوص المختلفة

---

(1) E. A. W. Budge, Pseudo-Callisthenes, The History of Alexander the Great, Being the Syriac Version of the Pseudo-Callisthenes (Cambridge: The University Press, 1889), p. lx

(2) See S. Gero, "The Legend of Alexander The Great In The Christian Orient", Bulletin Of The John Rylands University Library Of Manchester, 1993, Volume 75, p. 7; Krzysztof Nawotka, et al., The Alexander Romance: History and Literature (Barkhuis, 2018), p.34; Kevin Van Bladel, 'The Alexander Legend in the Qur'an 18:83–102' in The Qur'an in its Historical Context, ed. Gabriel Said Reynolds (New York: Routledge, 2008), pp.175-203.

(3) C. Ciancaglini, 'The Syriac Version of The Alexander Romance', in Le Muséon, Revue d'études Orientales, Louvain-la-Neuve, 2001, Tome 114, Fasc.1-2, p.121

(4) Ibid

(5) ب.م. ويلر B. M. Wheeler: مستشرق أمريكي. مدير Center for Middle East and Islamic Studies في الولايات المتحدة الأمريكية.

أنّ عمليات إعادة تحرير قصص الإسكندر في وقت لاحق قد اعتمدت على القرآن كما تم فهمه من المفسّرين المسلمين الأوائل»[1].

الوجه الثامن: الناظر في الترجمة السريانية The Alexander Legend التي يُزعم أنّها أصل خبر غروب الشمس في العين الحمئة في القرآن، يلحظ أنّها لا تخبر أنّ الشمس تغرب في المياه الحمئة؛ وإنّما هي تخبر أنّها تغرب من نافذة السماء لا في الماء[2]، فالترجمة السريانية تقول: «وارتقى الجيش بأكمله، وصعد الإسكندر وجيوشه إلى ما بين البحر المنتن والبحر المشرق حيث تدخل الشمس من نافذة السماء؛ إذ إنّ الشمس معبودة لله، ولا تتوقّف ليلًا ولا نهارًا عن سفرها. ومكان شروقها فوق البحر، والساكنون هناك يفرون ويختفون في البحر حتى لا يحترقوا بأشعتها»[3]، وهي بذلك تنقل الخرافة التلمودية بالحرف؛ إذ تقرر معها أنّ المياه التي تغرب عندها الشمس تكون حارة بالنهار كما سبق بيانه في حديثنا عن كروية الأرض. والقول إنّ الشمس تغرب –في مرأى الناس– عند/ قريبًا من المياه كما في الخبر القرآني وأسطورة الإسكندر ليس فيه مخالفة للعلم. وأما الخطأ العلمي فوارد في خرافة الإسكندر في إضافتها أنّ هذا الغروب يتمّ من خلال نافذة في السماء تعبر من خلالها الشمس إلى جهة الشرق.

الوجه التاسع: يُخبر الكتاب المقدس في المزامير أنّ الشمس تسكن في خيمة في أقصى الأرض، ويرسلها الربّ كلّ صباح لتشرق ثم تعود إلى خيمتها؛ فقد جاء في مزمور 19/ 4–6:

---

(1) B. M. Wheeler, “Moses Or Alexander? Early Islamic Exegesis of Qur’an 18:60-65”, Journal of Near Eastern Studies, 1998, Volume 57, p. 214

(2) kevin van Bladel, ‘The Alexander Legend in the Qur’an 18:83–102’, in The Qur an in its historical context, Gabriel Said Reynolds, ed. (London: Routledge, 2008), pp.179, 181

(3) E. A. W. Budge, Pseudo-Callisthenes, p.148

جَعَلَ لِلشَّــمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِــنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّــبَاقِ فِـي الطَّرِيقِ. مِــنْ أَقْصَى السَّــمَاوَاتِ خُرُوجُهَــا، وَمَدَارُهَــا إِلَــى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا.	לַשֶּׁמֶשׁ שָׂם־אֹהֶל בָּהֶם: וְהוּא כְּחָתָן יֹצֵא מֵחֻפָּתוֹ יָשִׂישׂ כְּגִבּוֹר לָרוּץ אֹרַח: מִקְצֵה הַשָּׁמַיִם מוֹצָאוֹ וּתְקוּפָתוֹ עַל־קְצוֹתָם וְאֵין נִסְתָּר מֵחַמָּתוֹ:

الترجمــة العربيــة حرّفت النــص بتغييرهــا كلمــة אֹהֶל [أوهِـل] أي «خيمة» إلى «مسكن». كما أنّ النص العبري يقول מוֹצָאוֹ [موصاؤو] أي «مخرجها» لا «خروجها». وذاك دال أنّ الشمس تلبث في خيمتها ليلًا، وتغادر مخرجها نهارًا. والعبارة التصويرية –إذن– تكشف أنّ الشمس لها مكان تخرج منه لتطلّ على الأرض وتملأها بحرارتها، ثــم تعود إلى مكان ظليل في الســماء، في خيمة، ترتاح فيها. يقول المفسّــر القســيس **ألبرت بارنس**[1] في تفســيره الشهير: «المعنى هو أن الشمس لها مسكن أو مأوى، في الســماء ... خيمة ؛ هذا هو مكان الســكن. لقد أقام هناك مسكنًا هناك للشمس. قارن بنص حبقوق 3/ 11، «وقفت الشمس والقمر في مسكنهم»[2].

وليــس حديــث مزمور 19/ 4–6 مجازيًــا، وإنّما هو على الحقيقــة، ودليله دخول الصــورة المجازية في أثنائه عند تشــبيه الأمر بخروج العريس مــن غرفته، كما أنّ هذا التصــوّر له أصل في ثقافات الأمم الوثنية، وفي هذا يقول **ريتشــارد ج. كليفورد**[3] في تعليقــه على نص المزمــور: «صنع الله «خيمة للشــمس»، وهي خيمــة مجهّزة لتليق بالــذات الإلهيــة. للآلهة في النصوص الأوغاريتية مثل تلك الخيام للســكن، وتشــير بعــض نصوص الكتــاب المقدس (مثــل المزاميــر 15/ 1، 27/ 5، 61/ 4) إلى خيمة

(1) ألبــرت بارنس Albert Barnes (1798 - 1870): لاهوتي أمريكي. اشــتهر بمؤلفه فــي التعليق على الكتاب المقدس في 14 جزء.

(2) Albert Barnes, Notes, critical, explanatory, and practical, on the Book of psalms (London: Hamilton), 1/183

(3) ريتشــارد ج. كليفورد Richard J. Clifford - 1934: قســيس. أســتاذ العهد القديم فــي Weston Jesuit School of Theology . المحرر العام في مجلة Catholic Biblical Quarterly.

الإله يهوه. في أسطورة أوغاريتية، اشتكى إله الأعاصير (بعل) إلى الإله الأعلى (إيل) أنـه ليسـت له خيمة على خلاف بقيّـة الآلهة، وذاك منه طلب غير مباشـر لرفع مقامه. تظهر صناعة يهوه خيمة للشـمس أنّ الشـمس شـخصية تابعة بصـورة تامة في العالم السماوي؛ هي خادمة (وإن كانت مهمة) للربّ، وليست إلهًا مستقلًا بنفسها»[1].

كمـا علّق أصحاب كتـاب The IVP Bible background commentary : Old Testament على نص أيوب 26/ 10: « رَسَـمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَـةِ»، بقولهم: «الأفق كحد: كانت الشـمس والقمر والنجـوم والغيوم في ثقافة الشـرق الأدنى القديم تدخل السـماء من خلال بوابات، ويمثّـل الأفق الحدود حيث تكون البوابات. ولذلك عندما كانت الشمس تشرق أو تغرب، كانت تمر عبر البوابة في الأفق ... لقد كانوا يعتقدون أنه خلال الليل تمرّ الشمس عبر العالم السفلي للوصول إلى الجانب الآخر. وذاك يوصف هنا أنّه الحدّ الفاصل بين النور والظلام»[2].

الاعتراض الثاني: النجوم تقصف الشياطين

يزعـم القرآن أنّ النجوم أجرام صغيرة جدًا تُرمى بها الشـياطين: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [سورة الملك:5].

الجواب:

فهمُ الخبر القرآني فرع عن فهم الاصطلاحات القرآنية بالمعجم القرآني نفسه:

- المصابيح: المصابيح في الآية السابقة الكواكب اللامعة ليلًا؛ فإنّها لامعة لمعانَ المصابيح المتدليّة من السقف ليلًا.
- الرجـوم التي ترمي الشـياطين هي الشـهب، ودليل ذلك قولـه تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافـات:10]. وهـو صريـح الخبـر النبوي؛ فقد قال الرسول ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ

(1) Richard J. Clifford, Abingdon Old Testament Commentaries: Psalms 1-72 (Nashville: Abingdon Press, 2002, p.113.

(2) Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.505

بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ... الحديث»[1].

ونحن نعلم أنّ الكواكب (المصابيح) غير الشهب. والجمع يسير بين آية ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[الملك:5]، و﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ١٠﴾ [الصافات:10]؛ وهو أنّ الشهب جزء من الكواكب، والإخبار عن المصابيح أنّها رجوم من باب الإخبار عن الشيء بأصله والجزء بكلّه (كالإخبار أنّ فلانًا تحرّك، وإن كان لم يحرّك سوى يديه)؛ إذ الكواكب أصل الشهب. وهو ما قرّره عدد من علماء التفسير منذ قرون.

قال الإمام **ابن كثير**: «عاد الضمير في قوله : «وَجَعَلْنَاهَا» على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم »[2].

وقال **ابن جزي** المتوفى سنة 758 هـ: « قوله: «وجعلناها رجومًا للشياطين» أي جعلنا منها رجومًا؛ لأنّ الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين، فهو كقولك: أكرمت بني فلان؛ إذا أكرمت بعضهم»[3].

وأجاب عنها **الجاحظ** في القرن الثالث الهجري بعدما أثار زنادقة عصره الشبهة -لعلمهم أنّ الكواكب لا تغيّر مكانها في السماء بين يوم وليلة. وقولهم كاشف أنّ ثقافة عصر النبوّة كانت موافقة لقولهم-: «قد يحرّك الإنسان يده أو حاجبه أو إصبعه، فتضاف تلك الحركة إلى كلّه، فلا يشكّون أنّ الكلّ هو العامل لتلك الحركة، ومتى

---

(1) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الحجر، باب قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين، (ح/ 4701).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 177.
(3) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1995م)، 2/ 467.

فصل شهاب من كوكب، فأحرق وأضاء في جميع البلاد. فقد حكم كلّ إنسان بإضافة ذلك الإحراق إلى الكوكب. وهذا جواب قريب سهل»[1].

والشهاب في الاصطلاح العلمي يُسمّى اليوم أساسًا النيزك Meteoroid . ويُخبرنا العلم أنّ عددًا من الشهب في المجموعة الشمسيّة مصدرها قمرنا أو كوكب المريخ[2].



صورة لنيزك يُعتقد أنّه من المريخ[3]



وقد تناول **ويليام كامبل** هذه الشبهة، ولم يجد فيها إشكالًا علميًا؛ ففسّرها بما فسّرناه، وإنّما استنكر أن تُرجم كائنات روحية -هي الشياطين- بشهب ماديّة مكوّنة من الحديد أو النيكل[4]. وبعيدًا عن تحديد طبيعة مكونات الشهب، نقول: إنّ الشياطين -في الإسلام- ليست كائنات روحية بالمعنى الذي يفهمه **كامبل**؛ فالشياطين هم كفرة الجان، والجنّ مخلوق من نار؛ قال تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ

---

(1) الجاحظ، الحيوان (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ)، 6/ 585.

(2) Gregory Vogt, Meteors and Comets (LernerClassroom, 2010), p.18

(3) Ibid

(4) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.177

أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ [الكهف:50] . وقد قال إبليس عن نفسه وآدم عليه السلام-كما نقله القرآن-: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص:76]. وقال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار»[1]، والشهب حارقة إذا كانت منطلقة في الجو بسرعة هائلة. ولا يُستبعد أن يتأذّى المرء مما كان من جنس تكوينه؛ فالإنسان يتأذّى من ارتطام إنسان آخر أو حيوان به فيكسّر عظامه، كما يتأذّى لو قُذف بطين، وهو أصل خلقته. وهذا على كلّ حال من عالم الغيب الذي لا يملك العلم أن يقول فيه شيئًا بجزم.

الاعتراض الثالث: نقص أطراف الأرض

يقول القرآن: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء:44].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾[الرعد:41].

كيف يُنقص الله من أطراف الأرض رغم أنّ الأرض ليس لها أطراف؛ إذ هي كرويّة؟!

الجواب:

أولًا: الأرض لها أطراف، وهذا بدهي! وأطرافها تتماس مع البحار والأنهار؛ فالأرض هنا هي اليابسة. والقرآن استعمل كلمة الأرض بمعنى اليابسة في مواضع كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾[النمل:69]. والسير لا يكون في البحر. وأما استعمال كلمة أرض بمعنى الكرة الأرضية، فهذا يأتي غالبًا في مقابل السماء أو السماوات، مثال: ﴿وَمَآ أَنتُم

(1) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (ح/ 5314).

﴿بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢﴾ [العنكبوت:22].

ثانيًـا: علميًا، أطراف الأرض في تناقص مستمر كما هو معلـوم بداهة في الدوائر العلمية اليوم، بسبب غمر الماء أطراف القارات، كما أن البحار قد تبتلع جزرًا بأكملها. كما يُهدد ارتفاع مستوى البحر بالتهام مئات المدن في الفترة القريبة القادمة[1].

ثالـثًا: الآية -في الحقيقة- لا تتحدث عن نقصان الأرض بمعنى تقلص مساحة اليابسـة، وإنما تتحدث عن تقلص مسـاحة الأرض التي يحكمها أهل الكفر؛ ولذلك فـلا علاقة لـلأرض في الآيـة بالمعاني العلمية لليابسـة التي تتقلّص لصالح مسـاحة البحـر. قـال **ابن عباس** رضـي الله عنه فـي قولـه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾: يعنــي بذلك ما فتــح الله علـى مــحمد، فذلك نقصانها[2]. وقال **الحسن البصري**: إنّ الآية في ظهور المسلمين على المشركين[3].

رابـعًا: يتحدّث الكتـاب المقدس عن أطراف الأرض في أكثـر من موضع؛ ومن ذلك ما جاء في سـفر أيوب 38/ 13: « لِيُمْسِـكَ بِأَكْنَافِ [أطراف כַּנְפוֹת «كَنفوت»] الأَرْضِ، فَيُنْفَضَ الأَشْرَارُ مِنْهَا؟».

الاعتراض الرابع: السماء سقف مرفوع

يقـول القـرآن: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ [الأنبيـاء:32]، و﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ [ق:6]. وذاك يدلّ أنّ القرآن يقرّر أيضًا أنّ سماءنا قبّة صلبة؛ إذ هي مبنيّة؛ وكل مبنيّ صلب!

(1) Laura Parker, Sea Level Rise Will Flood Hundreds of Cities in the Near Future. National Geographic < /https://news.nationalgeographic.com/2017/07/sea-level-rise-flood-global-warming-science >

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 13/ 575.

(3) المصدر السابق.

ثـم إنّ القرآن يذكر أنّ الله يمسـك السـماء حتّى لا تقع علـى الأرض: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾؛ ومعلوم أنّ ما يعلونا تمسـكه قوانين ماديّة، كما أنّ وقوع السماء على الأرض يقضي أنّ السماء فوقنا سقفٌ واحد صلب.

الجواب:

أولًا: السماء في لغة العرب: **كلّ ما علاك، وذاك يشمل كلّ ما علانا أو بعضه.**

قال **الفراهيدي**: «والسّماء: سقف كلِّ شـيء، وكلّ بيت. والسّماء: المطر الجائد، يقال: أصابتهم سماءٌ، وثلاث أسمية»[1].

وقال **الزجاج**: «يُقَال لكلّ مَا ارتفعَ وعَلا قد سَـمَا يَسـمُو، وكلُّ سَـقْف فَهُوَ سَماء، وَمن هَذَا قيل للسحاب: السَّماءُ؛ لِأَنَّهَا عالِيَة»[2].

وقال صاحب «لسـان العرب»: «وكلُّ سـقفٍ فهو سَـماءٌ، ومن هذا قيل للسحاب السماءُ لأَنها عاليةٌ، والسماءُ: كلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ؛ ومنه قيل لسَقْفِ البيت سماءٌ»[3].

وقال **ابن تيمية**: «لَفْظ «السَّمَاءِ» يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا سَمَا. وَيَدْخُلُ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْعَرْشُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ... لَفْظُ «السَّـمَاءِ» قَدْ يُرَادُ بِهِ السَّحَابُ وَيُرَادُ بِهِ **الْفُلْكُ** وَيُرَادُ بِهِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ وَيُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ مُطْلَقًا»[4].

فالسماء في العرف اللساني القرآني، كلّ ما علا الإنسان؛ فالنجوم والكواكب سماء لنا. والقرآن قد أطلق اسـم السماء على السحب: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾ [نوح:11] بمـا يُظهر أنّ السـماء تطلـق على كلّ ما يعلـو الأرض، أو بعض ما يعلوهـا. قال **الطبري** في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة:22]: «وَإِنَّمَا سُـمِّيَتِ السَّمَاءُ سَمَاءً لِعُلُوِّهَا عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى سُكَّانِهَا مِنْ خَلْقِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ فَوْقَ شَيْءٍ آخَرَ فَهُوَ لِمَا تَحْتَهُ سَمَاءٌ»[5].

---

(1) الفراهيـدي، كتـاب العين، تحقيق: مهـدي المخزومي، إبراهيم السـامرائي (دار ومكتبة الهـلال)، 7/ 319 (مادة: سمي، سمو).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي،2001م)، 13/ 79 (مادة: سما).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 14/ 398 (مادة: سما).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 16/ 109.

(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 1/ 388.

وقد أثبت العلم أنّ السماء -بالمعنى القرآني: ما يعلو الأرض من جميع الجهات- ليست فراغًا تسبح فيه الأجرام، وإنّما هي بناء، يمتد من الغلاف الجوي إلى ما يعلوه؛ وكلّ ذلك طبقات من الطاقة أو المادة. فالسماء بناء فيزيائي بلا أدنى ريب.

السماء بناء لأنّها حيّز تشغله مادة وطاقة.

ثانيًا: قلنا إنّ السماء اسم يطلق على كلّ ما يعلونا أو بعضه؛ ولذلك فالسحب سماء. ووصفُ السماء أنّها سقف محفوظ يَعني أنّها محفوظة من الشياطين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: 16-17]. والأظهر أنّ هذا الوصف متعلّق بحفظ من تحت السماء من البشر؛ إذ الوصف متعلّق بالسقف، وهو ما يكون في الأعلى؛ وبذلك فالمعنى حفظ الأرض وأهلها بسقف يحفظه الربّ سبحانه؛ ليكون وقاء للناس من فوقهم.

ويشهد العلم اليوم أنّ الغلاف الجوي سقف مبني من طبقات: الإكسوسفير والستراتوسفير والميزوسفير... وهو «سقف محفوظ»؛ لأنّه بناء حقيقي يحفظ الأرض من ملايين الشهب التي تقصف أرضنا يوميًا، ومن كثير من الأشعّة الضارة التي لو وصلت أرضنا لأعدمت فيها الحياة. وقد وُصفت هذه الطبقات أنّها «قشور من الهواء غير مرئية تغطّي الأرض»[1].

وقد وصف العلماء الغلاف الجوي صراحة أنّه «سقف» «ceiling». ومن ذلك قول عالم الفلك **كريستوفر دو بري**[2] تحت عنوان: «أسقُف الغلاف الجوي والأشعة السماوية»[3]: «الأرض محاطة بسقف مخترق بأشعتين سماويتين... بالنسبة لبقية أنواع طيف الأشعة يُعتبر الغلاف الجوي غير شفاف، **وسقفًا غير نافذ**

(1) S. K. Agarwal, Fundamentals of Ecology (APH Publishing, 2008), p.62

(2) كريستوفر دو بري Christopher De Pree : **أستاذ الفلك في** Agnes Scott College .

(3) Atmospheric ceilings and skylights

impenetrable ceiling. الغـلاف الجوي الذي لا يســمح بنفاذ هذه الموجات، وإنمـا هو شـفاف للضوء المرئي وبعض الأشـعة تحت الحمراء، **ســبب عــظيم لاســتمرار الحيــاة على الأرض**»[1].. وهي شــهادة تُطابق التقريــر القرآني في قوله تعـالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء:32].

فالسماء في الشهادة القرآنية، وفي شهادة العلم:

(1) سقف.

(2) يحفظ الناس؛ فالسماء محفوظة لتؤدي غرضها بحفظ الناس.

(3) آية على رحمة الله يُعرض عنها عامة الناس[2].

كمـا وُصِفت الســماء -لحمايتها البشـر- أنّهـا درع. ومن ذلك ما نشــره الموقع العلمي (ScienceDaily) عن اكتشــاف مجموعة من العلماء من جامعة «كولورادو» لغطـاء طبيعي وُصــف بأنّه «درع»: «تمّ اكتشــاف درع (shield) غيــر مرئي على بعد حوالــي 7200 ميــل فوق الأرض يحجب ما يســمى بــ «الإلكترونـات القاتلة» التي تتجــوّل حول الكوكب بســرعة قريبة من ســرعة الضــوء، وقد عُرف عنهــا أنها تهدد رواد الفضاء، وتفســد الأقمار الصناعية وأنظمة الفضاء المتدهورة خلال العواصف الشمسية الشديدة»[3].

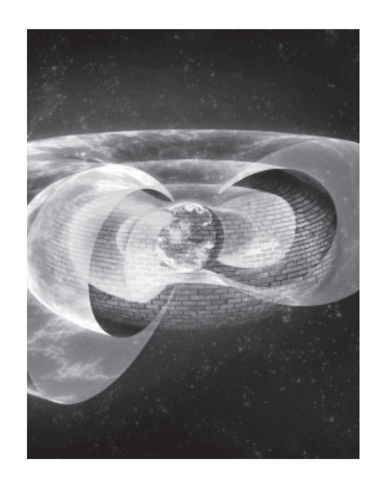
(1) Christopher De Pree, Alan Axelrod, The Complete Idiot's Guide to Astronomy (Penguin, 2004), p.61

(2) قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾، قرينة أن الخبر عن ســماءٍ دانية من الإنســان من الممكن إدراك خبرها من عامة الناس، ومعرفة النعمة الإلهية من خلقها. وذاك يصدق على الغلاف الجوي الذي هو أقرب سماء إلينا، ويبعد حمله على سقف السماء الدنيا التي تفصل سماءنا عن السماء الثانية التي هي عالم من الغيب فوق جميع الكواكب والنجوم والمجرات، ولا سبيل للعلم المادي أن يصل إليها.

(3) Invisible shield found thousands of miles above Earth blocks 'killer electrons', ScienceDaily, November 26, 2014

المقال: < https://www.sciencedaily.com/releases/2014/11/141126133829.htm >

D. N. Baker, A. N. Jaynes, V. C. Hoxie, R. M. Thorne, J. C. Foster, X. Li, J. F. Fennell, J. R. Wygant, S. G. Kanekal, P. J. Erickson, W. Kurth, W. Li, Q. Ma, Q. Schiller, L. Blum, D. M. Malaspina, A. Gerrard, L. J. Lanzerotti. An impenetrable barrier to ultrarelativistic electrons in the Van Allen radiation belts. Nature, 2014; 515 (7528): 531



ثالثًا: إسناد الفعل إلى الله -سبحانه وتعالى- في مسائل الخلق والتصوير والتقدير، لا يعني -عادة- أنّ الأمر يتمّ بلا وساطة قوانين ماديّة، إلا أن يكون وصف الفعل على أنّه من جنس الخوارق حيث تتعطّل السنن الكونيّة.. وفي القرآن حديث طويل أنّ الله -سبحانه- هو الذي يصرّف كلّ الأمر، ويعطي ويمنع. ولم يفهم المسلمون منذ عصر النبوّة أنّ فعل الله سبحانه هنا مفارق لعمل القوانين الطبيعية.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:31]. وقد علِم المسلمون أنّ رزق السماء (المطر)، ورزق الأرض (النبات والحيوان)، ونعمة السمع بالآذان والكلام باللسان، وولادة الذريّة وموت الأحياء، كل ذلك له قوانين من الممكن إدراكها بالبصر أو الاستقراء، وإن كان الله سبحانه يُنظّم عملها على أن تؤدّي ما أراده في دنيا الناس.

ولنأخذ ظاهرة نزول المطر من السماء؛ فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق:9]، وقال -سبحانه- أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النـور:43]. الآيـة الأولـى تختصـر نـزول المطر في إنزال الله لـه، في حين أنّ الآية الثانية تخبـر أنّ نزول المطر يسير ضمن منظومة قوانين طبيعيّة، ولا ينزل –عادة– دون ذلك.

رابعًا: سقوط السماء على الأرض لا يدلّ ضرورة أنّ ما فوق رؤوسنا سقف مادي صلب؛ فقد بان لنا أنّ السـماء في لغة العرب تعني كلّ السـماء أو بعضها.. وسـقوط السماء هنا ارتطام أجرام السماء بالأرض؛ فإنّ ارتطام القمر –مثلًا– بالأرض، هو عند ساكن الأرض سقوط لبعض السماء على الأرض.

خامـسًا: جاء في سفر التكوين 1/ 6–8: «وقال الله: «ليكن جَلَدٌ [רָקִיעַ / رَاقِيَعْ] في وسـط المياه. وليكن فاصـلًا بين مياه ومياه». فعمل الله الجلـد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يومًا ثانيًا».

وجـاء في سـفر التكويـن 1/ 14–17: «وقال اللـه: «لتكن أنوار في جلد السـماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسـنين. وتكون أنواراً في جلد السـماء لتنير على الأرض». وكان كذلك. فعمـل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم. وجعلها الله في جلد السـماء لتنير على الأرض».

علّقـت ترجمـة The New American Bible علـى نـص تكويـن 1/ 7، بقولها: «القُبّة: الكلمة العبرية تشـير إلى قبّة معدنية ضخمة. وقد تمّ إدخالها في وسـط جسـم الماء الواحد لتشكيل مساحة جافة يمكن أن تظهر الأرض منها».

يقول الناقد **ناحوم سارنا**: «غالبًا ما يستخدم الشكل اللفظي لدقّ المعادن أو تسطيح الأرض، وهو ما يشير إلى المعنى الأساسي «للتمدد». من غير الواضح ما إذا كان يُنظر هنا إلى قبّة السـماء كصفائح عملاقة من المعـدن أو كطبقة صلبة من الجليد. ويمكن

الاســتدلال على التفســير الأخير من حزقيال 22/ 1، وهو ما فهمه أيضًا **يوسيفوس**[1] [المؤرّخ]»[2].

كلمة [رَاقِيَعْ] من فعل רקע / [راقع]. وقد استُعمل الفعل في سفر أيوب 37/ 18: «هَل صَفَّحْتَ [תַּרְקִיעַ/ تَرْقِيَعْ] مَعَهُ الْجَلَدَ الْمُمَكَّنَ كَالْمِرْآةِ الْمَسْبُوكَةِ؟». والكلمة هنا دالة على معنى السماء الصلبة؛ فهي جامدة كالمعادن.

ومما يؤكّد أن هذه السماء التي تُعلّق عليها النجوم -في الكتاب المقدس-، صلبة، أنّ الماء الثقيل المتجمع فوق قبّة الســماء ثابت هنــاك[3]، وبالإمكان رؤيته بالنظر إلى أعلى؛ إذ إنّ السماء زرقاء لأنّها تشفّ عن الماء الذي فوقها.

وقد فهم اليهود من كتبهم أن قبّة السماء ليست بعيدة جدًا عن سطح الأرض؛ وهو ما يظهر مثلًا في التلمود حيث يُخبر أنّ آدم عليه الســلام إذا كان واقفًا قارب رأســه قبّة السماء[4].

سادسًا: إنّ ما نرفضه، ويرفضه العلم الحديث، هو أن الوهم البصري الذي يبدو لنا نهارًا في شــكل قبّة زرقاء، يمثل -حقيقة- قبّة صلبة كما هو تصوّر الكتاب المقدس. وأمّا أن يكون فوق ذلك من عالم الســماء وجود آخر فيه بناء صلب؛ فليس في مقدرة العلــم أن يقــول اليوم فيه كلمة؛ فــإنّ مراصدنا لا تتجاوز حدودًا معينــة في إدراك بناء السماء.

---

(1) يوسـيفوس Josephus (37-100): أشـهر مـؤرخ في القرن الأول. ولـد في القدس، وعاش في بيئـة قريبة من البيئة الأولى لدعوة المسيح؛ ولذلك يُستفاد من كتاباته في معرفة البيئة الحاضنة لدعوة المسيح.

(2) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.8

(3) J. McKeown, Genesis (Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2008), p.23

(4) Babylonian Talmud, Chagiga 12a

الفصل الثالث
نهاية الحياة الدنيا بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة الإسخاطولوجية حتى عصر البعثة النبوية

يُسمى الحديث عن آخر الزمان في الأدب الديني بالإسخاطولوجيا eschatology، وفيه الإخبار عن نهاية البشرية، وطيّ هذا الوجود الدنيوي، وقيامة الناس للحساب... ولا تـكاد تخلو أمّة من رواية للختام، حتى تلـك التي لا تؤمن بقيامة من الموت؛ فقد يكون الختام في بدء دورة جديدة للحياة، دون نهاية للدورات.

وقد يبدو الحديث عن نهاية الزمان أبعد المواضيع عن العلم الطبيعي لاقترانه بنهاية نظـام العالم وانتقاض القوانيـن الكونية؛ فإنّ الخطأ والإعجاز فـرع عن تصوير عمل الطبيعـة ضمن سـنن الكون المتكررة. وآخر الزمان -فـي عامة قصص الأخرويات- مظهر الاضطراب وخروج الوجود عن سنن السكينة إلى سكك الفوضى.

إسـخاطولوجيا الوثنييـن القديمـة كثيرة التفاصيل، وواسـعة المادة، غيـر أنّها لم تكـن ذات جاذبيّة عالية في البيئة اليهوديّة لارتباطها الشـديد بتفاصيل تعظيم الوثنيين لآلهتهـم الكثيرة، وكثرة ملاحم الصراع بين الآلهة نفسـها. ولم ينج الكتاب المقدس مع ذلك من لفـح النفَس الوثني القديم كما تظهره بعض التفاصيل المتناثرة في العهد القديم.

تقـول الموسـوعة اليهودية Encyclopaedia Judaica: «سـعى بعـض الباحثين لاستخلاص الأفكار الإسخاطولوجية الإسرائيلية من مفاهيم مشابهة لجيران إسرائيل القدمـاء: مصر وبابل. في أفضـل الأحوال، **ربما كانت هناك بعـض الاقتراضات من هـذه المصادر من قبل الأنبيـاء في التفاصيل الثانوية للأوصـاف التي تتعلّق بالظروف المريعـة من الفتـرة الأخروية**. على الأرجح، الميزات الإسـخاطولوجية التي كان لها مواز مبكر خارج التراث الإسـرائيلي هي مفاهيم مشـتركة مع الشـرق الأدنى القديم بأكمله. أساسًـا، الإسخاطولوجيا في إسـرائيل كانت تطورًا داخليًا في إسرائيل ذاتها. فقط في وقت لاحق جدًا، أي في سفر دانيال وما يسمى بأدب ما بين العهدين لليهود،

يمكن إظهار احتمال وجود قدر معين من الاقتراض من المصادر الفارسية»[1].

وقـد تميّزت أخرويات التلمود والمدراشـات بالحديث الواسـع عـن زمن عودة المسيح ونهاية الزمان، وظهرت نبوءات عن حروب قادمة، وأن العالم سيستمر 6000 سنة فقط، منها 2000 سنة خراب، و2000 تُحكم بالتوراة، و2000 سنة أخيرة للحكم المسيحاني[2]. وظهرت نبوءات عن مدد أخرى مختلفة[3].

وأمّا النصرانيّة، فإنّ أخروياتها الإنجيلية تحوم عامة حول عودة المسـيح وانتصاره على الأعداء، ثم تطوّرت الإسخاطولوجيا بعد ذلك إثر تأخّر عودة المسيح.

كانـت جزيـرة العرب زمن البعثة متأثّـرة بالتراث الوثني الذي لـم يترك لنا ملامح خاصة لأخروياته. وكان يهود الجزيرة الذين كانوا ينتظرون خلاصهم يستفتحون على الوثنيين بخروج النبيّ الذي سـينتقم لهم ويعيد مجدهم، وأمّا النصارى، فكان الشـام معقل أخروياتهم؛ وكانت بيئة الشـام في عصر البعثة النبويـة تعج بالكتابات الرؤيوية التي تتحدّث عن قرب نهاية العالم.

ومـا يعنينا في مقام حديثنا هنا عن العلم الطبيعي وآخر الزمان، اقتران نهاية الكون بأحداث طبيعية كبرى تكون علامة على طي هذا الوجود الأرضي، والانتقال إثر ذلك إلى حياة أخرى.

(1) Art. 'Eschatology', Encyclopaedia Judaica, 6/489

(2) Babylonian Talmud, Sanh. 97a–b; Av. Zar. 9a

(3) Encyclopaedia Judaica, 6/500

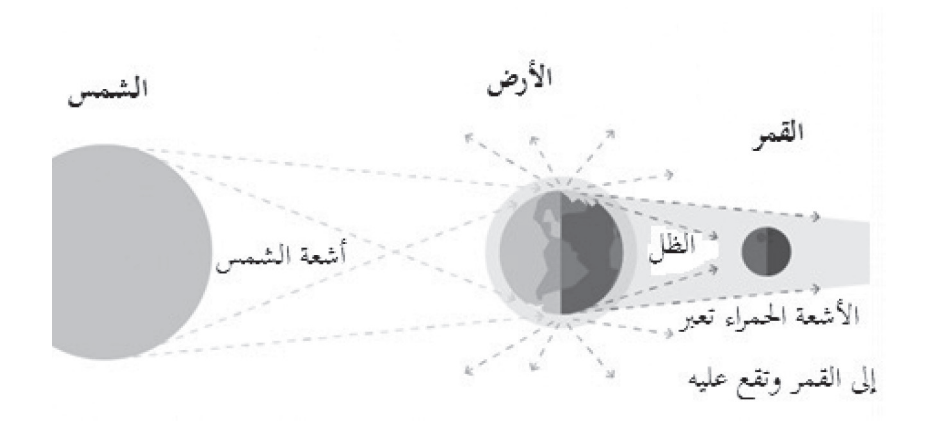
المبحث الأول:
اجتماع الكسوف والخسوف في الكتاب المقدس

يُعتبر أمر اضطراب الأجرام السماوية أبرز ملمح طبيعي لنهاية الزمان واقتراب يوم القيامة. ورغم أنّ هذا المقام لا يتعلّق في الأصل بطبيعة المنظومة الكونية وعملها، إلا أنّه أيضًا لا يخلو من دلالات علمية تتشابك مع معارفنا العصرية. ولئن كان بالإمكان قبول عامة أحداث فوضى السماء في آخر الزمان في الكتاب المقدس؛ إذ إنّ خروج الأجرام عن نظامها السالف مقدمة لنهاية طور الحياة الدنيا، إلّا أنّه لا يمكن قبول جمع الكتاب المقدس بين كسوف الشمس وخسوف القمر في الحين ذاته؛ لأنّ الأمر متعذر ضرورة لطبيعة الحدثين، وليس لانتقاض القانون الطبيعي سبيلٌ لأن يجمع بين ظاهرتين متنافرتين ضرورة.

لم يكن مؤلّفو أسفار العهد الجديد على وعي بعلاقة ضوء الشمس بإنارة القمر، كما هو حال عامة أهل العصر.. ولذلك لم يرتبط عندهم مصير القمر بمصير الشمس -على خلاف ما سيأتي من خبر القرآن لاحقًا-،وهو ما يظهر في العهد القديم في سفر يوئيل 2/ 31: «تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ». وهو ما نقله مؤلف سفر أعمال الرسل على لسان بطرس الحواري في أعمال الرسل 2/ 20: «تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ، قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ».

وقد سُمّي القمر بالقمر الدم Blood Moon عند الخسوف الكليّ. وسبب لون هذه الحمرة أنّ الأرض تكون بين الشمس والقمر؛ بما يمنع القمر من أن يعكس ضوء الشمس، وبدل أن يظلم سطح القمر بصورة كليّة، فإنّه يحمر أو يصفر بفعل بعض أشعة الشمس التي تصله من الغشاء الجوي للأرض.

ظاهرة خسوف القمر



واقتران كسوف الشمس وخسـوف القمر -كما في سفر يوئيل 2/ -31 بما يجعل القمر يبدو أحمر كالدم، محال؛ إذ إنّ سبب كسوف الشمس أن يقع القمر بين الأرض والشمس بما يحجب كامل ضوء الشمس أو بعضه، على خلاف خسوف القمر الذي تقع فيه الأرض بين الشمس والقمر.

ظاهرة كسوف الشمس



يقول الفيزيائي **كورت كوئندرز**[1] تعليقًا على نص يوئيل 2/ 31: «يبدو القمر أحمر

(1) كورت كوئندرز Curt Koenders : فيزيائي نصراني متقاعد يعيش في إنجلترا. له اهتمام خاص بالفيزياء النظريّة.

أو بُنيًّا أثناء الخسوف القمري الكامل. يوئيل -إذن- يصف خسوفًا وكسوفًا يقعان في الآن نفسه؛ قمر جديد وقمر مكتمل في نفس الآن؛ **وذاك خلل فلكي واضح**. وتعود هذه الفكرة مرّة أخرى في سفر الرؤيا. الرؤيا 6/ 12-13: «وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ [كسوف الشمس] كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ [خسوف القمر]، وَنُجُوم السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ» هذه أحوال درامية لحركة فلكية لمنظومة الأرض والشمس والقمر تقريبًا مستحيلة»[1].

هي بلا ريب مستحيلة علميًا، وقد قبلها العقل البدائي لأنّه ما كان يربط الخسوف والكسوف بأسبابهما؛ فهو يذكر الخسوف والكسوف باعتبارهما من أشد الظواهر الطبيعية المخيفة والمزلزلة للنفس، ولا يمتنع لذلك عنده أن تجتمع ظاهرتان تتنافران فلكيًا.

(1) Curt Koenders, Biblical Musings (LULU, 2014), p.187

المبحث الثاني:
نهاية الكون في القرآن

يشارك القرآن الكتاب المقدس في أنّ نهاية الدنيا مقترنة بنهاية عمل الأجرام السماوية حيث تتوقف الشمس والقمر عن حركتهما الاعتيادية في مرأى العين، وتضطرب نجوم السماء. وذاك باب لتلبّس القرآن بالخطأ العلمي، خاصة مع تكرّر الحديث القرآني عن اضطراب أجرام السماء.. ولكنّنا لا نجد من ذاك الخطأ شيئًا، بل نجد علامات تتوافق مع ما انتهى العلم إلى ترجيحه في أيامنا في أمر نهاية الكون. وذاك أمر عجب!

المثال الأول: نهاية الشمس

تضمّن القرآن عددًا من الآيات في الإخبار عن خاتمة الأجرام السماويّة، وخاصة الشمس، وهي تتطابق مع ما انتهى إليه العلم في أمر طبيعة موت هذه الأجرام، **فرغم أنّ الحديث القرآني متعلّقٌ بما يكون عند نهاية الزمان، إلاّ أنّه متّصل في الحين نفسه بنهاية عمر هذه الأجرام إذا آلت إلى الموت**.. والملاحظ في مطابقة العلم الحديث لخبر القرآن، أمران، أوّلهما دقّة الوصف القرآني، وثانيهما أنّ القرآن خالف الكتاب المقدس في جلّ هذا الخبر؛ فتفرّد بالسبق العلمي، مع عدم متابعته الكتاب المقدّس على باطله:

شكل الشمس عند أولى مراحل الموت: صوّر العلماء ما يُعرف بـ«سديم عين القط» «Cat's eye nebula» وهو سديم يتكوّن من نجم يحتضر، وهو بذلك يقدّم المرحلة النهائية لنجم شبيه بشمسنا. ويقول العلماء إنّهم برؤيتهم خاتمة هذه النجوم، بإمكانهم توقّع خاتمة شمسنا»[1]. والصورة الملتقطة (والواضحة أمامنا) تشبه بصورة

(1) David L. Clements, Infrared Astronomy – Seeing the Heat (Boca Raton: CRC Press, Taylor & Francis Group, 2015), p.101

بيّنة صورة وردة، أو تحديدًا وردة حمراء. وقد قال السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن:37]، إنّها وردة حمراء. قال **قتادة**: «هي اليوم خضراء، ولونها يومئذٍ الحمرة». قال **الطبري**: «يقول تعالى ذكره: فإذا انشقّت السماء وتفطّرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[1]. وقد اختلف السلف في معنى «دهان». قال **الطبري**: «واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (كالدّهانِ) فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة.... وقال آخرون: عني بذلك: فكانت وردة كالأديم، وقالوا: الدهان: جماع، واحدها دهن»[2]. وكلا الوصفين ثابت في صورة «سديم عين القطّة». وإذا تفجّرت النجوم التي تملأ السماء، صار شكل السماء كأنّ السماء ورود من دهان؛ زيتيّة، حمراء.

صورة سديم عين القط[3]

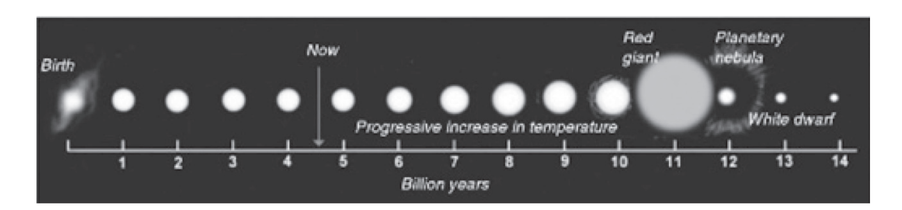
(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 22/ 226-227.
(2) المصدر السابق، 22/ 228.
(3) رغم أنّ الألوان في هذه الصورة معالجة بالكمبيوتر لعجزنا عن رؤيتها إلاّ بالأشعة الحمراء، إلا أنّ الاقتراب من هذا السديم يكشف لنا عن ألوان قريبة منها.

اقتران الشـــمس والقمر: يقرّر العلماء أنّ الشـــمس ســتتضخّم لتتحوّل إلى «العملاق الأحمـر» « red giant» بسـبب تحـوّل أنويـة ذرات الهيدروجيـن إلى هيليـوم بطريق الاندماج النووي، وعندها تقوم الشـمس بابتلاع «عطارد» و«الزهرة». ويرى العلماء أنّ هناك احتمالًا كبيرًا أن تبتلع الشـمس أيضًا القمر والأرض[1]. وإذا صحّ ذلك؛ فسـيكون تفسـيرًا لصريـح قولـه تعالـى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة:7–9].

تـقـلّص الشمس: يـنـتـهي النـجم بالـتـقزّم في ما يُعرف بـظاهرة «القزم الأبيض» « white dwarf»؛ إذ ينكفئ على نفسه[2]، وهو ما يـطابق حديث الـقرآن عـن تكوير الشـمس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكويـر:1]. يقول **الطبـري**: «والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكويـر الـكارة، وهي جمع الثياب بعضهـا إلى بعض، ولفهـا، وكذلك قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ إنمـا معناه: جمع بعضهـا إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤُها»[3].



لوحة تاريخ الشمس[4]



ظلمـة الشـــمس: يقرّر القـرآن –كما العهد القديم– أنّ الشـــمس ســتـفـقــد إنارتها

(1) Jonathan Weiner, Planet earth (Toronto; New York: Bantam Books, 1986), p.306

(2) David L. Clements, Infrared Astronomy – Seeing the Heat, p.101

(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 131.

(4) Pierre-Yves Bely, Carol Christian, Jean-René Roy, A Question and Answer Guide to Astronomy, p.41

الذاتيــة ويطمــس ضوؤهــا، كمــا فــي قولــه تعالــى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير:2]، و﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [المرســلات:8]. وهذا ما يقرّر العلم تحوّل الشمس إلى «قزم أسود» «black dwarf» بلا طاقة بعد تبرّد «القزم الأبيض»[1].

المثال الثاني: نهاية النجوم

يخبرنــا العهد الجديد أنّ من علامات الســاعة وقيامة القيامة ســقوط النجوم على الأرض، كما في ســفر الرؤيا 6/ 13: «وَنُجُوم السَّــمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَــجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ». وهذا يعكس تصوّرًا ساذجًا للنجوم كان ســائدًا في الثقافات القديمة، وهو أنّ النجوم مجرّد أجرام صغيرة معلّقة في الســماء، وهو ما يظهر في الفصل الأول من ســفر التكوين 1/ 14: «وَقَال اللهُ: «لِتكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّام وَسِنِينٍ».

أمّا القرآن الحافل أكثر من التوراة والإنجيل بذكر علامات يوم القيامة فإنّه لم يذكر النجوم في الحديث عن علامات آخر الزمان ويوم القيامة سوى في آيتين:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [المرسلات:8].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير:2].

وفــي كلتــا الحالتين يكتفي القرآن بالحديث عن ذهاب ضوء النجوم، دون إشــارة إلى ســقوطها علــى الأرض، علمًا أنّ لغة العــرب لا تميّز بين ما يُعــرف اليوم بالنجم الذي يشــعّ بطاقة ذاتيــة، والكوكب כּוֹכָב [كــوكاب] الذي يعكس إضــاءة غيره، ولا تمييز -أيضًا- في التوراة العبرية.

ومن الملاحــظ هنا أنّ القرآن أردف الحديث عن ذهاب ضوء الشــمس بقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير:1-2]. علمًا أنّ الكواكب لم تذكر في خبر آخر الزمان إلا في آية واحدة، وهي: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار:2]، وانتثــار الكواكــب أي تبعثرها، متعلّق بفوضى الأجرام الســماوية يــوم القيامة، ومنها اجتماع الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة:7-9].

---

(1) Peter Coles, The Routledge Critical Dictionary of the New Cosmology (New York: Routledge, 1999), p.31

الفصل الرابع

عالم الماء والدورة المائية بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية

أدركَ الإنسان الأوّل أهمية الماء لمعاشه؛ ولذلك نشَأتْ التجمعات البشرية الكبرى قبل العصر الحديث حول الأنهار ومنابع الماء. وكان الماء حاضرًا بوضوح في الأساطير الأولى في شرح أصل العالم، وأصل البحار وما فيها من حيوانات مخيفة.

وتُجمع الدراسات التاريخية التخصصية أنّ كتاب **أرسطو** Meteorologica يعتبر البداية الحقيقيّة لعلم الدورة المائية[1]، ويمثّل أهم كتاب علمي عن الدورة المائية حتى نهاية العصور الوسطى. وتتمثّل الدورة المائية في طرح **أرسطو** في تبخّر مياه البحار، ثم تحولها إلى سحب تنزل مطرًا في أنهار هي بدورها تصب بعد ذلك في البحر لتحافظ على مستوى الماء فيه. وكان **الاعتقاد الشعبي** السائد قبل المسيح أن جلّ مياه الأنهار تأتي من تحت الأرض؛ إذ إنّ الأرض عندهم قائمة على الماء.

استمرّ تأثير **أرسطو** على الثقافة العلمية للدورة المائية قرونًا، حتى قال **غوستاف هلمان**[2] في محاضرته أمام الجمعية الملكية للأرصاد الجوية سنة 1908 إنّ الإضافات العلمية لأهم خليفتين لأرسطو: ثيوفراستوس[3] وبوسيدونيوس[4] ضعيفة لا تكاد تذكر[5]. ولم تتجاوز الكتب المدرسية للأرصاد الجوية التراث الأوروبي-الأرسطي حتى نهاية القرن السابع عشر؛ إذ كانت تعتمد بصورة كليّة على التراث الأرسطي[6].

---

(1) Howard Frisinger, 'Meteorology before Aristotle', Bulletin of the American Meteorological Society, Vol. 52, No. 11 (November 1971), pp. 1078-1080

(2) غوستاف هلمان Gustav Hellmann (1854-1939): عالم أرصاد جوية ألماني معروف.

(3) ثيوفراستوس (287 - 371 ق م) Theophrastus: تلميذ أرسطو وخليفته في مدرسته. يُلقّب بأبي علم النبات.

(4) بوسيدونيوس (51 - 135 ق م) Posidonius: عالم فلك وفيزيائي وجغرافي متعدد المعارف.

(5) Alexander Ebenezer McLean Geddes, Meteorology: An Introductory Treatise (London, Blackie and Son Limited, 1921), pp.2-3

(6) Ibid

لم ترتبط ثقافة أهل الكتاب بصورة كبيرة بالتراث اليوناني قبل الإسلام؛ إذ كانت الأسفار المقدسة صريحة في تقرير مجموعة مقالات خاصة بأصل الماء والثلج والريح. ومن جاذبيتها في البيئة القديمة موافقتها لظواهر الأمور وتفسيرها الغيبي المنفصل عن السنن المادية لعدد من الظواهر.

لم تكن البيئة العربيّة -في المقابل- مؤهّلة لشيء من الإضافات العلميّة في هذا الباب؛ لغياب تاريخ البحث العلمي الدقيق في هذا الشأن، مع دقّة مبحث الدورة المائية، إضافة إلى طابع التفسير الصحراوي الساذج المهيمن على بيئة تربط الغيث والقحط بمزاج الأصنام دون كبير اعتبار للسنن الكونية.

المبحث الأول:
الماء والدورة المائية في الكتاب المقدس

قد تبدو الظواهر المائية أمورًا سهلة الإدراك للعقل المعاصر، بسبب استقرار عامة التفاسـير العلمية على مقولات صلبة مدلّل عليها تفسّر عامة ما يتعلق بالمطر والبحار والميـاه الجوفية، ولكنّ العقل القديـم كان يقف أمام تلك الظواهر عاجزًا عن فهمها؛ فهي السـرّ الذي قـد يغمض حتى يكاد يكون سـحرًا؛ بما ألجأه إلى تفسـيرات كانت مقنعـة له، لكنّها اليوم مسـتنكرة بشـدة. والنظر في الكتاب المقـدس منبئ عن بعض تصوّرات العقل الخرافي أو اللاعلمي عن الماء: أصله ودورته.

المثال الأول: الندى النازل

مزمور 133/ 3:

مِثْلُ نَدَى حَرْمُونَ النَّازِلِ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ. لأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ، حَيَاةٍ إِلَى الأَبَدِ.	כְּטַל־חֶרְמ֗וֹן שֶׁיֹּרֵד֮ עַל־הַרְרֵ֪י צִ֫יּ֥וֹן כִּ֤י שָׁ֨ם ׀ צִוָּ֣ה יְהוָ֣ה אֶת־הַבְּרָכָ֑ה חַ֝יִּ֗ים עַד־הָעוֹלָֽם

جبل حرمون، أعظم جبال فلسـطين ارتفاعـا، وقد كان الندى الكثيف الذي يصيبه مضـرب الأمثـال[1]. وفي نص المزمـور 133/ 3 دعـوى تزعم أنّ النـدى ينزل على الجبـال؛ إذ الظن القديم هو أنّ الندى ينزل من فوق كنزول المطر، فكلاهما ماء، ومن ذلك ما جاء في كتاب «عن الكون» «Περὶ Κόσμου»، والذي ألّف في القرن الثالث

(1) D. Kidner, Psalms 73-150: An Introduction and Commentary (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1975), p.489

قبل الميلاد (وينسب إلى أرسطو)[1]، في حين أنّ الحقيقة العلمية تخبرنا أنّ الندى ليس ماءً نازلًا من السماء، وإنّما هو أثر عن ملامسة بخار الماء لسطح بارد حرارته أدنى من الصفر، كما نراه أحيانًا على النوافذ البلوريّة للبيوت، وعلى السيارات في الصباح، وهو يحدث عامة ليلًا[2]. **وقد كان الناس حتّى سنة 1818 يعتقدون أنّ الندى مطر ينزل من السماء**[3].

عبّر الكتاب المقدس عن نزول الطل بصور متنوعة تمنع كلّ تأويل للأمر بما يخرجه عن الخطأ العلمي القديم الشائع:

غيم الندى

إشعياء 18/ 4:

لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ الرَّبُّ: «إِنِّي أَهْدَأُ وَأَنْظُرُ فِي مَسْكَنِي كَالْحَرِّ الصَّافِي عَلَى الْبَقْلِ، **كَغَيْمِ النَّدَى** فِي حَرِّ الْحَصَادِ».	כִּי֩ כֹ֨ה אָמַ֤ר יְהוָה֙ אֵלַ֔י (אֶשְׁקוֹטָה) [אֶשְׁקֳטָ֥ה] וְאַבִּ֖יטָה בִמְכוֹנִ֑י כְּחֹ֥ם צַח֙ עֲלֵי־א֔וֹר כְּעָ֥ב טַ֖ל בְּחֹ֥ם קָצִֽיר

علّق الناقد كارل **ناجلزباخ**[4] على نص إشعياء 18/ 4 بقوله: «كان القدماء يعتقدون أنّ الندى أصله المطر. وهذا أمر يظهر مثلًا في سفر أيوب 38/ 28 حيث عبارة قطرات طل אֶגְלֵי־טָל [إجلي طال] »[5].

(1) E. S.Forster, De Mundo (Oxford: Clarendon, 1914) , chap.3

(2) Kevin Hile, The Handy Weather Answer Book (MI: Visible Ink Press, 2009), p.100

(3) Arthur Rigg, The Harmony of the Bible with Experimental Physical Science (London: Bell and Daldy, 1869), p.40

(4) كارل ناجلزباخ (Carl Nagelsbach (1815-1880: لاهوتي ألماني لوثري.

(5) Nägelsbach, The Prophet Isaiah (New York: Scribner, 1884), 11/219

قطر الندى

الأمثال 3/ 20:

بِعِلْمِهِ انْشَقَّتِ اللُّجَجُ، وَتَقْطُرُ السَّحَابُ نَدًى.	בְּדַעְתּוֹ תְּהוֹמוֹת נִבְקָעוּ וּשְׁחָקִים יִרְעֲפוּ־טָל

تثنية 33/ 28:

فَيَسْكُنَ إِسْرَائِيلُ آمِنًا وَحْدَهُ. تَكُونُ عَيْنُ يَعْقُوبَ إِلَى أَرْضِ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، وَسَمَاؤُهُ تَقْطُرُ نَدًى.	וַיִּשְׁכֹּן יִשְׂרָאֵל בֶּטַח בָּדָד עֵין יַעֲקֹב אֶל־אֶרֶץ דָּגָן וְתִירוֹשׁ אַף־שָׁמָיו יַעַרְפוּ טָל

تثنية 32/ 2:

يَهْطِلُ كَالْمَطَرِ تَعْلِيمِي، وَيَقْطُرُ كَالنَّدَى كَلاَمِي. كَالطَّلِّ عَلَى الْكَلاءِ، وَكَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ.	יַעֲרֹף כַּמָּטָר לִקְחִי תִּזַּל כַּטַּל אִמְרָתִי כִּשְׂעִירִם עֲלֵי־דֶשֶׁא וְכִרְבִיבִים עֲלֵי־עֵשֶׂב

نزول الندى

سفر العدد 11/ 9:

وَمَتَى نَزَلَ النَّدَى عَلَى الْمَحَلَّةِ لَيْلاً كَانَ يَنْزِلُ الْمَنُّ مَعَهُ.	וּבְרֶדֶת הַטַּל עַל־הַמַּחֲנֶה לָיְלָה יֵרֵד הַמָּן עָלָיו

2صموئيل 17/ 12:

وَنَأْتِي إِلَيْهِ إِلَى أَحَدِ الأَمَاكِنِ حَيْثُ هُوَ، وَنَنْزِلَ عَلَيْهِ نُزُولَ **الطَّلِّ** عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ يَبْقَى مِنْهُ وَلاَ مِنْ جَمِيعِ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ وَاحِدٌ.	וּבָאנוּ אֵלָיו (בְּאַחַת) [בְּאַחַד] הַמְּקוֹמֹת אֲשֶׁר נִמְצָא שָׁם וְנַחְנוּ עָלָיו כַּאֲשֶׁר יִפֹּל הַטַּל עַל־הָאֲדָמָה וְלֹא־נוֹתַר בּוֹ וּבְכָל־הָאֲנָשִׁים אֲשֶׁר־אִתּוֹ גַּם־אֶחָד

كما أنكرت الموسوعة اليهودية Encyclopaedia Judaica على الكتاب المقدس مغالاتـه في ربط الزراعة بالنـدى؛ فقالت: «يضع الكتاب المقـدس أهمية كبيرة على النـدى كمصـدر الماء للحياة النباتية (هوشـع 14/ 6-8) وأنّه في حال غيابه سيسـود الجفاف (سـفر حجي 1/ 10-11) ... ولكن وفقًا للأبحاث الحديثة، قيمة الندى في التوازن المائي للنباتات أمر مشكوك فيه»[1].

كلمة «ندى» في الأصل العبري لمزمور 133/ 3 هي «טַל» [طَلْ]، وقد استعملت الكلمة نفسـها في قوله تعالـى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقـرة:265]. وقـد فسّـر عدد من المتقدّمين، كـابن عباس رضي الله عنه **وابن جريج والسـدي** «طل» في الآية بمعنى الندى[2]. وهـو أيضًا قول **عكرمة**[3]. والملاحظ في الآية أنّهـا لا تذكر «النزول»، وإنما تتحدث عـن «إصابـة» المطر والطل الأرض العالية، وهي بذلك نـصٌّ خلوٌ من الخطأ العلمي الوارد في المزمور.

(1) Art. 'Dew', Encyclopaedia Judaica, 5/629-630

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 4/ 676.

(3) البخاري، كتاب الزكاة، باب الرياء في الصدقة.

المثال الثاني: مغاليق البحر

زعم مؤلّف سفر أيوب 38/ 10 أنّ الإله قد قال –مخبرًا عن عظمته–: «... وَمَن حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ. إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ، وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ، وجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي، وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ».

الحديث عن مغاليق البحر ومصاريعه ليس مجازًا من القول، وإنّما هو اعتقاد قديم شائع كرّره مؤلّف سفر أيوب. وقد جاء في كتاب «The IVP Bible Background Commentary»: «مَغَالِيق وَمَصَارِيع البحر: بعدما غلب مردوخ تيامات، خَلَقَ البحار، وجعل عليها حرّاسًا لكي لا تتجاوز المياه مكانها. تشير ملحمة أتراحسيس[1] الأكدية إلى لسان قفل البحر الذي هو في حوزة الإله «إنكي». هناك نصوص أخرى تتحدّث عن أقفال للبحر»[2].

المثال الثالث: مخازن الثلج والبَرَد

أيوب 38/ 22–23: «أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ، أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ، الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لِوَقْتِ الضَّرِّ، لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟».

كلمة «خزائن» في النص السابق אוֹצְרוֹת [أُوصاروتْ] وردت في إرمياء 50/ 25: «فَتَحَ الرَّبُّ خِزَانَتَهُ، وَأَخْرَجَ آلاَتِ رِجْزِهِ»؛ فهي مخازن الأسلحة.

يقول أصحاب كتاب «The IVP Bible background commentary»: «مخازن الثلج والبَرد: اعتقد الإسرائيليون أنّ الثلوج والبرد، مثل المطر، تم جمعها في المخازن لاستخدامها عند الضرورة»[3].

(1) Atrahasis Epic

(2) V. H.Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary, p.509

(3) Ibid., p.510

المثال الرابع: السحب الصلبة

أيوب 26/ 8:

يَصُرُّ المياه في سـحبه **فلا يتمزّق الغيم** تحتها.	צֹרֵר־מַיִם בְּעָבָיו וְלֹא־נִבְקַע עָנָן תַּחְתָּם

جاء في شـرح نص أيوب 26/ 8 في التعليق علـى الكتاب المقدس «Eerdmans Commentary on the Bible»: «اعتبرت السـحب هنا كالسـقاء waterskin الذي يحمل في داخله الماء، وبصورة خارقة لم يتمزّق»[1]. فالسحب في اعتقاد كاتب سفر أيوب تختزن الماء في داخلها كما يختزن السقاء المصنوع من جلد الحيوانات الماء، ثم تحمله إلى مسافات بعيدة دون أن يسقط منه شيء، بصورة معجزة .. !

ويؤكد الحبر اليهودي العَلَم **راشي** المعنى السابق في تعليقه على هذا النص بقوله عـن الغيـم إنّه لا يتمـزّق «أبدًا حتّى ينزل مـاؤه جميعًا مع بعـض». «מעולם שיפלו מימיו ביחד».

وبقريـب مـن المعنـى السـابق قـال رئيـس أسـاقفة القسـطنطينية **غريغوريوس النزينزي**[2]: «إعجاز ذلك أنه يضع شـيئًا –يتدفق بطبيعته– على السحاب، ليثبّته هناك بكلمته! ومع ذلك، فإنه يصب بعضه على وجه الأرض كلها، ويرشـه على حد سـواء في الموسم المناسب»[3].

في مقابل ذاك التصوّر المنكر لطبيعة السحب، يقرر القرآن الكريم أنّ السحب تُنزل الماء مباشرة بعد تحوّلها إلى قطرات في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ

(1) James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. Eerdmans Commentary on the Bible, p.348

(2) غريغوريوس النزينزي (390-329) Gregory of Nazianzus: فيلسوف ولاهوتي بليغ. أحد آباء الكنيسة وقديسيها.

(3) Gregory of Nazianzus, Theological Orations, 28.28

﴿بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾[1]. يكشف استعمال حرف الفاء الذي يدل على التعاقب السريع، أنّه ما إن تتراكم السحب وتصبح ذات طبيعة ماطرة، وتتكوّن القطرات، حتى ينزل «الودق» أي المطر[2].

المثال الخامس: أصل السحب

مزمور 135/ 7: «الْمُصْعِدُ السَّحَابَ مِنْ **أَقَاصِي الأَرْضِ**. الصَّانِعُ بُرُوقًا لِلْمَطَرِ. الْمُخْرِجُ الرِّيحِ مِنْ **خَزَائِنِهِ**».

تأتي السحب في المزمور 135 من وراء العالم المنظور، ولا تتكوّن بفعل تبخّر المسطّحات المائية على الأرض. جاء في كتاب The IVP Bible background commentary: «**السَّحَابَ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ**: في التراث السومري الذي عنوانه إنكي ونظام العالم، فتح إيشكور، إله الطقس، أبواب السماء. هذه هي الطريقة التي فهم بها أهل بلاد ما بين النهرين مصدر السُحُب. في كوسمولوجيا بلاد ما بين النهرين تشير عبارة: «أقاصي الأرض» إلى الأفق، المكان الذي تقع فيه أبواب السماء. لأن الشمس تُرى أنّها تقع هناك وكأنّها تعبر عبر بوّابات السماء»[3].

---

(1) سورة النور/ الآية (43).

(2) قال الشيخ المفسّر ابن عاشور: «وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة» (التحرير والتنوير، 9/ 261).

(3) V. H. Matthews, et al. The IVP Bible background commentary, p.556

المبحث الثاني:
الماء والدورة المائية في القرآن

لم تكن بيئة مكّة والمدينة تعتني بالبحر وأخباره، فرغم أنّ مكّة قريبة من سواحل جدة إلا أنّ أهلها ما كانوا يركبون البحر لغياب ثقافة السفر البحري فيها، واهتمامهم بالرحلة إلى البلاد التي تُركب إليها الإبل كالشام واليمن، ولذلك يكاد يغيب ذكر البحر وأهواله أو جماله في الأدب العربي الجاهلي، ويكثر ذكر القوافل وقطعها فيافي الصحراء في الرحلات الطويلة.

كما كانت النظرة العربية إلى المطر ودورته تكاد تقتصر على العلم بدلالة السحب أو الريح على الغيث في بيئة مجدبة عامة السنة. وما تجاوز العقل العربي النظرة الظاهرية للدورة المائية، وآخر أمره أن يربط أمور الغيث والجدب بمزاج الأصنام.

في ذاك الجو المقحط، تحدّث القرآن عن المطر والريّ، والمياه الجوفية، وبعض المظاهر البحرية؛ فكانت صفحات مفتوحة للاختبار العلمي في بابَي الإعجاز والعجز العلميين.

المطلب الأول: الإعجاز العلمي القرآني في الدورة المائية

خبر القرآن عن الماء في بيئة الجهل العلمي والجدب المائي مثير للدهشة؛ لأنّه يُخبر أحيانًا عن أمور لا يستدعي خبرها سياق الجدل مع المشركين؛ فهي من جنس الإخبار بما لا يُطلب في مقامٍ يكفي الإخبار بالمعلوم لإقامة الحجة على منّة الله على البشر بالماء الذي يحيى به الإنسان.. وبالمثال يتّضح المقال.

المثال الأول: الماء أصل كل شيء

يخبرنا القرآن أنّ الماء أصل الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء:30]. وذاك ما انتهى العلم إلى حسمه، وإن اضطرب العقل السابق إثباتًا أو نفيًا. وفي ذلك قال الفيزيائي اليهودي **جيرالد ل. شرويدر**: «كلّ أنواع الحياة على

الأرض قائمــة على الماء. **لا مــاء؛ إذن لا حياة**. وبوجود الماء تغدو الحياة ممكنة»[1].
كما قال البيولوجي الملحد **ريتشــارد داوكنز**[2]: «لا يمكن لحياتنا أن تســتمر دون ماء سائل. وفي الحقيقة فإن العلماء المختصّين في البحث عن دليل لوجود الحياة خارج الأرض يفتّشون في السماء - بصورة عمليّة - عن علامات لوجود ماء»[3].

لــم يجعل القرآنُ الماءَ أصــل الكون كما الكتاب المقــدّس، وإنّما قصر أمره على وجــود الحياة؛ إذ إنّ وجود الماء قرينة وجود الحياة؛ فقــد أكّدت البحوث العلميّة أنّ المــاء عنصر أساســيّ لقيــام الأعضاء بوظائفها؛ فهو إمّا وســط، أو عامل مســاعد، أو داخل في التفاعلات أو ناتج عنها[4].

والقــرآن بتقريــره أنّ المــاء أصل الحياة يخالــف **طاليس** بقوله إنّ المــاء أصل كلّ شــيء بإطلاق؛ إذ قال **طاليس**: «يمثّل الماء مبدأ كلّ شــيء»[5]، وكانت الأمم السابقة -كم يقول المفسّــر النصراني **آدم كلارك**- تعتقد أن الأرض مخلوقة من ماء أو رطوبة بدائية[6]، وهو ما جاء في الرســالة الثانية لبطرس 3/ 5: «السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ».

المثال الثاني: الموج الداخلي

قــال تعالــى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:40].

---

(1) Gerald L. Schroeder, The Science of God: The Convergence of Scientific and Biblical Wisdom (Simon and Schuster, 2009), p.90

(2) ريتشــارد داوكنز Richard Dawkins (1941): عالم ســلوك الحيوان وبيولوجيا إنجليزي. أشهر رموز تيّار «الإلحاد الجديد». من مؤلفاته: «The God Delusion».

(3) Richard Dawkins, The God Delusion (London: Bantam Press, 2006), p.135

(4) محمــد محمد الحســيني، في معجزات الماء، سلســلة البحوث الإســلامية، الأزهر الشــريف، 1428هـ/ 2007م، (1/ 81، 82).

(5) Cited in: Diogenes Laërtius, Lives of the Eminent Philosophers, Book 1, 27

(6) Adam Clark, The Holy Bible, Containing the Old & New Testaments (New York: Eaton & Mains, 1888), 2/520

قال **القرطبي** المفسّـر : «يَغْشَـاهُ مَوْجٌ» أي يعلو ذلك البحر اللجي موج، «مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ» أي من فوق الموج موج، ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب»[1].

الوصف القرآني في غاية العجب؛ إذ إنّه يخبر عن موج تحت الموج الظاهر للعين. **ولا يمكن صرف المعنى إلى موج عظيم بحذائه موج قليل الارتفاع؛ لأنّ الآية تتحدث عن ظلمات متراكمة: ظلمة بسـبب السـحاب، وأخرى بسـبب الموج على السـطح، وأخرى بسبب الموج الداخلي في البحر.**

وقـد أثبت العلم اليوم بيقين أنّ هناك في البحار أمواجًا داخلية تتحرّك تحت موج السـطح، وتكـون في البحار العميقـة، أو بعبارة القرآن: البحار اللجيّـة: قال **الطبري**: «ونسـب البحـر إلى اللجة بأنـه عميق كثيـر الماء»[2]، وهي تُسـمّى علميًـا «الأمواج الداخليـة» «internal waves»، وبالإمـكان رؤيتهـا بالأقمـار الصناعية، ولا سـبيل لرؤيتهـا –اليوم وعصر البعثة النبوية– من الشـاطئ ولا من داخل البحر (وإن كان من الممكن الإحساس بها في الأعماق بالآلات العصرية)، وهي ضخمة حتى إنّ بعضها يبلغ حجم الجبال ارتفاعًا؛ ولذلك تُسمى «الأمواج الجبليّة» « mountain waves».

يقـول عالم البحار كيم **مارتيني**: «إذا كنـت مثل أغلب الناس (أو حتى مثل أغلب علماء البحار) فمن المحتمل أنك لم تسـمع من قبـل بالأمواج الداخلية من قبل.. أنا نفسـي **لـم أكن أعلم بوجودها إلا بعدما التحقت بالدراسـات العليـا**... هذه هي أكبر الأمواج في المحيط، ولا يمكن رؤيتها من الشاطئ. إنّها توجد داخل المحيط... إنها واسعة وبالإمكان رؤيتها من الفضاء»[3].

ويوضّح قانون انعكاس الضوء وانكسـاره عند مروره في الأوساط المختلفة معنى الظلمات في البحر اللجي ذي الموجين؛ إذ إنّه إذا سـقطت حزمة من الأشعة الضوئية على سـطح يفصل بين وسطين شـفافين؛ ينقسم الضوء إلى حزمتين، واحدة تنعكس،

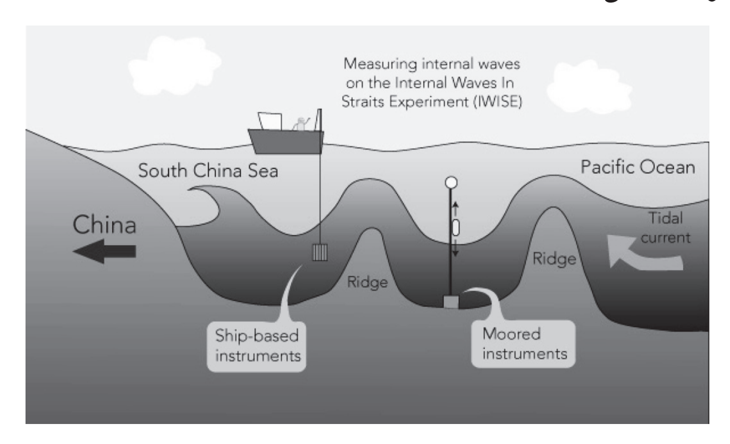
(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 15/ 301.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17/ 329.
(3) The Largest Waves in the Sea Aren't at the Beach
</http://www.deepseanews.com/2012/08/the-largest-waves-in-the-sea-arent-at-the-beach >

وأخرى تنفد إلى الوســط الثاني وتنكسر داخله[1]. **وتكرّر الانعكاس والانكسار سبب لخفوت ضوء الشمس ثم ذهابه بالكليّة.**

وتوجد عوامل أخرى تساعد على انعكاس الضوء، وعدم نفوذه إلى أسفل:

- عدم اســتقامة الوسط الفاصل على سطح البحر بسبب التموّج؛ فاتخاذه أشكالًا مختلفة يساعد على زيادة انعكاس الضوء.
- ســماكة الوسط وكثافته، وهو أمر يزداد كلّما نزلنا في البحر عمقًا، كما أنّ أمواج البحر الداخلي مرتفعة قد تبلغ عشرات الأمتار طولًا[2].
- حركــة الماء وتموّجــه وتفاوت درجة حرارتــه تحدث وضعًا يشــبه حال ألواح الزجاج الموضوعة بعضها على بعض[3].

ولخّــص **أنتوني جوزيف**[4] الأمــر بقوله: «الأمــواج الداخلية... تزيد في تشــتّت ارتداد ضوء الشمس»[5].



---

(1) محمــد مكــي (تعريب)، الفيزياء العامــة والتطبيقية، جامعة حلب، 1969، 2/ 83 (نقله: عبــد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1424هـ، 2/ 588).

(2) بيير فلوي وجان بول، الفيزياء العامة والتجريبية، ص9 (عن المصدر السابق، ص 589).

(3) محمد مكي (تعريب)، الفيزياء العامة والتطبيقية، 83 (عن المصدر السابق، ص 589).

(4) أنتوني جوزيف Antony Joseph : عالم محيطات Oceanography يعمل في المؤسســة الوطنية لعلم المحيطات في الهند. ساهم في دراسة ساحل وسط المحيط الأطلسي.

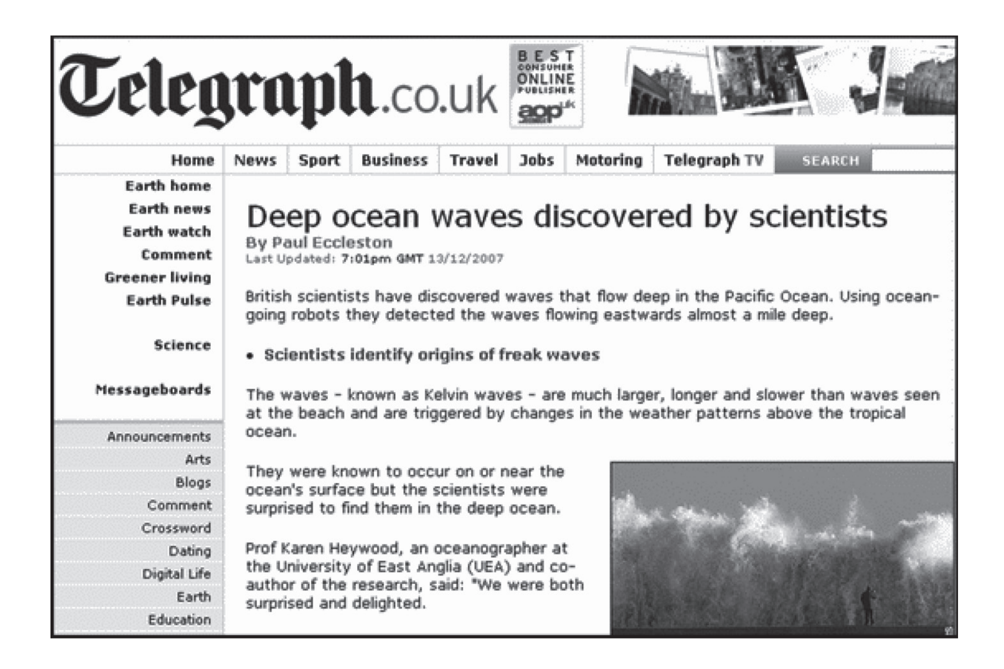
(5) "Internal waves... enhance sunlight backscatter", Antony Joseph, Investigating Seafloors and Oceans: From Mud Volcanoes to Giant Squid (Amsterdam, Netherlands: Elsevier, 2017), p.73

يقول الشـيخ **الزنداني**: «البروفيسـور درجا برسـاد راو أسـتاذ في علم جيولوجيا البحار، وأسـتاذ الآن بجامعة الملـك عبد العزيز بجدة. التقينا بـه وعرضنا عليه عددًا من الآيات المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فاندهش لما سمع ولما رأى وهـو يقرأ معانـي آيات القرآن في بعـض الكتب المخصصة لذلـك. كان مما تعرض لشـرحه هو قول الله جل وعـلا: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النـور:40] قـال: نعم، **هذه الظلمات عرفهـا العلماء الآن بعد أن اسـتعملوا الغواصات، وتمكنوا من الغوص في أعماق البحار، لا يسـتطيع الإنسان أن يغوص بدون آلة أكثر من عشـرين إلى ثلاثين مترًا، الذين يغوصون من أجل اللؤلؤ في مناطق الخليج يغوصون في مناطق قريبة لا تزيد على هذا العمق. فإذا غاص الإنسـان إلى أعماق شـديدة حيث يوجد الظلام على عمق 200 متر لا يمكن أبداً أن يبقى حيًا، وهـذه الآيــة تـتحدث عـن ظـاهرة تـوجد في البــحار العـميقة ولـذلك قـال تـعـالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ ليـس فـي أي بحر وصفـت هذه الظلمـات بأنها متراكمة بعضها فوق بعض، والظلمات المتراكمة والتي تتراكم في البحار العميقة تنشأ بسببين، السـببان يكونان نتيجة اختفاء الألوان في طبقة بعد طبقة**، فالشـعاع الضوئي مكون من سـبعة ألوان، فإذا نزل الشـعاع الضوئي إلى الماء توزع إلى الألوان السـبعة، نرى في هذا الشـكل الذي أمامنا الشعاع في الماء، فالجزء الأعلى قد امتص اللون الأحمر في العشـرة الأمتار السـطحية العليا، لو أن غواصًا يغوص على عمـق ثلاثين مترًا وجرح جسـمه وخـرج الـدم وأراد أن يراه فلا يرى اللـون الأحمر لأن الأشـعة الحمراء غير موجـودة وبعده يمتص اللون البرتقالي، وكما نرى في هذا الشـكل الشـعاع الضوئي وهـو ينزل في أعماق الماء على مسـافة 50 مترًا يبـدأ امتصاص اللون الأصفر، وعلى عمق100 متر يكـون امتصاص اللون الأخضر وهكذا. ونـرى تحت مائتي متر يكون الامتصاص للون الأزرق، فإذاً ظلمة اللون الأخضر تحت عند عمق 100 متر، وظلمة

الأصفر تكون على عمق 50 مترًا، وقبلها ظلمة اللون البرتقالي وظلمة اللون الأحمر، فهـي ظلمـات بعضها فوق بعض. وأمّا السـبب الثانـي فيكون بسـبب الحواجز التي تحجب الضوء، فالشـعاع الضوئي الذي نراه هنا ينزل من الشـمس فتمتص السـحب بعضه وتشتت بعضه فتنشأ ظلمة تحت السحب، هذه الظلمة الأولى، فإذا نزل الشعاع الضوئي إلى سـطح البحر المتموج انعكس على سطح الموج فأعطى لمعانًا، ولذلك نـرى إذا حدث موج في البحر كان اللمعان شـديدًا على حسـب ميل سـطح الموج. فالموج إذًا يسبب عكسًا للأشعة أي يسبب ظلمة ثم ينزل الشعاع الضوئي إلى أسفل، ونجد البحر هنا ينقسـم قسـمين، قسم سطحي وقسـم عميق. أما السطحي فهو الذي يوجد فيه الظلام والبـرودة، يختلف البحران في خصائصهما وصفاتهما ولكن يوجد موج فاصل بين البحر السـطحي والبحر العميق، هذا الموج الداخلي لم يكتشـف إلا عام 1900م تحت الموج العميق الذي يفصل بين البحرين يوجد البحر العميق، ويبدأ الظلام حتى إن الأسـماك في هذه المناطق لا ترى بأعينها بل لها مصدر للضوء يصدر من جسمها في هذه الظلـمات التي تراكمـت بعضـها فوق بـعض، جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ وإذا نظرنا أسفل الشكل نرى الظلام ونرى فوق الموج الأول الذي يفصل بين البحر السـطحي والبحر العميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ أي مـن فـوق هـذا الموج موج آخـر، هو الذي يكون على سـطح البحـر ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ فوقهم ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمـات هذه الـحواجز وظلمات الألوان في طبقات بعضها فوق بعض ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ فـي هـذه المناطق ظلام شـديد، والغواصات تنزل إلى هذه المسافات فلا ترى شيئًا، وتستخدم مصادر للضوء والإضاءة حتى ترى طريقهـا. فمن أخبر محمدًا ﷺ عن هذه الآيات؟ كان هذا مما حدّثنا عنه البروفيسـور راو، ثم اسـتعرضنا معه كثيرًا مـن الآيات المتعلقة بالبحار وفـي مجال تخصصه، ثم

قلنا له: ما هو تفسيرك يا أستاذ راو لهذه الظاهرة؟ ظاهرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة كيف أخبر محمد ﷺ بهذه الحقائق منذ 1400 عام؟

فقال البروفيسور راو: من الصعب أن نفترض أن هذا النوع من المعرفة كان موجودًا في ذلك الوقت منذ 1400سنة هجرية، ولكن بعض الأشياء تتناول فكرة عامة ولكن وصف هذه الأشياء بتفصيل كبير أمر صعب جدًا، ولذلك فمن المؤكّد أن هذا ليس علمًا بشريًا بسيطًا، لا يستطيع الإنسان العادي أن يشرح هذه الظواهر بذلك القدر من التفصيل، ولذلك فقد فكرت في قوة خارقة للطبيعة خارج الإنسان، **لقد جاءت المعلومات من مصدر خارق للطبيعة**»[1].



Telegraph.co.uk

Home | News | Sport | Business | Travel | Jobs | Motoring | Telegraph TV | SEARCH

Earth home
Earth news
Earth watch
Comment
Greener living
Earth Pulse
Science
Messageboards
Announcements
Arts
Blogs
Comment
Crossword
Dating
Digital Life
Earth
Education

Deep ocean waves discovered by scientists

By Paul Eccleston
Last Updated: 7:01pm GMT 13/12/2007

British scientists have discovered waves that flow deep in the Pacific Ocean. Using ocean-going robots they detected the waves flowing eastwards almost a mile deep.

- Scientists identify origins of freak waves

The waves - known as Kelvin waves - are much larger, longer and slower than waves seen at the beach and are triggered by changes in the weather patterns above the tropical ocean.

They were known to occur on or near the ocean's surface but the scientists were surprised to find them in the deep ocean.

Prof Karen Heywood, an oceanographer at the University of East Anglia (UEA) and co-author of the research, said: "We were both surprised and delighted.

(1) حوار فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور درجا برساد أعماق البحار والمحيطات
<http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1914>

اعترض **ويليام كامبل** على السبق العلمي القرآني بزعمه أنّ الأمواج الداخلية ورد ذكرها في سفر يونان 2/ 1–3: «فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي. لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ، فَأَحَاطَ بِي **نَهْرٌ**. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ **تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ**»[1].

وليس في عبارة «تياراتك ولججك» حجّة **لويليام كامبل**؛ **إذ** إنّ النص يتحدّث عن موج فوق يونان، على السطح؛ فالنص يقول: «**جازت فوقي**»؛ فليس في النص أنّ الأمواج داخل الماء. وكلمة «تيّارات» في الأصل العبري «מִשְׁבָּרֶיךָ» [مِشْباريكا] من فعل שָׁבַר [شابر] أي كسر؛ ولذلك جاء المقابل الإنجليزي في كثير من الترجمات الإنجليزية لكلمة «تيّارات» « breakers»؛ وقد سمّيت بذلك لأنّها تتكسّر عند الشواطئ.

وأمّا كلمة نهر، فيُقصد بها هنا البحر نفسه. وقد جاء في هامش ترجمة New English Translation تعليقًا على يونان 2/ 3: «الكلمة العبرية נָהָר [ناهار] استُعملت بالتوازي مع كلمة יָם [يم] أي بحر (في مزمور 24/ 2 (الاثنان في الجمع) لوصف محيطات العالم في مزمور 66/ 6 [2] للحديث عن عبور بني إسرائيل البحر في الخروج من مصر»[3]. وهي عادة معروفة خارج الكتاب المقدس؛ فقد استعمل الشاعر الملحمي **هوميروس** –في القرن التاسع قبل الميلاد– كلمة نهر بمعنى بحر[4]. وحتّى لو قبلنا معنى نهر بمعنى التيّارات البحريّة؛ فذلك لا يتعلّق بالأمواج الداخليّة،

---

(1) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.165

(2) مزمور 66/ 6: «حَوَّلَ الْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ، وَفِي النَّهْرِ عَبَرُوا بِالرِّجْلِ. هُنَاكَ فَرِحْنَا بِهِ».

(3) « The Hebrew word נָהָר (nahar) is used in parallel with יָם (yam, "sea") in Ps 24:2 (both are plural) to describe the oceans of the world and in Ps 66:6 to speak of the sea crossed by Israel in the exodus from Egypt.»

(4) H. D. M. Spence-Jones, The Pulpit Commentary: Jonah. 2004 (Bellingham, WA: Logos Research Systems, 2004), p.44

وإنّما يتعلّق بالقوّة التي تحرّك مياه البحر في اتّجاه معيّن. وذاك أمر معلوم؛ فكلّ الناس يرون الماء يتحرّك في اتّجاه معيّن، ولا يستقرّ ساكنًا مع الريح.

كما زعم **كامبل** أنّ خبر الأمواج الداخليّة جاء أيضًا في مزمور 8/ 4، 6–8: «فمن هو الإنسان حتى تذكره ؟ وابن آدم حتى تفتقده...تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه الغنم والبقر جميعًا، وبهائم البر أيضًا وطيور السماء، وسمك البحر السالك في **سبل المياه**» لأنّها تدلّ على تيّارات المحيط[1].

والحديث عن الموج الداخلي غير الحديث عن تيّارات المحيط. ثم إنّ عبارة «سبل المياه» استعملها كثير من الكتّاب القدماء للحديث عن المياه المتحركة مع اتّجاه الموج دون دعوى وجود موج داخلي مرتبط بظلمة البحر؛ ومن ذلك قول **هوميروس** في «الأوديسة»: «سُبل ماء البحر»[2]، و«جرت السفن قبل الريح على سُبُل سمك أعماق البحر»[3]. وكتب **أبولونيوس الرودسي** [4]– في القرن الثالث قبل الميلاد– في ملحمته Ἀργοναυτικά: «وجاءت الأسماك سريعة عبر أعماق البحر، واختلطت الأسماك الصغيرة والكبيرة، وهي تقفز على طول السُبُل المائية»[5].

نص مزمور 8/ 8 إذن يتحدّث عن عبور الكائنات البحرية الماء في حركتها المستمرة؛ ولذلك قال أصحاب تفسير The Psalms as Christian Worship إنّ هذا النص يشير إلى « أنماط السفر المعروفة لمخلوقات البحر»[6]، واختارت ترجمة The New International Version : «كلّ ما يسبح في طرق البحار» « all that swim the paths of the seas».

(1) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.165

(2) الكتاب الثالث: 71.

(3) الكتاب الثالث: 177.

(4) أبولونيوس الرودسي (215 - 295 ق م) Apollonius of Rhodes: شاعر يوناني ملحمي. صاحب ملحمة «أرغونوتيكا».

(5) الكتاب الأول: 574.

(6) B. K. Waltke, J. M. Houston & E. Moore, The Psalms as Christian Worship: A Historical Commentary (Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2010), p.271

المثال الثالث: أصل المياه الجوفية

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾[الزُّمَر:21].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾[المؤمنون:18–19].

اندهش **موريس بوكاي** عندما نظر في بيان القرآن لأمر أصل المياه الجوفية مقارنة بالثقافة العلمية السابقة للإسلام والمعاصرة له؛ فقال: «تبدو الآيات القرآنية المتعلّقة بدور المياه في حياة الإنسان، لدى قراءة بعضها تلو البعض الآخر، في هذه الأيام معبّرة عن أفكار واضحة جدًا. وذلك ببساطة لأنّنا أصبحنا في عصرنا نعرف مع زيادة أو نقص في الدقة والتحقيق ماهية دور المياه في الطبيعة.

ولكنّنا إذا أخذنا بالاعتبار ما كانت عليه مختلف المفاهيم القديمة في هذا الموضوع، فإنّنا نستبين بأن **ليس في المعطيات القرآنية** ما يدعم مفاهيم وثنية شائعة كان نصيب النظرة الفلسفية فيها أكبر بكثير من نصيب التجربة والملاحظة. ولئن كانوا قد نجحوا في الماضي تجريبيًا في الحصول على معارف علمية نافعة في مستوى محدود لتحسين ري الأراضي؛ فقد كان لهم بالمقابل في دور المياه على العموم، أفكار قليلة القبول في هذه الأيام»[1].

وبيّن **بوكاي** أنّ التصوّرات السائدة عن المياه الجوفيّة –منذ زمن ما قبل **أرسطو** حتّى عصر ما بعد البعثة النبوية– فاسدة علميًا؛ فقد ذهب **طاليس** إلى أنّ أصل المياه الجوفية دفع مياه المحيط وسقوطها بفعل الرياح على الأراضي إلى داخل القارات،

---

(1) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تعريب: حسن خالد (بيروت: المكتب الإسلامي، 1411هـ/ 1990م)، ص 211.

ثم تسـرّبها إلى التربة. وذاك أيضًا مذهب **أفلاطون**. ولقد كان لهذه النظرية أنصار كثر حتى القرن الثامن عشر، ومنهم **ديكارت**.

فيما ذهب **أرسطو** ومن شايعوه إلى أنّ أصل المياه الجوفية تكثّف بخار ماء الأرض فـي الفجوات الباردة في الجبال. ومن هناك ينتقل الماء إلى الينابيع. وقد اشـتهر هذا المذهب. وكان له أنصاره حتى القرن التاسع عشر.

وظهرت أوّل فكرة سـليمة وواضحة عن أصل المياه الجوفيّة بردّها إلى تسـرّبات مياه المطر في التربة على يد **برنار باليسـي**[1] سنة 1580م. وذاك ما أخبر به القرآن قبل ذلك بتسعة قرون كما في الآيات السابقة[2].

المطلب الثاني: هل في القرآن أخطاء علمية في الدورة المائية؟

ليسـت مباحث الـدورة المائيـة في القـرآن من المواضيـع الأثيرة فـي الخطابين التنصيـري والإلحـادي؛ لأنّ القرآن لم يقع في الحمأة التي وقع فيها أصحاب أسـفار الكتاب المقدس. ولم أجد في هذا الباب غير المعارضات التالية.

الاعتراض الأول: السماء ذات الرجع

قـال **ويليـام كامبل** في مناظرته للداعيـة **ذاكر نايك**: أخطأ القـرآن بصورة واضحة في حديثه عـن الدورة المائية إذ أغفل أهم مراحلها، وهي تبخّر الماء قبل ارتداده بعد ذلـك مطرًا، على خـلاف الكتاب المقدس الذي ذكر هذا الأمر من قبل، وهو ما يثبت إعجازه في مقابل خطأ النص القرآني.

الجواب:

أولًا: لو استعملنا حجة: «النقص في تعريف الظاهرة الطبيعية؛ هو بالضرورة خطأ علمـي في توصيفها»، لتضاعفت الأخطاء العلمية فـي التوراة والإنجيل مرات كثيرة.

---

(1) برنار باليسي (1589 - 1510) Bernard Palissy: عالم فرنسي، له مساهمات علمية في الجيولوجيا وعلم الأحافير.
(2) المصدر السابق، ص 211–214.

وليس القرآن كتابًا في تفصيل الظواهر الطبيعية؛ ولذلك لا يُنكر عليه أنه لا يجمع كل تفاصيلها، إلا أن يقتضي السياق ذلك. ولا ضرورة من سياقه هنا.

ثانيًا: منصوص الكتاب المقدس (عاموس 9/ 6، أيوب 36/ 27-28) الذي يستدل به النصارى، موافقٌ لما هو معروف في الثقافات القديمة التي كانت تخبر عن أمر التبخّر[1].

ثالثًا: أومأ القرآن إلى قضية تبخّر الماء وعودته إلى الأرض مطرًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ [الطارق:11-12]. وقد روى **الطبري** عن ابن عباس قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: السحاب فيه المطر[2]. فالسماء تُرجع ما يَرِدُ إليها من الأرض، وهو الماء القادم في شكل بخار.

الاعتراض الثاني: الأنهار واللؤلؤ والمرجان

يقول القرآن: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن:19-22].

ويقول أيضًا: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢﴾ [فاطر:12].

يُفهم من الآيات السابقة أنّ الحلي يُستخرج من المياه العذبة كما البحار المالحة. وتلك دعوى باطلة؛ فإنّ الحلي -كما هو معلوم- لا يُعرف في المياه العذبة. وهو ما تسبّب في حيرة عدد من المفسّرين. وقد اعترف **الرازي** في تفسيره أنّ اللؤلؤ لا يُعرف أنّه يخرج من الأنهار، وزعم أنّ عدم العلم بوجوده هناك سببه أنّ الغواصين لم يسبروا

(1) سنناقش هذا الأمر لاحقًا في هذا الكتاب.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 302.

كامل قاع الأنهار[1]. وكشف **الطبري** قبله الحرج الذي أصاب بعض المفسّرين؛ فقال: «وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ يَخْرُجُ مِنْ أَحَدِ الْبَحْرَيْنِ، وَلَكِنْ قِيلَ: يَخْرُجُ مِنْهُمَا»[2].

الجواب:

تعرّض الباحث -المعروف- **إبراهيم عوض** إلى تجربته مع طائف شك في دقّة النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ...﴾؛ فقال: «ما أكثر ما قرأت هذه الآية ولكن لم ألتفت إلى ما تنبهت إليه وأفزعني منذ فترة ليست بالبعيدة، وهو ما تؤكده الآية، من أن الحلي تستخرج من النهر والبحر كليهما، إذ إن الذي كنت أعرفه حتى ذلك الوقت هو أن اللؤلؤ والمرجان (المذكورين في آية مشابهة في سورة «الرحمن») لا يوجدان إلا في البحار. وقفز السؤال إلى عقلي على الفور مفزعاً: «أيمكن أن يكون القرآن قد أخطأ؟». إن هناك عدة آيات مشابهة في سورة «الرحمن»، ولكنها لا تثير أية مشاكل، فنصها هو: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾، ومعناه أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من مجموع البحرين لا من كل منهما، كما تقول: «إن في يدي هاتين مائة جنيه»، ويكون المبلغ كله في اليد الأولى بينما الثانية خلو تماماً من أي نقود، ولا تكون قد عدوت الحقيقة. أمّا آية سورة «فاطر» فإنها تقول

---

(1) قال الرازي: «اللُّؤْلُؤُ لاَ يَخْرُجُ إلاَّ مِنَ الْمَالِحِ فَكَيْفَ قَالَ: مِنْهُمَا؟ نَقُولُ الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى بِالِاعْتِبَارِ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ النَّاسِ الَّذِي لَا يُوثَقُ بِقَوْلِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللُّؤْلُؤَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ وَهَبْ أَنَّ الْغَوَّاصِينَ مَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا مِنَ الْمَالِحِ وَمَا وَجَدُوهُ إِلَّا فِيهِ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ لَا يُوجَدَ فِي الْغَيْرِ، سَلَّمْنَا لِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ الصَّدَفَ يَخْرُجُ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ إِلَى الْمَاءِ الْمَالِحِ وَكَيْفَ يُمْكِنُ الْجَزْمُ وَالْأُمُورُ الْأَرْضِيَّةُ الظَّاهِرَةُ خَفِيَتْ عَنِ التُّجَّارِ الَّذِينَ قَطَعُوا الْمَفَاوِزَ وَدَارُوا الْبِلَادَ فَكَيْفَ لَا يَخْفَى أَمْرُ مَا فِي قَعْرِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ؟» مفاتيح الغيب، 29/ 352.

(2) الطبري، جامع البيان، 22/ 208.

بصريح العبارة: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾. ولم يُسعفني ما عندي من تفاسير قديمة، فأخذت أقلب نظري في أرفف مكتبتي وأنا حائر ضائق، وإذا بي ألمح ترجمة يوسف علي للقرآن فأفتحها فأجد فيها شفاء نفسي، إذ يذكر المترجم رحمه الله (في تعليقه على هذه الآية في الهامش) من الحلي البحري اللؤلؤ والمرجان، ومن الحلي النهري العقيق وبرادة الذهب وغيرهما. ثم رجعت بعد ذلك إلى دائرة المعارف البريطانية (مادة Pearl) و«المنتخب في تفسير القرآن الكريم» فوجدت أن اللؤلؤ يوجد أيضاً في المياه العذبة. وكأن الكتاب الأخير يرد على حيرتي، إذ يقول : « **وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرًا للحلي، ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك** . أما اللؤلؤ فإنه -كما يستخرج من أنواع معينة من البحر- يستخرج أيضًا من أنواع معينة أخرى من الأنهار، فتوجد اللآلئ في المياه العذبة في إنجلترا وأسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان ... إلخ، بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة، ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة كالماس، الذي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة باليرقة. ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باندالاس في بورما العليا. أما في سيام وفي سيلان فيوجد الياقوت غالباً في الرواسب النهرية. ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة منتشرة في البرازيل وروسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسيليكات الألمونيوم، ويغلب أن يكون أصفر أو بنياً. والزيركون Circon حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس، ومعظم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية». وحتّى يقدر القارئ رد فعلي الأول حق قدره أذكر له أنه حتى **بعض المترجمين الأوربيين في العصر الحديث قد استبعدوا أن تكون الأنهار مصدراً من مصادر الحلي** . وقد تجلى هذا في ترجمتهم لهذه الآية، فمثلًا نرى **رودويل** الإنجليزي يترجم الجزء الخاص بالحلي منها هكذا:

yet from both ye eat fresh fish, and take forth for you ornaments to » wear»؛ فعبـارة «from both» تصلـح لترجمة آية سـورة «الرحمـن»، لا هذه الآية . كذلك ينقل **رودي باريت** هذه العبارة إلى الألمانية على النحو التالي : « Aus beiden eßt ihr frisches Fleisch». إلـى هنا والترجمة صحيحة، هذه العبارة تقابل بالضبط قولـه تعالـى : ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، وإن كان اسـتخدم في مقابل طرياً كلمـة «frish» ومعناها الدقيق «طـازج». لكن تنبه لترجمته للجـزء الآتي الذي يقول فيـه: « Und (aus dem Salzmeer) geurnnt ihr scmuck... um ihm euch anzulegen». والذي ترجمته: «وتسـتخرجون (من البحر المالح) حلية تلبسونها».

ويرى القارئ أن المترجم قد أضاف من عنده بين قوسـين عبارة : «من البحر المالح : aus dem Salzmeer »، **وهو ما يوحي باستبعاده أن تكون الأنهار مصدراً من مصادر اللؤلؤ والعقيق وغيرهما من أنواع الحلي على ما تقول الآية الكريمة**. أما ترجمة **سـيل وبالمر** (الإنجليزيتان) وترجمتا **كازيمريسكي وماسون** (الفرنسيتان)، وكذلك ترجمتا **ماكس هننـج** ومولانا **صدر الدين** (الألمانيتان) على سـبيل المثال فقد ترجمت كلها النص القرآني كما هو، ولكنها لزمت الصمت فلم تعلق بشيء .

ويرى القارئ من هذه الآية بالذات كيف أن القرآن قبل أربعة عشـر قرناً قد أشـار إلى حقيقة يسـتبعدها واحد مثلي يعيش في القرن العشرين، وآخرون مثل المستشرق الإنجليزي **رودويل** ونظيره الألماني **رودي باريت**، **فكيف عرفها الرسول عليه الصلاة والسـلام إذن وأداها بهذه البسـاطة لو كان هو مؤلف القرآن؟ وبخاصة أن الأنهار التي ذكر أن اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة وشـبه الكريمة تسـتخرج منها تقع في بلاد سـحيقة بالنسـبة للجزيـرة العربية، بـل إن بعضهـا كالبرازيل مثلًا لم تكتشـف إلا في العصور الحديثة»**[1].

---

(1) إبراهيـم عـوض، موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم (نسـخة إلكترونيـة، وقد كان من المفترض أن يشارك بهذا البحث في المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في إسلام آباد).
<https://vb.tafsir.net/tafsir12560/#.XD0MmFxKjlU >

وأمّا المرجان؛ فإن قلنـا كما قال الإمام **الطبري**: «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي اللُّؤْلُؤِ، أَنَّـهُ هُوَ الَّذِي عَرَفَـهُ النَّاسُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ أَصْـدَافِ الْبَحْرِ مِنَ الْحَـبِّ؛ وَأَمَّا الْمَرْجَانُ، فَإِنِّـي رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ لَا يَتَدَافَعُونَ أَنَّهُ جَمْعُ مَرْجَانَةٍ، وَأَنَّهُ الصِّغَارُ مِنَ اللُّؤْلُـؤِ»[1]؛ فالمرجـان عنده هو نفسـه اللؤلؤ (وهو ما صغر حجمـه)؛ وإثبات وجود اللؤلـؤ فـي الأنهار -كما سـبق- كاف لدفـع الشـبهة، وإن كان المرجـان في العرف القرآني هو ما نعرفه اليوم بالاسـم نفسه؛ فالثابت أيضاً أنّه موجود في الأنهار، كما هو في الخبر التالي عن اكتشافه في نهر الأمازون.

خبر عن اكتشاف شعب مرجانية في نهر الأمازون[2]
وتفصيله مذكور في مقال علمي[3]



Support The Guardian
Contribute → Subscribe →
Search jobs Sign in Search US edition
The Guardian
News Opinion Sport Culture Lifestyle More
Environment ▶ Climate change Wildlife Energy Pollution

Rivers

Huge coral reef discovered at Amazon river mouth

Scientists astonished to find 600-mile long reef under the muddy water in a site already marked for oil exploration

John Vidal
Fri 22 Apr 2016 13.00 EDT
18,837 641

▲ Scientists were 'flabbergasted' to discover the Amazon reef as coral usually thrives in clear, sunlit tropical waters. Photograph: Modis/Nasa

A huge 3,600 sq mile (9,300 sq km) coral reef system has been found below the muddy waters off the mouth of the river Amazon, astonishing scientists, governments and oil companies who have started to explore on top of it.

The existence of the 600-mile long reef, which ranges from about 30-120m deep and stretches from French Guiana to Brazil's Maranhão state, was not suspected because many of the world's great rivers produce major gaps in reef systems where no corals grow.

---

(1) الطبري، جامع البيان، 22/ 208.

(2) John Vidal, Huge coral reef discovered at Amazon river mouth, TheGuardian, Fri 22 Apr 2016
https://www.theguardian.com/environment/2016/apr/22/huge-coral-reef-discovered-at-amazon-riv->
<er-mouth

(3) Rodrigo L. Moura, et al. 'An extensive reef system at the Amazon River mouth', Science Advances 22 Apr 2016: Vol. 2, no. 4, e1501252

الاعتراض الثالث: جبال البَرد

يزعـم القرآن وجود جبـال من بَرَد في السُـحب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النور:43]. وذاك خطأ.

الجواب:

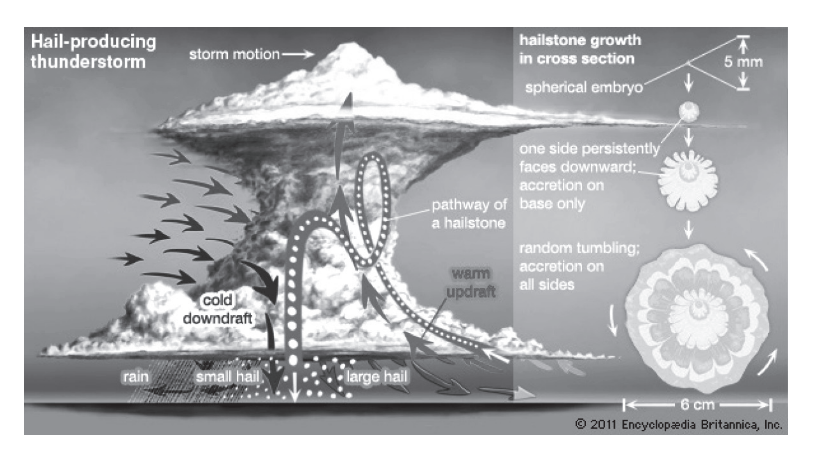
أولًا: اختلف المفسـرون قديمًا فـي إعراب الآية. قال **ابن كثيـر**: «وَقَوْلُهُ: «وَيُنزلُ مِنَ السَّـمَاءِ مِنْ جِبَـالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» : قَالَ بَعْضُ النُّحَاةِ: «مِـنِ» الْأُولَى: لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَالثَّانِيَـةُ: لِلتَّبْعِيـضِ، وَالثَّالِثَةُ: لِبَيَانِ الْجِنْسِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَجِـيءُ عَلَى قَوْلِ مَنْ ذَهَبَ من الْمُفَسِّـرِينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: «مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» وَمَعْنَاهُ: أَنَّ فِي السَّمَاءِ جبالَ بَرَد يُنَزِّلُ اللَّـهُ مِنْهَـا الْبَرَدَ. **وَأَمَّا مَنْ جعل الجبال ههنا عِبَارَةً عَنِ السَّـحَابِ، فَإِنَّ «مِنِ» الثَّانِيَةَ عِنْدَ هَذَا لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ أَيْضًا، لَكِنَّهَا بَدَل مِنَ الْأُولَى** »[1]. فالآية -إذن- تحتمل معنى وصف السـحب أنّها جبال، كما تحتمل أن يكون البرد هو الموصوف بأنّه على صفة الجبال. وعلى وصف السحب أنّها جبال تنتقض الشبهة.

علمًا أنّ سـياق الآيّة يرجّح وصف السـحب أنّها جبال لا البـرد؛ إذ الآية في أوّلها مخبرة أنّ السحب تجتمع ثم تراكم؛ فكان وصف الجبال في آخر الآية أولى بها؛ لأنّ تراكمها سبب تضخّم حجمها. كما أنّ العلم اليوم يشهد أنّ البرَد الذي تُخبر الآية عن نزوله من هذه السـحب لا ينزل إلّا من السـحب الركاميّة Cumulonimbus cloud وبقية أنواع السـحب الحملية convective clouds التي قد يبلغ ارتفاعها 18 كم؛ إذ إنّ «تشـكّل البرد يتطلّب سـحابًا مرتفعًا في تكوينه»[2]. وذاك من دقّة الوصف القرآني مما لم يرد له خبر في أسفار أهل الكتاب.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 72-73.

(2) The formation of jail requires a tall cloud formation", Randall K. Noon, Introduction to Forensic" Engineering (Oxford, United Kingdom : Oxford University Press, 2014), p.129

تكوّن البرد
عن الموسوعة البريطانية[1]



ثانــيًا: وصف البَرد أنّه جبل ليس خطأ علميًا ضرورة؛ إذ يســوغ أن يكون الحديث هنــا عن مقدار حجم الجبال؛ فالبرد كثير عــددًا، يبلغ في مجموعه حجم الجبال؛ قال **البغوي** (المتوفى 516هـ): « قيل: معناه وينزل من السماء من جبال، أي: مقدار جبال فــي الكثرة مــن البرد، و«من» في قوله «من جبال» صلة، **أي: وينزل من الســماء جبالًا من برد**»[2].

الاعتراض الرابع: الرعد ملك من الملائكة

جــاء في الحديث عن ابن عبــاس قال: أقبلت اليهود إلى النبــي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب يسوقه حيث أمره الله. قالوا: فما الصوت الذي نسمع؟ قال: صوته.

ويلزم مما ســبق أنّ الرعد هو صوت الملَك. والعلــم يخبرنا اليوم أنّ الرعد مجرّد

(1) Art. 'Hail', Encyclopaedia Britannica
< https://www.britannica.com/science/hail-meteorology >

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفســير القرآن، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان مسلم الحرش (دار طيبة، 1417هـ/ 1997)، 6/ 54.

ظاهرة ماديّة ناتجة عن تفريغ كهربائي يحدث بين غيمتين مشحونتين، واحدة موجبة والأخرى سالبة.

الجواب:

أولًا: ليس في القرآن ما يدلّ على أنّ الرعد صوت الملك. وأمّا الحديث فهو عند التحقيق ضعيف لا يصحّ؛ فإنّ مداره على بكير بن شهاب، وفيه لين. ولذلك قال فيه **أبو نُعيم الأصبهاني:** «غريبٌ من حديث سعيد، تفرد به بُكير»[1]، دلالة على ضعفه؛ فإنّ هذا الحديث لو صحّ ما كان لراو ضعيف أن يتفرّد به عن سعيد بن جبير على كثرة أصحابه.

وقد جاء هذا المتن من أكثر من طريق موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنه. فهو من كلام ابن عباس رضي الله عنه وليس من قول الرسول ﷺ. وإلى ذلك أومأ **البخاري** عند ترجمته لبكير بن شهاب[2]. وقد ثبت عن ابن عباس من طرق عدة أنه أرسل إلى أبي الجلد يسأله عن هذه القضية. وأبو الجلد ممن كان عنده علم عن أهل الكتاب. فيكون الخبر من الإسرائيليات المأخودة عن أهل الكتاب[3].

ثانيًا: وُصِفَ الرعد في الكتاب المقدس أنّه صوت الربّ:

أيوب 40/ 6-9: « فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ فَقَالَ: الآنَ شُدَّ حَقْوَيْكَ

---

(1) الأصبهاني، الحلية (مصر: السعادة، 1394هـ - 1974م)، 4/ 304.

(2) «قَالَ لِي أَبو نُعَيم: حدَّثنا عَبد اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ بُكَير، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَير، عَنِ ابْنِ عَبّاس، قَالَ: أَقبَلَت يَهُودُ، فَقالُوا: يَا أَبا القاسِم، أَخبِرنا عَمّا حَرَّمَ إِسرائِيلُ عَلى نَفسِهِ؟ قَالَ: كَانَ يَسكُنُ البَدوَ، فاشتَكَى عِرقَ النَّسا، فَلَم يَجِد شَيئًا يُلائِمُهُ إِلاَّ لُحُومَ الإِبِلِ وأَلبانَها، فَلِذَلِكَ حَرَّمَها، قالُوا صَدَقتَ.

وَقَالَ الثَّوريّ: عَنْ حبيب، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَير، عَنِ ابْنِ عَبّاس، قَولَهُ.

قَالَ أَبو عَبد اللهِ: حدَّثناه مُحَمد بْن يوسف، وغير واحد، عَنْ سُفْيَانَ». (البخاري، التاريخ الكبير، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 2/ 114).

(3) انظر التحرير الحديثي : د. حاكم المطيري، دراسة حديثية نقدية لحديث (الرعد ملك). الموقع الرسمي للدكتور المطيري:

<http://www.dr-hakem.com/Portals/Content/?info=TlRRNUpsTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp>

وانظر أيضًا: د. خالد الحايك، بحثٌ في الحديث المرفوع: «الرعد مَلك». الموقع الرسمي للدكتور الحايك:

<http://www.addyaiya.com/uin/arb/ViewnewsPage.aspx?NewsId=189>

كَرَجُلٍ. أَسْأَلُكَ فَتُعْلِمُنِي. لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي، تَسْتَذْنِبُنِي لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ؟ هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ كَمَا للهِ، وَبِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعِدُ؟».

أيوب 37/ 4-5: «بَعْدُ يُزَمْجِرُ صَوْتٌ، يُرْعِدُ بِصَوْتِ جَلاَلِهِ، وَلاَ يُؤَخِّرُهَا إِذْ سُمِعَ صَوْتُهُ. اَللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا. يَصْنَعُ عَظَائِمَ لاَ نُدْرِكُهَا».

صموئيل 22/ 14: «أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ».

تقول الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia عن الرعد: «هو الصوت الذي يلي البرق. المصطلح العبري المناسب لذلك هو רעם [رَعَم] (مزمور 77/ 19 وما يليه، أيوب 26/ 14، إشعياء 29/ 6)، ولكن غالبًا ما يتم التعبير عنه في الكتاب المقدس بعبارة קול [قول]، وفي الجمع קולות [قولوت] = («صوت»، «أصوات»)، والمفرد منه يُتبع دائمًا بعبارة יהוה = («صوت يهوه» ؛ مزمور 30/ 3؛ إشعياء 30/ 30). تم حذف كلمة «الله» عند ورود كلمة رعود في صيغة الجمع - باستثناء نص الخروج 9/ 28، حيث تلت الكلمة عبارة إلوهيم - ولكنها مفهومة [من السياق]»[1].

رَبْطُ الرعد بصوت الربّ يعطي للقول إنّ الرعد في الكتاب المقدس صوت الإله، شرعيّة، ولكن يعسر الجزم بذلك لأنّ اللغة في عامة السياقات شعريّة، ولكن بالنظر في التراث البابلي الذي تشبّع منه العهد القديم في الحديث عن الربّ وصفاته، يرجح القول إنّ العهد القديم كان يقدّم الرعد بصورة حقيقيّة أنّه صوت الربّ. وفي ذلك قالت الناقدة **ماري دين أوتينج**: «فكرة أن صوت الإله يدلّ عليه الرعد من السماء، لها جذور في الدينين البابلي والآشوري. الرعد هو صوت حدد، إله الطقس البابلي...»[2]، وقال أصحاب كتاب IVP Bible Background Commentary تعليقًا على مزمور

(1) Art. 'Thunder', The Jewish Encyclopedia, 12/142

(2) Mary Dean-Otting, Heavenly Journeys: a study of the motif in Hellenistic Jewish literature (P. Lang, 1984), p.111

29/ 3: «الأدب الشرقي الأدنى القديم مليء بالإحالات إلى الآلهة الرعد التي يُسمع صوتها في الرعد. وذاك يشمل بعل في الأدب الأوغاريتي ونصوص العمارنة، وحَدد في النصوص الأكادية. وذاك شائع أيضًا في أوصاف يهوه»[1].

والناظر في القرآن، يجد أنّه يميّز بين صوت الرعد وقول الربّ. قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:13]. فالرعد والملائكة يسبّحان الله؛ لأنّهم من مخلوقاته.

(1) The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.526

الفصل الخامس
الجغرافيا بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة الجغرافية حتى عصر البعثة النبوية

تعني كلمة جغرافيا Geography دراسة الأرض. ويعتني علم الجغرافيا الطبيعية بدراسة الأماكن والعلاقات بين الإنسان وبيئاته. ومن أبواب هذا العلم، علم الخرائط Cartography، وهو علم يفيد منه الإنسان في معرفة حدود الأرض والبحر والنهر، وحدود البلدان. وتلك حاجة عظيمة للمهتمين بالأسفار البعيدة في الزمن القديم.

وقد كان الإنسان يهتدي بالنجوم وما يصنعه من صور في ذهنه؛ لمعرفة الاتجاهات وعبور البلدان وامتداد الصحراء القفر. وتعتبر الخريطة الأكديّة التي تعود إلى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد أقدم[1] ما وصلنا من خرائط للأرض. ويذكر التاريخ أنّه كان للبابليين اهتمام برسم خرائط مختلفة للعالم لكشف تخومه الطبيعية، وأهم تضاريسه. كما رسم المصريون خرائطهم الخاصة مع تطوّر تجارتهم مع الهند واليونان القديمتين، وكانت هذه الخرائط تعكس تصوراتهم الأسطورية؛ إذ ضمّت شكل العالم السفلي أيضًا.

الخريطة الأكديّة



(1) هناك من رشّح خرائط أخرى سابقة لهذه الخريطة، وسبب ذلك الاختلاف في تعريف مصطلح: «الخريطة».

لم تستقل الجغرافيا بنفسها لتكون علمًا خاصًا إلا في الحضارة اليونانية -في حدود ما بلغنا من معارف التاريخ-، ومنها بدأ علم الخرائط يتطوّر بصورة أوسع. وقد كان لخريطة العالم كما رسمها **بطليموس** -الذي عاش في «مصر الرومانية»- في الكتاب الأول من مؤلَّفه الشهير «Γεωγραφικὴ Ὑφήγησις» أثر كبير في تطوّر علم الخرائط بعده.

خريطة العالم عند بطليموس



لم يهتم الكتاب المقدس بإعطاء صورة مدركة ومتناغمة لجغرافية الأرض، وإن تحدّث في الفصل العاشر من سفر التكوين عن الأمم السبعين التي تسكن الأرض، وأماكن تواجدها. وقد اهتمّ لاحقًا التلمودان -البابلي والأورشليمي- والترجومات والمدراشات ببيان تفاصيل عدد من المواضع التي أشار إليها العهد القديم.

وبالإمكان رسم صورة الأرض كما في أقوال أحبار اليهود في العصر التلمودي بأنّها دائرة يحاصرها المحيط، وفي سرّتها «الصخرة المؤسسة» «אבן השתייה»

[ابـن هَشْـتِيّا]، وهي قـدس الأقداس، وتقـع في ما يُعـرف بجبل الهيـكل، ومنها بدأ الخلق[1].

أفـادت البيئة التي كُتبـت فيها الأناجيل من التراث اليونانـي واليوناني-الروماني؛ فكان العلم بخريطة فلسـطين وما جاورها سـهل الإدراك لمن طلبه من المتعلّمين في تلك البيئة، وأمّا البيئة البعيدة فقد يحصل الخطأ في العلم بها.

أعطى ظهور الإسـلام دفعة قوية لعلم الخرائط بسـبب كثرة الفتوحات الإسلاميّة وتوسّـعها، وتوسّـع النشـاط التجـاري فـي جميع الاتجاهـات، وكانت مسـاهمات **الإدريسـي وابن حوقل والمسـعودي** قفزات معرفيّة جادة فـي عصرهم وما تلاه. ولم يكن للعرب اهتمام قبل ذلك بعلم الجغرافيا عامة، وبعلم الخرائط خاصة، وإنّما كان الوصف البسيط لاتجاهات الأرض يعتمد على مواقع النجوم أساسًا.

(1) Art. 'Geography', Encyclopaedia Judaica, 7/489

المبحث الأول:
الكتاب المقدس في مواجهة حقائق العلم

دراسة القضايا الجغرافية في التوراة والإنجيل مُبِينة لبشرية كثير من هذه النصوص المقدسة؛ إذ إنّ وجود الخطأ الجغرافي في نص يزعم التأريخ المعصوم لحدث ما؛ برهانٌ أنّ الكاتب كان يصدر في كتاباته عن أفكاره البشرية لا عن وحي معصوم، وأنّ معرفته بالبيئة التي ينقل خبرها كان شديد الضعف حتّى إنه لا يعلم الخطوط العريضة للأخبار، فضلًا عن دقيقها.

المطلب الأول:
موقف النقاد من الأخطاء الجغرافية في الكتاب المقدس

يقول الناقد **جري ل. سمني**[1] أستاذ دراسات الكتاب المقدس في «Lexington Theological Seminary»: «اعترف الكتّاب المسيحيون في القرنين الثالث والرابع بوجود أخطاء تاريخية وجغرافية في نصوص الكتاب المقدس، واعتبروا الكتاب المقدس مع ذلك النص السلطاني للكنيسة»[2].

وتعتبر المشكلة الأولى في العهد القديم اضطراب مؤلّفي الأسفار المقدسة في تحديد مواضع المدن والقرى؛ إذ تُنسَب كثيرٌ منها إلى أكثر من موضع على الأرض -مثل جبل سعير הַר-שֵׂעִיר [هَر سِيعِير] الذي ينسبه العهد القديم عادة إلى منطقة في الجنوب يحدّها وادي عربة، لكنّه في سفر يشوع 15/ 10 يقع في منطقة الضفة الغربية!-؛ حتّى إنّ خرائط العالم القديم زمن الأنبياء كما في أطالس الكتاب المقدس تكثر إظهار التردّد في الجزم بمواضع الأماكن الواردة فيها؛ فتضعها في أكثر من مكان.

كما تتميّز بعض الأسفار بشيء من الخلط الجغرافي أكثر من الأخرى. ومن

(1) جري ل. سمني (1955) Jerry L. Sumney: ناقد كتابي أمريكي. من مؤلفاته شرح رسالة بولس إلى كولوسي.
(2) Jerry L. Sumney, The Bible: An Introduction (Fortress Press, 2009), p.41

أسوأ هذه الأسفار سفر طوبيا ويهوديت[1]؛ حتى قيل فيهما إنّهما يتميّزان بالأخطاء الجغرافيّة الفاحشة. وإنّه لا قيمة تاريخية لهما البتة[2].

وأما العهد الجديد فمشكلته أعظم؛ إذ يظهر فيه جهل أصحاب الأناجيل بمواضع المدن والقرى في فلسطين وتحويل بعضها عن مكانها؛ بما يُظهر أنّ عددًا من كتّاب أسفار العهد الجديد كانوا ينقلون تراثًا غير موثوق، والأخطر من ذلك أنّهم ما كانوا شاهدي عيان لما تزعم الكنيسة أنّهم قد شهدوه، أو نقلوه عن شهود عيان.. وذاك برهان للمخالفين يذهب بدعوى إلهامية هذه الأسفار أدراج الرياح.

وقد شهد كثير من النقّاد على التخليط الجغرافي لأصحاب أسفار العهد الجديد:

- قال الناقد **كومل**[3] في مقدمته الشهيرة للعهد الجديد، في حديثه عن كاتب إنجيل مرقس: «ليست للمؤلّف -بداهةً- معرفة شخصيّة بجغرافية فلسطين؛ كما تُظهر ذلك الأخطاء الجغرافية الكثيرة»[4].
- قال الناقد الكبير **إدوارد شفايتزر**[5] في سياق إبطال مزاعم الكنيسة حول تحديد شخصية مؤلف إنجيل مرقس: «من الصعب تعريفه على أنّه مرقس المذكور في أعمال الرسل 12/ 12، 25؛ 13/ 5، 13، والرسالة إلى فليمون 24، والرسالة إلى كولوسي 4/ 10، والرسالة الثانية إلى تيموثاوس 4/ 11؛ إذ إنّه يبدو أنّه لا يعرف جغرافية فلسطين»[6].

---

(1) يؤمن بقداستهما الكاثوليك والأرثوذوكس الشرقيون.

(2) Henk Jan de Jonge, Joseph Scaliger's Treatise De apocryphis Bibliorum (ca. 1591), in Ann Blair, Anja-Silvia Goeing, eds. For the Sake of Learning. Essays in Honor of Anthony Grafton (Boston: Brill, 2016), 1/93

(3) فرنر جورج كومل (1905 – 1995م) Werner Georg Kümmel: لاهوتي ألماني. أستاذ العهد الجديد في زيورخ وماربرغ. يعتبر كتابه: «مدخل إلى العهد الجديد» من المراجع الأكاديمية الكبرى في بابه.

(4) Werner Kummel, Introduction to the New Testament (Nashville, Tenn.: Abingdon Press, 1975), p.97

(5) إدوارد شفايتزر (1913 – 2006م) Eduard Schweizer: سويسري. ناقد متخصص في دراسة العهد الجديد. وهو ما درّسه في جامعة زيورخ.

(6) Eduard Schweizer, The Good News According to Mark (London: SPCK., 1987), p.24

● قال الناقد الكاثوليكي البارز **ريموند براون**[1]: «مقارنةً بمرقس 1/ 39 حيث يُذكر أنّ عيسى مرّ على مجامع الجليل، مَرْكَزَ لوقا 4/ 44 مجامعَ في اليهوديّة؛ وهو ما يمكن أن يُظهر التصوّرات غير الواضحة للوقا عن جغرافية فلسطين، إذ إنّه في العدد التالي (5/ 1) يظهر أنّ عيسى لا يزال في الجليل، عند البحيرة. أو ربما تكون اليهوديّة عند لوقا، تعني ببساطة «بلاد اليهود»!»[2].

● لخص صاحبا كتاب «المسيحية المبكّرة والأدبيات المقدسة» أسباب رفض فريق من النقاد أن يكون مرقس هو مؤلف الإنجيل المنسوب إليه، بقولهما: « أساسًا، الحجج ضد أن يكون يوحنا مرقس - وهو يهودي مقيم في أورشليم، وفي وقت لاحق رفيق بولس وأيضًا بطرس- كاتب هذا الإنجيل، أنه لا يبدو أنّ المؤلّف على دراية بجغرافية فلسطين في القرن الأول (مرقس 7/ 31 ؛ 11/ 1) أو بالعادات اليهودية، مع إفراطه في المبالغة في التعميم في حديثه عن اليهود (7/ 3-4) الذين يبدو أنه ينأى بنفسه عنهم، ولا يعكس حديثه في اللاهوت لاهوت بولس أو بطرس كما هو مفترض من رفيق لهما (الرسالة إلى فليمون، قارن: الرسالة إلى كولوسي 4/ 10، 2تيموثاوس 4/ 11)»[3].

● قال الناقد **تشارلز وايت**[4] في أمر إنجيل يوحنا: «توجد أيضًا كثير من الأخطاء في الإحالة إلى جغرافيا البلاد. يتحدّث المؤلّف عن «عين نون» قرب «ساليم» في اليهوديّة، كما لا توجد «بيت عنيا» وراء الأردن، ولا «مدينة في السامرة، تدعى

(1) ريموند إ. براون (1928-1998) Raymond E. Brown: قسيس ولاهوتي وناقد كتابي من أعلام العصر. له عناية خاصة بالتراث اليوحناوي وصلب المسيح وقيامته.

(2) Raymond E. Brown, An Introduction to The New Testament (New York: Doubleday, 1997), p. 238

(3) Lee Martin Mc Donald and Stanley E. Porter, Early Christianity and its Sacred Literature (Peabody, Mass.: Hendrickson; Bristol: Alban, 2001), p. 286

(4) تشارلز وايت Charles Waite: (ولد سنة 1824م). أمريكي. قانوني. عمل في القضاء ثم المحاماة، وناشط اجتماعي. له عدد من المؤلفات في مواضيع مختلفة.

سـيخار»[1]. إذا كانـت هذه المناطـق موجودة؛ فإنّهـا - بصـورة غريبة-غير معروفة لكتّاب آخرين. الدكتور **برتشـنايدر**[2] أشار إلى مثل هذه الزلات والأخطاء الجغرافية والمتعلقة بالتسلسـل الزمنـي وبالتاريخ وبإحصائيات اليهودية بما يمنع أيّ شـخص عاش أبدًا في تلك البلاد أو كان يهودي المولد أن يرتكبها»[3].

وقـد دفع الخبـط الجغرافي فـي الأناجيـل الناقدة **جـوان تايلور** -أسـتاذ أصول المسـيحية فـي King's College بلندن- إلى تأليـف كتابها «المسـيحيون والأماكن المقدسـة: أسـطورة أصول المسـيحية-اليهودية»[4] -وهو أطروحتهـا للدكتوراه-، حيـث زعمـت أنّ جلّ مواضـع الأماكن المذكورة فـي الأناجيل تـم تحديدها لاحقًا فـي القرن الرابع. والمـرء وإن كان غير ملزم أن يوافقها اجتهادها إلّا أنّه يسـلّم لها أنّ جغرافيات الأناجيل لا يمكن أن تقبل بعلّاتها الموروثة.

إنّ المحنة الجغرافيّة في الأناجيل أعظم ممّا يتصوّره من يقرؤون الأناجيل بصورة عجلـة؛ إذ إنّ لها أشـكالًا ومظاهـر متنوعة، لعلّ من أشـدّها أنّ كلّ كاتـب من كتّاب الأناجيل قد روى رحلات المسيح وتحركاته في فلسطين على صورة مخالفة لما رواه غيـره. وقد أورد أطلس الكتاب المقـدس «Rand McNally Bible Atlas» صورتين لتنقّلات المسيح كما هي واردة في إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا. والصورتان أبلغ من كلّ بيان. ولا سبيل للمطابقة بينهما البتّة مهما تكلّف المعاند الأدلّة:

---

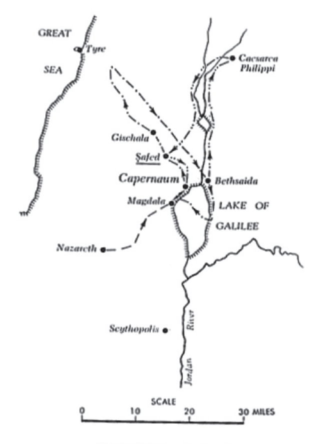
(1) ذكرت في يوحنا 4/ 5.

(2) برتشنايدر (1776 – 1848م) Bretschneider: لاهوتي وناقد كتابي ألماني بروتستانتي.

(3) Charles Waite, History of the Christian Religion to the Year Two Hundred (Chicago: C.V. Waite & cc.), pp. 397–398.

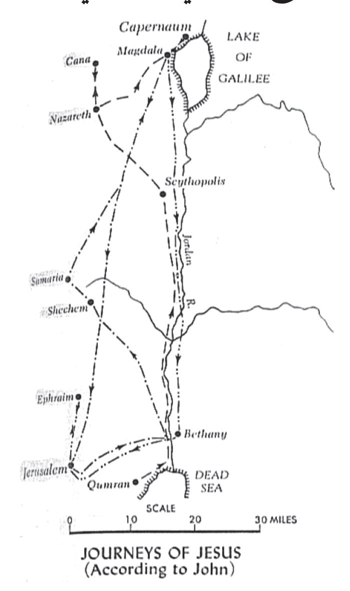
(4) Joan E. Taylor, Christians and the Holy Places: The Myth of Jewish–Christian Origins (Oxford: Clarendon Press؛ Oxford؛ New York: Oxford University Press, 2007)

تنقّلات المسيح كما هي واردة في إنجيل مرقس(1)



JOURNEYS OF JESUS
(According to Mark)

تنقّلات المسيح كما هي واردة في إنجيل يوحنا(2)



JOURNEYS OF JESUS
(According to John)

(1) Emil G. Kraeling, Rand McNally Bible Atlas (New York : Rand McNally, 1967), p.387

(2) Rand McNally Bible Atlas, p.391

المطلب الثاني: مكان في أكثر من مكان!

الكتــاب المقدس حصيلة جهـد مؤلفين مجاهيل، مختلفيـن، ينقلون في كثير من الأحيـان بجهـل وعماية؛ ولذلـك يصعب في أحيـان كثيرة ضبط المـكان الجغرافي لأسـماء القـرى أو المـدن للتعارض الواضح بيـن النصوص في ضبط هـذه المواقع الجغرافية.. سأكتفي هنا بمثالين اثنين من قائمة طويلة جدًا:

المثال الأول: فاران

وردت كلمـة فـاران פָּארָן فـي سـفر التكوين وسـفر العدد وسـفر التثنية وسـفر صموئيـل الأول وسـفر الملوك الأول وسـفر حبقـوق. والجمع بين هـذه النصوص متعـذّر فـي ضبط مكان «فاران»؛ ولذلك قال المفسّـر الشـهير **آدم كلارك** تعليقًا على نص التثنيـة 1/ 1: «فاران: لا يمكن أن تكون فاران هنا فاران المتاخمة للبحر الميت، غير بعيد عن جبـل حوريب؛ لأنّ المكان المذكور هنا يقع على حدود أرض الميعاد، على مسافة شاسعة من فاران الأخرى»[1].

ويقـول **صموئيـل رولز درايفر**[2] تعليقًا على النص نفسـه: «يصـف العدد الحالي مشهد خطاب موسى في إقليم موآب، وهو بالطبع في فاران أخرى»[3].

وأمّا **مارتن لوثر** فيقول تعليقًا على نص حبقوق 3/ 3، مظهرًا حيرته الكبرى: «فاران هي منطقة صحراوية عند سيناء ومصر (قارن تكوين 21/ 21، 1ملوك 11/ 18، التثنية 33/ 2)، رغـم أنه بالإمكان أن تشـير إلى قادش (العـدد 13/ 26)، أو أرض قريبة من حدود يهوذا (1صموئيل 25/ 5) »[4].

(1) Adam Clarke, The Holy Bible, with a Commentary and Critical Notes (London: Thomas Tegg, 1836), 1/749

(2) صموئيل رولز درايفر (Samuel Rolles Driver (1846-1914: عالم لغة عبرية إنجليزي. له عناية خاصة بالدراسات النقدية لأسفار العهد القديم.

(3) Samuel Rolles Driver, A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy (New York: Scribner, 1895), p.4

(4) O. P. Robertson, The Books of Nahum, Habakkuk and Zephaniah. The New International Commentary on the Old Testament (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1990), p.222

وتلخّص موسوعة الكتاب المقدس Encyclopaedia Biblica الأمر بقولها: «ليس من السهل فهم جميع مقاطع العهد القديم المتعلقة بفاران»[1].

ولدفع هذا الاضطراب، قام أصحاب الترجمة السبعينية بتحريف النص العبري لنص 1 صموئيل 25/ 1: «وَمَاتَ صَمُوئِيلُ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ. وَقَامَ دَاوُدُ وَنَزَلَ إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ»، بتغيير «فاران» إلى «Μααν» [مَأَنْ]؛ لأنّه لا توجد فاران في هذه المنطقة. وقد اختارت بعض الترجمات الحديثة الهامة مخالفة النص العبري للخروج من الإشكال الجغرافي، ومنها الترجمة البروتستانية الأشهر New International Version، والترجمة الكاثوليكية الأشهر New American Bible.

المثال الثاني: صهيون

يظنّ كثير من النصارى أنّ منطقة صهيون ציון [صِيون] الواردة في العهد القديم تقابل ضرورة منطقة القدس، دون علم بتضارب النصوص؛ ولذلك ينكرون على بعض الباحثين المسلمين تفسيرهم «صهيون» أحيانًا بمكّة أو غيرها. والناظر في خبر «صهيون» في الكتاب المقدس يعلم أنّها لا يمكن أن تكون علمًا على مكان واحد.

تقول موسوعة الكتاب المقدس The International Standard Bible Encyclopedia عن صهيون: «لقد وقع في الماضي ارتباك كبير بسبب الحاجة إلى فهم واضح للمواقع المختلفة التي سميت على التوالي «صهيون» على مدى قرون»[2].

وإذا كانت صهيون عند أهل الكتاب مكاناً واحداً؛ لزمهم الاعتراف باضطراب الكتاب المقدس في بيان مكان صهيون.

المطلب الثالث: الخطأ الجغرافي في العهد القديم

أخطاء العهد القديم في تحديد مكان البلاد أو وصفها، كثيرة، وقد أقرّ بها عامة النقّاد. ونكتفي ببعضها هنا:

(1) Art "Paran," in T. K. Cheyne and J. Sutherland Black, eds. Encyclopaedia Biblica, 3/3583

(2) Art. 'Zion', The International Standard Bible Encyclopedia, James Orr, et al. eds. (Chicago: Howard-Severance Company, 1915), 5/3150

المثال الأول: أرام أم أدوم؟

أخبار الأيام الثاني 20/ 2

فَجَاءَ أُنَاسٌ وَأَخْبَرُوا يَهُوشَافَاطَ قَائِلِينَ: «قَدْ جَاءَ عَلَيْكَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ عَبْرِ الْبَحْرِ مِنْ أَرَامَ، وَهَا هُمْ فِي حَصُّونَ تَامَارَ». هِيَ عَيْنُ جَدْيٍ.	וַיָּבֹאוּ וַיַּגִּידוּ לִיהוֹשָׁפָט לֵאמֹר בָּא עָלֶיךָ הָמוֹן רָב מֵעֵבֶר לַיָּם מֵאֲרָם וְהִנָּם בְּחַצְצוֹן תָּמָר הִיא עֵין גֶּדִי

يذكر نص أخبار الأيام الثاني 20/ 2 أنّ بني موآب وبني عمون والعمونيين قادمون من البحر، من جهة أرام؛ لمهاجمة يَهُوشَافَاطَ. وقد تحوّلت كلمة أرام אֲרָם في الأصل العبري لنص أخبار الأيام الثاني 20/ 2، (وفي الترجمة السبعينيّة اليونانية «سوريا» «Συρίας») إلى أدوم في الترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة 2 أخبار الأيام 20/ 2: «فأتى قوم وأخبروا يهوشافاط وقالوا له: «قد خرج عليك جمهور كثير من عبر البحر من أدوم، وها هم في حصون تامار التي هي عين جدي». وسبب تحريف النصّ أنّ منطقة أرام لا تقع بالقرب من أيّ بحر، وهي تقع في الشمال بعيدًا عن البحر الميت، في قلب سوريا اليوم. وفي المقابل تقع منطقة أدوم في جنوب البحر الميت، وجنوب شرقه[1]، وهو المكان الذي لا يتعارض مع جغرافيا أحداث نص أخبار الأيام الثاني 20/ 2.

اعترف بخطأ الأصل العبري كثير من النقاد كالناقد المحافظ **آدم كلارك** الذي قال: «لم نقرأ عن أي سوريين في هذا الغزو، لكننا نعرف أن هناك ثمّة أدوميين، أو سكان جبل سعير»[2].

(1) See Edward Curtis & Albert Alonzo Madsen, A Critical and Exegetical Commentary on the Books of Chronicles (Edinburgh Clark, 1965), p. 405

(2) Adam Clarke, The Holy Bible Containing the Old and New Testaments (New York: B. Waugh and T. Mason, 1831), 2/562

وقد تكرّر هذا الخطأ أكثر من مرّة في الكتاب المقدس، أو بتعبير عالم الأركيولوجيا البروفسور **يوحنان أهاروني**[1]: «تبادل المواضع بين هذين الاسمين أرام وأدوم خطأ شائع في النصّ الماسوري [العبري]»[2].

وقد أدّى حرَجُ الخطأ في نص أخبار الأيام الثاني 20/ 2 إلى تغيير كلمة أرام إلى أدوم في إحدى المخطوطات العبرية الماسورية، وفي الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس[3].

المثال الثاني: حجم نينوى

يونان 3/ 3: «أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً للهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّام».

دعوى مؤلّف سفر يونان تعني أنّ قُطر نينوى كان يبلغ 60 ميلاً؛ أي إنّ هذه المدينة كانت أكبر من مدينة لوس أنجلس!

يقول الناقد **فريدمان جولكا**[4]: «يظهر وصف المدينة أنها «رحلة تستغرق ثلاثة أيام في العرض (أي القُطر)» أننا قد تركنا بوضوح عالم التاريخ. تقع نينوى القديمة، مقابل الموصل الحديثة على الضفة اليسرى لنهر دجلة، وكانت تمتدّ على مسافة 5 كم (3 ميل) من الشمال إلى الجنوب، في حين –وفقًا **لهانس والتر وولف**[5] (عوبديا ويونان، ص148)، «رحلة ثلاثة أيام في القطر» ستعني 60–80 كم. (40–50 ميل)»[6]. ويشاركه الناقد **يوليوس بور** عجبه بقوله: «مثل هذه المبالغات سمة من سمات مثل هذه القصص»[7].

---

(1) يوحنان أهاروني (1976 – 1919م) Yohanan Aharoni: كان رئيساً لقسم الأركيولوجيا ودراسات الشرق الأدنى، ورئيساً لمؤسسة الأركيولوجيا في جامعة تل أبيب.

(2) Yohanan Aharoni, The Land of the Bible (London Burns & Oates, 1968) p. 294

(3) R. B. Dillard, 2 Chronicles (Dallas: Word, Incorporated., 2002), 15/156

(4) فريدمان و. جولكا (2011 – 1942م) Friedemann W. Golka: رئيس قسم اللاهوت البروتستانتي في University of Oldenburg، له اهتمام خاص بالعهد القديم.

(5) هانز فالتر فولف (1911-1993) Hans Walter Wolff: لاهوتي بروتستانتي. أستاذ العهد القديم في جامعة هايدلبرغ.

(6) G. A. F.Knight & F. W. Golka, Revelation of God (Mich.; Edinburgh: W.B. Eerdmans, 1988), p.102

(7) J. M. P.Smith & J. A. Bewer, A critical and exegetical commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah (New York: C. Scribner's sons, 1912), p.50

المثال الثالث: أورشليم، مركز الأرض

حزقيال 5/ 5: «هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هذِهِ أُورُشَلِيمُ. **فِي وَسْطِ الشُّعُوبِ** قَدْ أَقَمْتُهَا وَحَوَالَيْهَا الأَرَاضِي».

حزقيال 38/ 12: «لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنُ فِي أَعَالِي الأَرْضِ».

كلمة «أعالي» هنا في الأصل العبري «טַבּוּר» [طَبُورْ] أي «سُرّة»، ولذلك تترجمها عامة الترجمات الإنجليزية: «مركز» «center»، مثل ترجمة New International Version وNew American Standard Bible وNET Bible.

وجاء في مدراش تنحوما في تأكيد المعنى السابق: «قال حكماء إسرائيل: أرض إسرائيل مركز العالم. أورشليم هي مركز إسرائيل».

"אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל יוֹשֶׁבֶת בְּאֶמְצָעִיתוֹ שֶׁל עוֹלָם, וִירוּשָׁלַיִם בְּאֶמְצָעִיתָהּ שֶׁל אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל ".

وقد علّق **جورج أ. كوك**[1] على نص حزقيال 5/ 5 بقوله: «فكرة أنّ مدينة أورشليم هي مركز الأرض تم التصريح بها هنا، وبالتأكيد في [حزقيال] 38/ 12... وقد تم تناولها من قبل كتّاب صوفيين لاحقين، على سبيل المثال في النص الأثيوبي لسفر أخنوخ 26/ 1: «ذهبت من هناك إلى وسط الأرض، ورأيت مكانًا فيه أشجار... وجبل مقدس ... ونهر»، وسفر اليوبيلات 8/ 12، 19: «جبل صهيون، مركز سرّة من الأرض». والأمر بالمثل في اللاهوت الحاخامي، «تم إنشاء العالم من صهيون (التلمود البابلي Yôma 54b)، «يجلس السنهدرين على سرّة العالم؛ لأنه يجلس في الهيكل (التلمود San. 37a)»[2].

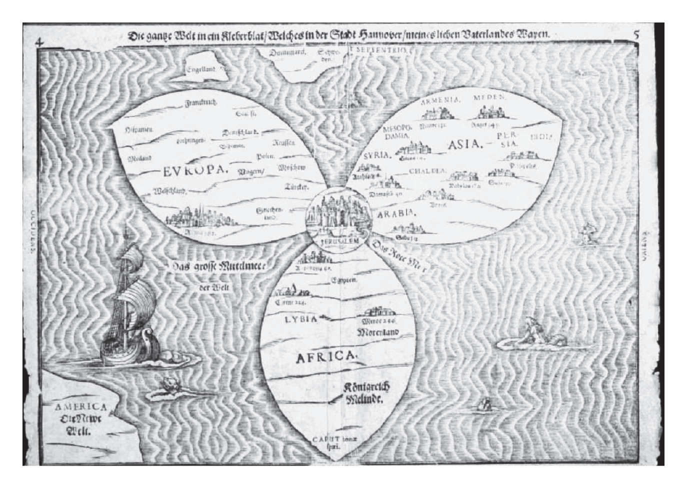
(1) جورج ألبرت كوك (1939 – 1865م) George Albert Cooke: رجل دين أنجليكاني. درّس التفسير والعبرية في جامعة أوكسفورد.

(2) G. A. Cooke, A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Ezekiel (Edinburgh: T. & T. Clark, 1936), p.58

وبيّن **أندرو وايت**[1] التصوّر النصراني لمركزيّة أورشليم في خريطة العالم بقوله: «يتحدّث سفر حزقيال عن أورشليم أنّها في وسط الأرض، فيما تقع جميع أجزاء العالم حول المدينة المقدسة. طوال «عصور الإيمان» كانت تلك الدعوى مقبولة بصورة عامة باعتبارها من الوحي المباشر من الإله بخصوص شكل الأرض. أعلن القديس **جيروم** - أكبر المراجع الدينية في الكنيسة المبكرة في شأن الكتاب المقدس- اعتمادًا على تصريح هذا النبي، أنّ أورشليم لا يمكن أن توجد في أي مكان آخر غير مركز الأرض. في القرن التاسع، كرّر رئيس الأساقفة رابانوس ماوروس تأكيده نفس الحجة[2]. في القرن الحادي عشر أعطى [اللاهوتي] Hugh of Saint Victor لهذه الرؤية حجّة دينية أخرى[3]. وأعلن البابا **أوربان** في خطبته العظيمة في كليرمونت عند تحريضه الفرنجة على الحملة الصليبية أنّ «القدس هي نقطة الوسط في الأرض». وفي القرن الثالث عشر أعلن كاتب كنسي يمثّل روح عصره -الراهب **قيصر هستبراخ**- قوله: «تقع أورشليم في وسط أرضنا المسكونة كما يقع القلب في وسط الجسم... ولذلك صُلب المسيح في وسط الأرض». وقبِل **دانتي**[4] تلك الرؤية المتعلقة بأورشليم كأمر يقيني... وهكذا أصبح ما قرّره حزقيال معيار استقامة العقيدة لصُنّاع الخرائط في وقت مبكر. رسّخت خريطة العالم في كاتدرائية هرفورد، وخرائط أندريا بيانكو، ومارينو سانوتو، وكثير غيرهم تلك الدعوى في عقول الناس، ونفّرت دون شك على مدى أجيال كثيرة من أيّ تقرير علمي يسعى إلى مراجعة هذا الخبر الجغرافي الموحى به في الأسفار المقدّسة»[5].

(1) أندرو ديكسون وايت (1832-1918) Andrew Dickson White: مؤرّخ أمريكي ومؤسس جامعة كورنل.
(2) De Universo, lib. xii, cap. 4, in Migne, tome cxi, p. 339
(3) De Situ Terrarum, cap. ii
(4) Inferno, canto xxxiv
(5) Andrew White, A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom, 1/99

وقد ألّف قسيس ولاهوتي ألماني اسمه **هنريك بونتينج**[1] سنة 1581م كتابًا بعنوان «Itinerarium Sacrae Scripturae» رسم فيه خريطة العالم، وجعل أورشليم مركز القارات. وكانت الخارطة التالية واحدة من خرائطه:



ولا يشهد العلم اليوم -بعد المعرفة الدقيقة بخارطة العالم- للزعم الوارد في سفر حزقيال؛ والمشهور اليوم أنّ المركز الهندسي لليابسة كلّها يقع في مدينة «تشوروم» بتركيا[2].

ومن الجدير بالذكر هنا أن نعلم أنّ ثقافة بلاد الرافدين (التي تشكّل أهم مصدر للصورة الكونية في التوراة) تخبر أنّ بابل مركز العالم. وقد كانت عامة الأمم السابقة تعتقد أنّ مدنها أو معالمها المقدسة قلب العالم، كما هو حال المصريين، واليونان القدماء، والهندوس...[3].

---

(1) هنريك بونتينج (1545-1606) Heinrich Bunting: قسيس ولاهوتي ألماني.

(2) نشر بعض الباحثين المسلمين دعوى أنّ مكّة مركز اليابسة، واشتهر ذلك، لكن عارض عدد آخر من الباحثين المسلمين هذه الدعوى. ولم ينته الفريقان إلى قول واحد. ونحن على القول إنّ تشوروم في تركيا هي مركز اليابسة حتى يثبت خلاف ذلك. وليس في نصوص الشرع نص صحيح في مركزية مكة، وأمّا حديث: «كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض»، فلا حجّة في لفظه على مركزية الكعبة، كما أنّ الحديث مردود، لم يصحّحه أحد من أهل الحديث.

(3) Andrew Dickson White, A History of the Warfare of Science with Technology, 1/98-99; W. R. Lethaby, Architecture, Mysticism and Myth, Whitefish (MT : Kessinger, 2003), chap.4

المطلب الرابع: الخطأ الجغرافي في العهد الجديد

الأخطاء الجغرافية في العهد الجديد الذي كُتبت أناجيله في القرن الأول، كثيرة، ومتنوّعة، وذاك -ولا شكّ- صادم؛ للقرب النسبي لعهد كتابة هذه الأسفار من زمن المسيح. وذاك يقتضي الاستفادة من دلالات هذه الأخطاء الفاقعة لمعرفة ضعف المادة التاريخية التي استقى منها أصحاب الأناجيل أخبارهم عن المسيح؛ فإنّ الخبر الذي لا يُحسن وصف مكان الأحداث، لا يُؤمن عليه الخطأ في سرد الأحداث.. وهاهنا أبرز الأخطاء الجغرافية في العهد الجديد.

المثال الأول: الناصرة

إنجيل متّى 2/ 23: «فَوَصَلَ بَلْدَةً تُسَمَّى «النَّاصِرَةَ» وَسَكَنَ فِيهَا، لِيَتِمَّ مَا قِيلَ بِلِسانِ الأَنْبِيَاءِ إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً!».

لا يوجد أيّ نصّ في العهد القديم يبشّر بظهور من سيدعى ناصريًّا[1]، بل إنّ فلسطين لم تعرف في القرن الأول الميلادي مكانًا باسم «الناصرة».

وقد شهدت المراجع العلمية لغياب أيّ ذكر للناصرة قبل زمن المسيح وأثناءه، ومن ذلك قول **ر.ت.فرانس**[2] في تعليقه على إنجيل متّى: «لم يتمّ ذكر الناصرة في العهد القديم (أو في أيّ من الأدبيات اليهوديّة المعاصرة له)»[3]، وقول **جورج بيزلي ماري**[4] عن الناصرة: «ليس لها أيّ ذكر في العهد القديم، ولا التلمود، ولا المدراشات، ولا أيّ كتابات وثنية معاصرة لها»[5]، وقول الناقد **د.أ. هاغنر**[6]: « «المدينة» غير

---

(1) انظر في نقض هذه النبوءة المزعومة: سامي عامري، براهين النبوة، ص 367–369.

(2) ر.ت.فرانس (1938–2012) R. T. France: قسيس إنجليكاني وناقد متخصص في دراسات العهد الجديد. درّس في London School of Theology.

(3) R. T. France, Vol. 1: Matthew: An introduction and commentary. Tyndale New Testament Commentaries (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1985), p.93

(4) جورج بيزلي ماري (1916-2000) George Beasley-Murray: أستاذ تفسير العهد الجديد في Southern Baptist Theological Seminary.

(5) G. Beasley-Murray, John (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.27

(6) دونالد هاغنر Donald Hagner : أستاذ العهد الجديد في Fuller Theological Seminary.

معروفة في العهد القديم أو أيّ مصادر أبكر من وثائق العهد الجديد»[1].

وتفصيل الاعتراض على تاريخية الناصرة زمن المسيح في النقاط التالية:

● لا ذكر للناصرة في أسفار العهد القديم رغم أهميّة فلسطين ومناطقها في هذه الأسفار.

● لم يرد أيّ ذكر للناصرة في التلمود البابلي، رغم أنّ هذا التلمود قد ذكر 63 مدينة/ قرية في الجليل، علمًا أنّ العهد الجديد (مرقس 1/ 9، لوقا 1/ 26) يعتبر الناصرة جزءًا من منطقة الجليل!

● المؤرّخ اليهودي **يوسيفوس** الذي عاش في القرن الأوّل ميلادي، والذي كان يعرف المنطقة جيّدًا، وكتب عنها كثيرًا، بل وكان لفترة ما حاكمًا للجليل[2]، لم يشر البتّة لمنطقة الناصرة، رغم أنّه قد أشار إلى 45 مدينة في الجليل!

● لم يذكر بولس الناصرة البتّة، مع العلم أنّ رسائل بولس قد كتبت قبل الأناجيل الأربعة!

● منطقة الناصرة غير موجودة في أيّ من خرائط فلسطين في بداية النصرانيّة[3].

● أقدم إشارة إلى الناصرة خارج الكتاب المقدس باسم «نزرا»، وردت فيما نقله **يوسابيوس**[4] في القرن الرابع عن **سكستس يوليوس أفريكانوس**[5] في بداية القرن الثالث[6]؛ لكنّ الوصف الذي قدّمه أفريكانوس لا ينطبق جغرافيًا على منطقة الناصرة كما هي في الأناجيل؛ فهي قرية لا مدينة، وتقع في يهوذا (في جنوب

(1) D. A. Hagner, Matthew 1-13 (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.39

(2) See John Davidson, The Gospel of Jesus (Bath: Clear Press, 2005), p.134

(3) See S. Acharya, The Christ Conspiracy, p.190

(4) يوسابيوس القيصري: (263م – 339م) أسقف قيصريّة في فلسطين. يلقّب بأبي تاريخ الكنيسة. صاحب أشهر كتاب في تاريخ الكنيسة منذ القرن الأول.

(5) سكستس يوليوس أفريكانوس (Sextus Julius Africanus (160-240: مؤرخ يهودي، استفاد من كتاباته يوسوبيوس.

(6) See Eusebius, Ecclesiastical History, 1, vii,14

فلسطين) لا الجليل (شمال فلسطين)[1]!

● أقدم إشارة غير نصرانية إلى الناصرة هي نقش على قطعة رخامية من كنيس عثر عليها في Caesarea Maritima عام 1962. ويعود النقش إلى بداية القرن الرابع[2].

● كتب مؤلّف إنجيل متّى كلمة «الناصرة» في المواضع الثلاثة في إنجيله (2/ 23، 4/ 13، 21/ 11) على صور مختلفة: «نَزَرِيت» «Ναζαρέτ»، و«نَزَرَا» «Ναζαρά»، و«نَزَرِيث» «Ναζαρέθ»، وفي بعض المخطوطات: «نَزَراثْ» «Ναζαράθ» و«نَزَراتْ» «Ναζαράτ»؛ ممّا اضطر النسّاخ إلى تحريف هذه المواضع في محاولة للتوفيق بينها في الرسم[3]!

● يُفهم من نص لوقا 4/ 29 : «فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ» أنّ الناصرة موجودة على جبل عال، في حين أنّ **التلّة الموجودة بالقرب من «الناصرة التاريخيّة» حادة للغاية بما لا يسمح أن يسكن عليها الناس**. وقد اضطرّ **أيان مارشال**[4] إلى تحريف معنى «ὀφρύος» [أوفريوس] التي أجمعت التفاسير على أنّها تعني حافة الجبل. واعترف قائلًا: «الجغرافيا [هنا] غير واضحة. لم تُبن الناصرة على تلّة بل على جانب الوادي»[5]. واختار الناقد **روبرت شتاين**[6] صيغة دبلوماسية لتخطئة لوقا، فقال:

---

(1) "Nazara and Cochaba, villages of Judea" "Ναζάρων κα" Κωχαβα κωμ"ν "ουδαϊκ"ν"
Cited in Eusebius, Church History, tr. Arthur Cushman McGiffert, 1.7.14 (New York: Christian Literature Company, 1890), p.39.

(2) M. Avi-Yonah, "A List of Priestly Courses from Caesarea", Israel Exploration Journal. 1962. 12: 137–139

(3) See John Nolland, The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek text (Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2005), p.170

(4) أيان هوارد مارشال (Ian Howard Marshall (1934-2015: ناقد إسكتلندي. أستاذ تفسير العهد الجديد في University of Aberdeen. رئيس الجمعية البريطانية للعهد الجديد.

(5) I. H. Marshall, The Gospel of Luke : A commentary on the Greek text. Includes indexes (Exeter: Paternoster Press, 1978), p.190

(6) روبرت هـ. شتاين(Robert H. Stein -1935): ناقد أمريكي. أستاذ تفسير العهد الجديد في The Southern Baptist Theological Seminary.

«من العسـير معرفة مقصد لوقـا بقوله إنّ الناصرة مبنيّة علـى منحدر رغم عدم وجود «حاجـب»[1] أو جـرف قريب منها. ربّما كان اهتمامه هنـا بالجانب الطبوغرافي أدنى من رغبته في الإشـارة بصورة خاصة إلى استشهاد استفانوس، وربما أيضًا يعقوب أو الإحالـة بصورة عامة إلى عادةِ إلقاء الناس من مكان عال قبل رجمهم»[2]. وأما الناقد **جرهارد شنايدر** فلم يجد حرجًا في تخطئة مؤلّف إنجيل لوقا صراحة[3].

● النـصّ اليوناني لإنجيـل متّى 2/ 23 وصف الناصرة بأنّهـا «πολις» أي: مدينة؛ وهو ما يبعد أن يتجاهلها المؤرخون الأوائل الذين كانوا يهتمون بصورة بارزة بالمدن؛ لأنّها آهلة بالسكان.

● جـاء في «إنجيل فيليـب» الأبوكريفي أنّ كلمة الناصري تعنـي: «الحقّ»[4]؛ فقد جاء فيه: «الناصري» هو من يكشـف المخفي... «يسوع» بالعبرية «المخلّص. «نَزَرا» «الحقيقة»»[5]. ولم يحل مؤلّف هذا الإنجيل إلى منطقة اسمها الناصرة؛ رغم أنّ نسبة اللقب إلى الأرض أكثر منطقيّة في ظلّ وجود هذه الأرض!

ويعتبر كتاب **ريني سـالم**[6] الصادر منذ سـنوات قليلة بعنوان: «أسطورة الناصرة: بلدة يسـوع الملفّقـة»[7]، والذي أنفق فيه مؤلّفه ثماني سـنوات فـي البحث والتقويم للدراسـات الأركيولوجيّة والتاريخيّة، أهم دراسـة في التشـكيك في تاريخية ناصرة

---

(1) عبارة «حاجب العين» هي الترجمة الحرفية للجرف في الأصل اليوناني ὀφρύος.

(2) R. H. Stein, Luke (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001), p.159

(3) Gerhard Schneider, Evangelium nach Lukas: Kapitel 1-10 (Gütersloh Mohn, 1977), p110

(4) John Davidson, The Gospel of Jesus (Bath: Clear Press, 2005), p.135

(5) الترجمة الإنجليزية للجملة في سياقها:

«Jesus" is a hidden name, "Christ" is a revealed name. For this reason, "Jesus" is not particular to any language; rather he is always called by the name "Jesus". While as for "Christ", in Syriac it is "Messiah", in Greek it is "Christ". Certainly, all the others have it according to their own language. "The Nazarene" is he who reveals what is hidden. Christ has everything in himself, whether man, or angel, or mystery, and the Father».

(6) ريني سالم René Salm: باحث أمريكي مهتم بتاريخية مدينة الناصرة.

(7) The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus (Cranford, N.J.: American Atheist Press, 2008)

المسـيح. وقد اجتهد **ريني سالم** لنقض معارضات المخالفين -بعد ذلك- في كتابه: «NazarethGate».

ويُحـاول -فـي المقابـل- عدد من الكتّـاب الانتصـار لتاريخية ناصرة المسـيح بالكشـف الذي قدّمته الباحثة فـي الأركيولوجيا **يردنّا ألكسـندر**[1] التي زعمت نهاية سـنة 2009 أنّهـا عثرت في الناصرة على منزل قريب من «كنيسـة البشـارة» يعود إلى القرن الأوّل، بما يدلّ -بزعمها- أنّ الناصرة كانت معمورة زمن المسيح، وهو كشف ضعيـف لأنّ صفات المكان لا توافق وصف البيوت، كما أنّه لا يوجد برهان يمنع أن يكون المكان من القرن الثاني؛ فالقطع بنسبته إلى القرن الأوّل تحكّم محض[2].

وخلاصة الأمر في النقاط التالية:

- من المشـكوك فيـه بجد وجـود الناصرة زمن المسـيح؛ لكثرة القرائـن المانعة لذلك، مع غياب البرهان الصلب المخالف.
- قبول وجود الناصرة زمن المسيح لا يمنع خطأ العهد الجديد وصفها أنّها مدينة؛ إذ المدن أشهر من أن يُطمس أمرها كما طمس أمر الناصرة -إن وجدت-!.
- قبول وجود الناصرة زمن المسـيح لا يمنع خطأ العهد الجديد وصفها أنّها بُنيت على التلّة الحادة المعروفة اليوم.

المثال الثاني: دلمانوثة؟

إنجيـل مرقس 8/ 10: «وَفِي الْحَـالِ رَكِبَ الْقَارِبَ مَعَ تَلاَمِيـذِهِ، وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي دَلْمَانُوثَةَ».

نفى كثير من النقّاد وجود منطقة باسم دلمانوثة زمن المسيح. ومن ذلك قول الناقد **ر. أُتلـي**[3]: «منطقة دلمانوثـة: هناك عدّة قراءات متخالفة في هذه الجملة. المشـكلة

---

(1) يردنّا ألكسندر Yardenna Alexandre: أركيولوجية تعمل في ما يسمى بإدارة الآثار الإسرائيلية.

(2) Rene Salm, 'Pious fraud at Nazareth' in Christianity in the Light of Science, ed. John W. Loftus (Prometheus Books, 2016), Kindle edition

(3) ر. أتلـي (1947) R. Utley: ناقـد كتابـي أمريكي. درّس الكتـاب المقدس في عدد كبير من الكليـات اللاهوتية في أمريكا وخارجها.

هي أنه لا يوجد مكان بهذا الاســم كان معروفًا في أيام فلسطين زمن يسوع. لذلك قام النسّاخ بتغيير اسم المكان ليطابق الاسم الذي ذكره متّى: «مجدان»[1].

وقال **روبرت شــتاين**: «على الرغم من كل محاولات اكتشاف موقع دَلْمَانُوثَةَ، لم يرد ذكر أيّ مدينة بهذا الاسم في أي من المؤلفات الموجودة خارج النص الحالي... تم تقديم عديد من الاقتراحات بخصوص دَلْمَانُوثَةَ، ومن ذلك القول إنّ مرقس أســاء فهم عبارة آرامية، كاعتباره مرسى صغير أنّه قرية، وغير ذلك»[2].

وأمّا معجم الكتاب المقدس The New Westminster Dictionary of the Bible فقــد ادّعــى أنّ الاســم قد يكــون ناتجًا عن خطــأ في نقل الاســم العبــري «مجدلوث»، ليقــرأ كــ: «دلمجوث». وقد اقتُــرِح أيضًا - كما يقول هذا المعجم نفســه - أنّ النســخة الأصليّــة لإنجيل مرقس كانت تضمّ كلمة «مَجَدَ»، وقد أراد أحد النسّــاخ أن يحوّلها إلى «مجــدل» مع تعليق فــي الهامش ...، ثم انتقــل التعليق من الهامش إلــى المتن؛ ليصبح الاسم «دلمانوثة».. وهما اقتراحان لا يحملان من الحجيّة شيئًا، بل حتّى لو قبلنا صورة التعديل المزعوم؛ فإنّ النتيحة لا تكون «دلمانوثة». وقد أحســن هذا المعجم في خاتمة مقالــه عن «دلمانوثــه» بقوله إنّه على كلّ حــال؛ فالمكان غير معروف، والاشــتقاق غير معلوم على اليقين[3]!

وقــد دفع جهل بعض نسّــاخ إنجيل مرقس بوجــود منطقة تســمّى «دلمانوثة» إلى تحريف النصّ؛ فوضعوا في مكان Δαλμανουθά [دلمانوثا]:

- كلمــة Μαγδαλά [مجدلا] أو Μαγδα (ν) [مجــدا(ن)] التي توجد في النص

(1) R. J. D. Utley, The Gospel According to Peter: Mark and I & II Peter. Study Guide Commentary Series (Marshall, Texas: Bible Lessons International, 2001), 2/91.

(2) R. H. Stein, Baker Exegetical Commentary on the New Testament: Mark (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008), p.374.

(3) Henry Snyder Gehman, ed. The New Westminster Dictionary of the Bible (Westminster Press, 1970), p.200.

المـوازي في متّـى 39/15 [1]؛ حتى يدفعوا التناقض بين هذيـن الإنجيلين (والغريب هنا أيضًا أنّ القـراءة الأقوى من ناحية المخطوطات في متّى 15/ 39 هي Μαγαδαν [مَجدان]؛ ومع ذلك فإنّه لا تعرف منطقة بهذا الاسم!).

- القـراءة الأصليّة لمخطوطـة بيزا Codex Bezae (القرن الخامس/ السـادس): Μελεγαδα [مَلِجَـدا]، وقـد غيّرهـا أحـد نسّـاخ هـذه المخطوطة إلـى Μαγαιδα [مجايدا].
- برديّة 45 (القرن الثالث): قراءة Μαγεδαν [مجدان].
- مخطوطـة كورِداثـي Codex Coridethi (القرن التاسـع): قـراءة Μαγδαλά [مجدلا].
- مخطوطة 28 (القرن الحادي عشر): Μαγεδά [مجدا].
- مخطوطة واشنطن (القرن الخامس): Δαλμουναι [دلموني].

ويُلاحـظ أنّه حتّى طريقة الإشـارة إلى دلمانوثة كهدف لمسـير المسـيح؛ جاءت في الموضع نفسـه فـي المخطوطات على صور مختلفـة: τα μερη (نواحي) (عامة المخطوطـات)، وτο ορος (الجبل/ الهضبـة) (مخطوطـة واشـنطن)، وτα ορια (الحدود) (مخطوطة 1241)...!

(1) See Bruce Metzeger, A Textual Commentary on the Greek New Testament, p.83

آخر مرقس 8/ 10 – بداية 8/ 11

دلمانونثة Δαλμανουνθά (بإضافة ن!)

المخطوطة الفاتيكانية، القرن الرابع

ΤΩΝΜΑΘΗΤΩΝΑΥΤΟΥ
ΗΛΘΕΝΕΙΣΤΑΜΕΡΗΔΑΛ
ΜΑΝΟΥΝΘΑΚΑΙΕΞΗΛ
ΘΟΝΟΙΦΑΡΕΙΣΑΙΟΙΚΑΙ

آخر مرقس 8/ 10 – بداية مرقس 8/ 11

ملجدًا Μελεγαδα

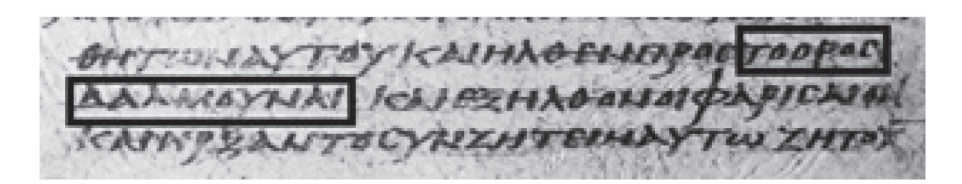
مخطوطة بيزا (القرن الخامس/ السادس)

ΕΙΣΤΟΠΛΟΙΟΝΜΕΤΑΤΩΝΜΑΘΗΤΩΝΑΥΤΟΥ
ΚΑΙΗΛΘΕΝΕΙΣΤΑΟΡΙΑΜΕΛΕΓΑΔΑ
ΚΑΙΕΞΗΛΘΟΣΑΝΟΙΦΑΡΙΣΑΙΟΙΚΑΙΗΡΞΑΝΤΟ

آخر مرقس 8/ 10 – بداية مرقس 8/ 11

الجبل/ الهضبة το ορος و Δαλμουναι دلمونَي

مخطوطة واشنطن (القرن الخامس)



وأمام غياب حجّة تاريخيّة على وجود دلمانوثة وتضارب المخطوطات، قال الناقد الكاثوليكي الأب **لاغرنج**[1] إنّه مـن الأفضل المحافظة على دلمانوثة حتى الحصول على حلّ آخر أكثر قبولاً[2]، وهو ذات ما قرّرته موسـوعة Baker Encyclopedia of Bible Places : «دلمانوثة: لم يُقدّم لها البتّة تعريف مرضيّ ... من الأفضل المحافظة على القراءة المشهود لها دلمانوثة، وانتظار المزيد من الضوء»[3].

إنّ الدلائل التي تؤكّد وجود الخطأ الجغرافي هنا هي:

أولًا: لا يوجد إثبات واحد على وجود منطقة باسم دلمانوثة في فلسطين في القرن الأوّل ميلاديّ، كما أنّها لم تُذكر في التلمود ولم يذكرها يوسيفوس[4]. وسياق حديث مرقس 8/ 10 لا يوحي أنّ المنطقة مجهولة!

ثانـيًا: النصّ الذي يذكر الأحداث نفسـها في إنجيل متّى 15/ 39 يُسـمّي المنطقة باسم آخر يختلف عن الاسم في إنجيل مرقس.

ثالثًا: الاسم المذكور في متى 15/ 39 نفسه غير معروف!

رابعًا: تحريف النسّاخ لاسم المنطقة منذ القرون الأولى؛ دليل على أنّ المنطقة لم تكن معروفة في تلك الفترة.

خامسًا: تخبّط النسّاخ في التعامل مع جغرافيّة «دلمانوثة»: «حدود»! أم «نواحي»! أم «جبل»!؛ دليل على جهلهم بواقع تلك المنطقة المزعومة!

---

(1) ماري–يوسـف لاغرنـج (1938 – 1855م) Marie–Joseph Lagrange: قسـيس. ناقد كتابي دومنيكاني. أسّـس مدرسة: École Pratique d'Études Biblique في القدس للدراسة النقدية للكتاب المقدس.

(2) Ibid

(3) John J. Bimson, ed. Baker Encyclopedia of Bible Places (Leicester : Inter–Varsity Press, 1995), p.96

(4) See E. Le Camus, The Life of Christ (New York: The Cathedral Library Association, 1923), 2 /138

خريطة فلسطين زمن المسيح[1]



المثال الثالث: مجدان؟

إنجيل متّى 15/ 39: «ثُمَّ صَرَفَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ، وَرَكِبَ الْقَارِبَ، وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي مَجَدَانَ».

يقـول الناقـد **كلنتون إ.أرنولـد**[2]: «هوية المدينـة أو المنطقة محيـرة؛ إذ لا توجد سـجلات تاريخية أو أثرية لتأكيد هذه الهوية»[3]. وقال **دونالد هاغنر**[4]: «اسم مجدان غيـر معروف في الأدب القديم خـارج ذكرها في هذه القصة، وكذلك الأمر بالنسـبة

(1) عن الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.
< =http://www.albishara.net/media_b/map/21/?nav_show >

(2) كلنتون إ.أرنولد (1958 Clinton E. Arnold): عميد Talbot School of Theology وأستاذ العهد الجديد فيها. رئيس المؤسسة اللاهوتية الإنجيلية.

(3) C.E. Arnold, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary Matthew, Mark, Luke. Grand Rapids, MI: Zondervan, 2002), 1/99

(4) دونالد ألفرد هاغنر (1936 Donald Alfred Hagner): لاهوتي أمريكي. درّس في Fuller Theological Seminary.

لموقعهـا»[1]، ويقول **بروس متزغـر**[2] إنّ وجود منطقة «مجـدان» غير مؤكّد وكذلك الأمر بالنسبة لاسم مكان بهذا الشكل[3]!

وقد اضطرب النسّـاخ في اسـم المكان. يقول الناقد **دونالد أ. كارسون**[4]: «الشكّ فـي منطقـة مجـدان Μαγαδάν أثـار ظهـور عدة قـراءات نصيّـة، ومنهـا: مجدلان Μαγδαλάν ومجدلا Μαγδαλά[5]. وقد اختارت ترجمة البشيطا السريانية : مجدو ܡܓܕܘ.

آخر متّى 15/ 39 – بداية 16/ 1

مجدان Μαγαδαν

المخطوطة الفاتيكانية (القرن الرابع ميلادياً)

ΕΝΕΒΗΕΙϹΤΟΠΛΟΙΟΝ
ΚΑΙΗΛΘΕΝΕΙϹΤΑΟΡΙΑ
ΜΑΓΑΔΑΝΚΑΙΠΡΟϹΕΛΘΟ
ΤΕϹΟΙΦΑΡΕΙϹΑΙΟΙΚΑΙ
ϹΑΔΔΟΥΚΑΙΟΙΠΕΙΡΑΖ

(1) D. A. Hagner, Matthew 14-28, p.454

(2) بـروس متزغـر (2007 – 1914م) Bruce Metzger: مـن أئمـة النقـد الكتابي الخـاص بالعهد الجديـد في القرن العشـرين. محرّر الكتاب المقدس في هيئة جمعية الكتاب المقدس الأمريكيّة. له عشـرات الكتب في تاريخ نص العهد الجديد ولغته ومخطوطاته.

(3) See Bruce Metzger, A Textual Commentary on the Greek New Testament, p.32

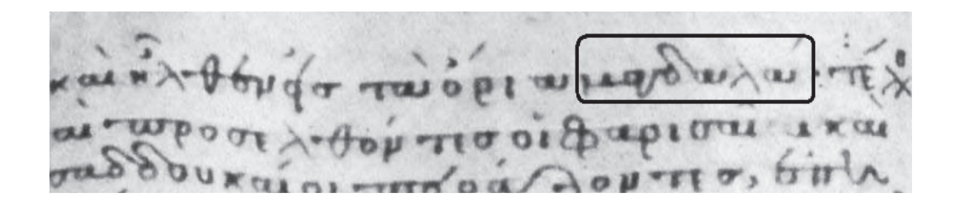
(4) دونالد .أرثر كارسـون (1946) Donald Arthur Carson: لاهوتي واسـع التأليف. أسـتاذ في Trinity Evangelical Divinity School .

(5) D. A. Carson, Matthew (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984), p.359

آخر متّى 15/ 39 – بداية 16/ 1

مجدله Μαγδαλά

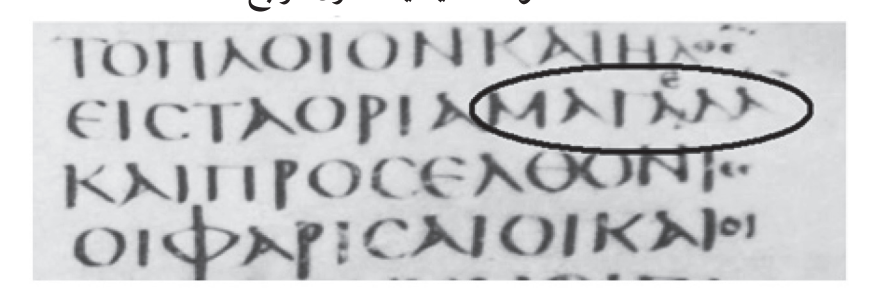
المخطوطة 1432 (القرن الثاني عشر)



آخر متّى 15/ 39 – بداية 16/ 1

مجدلْ Μαγδαλ

المخطوطة السينائية (القرن الرابع)



آخر متّى 15/ 39 – بداية 16/ 1

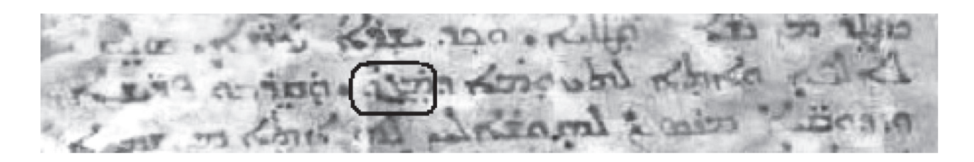
مجدلان Μαγδαλαν

مخطوطة واشنطن (القرن الخامس)

آخر متّى 15/ 39 – بداية 16/ 1

مجُدُو ܡܓܕܘ

مخطوطة Khaboris (القرن الثاني عشر)



المثال الرابع: المرور عبر صيدا؟

إنجيل مرقس 7/ 31: «ثُـمَّ خَرَجَ أَيْضًا مِنْ تُخُـومِ صُورَ **وَصَيْدَاءَ**، وَجَـاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمُدُنِ الْعَشْرِ».

القـراءة التـي اختارها عامة النقاد فـي الغرب هي: «ذَهَب عبر صيـداء» « ἦλθεν διὰ Σιδῶνος »، فـي حين اختارت ترجمـة الفانديك هنا قراءة: «وصيداء، وجاء/ ذهـب [في اتّجاه بحر الجليـل] « καὶ Σιδῶνος ἦλθεν »، وهي قراءة مرفوضة في ضـوء قواعد علم النقد النصي عند جمهـور النقاد. وقد اختارت الترجمة الكاثوليكية (العربية) والترجمة اليسوعية: «وانصرف من أراضي صور ومرّ بصيدا قاصدًا إلى بحر الجليل، ومجتازًا أراضي المدن العشر».

يخبرنـا مرقـس 7/ 31 أنّ المسـيح قد ذهب مـن «صور» إلى «بحـر الجليل» عبر «صيـدا»؛ وهــي رحلة ملتوية غيـر مبرّرة؛ جعلت النسّـاخ يحرّفون النـصّ؛ ليبدو في المخطوطـات المتأخّرة على أنّ المسـيح قـد غادر تخوم صيدا وصـور معاً إلى بحر الجليـل، وهو ما تبنّته الترجمـة الإنجليزيّة التقليديّـة «The King James Version» باختيـاره قراءة «وصيدا» بعـد كلمة «صور» « τυρου »، رغـم أنّ أقدم المخطوطات تقـول :«.. εξελθων εκ των οριων τυρου ηλθεν δια Σιδῶνος » أي «غـادر

مـن منطقة صور (و)جاء عبـر صيدا..»[1]! ولذلك قال الناقـد **روبرت. أ. غوليش**[2]: «تضم عدّة شـواهد[3] قـراءة «καί Σιδῶνος ἦλθεν» لتجاوز الصعوبة الظاهرة في مسـار الرحلة (البردية 45، المخطوطة الاسـكندرية، مخطوطة واشنطن...). القراءة [الصحيحـة] مدعومةٌ من المخطوطة السـينائية والمخطوطـة الفاتيكانية ومخطوطة بيزا...»[4].

وقـد وقف تعليـق «The HarperCollins Study Bible» أمام هـذا النصّ حائراً؛ بقوله : «المسلك غريب» «The route is bizarre»[5].

وأمـا الناقد **بـول ج. أكتماير**[6] فقد سـخر في حديثه عن إنجيـل مرقس في كتاب «Invitation to the Gospels» مـن هـذا الخطـأ؛ مشـبّهاً طريق السـفر عند مرقس بالسفر من فيلادلفيا إلى واشنطن العاصمة عن طريق مدينة نيويورك ومركز بنسلفانيا! وكشـف أنّ النص اليوناني يزعـم أنّ «بحر الجليل» يقع «في وسـط» «ανα μεσον» المدن العشـر، في حين أنّه في الحقيقة يقع في أقصى الشـمال الغربي للمدن العشـر. وخلص إلى أنّه :«إمّا أنّ مرقس ما كان يعرف جغرافية فلسـطين (هل علمت أنّ صيدا هي في غرب صور؟) أو أنّه ببسـاطة لم يكن يهتـم إذا كانت جغرافيته صحيحة أم لا. في كلا الحالين، ليس بإمكاننا اسـتعمال الإحـالات الجغرافية التي قدّمها لنا لتحديد رحلات يسوع»[7].

(1) See Bruce Metzger, A Textual Commentary on the Greek New Testament, p.82

(2) روبرت. أ. غوليش Robert A. Guelich: أستاذ العهد الجديد في Fuller Theological Seminary.

(3) الشـواهد witnesses: يقصـد بهـذا الاصطلاح في علم النقد النصـي المتعلّق بالعهد الجديـد عامة: المخطوطات اليونانية للعهد الجديد وترجماته القديمة واقتباسات آباء الكنيسة منه.

(4) R. A. Guelich, Mark 1-8:26 (Dallas: Word, 2002), p.390

(5) The HarperCollins Study Bible, p.1931

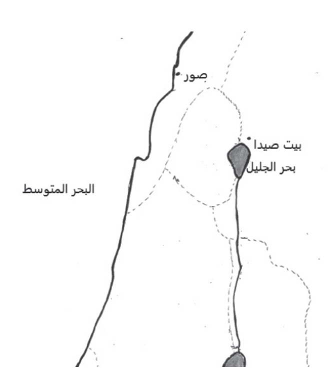
(6) بـول ج. أكتماير Paul J. Achtemeier: أسـتاذ التفسـير الكتابـي في مؤسسـة: Union Theological Seminary في ولاية فرجينيا الأمريكيّة. كان رئيسـاً لمؤسسة الأدب الكتابي The Society of Biblical Literature ومؤسسة: The Catholic Biblical Association. له 14 كتابًا تأليفًا ومشاركة.

(7) Paul J. Achtemeier, et al., Invitation to the Gospels, p.118

كما شـهد لجهل مرقس بجغرافية فلسـطين الناقد **ديتر لورمان**[1][2]، **وكرانفيلد**[3] القائل: «من الممكن أن يكون هذا العدد عاكسًـا لشـيء من الغموض عند مرقس في معرفته بجغرافيا شمال فلسطين»[4].

ويشـرح الناقد **دونالـد جويل**[5] بتفصيل خطأ مؤلّف إنجيـل مرقس، بقوله: «يبدو أن التعليـق الجغرافي الذي يشـكل الانتقال إلـى الحلقة التالية مـن القصة فيه ارتباك إلـى حد ما. يبـدو الأمر كما لو أنّ علـى المرء حتى ينتقل من صـور إلى بحر الجليل والمدن العشـر أن يمرّ عبر صيدا. في الواقع، تقع صيدا شمال صور. يقع بحر الجليل في أقصى الجنوب من صور، والمناطق الغربيّة من المدن العشر أبعد في الجنوب. لا يُظهر التعليق أنّ مرقس كان على دراية بجغرافية المنطقة»[6].

خريطة فلسطين زمن المسي



---

(1) ديتر لورمان (2013 – 1939م) Dieter Lührmann: لاهوتي ألماني، درّس العهد الجديد في جامعة فيليبس.

(2) D. Lührmann, Das Markusevangelium, p.132

(3) س. إ. ب. كرانفيلد (1915-2015) C. E. B. Cranfield: قسيس ولاهوتي. درّس في جامعة دورهام.

(4) C. E. B. Cranfield, The Gospel According to St Mark: An Introduction and Commentary (Cambridge University Press, 1959), p.250

(5) دونالد جويل (1942-2003) Donald Juel: ناقد أمريكي متخصص في دراسات العهد الجديد. درّس لاهوت العهد الجديد Princeton Theological Seminary.

(6) D. H. Juel, Mark. Augsburg Commentary on the New Testament (Mineapolis, MN: Augsburg., 1990), p.109

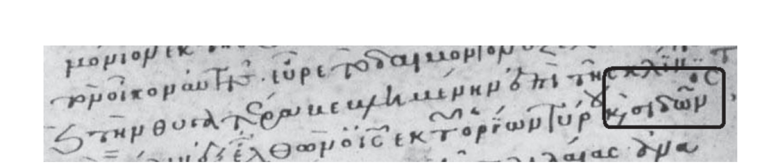
القراءة الأقدم (مع اختلاف طفيف في رسم كلمة: صيدا)

المخطوطة الفاتيكانية (القرن الرابع ميلادياً)

ΚΑΙΠΑΛΙΝΕΞΕΛΘΩΝΕΚ
ΤΩΝΟΡΙΩΝΤΥΡΟΥΗΛ
ΘΕΝΔΙΑΣΕΙΔΩΝΟΣΕΙΣ

النص المحرّف: σιδωνος και

مخطوطة 676 (القرن الثالث عشر)



المثال الخامس: بيت صيدا؟

إنجيل يوحنا 12/ 21: «فَتَقَدَّمَ هؤُلاَءِ إِلَى فِيلُبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ».

علّق الناقد **برنسون كيلر** على ما ذهب إليه مؤلف إنجيل يوحنا في ضبط مكان بيت صيدا (يوحنا 12/ 21) لبيان بطلان دعوى الكنيسة نسبة هذا الإنجيل إلى تلميذ المسيح يوحنا بن زبدي، بقوله: «يذكر إنجيل يوحنا أنّ بيت صيدا كانت في الجليل. لا توجد مثل تلك البلدة في تلك المقاطعة، ولم تكن هناك أبدًا. كانت بيت صيدا في الجهة الشرقية من بحر طبريّة، في الجولان (gaulanitis)، في حين كانت الجليل في الجهة الغربية. ولد القديس يوحنا في بيت صيدا، والراجح أنّه كان يعلم جغرافية مكان ولادته»[1].

(1) Bronson Keeler, A Short History of the Bible (New York: C. P. Farell, 1888), pp.15-16

ولحــلّ هــذه المعضلة اضطرّ المدافعــون عن الأناجيل أن يزعمــوا وجود (اثنين) «بيــت صيدا»! وقد صرّح الناقد الأسـقف ج. هــ. **برنارد**[1] أنّ «افتـراض وجود بيت صيدا أخرى في الجانب الغربي للضفة يفتقد الدليل، وهو أمر مرجوح»[2].

خريطة فلسطين زمن المسيح



المثال السادس: من قانا إلى بيت عنيا؟

إنجيــل يوحنــا 1/ 43–44: «وَفِي الْيَــوْمِ التَّالِي نَوَى يَسُــوعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَــى مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، فَوَجَدَ فِيلِبُّسَ، فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي!». وكَانَ فِيلِبُّسُ مِنْ بَيْتَ صَيْدَا، بَلْدَةِ أَنْدَرَاوُسَ وَبُطْرُسَ».

علّــق الناقــد **توماس ل. بــرودي**[3] على نص يوحنــا 1/ 43–44 بقولــه إنّه قد جاء فــي يوحنا 2/ 1: «وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَــا بِمِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ»؛ بما يعني أنّ يسوع قد وصل قانا من بيت عنيا على جهة نهر الأردن (يوحنا 1/ 28) في غضون يوم

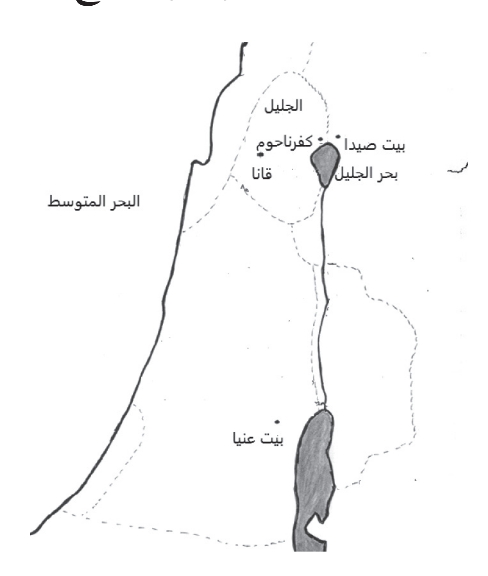
(1) جــون هنــري برنــارد (1927 – 1860م) J. H. Bernard: ناقد صاحــب اهتمامات علميّة متنوعة تشــمل اللاهوت والفلسفة وتاريخ الكنيسة. تولّى الأسقفية من 1911م إلى 1915م، ثم انتخب لرئاسة الأساقفة سنة 1915م.

(2) J. H. Bernard, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St. John (New York, C. Scribner' Sons, 1929), 1/171

(3) تومــاس ل. بــرودي (1943) Thomas L. Brodie: قســيس إيرلنــدي. درّس العهدين القديــم والجديد في عدد من الجامعات في أمريكا وجنوب إفريقيا. يُنكر الوجود التاريخي للمسيح.

واحـد؛ إذ إنّ الأحداث الســابقة كلّها قـد وقعت في بيت عنيـا. وذاك أمر غير مألوف فـي ذلك الزمان؛ إذ المســافة بين المنطقتين هــي قرابة 70 ميلاً، مـع العلم أنّ مرقس 1/ 21،29 يظهـر أنّ كفرناحوم لا بيت صيدا هي بلدة أنـدراوس وبطرس ... ولذلك صرّح الناقد **لندار** بقوله: «لا بدّ أن نعترف أنّ الدقّة الطوبغرافيّة[1] ليوحنا قد خذلته في هذه النقطة»[2].

خريطة فلسطين زمن المسيح



المثال السابع: عبر بيت فاجي؟

إنجيـل مرقس 11/ 1: «وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَـلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِـي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ».

(1) طبوغرافيا: علم يتعلق بتفاصيل الظواهر الطبيعية والاصطناعية للمناطق الموجودة على سطح الأرض.
(2) Thomas L. Brodie, The Gospel According to John: A Literary and Theological Commentary (Oxford: Oxford University Press US, 1997), p.165

كان المسيح في أريحا قبل أن يتوجّه إلى أورشليم. والصواب جغرافياً أن يمرّ أولًا عبـر بيت عنيـا ثم بيت فاجي قبل أن يصل أورشـليم؛ إذ يبعد بيت عنيا عن أورشـليم ميلَيْـن، فيمـا يبعد بيت فاجي عن أورشـليم نصف ميل فقط؛ لكننـا نلاحظ أنّ مؤلف إنجيـل مرقس يجعل المسـيح يعبر من بيـت فاجي إلى بيت عنيا؛ أي إنّ المسـيح قد اختار أن يبتعد عن أورشليم لمّا كان ذاهبًا إليها!

وقد أشـار الناقـد **دنيس إريك نينهام** فـي تعليقه على إنجيل مرقس إلى الإشـكال الكبيـر في مرقـس 11/ 1 وأنّ «بيت فاجي وبيت عنيا قد قُدّما بصورة مقلوبة». وأعلن أنّـه «علينا أن نفترض أنّ القديس مرقس **لم يكن يعرف العلاقة المكانيّة للقريتين على طريق أريحا**»[1].

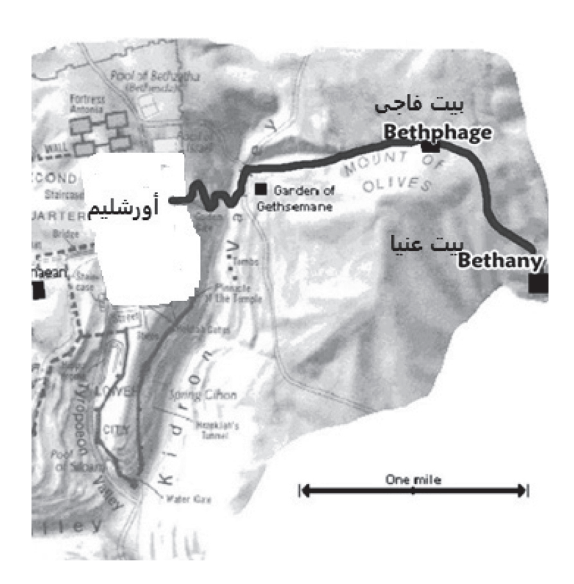
وكعادة النسّـاخ عنـد وقوع مؤلّفي الأناجيـل في أخطاء؛ اختار عـدد منهم طمس المشـكلة بتحريف النص. يقول الناقـد **جيمس .أ. بروكـس**[2]: «... ولذلك فترتيب ذكر المناطق غريب، وقد اعتُمِد كعلامة أخرى أنّ المؤلّف ليس من **السكّان الأصليين لفلسطين**. وقد أحدث الأمر اضطرابًا عند النسّاخ القدماء؛ حتّى إنّ بعضهم ألغى كلمة «بيت فاجي»»[3]!

(1) D. E. Nineham, Saint Mark (Westminster: John Knox Press, 1978), p. 295

(2) جيمس أ. بروكس James A. Brooks : أستاذ العهد الجديد في Bethel Theological Seminary.

(3) J. A. Brooks, Mark, p.178


خريطة فلسطين زمن المسيح



المثال الثامن: بيت عبرة أم بيت عنيا؟

إنجيـل يوحنا 1/ 28 : «هَذَا جَرَى فِي بَيْتَ عَنْيَا، فِي مَا وَرَاءَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ، حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ».

تذهب جل الشـواهد – مثل البردية 5 (القرن الثالث)، البردية 75 (القرن الثالث)، والمخطوطة الفاتيكانية (القرن الرابع)، والمخطوطة السكندرية (القرن الخامس)...– إلى اعتماد عبارة «بيت عنيا» «βηθανια»، وفي بعضها غُيّر الرسم قليلاً للكلمة نفسها باعتماد حرف اليوتا (ι) أو الإبسيلون (ε) مكان الإيتا (η).

واختـارت فـي المقابل شـواهد أخرى عبـارة «بيت عبـرة» –علـى اختلاف في الرسـم– مثل المخطوطة البورجيانيةT (القرن الخامـس)، والمخطوطة 083 (القرن السادس–السابع)، والمخطوطة K (القرن التاسع)، والمخطوطة Γ (القرن العاشر).

وتبنّى عدد من الشـواهد القليلة عبارة «بيت عربة» مثل الناسـخ رقم 2 للمخطوطة السينائية، وحاشية المخطوطة 892 (القرن التاسع).

سـبب اضطراب المخطوطات، عدم وجود منطقة اسـمها بيـت عنيا عبر الأردن؛ ولذلك اضطرّ كثير من النسّـاخ المتأخّرين إلى تغيير بيت عَنيا βηθανια בֵּית אֲנִיָּה إلـى بيـت عَبـرة βηθαβαρᾳ בֵּית עֲבָרָה رغـم أنّ أهـم المخطوطـات وأفضلها واقتباسـات كثير من آباء الكنيسة تذكر بيت عنيا. وكان أوّل تحريف للاسم عن طريق **أريجانوس**[1]. وقد اختارت ترجمة الفانديك العربية متابعة متأخّري النسّاخ!

شـعر **أريجانوس** في القرن الثالث ميلادي بهذا الإشكال؛ فاختار قراءة بيت عبرة، رغـم أنّه هو القائل إنّ قراءة «بيت عنيا» موجـودة «تقريبًا» في كلّ المخطوطات (التي كانت المتاحة في زمانه). قال:

«هَـذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْـرَةَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّـا يُعَمِّدُ»، نعلم أن القراءة الموجودة في جميع النسخ تقريبًا هي «هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عنيا.» ... لدينا قناعة مع ذلك بأننـا ينبغي ألا نعتمـد قراءة «بيت عنيا» بـل «بيت عبرة». فلقد زرنـا الأماكن لنتحقق من مواطئ أقدام يسـوع وتلامذته ومواطئ أقدام الأنبيـاء. كانت بيت عنيا كما يخبرنا البشـير نفسه هي مسـقط رأس أليعازر ومارثا ومريم؛ وهي تقع على بعد خمسة عشر فرسـخًا من أورشليم، ويبعد عنها نهر الأردن بمائة وثمانين فرسخ. وليس هناك موقع آخر يحمل الاسم نفسه في جوار الأردن، لكنهم يقولون إن بيت عبرة يشار إليها على اعتبـار أنها تقع على ضفـاف نهر الأردن، وهنـاك يقال إن يوحنا قد مـارس التعميد. دراسـة أصل الاسم كذلك تنسـجم مع معموديته، ذلك الذي أعد للرب شعباً مستعدًا لـه؛ لأنها تعطـي معنى «بيت الإعداد» بينما تعني بيت عنيـا «بيت الطاعة». فأي مكان غير «بيت الإعداد» كان مناسـبًا لقيامه بالتعميد، ذلك الذي أرسـل كرسول أمام وجه المسـيح، لكي يمهد طريقه أمامه؟ وأي موطن يناسـب مريم أكثر، تلك التي اختارت النصيـب الصالح الذي لم ينزع منها، وأي موطن يناسـب مارثا التي تأخرت من أجل

(1) H.Olshausen, J. H. A.Ebrard, & A.Wiesinger, Biblical Commentary on the New Testament (New York: Sheldon, Blakeman, & Co., 1857–1859), 2/ 330

استقبال يسوع، وأخاها الذي دعي صديقاً للمخلص، أفضل من «بيت الطاعة»»[1]؟

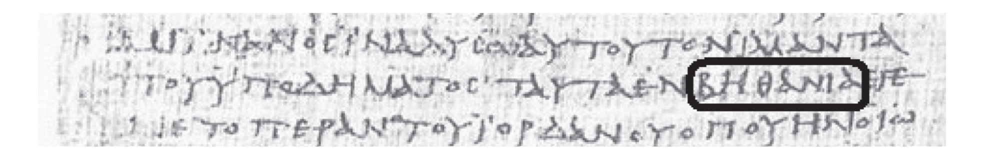
توقّف **أريجانوس** أثناء تعليقه على إنجيل يوحنا ليعلق على ما جاء في جل المخطوطات في بداية القرن الثالث لإنجيل يوحنا: «بيت عنيا». وقد اعترف أن المخطوطات تشهد لقراءة «بيت عنيا» لكنه بعد النظر والتتبع والبحث الجغرافي لم يستطع قبول قراءة «بيت عنيا»؛ لأن هذه المنطقة بعيدة عن نهر الأردن. ولذلك زعم أنّ الكلمة الأصل هي «بيت عبرة»، لسببين: **الأول**: أنّ بيت عبرة تقع قرب نهر الأردن، **والثاني**: معنى بيت عبرة في العبرية يوافق دلالة الأحداث المذكورة في إنجيل يوحنا. وهو حل متكلّف للمشكلة لأنّه قائم على الرغبة في إثبات عصمة النص لا في اكتشاف النص الأصلي.

واليوم تذهب النصوص اليونانية النقدية الأبرز مثل: (NA28) و(USB5) إلى اختيار القراءة الأقدم: «بيت عنيا»، عملًا بقواعد النقد النصي التي تفضل القراءة الأقدم والقراءة التي تفسّر ظهور القراءات المخالفة: Lectio difficilior potior [2].

يوحنا 1/ 28 - 29

بيت عنيا βηθανια

بردية 75 (القرن الثالث ميلادياً)



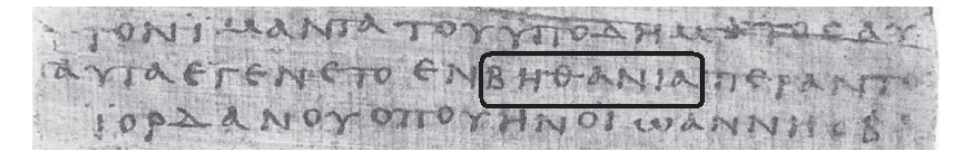
(1) Origen, Comm. Jo., 6.40

(2) انظر في قواعد النقد النصي:
Stanley E. Porter, Andrew W. Pitts, Fundamentals of New Testament Textual Criticism (Michigan : William B. Eerdmans Publishing Company, 2015)

يوحنا 1/ 28–29

بيت عنيا βηθανια

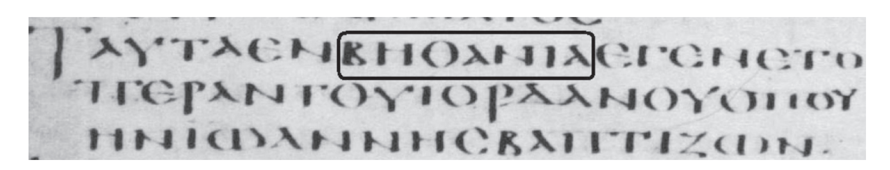
بردية 66 (بداية القرن الثالث ميلادياً)



يوحنا 1/ 28

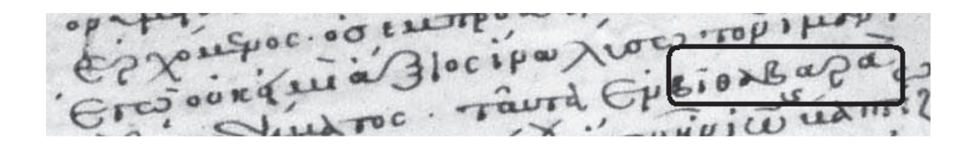
بيت عنيا βηθανια

المخطوطة السكندرية (القرن الخامس ميلادياً)



بيت عبرة βηθαβαρᾶ

المخطوطة 676 (القرن الثالث عشر ميلادياً)



المثال التاسع: ما وراء نهر الأردن؟

إنجيـل متّى 19/ 1 : «بَعْدَمَا أَنْهَى يَسُـوعُ هَذَا الْكَلاَمَ، انْتَقَلَ مِـنَ الْجَلِيلِ ذَاهِباً إِلَى نَوَاحِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ مَا وَرَاءَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ».

عبـارة «نَوَاحِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّـةِ مَا وَرَاءَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ» «τὰ ὅρια τῆς Ἰουδαίας πέραν τοῦ Ἰορδάνου» مشكلة جغرافيًا؛ إذ إنّ المسيح قد جاء من الجليل (وهي شـمال منطقـة اليهوديّة) إلى حدود منطقـة اليهوديّة، وذهب من هنـاك إلى أريحا في طريقـه إلـى القدس (متّـى 20/ 17-29)، وهي تبعد عن نهـر الأردن 7.5 ميل. وذاك يعنـي ضرورة أنّ المسـيح لم يعبر إلى الضفة المقابلة لنهـر الأردن -إذ إنّ نهر الأردن هو الحد الشرقي لليهودية- فإنّه لا توجد «سواحل لليهوديّة» وراء نهر الأردن!

خريطة فلسطين زمن المسيح



المثال العاشر: عبر الأردن؟

إنجيـل مرقس 10/ 1: «وَقَامَ مِـنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ الْيَهُودِيَّـةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضًا، وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضًا يُعَلِّمُهُمْ».

يذهب عـدد من مخطوطات إنجيل مرقس إلى اختيار قـراءة: «تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْـرِ الأُرْدُنِّ» «τὰ ὅρια τῆς Ἰουδαίας πέραν τοῦ Ἰορδάνου» فـي حيـن تضمّ عامة المخطوطات الأبكر قراءة: « تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ وَمَا وَرَاءَ الأُرْدُنِّ» « τὰ ὅρια τῆς Ἰουδαίας καὶ πέραν τοῦ Ἰορδάνου »؛ بما يعنى أنّ المسـيح قد ذهب إلـى مكانين: «منطقة اليهودية» و«ما وراء الأردن»؛ وبإعمال القاعدة الكلاسـيكية في علـم النقد النصـي « Lectio difficilior potior» أي ترجيح «القراءة الأصعب» التي يميل النسّـاخ عادة إلى إلغائها لاختيار قراءة سـهلة مقبولة عند القرّاء موافقةً للحقيقة التاريخيـة أو الجغرافيـة؛ فإنّه من الراجح أنّ القـراءة الصحيحة هـي « نَوَاحِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّـةِ وَرَاءَ الأُرْدُنِّ» ؛ لأنّ كفرناحـوم واليهوديّـة تقعـان على نفـس الجهة من نهر الأردن؛ وبالتالـي فلا معنى أن يعبر المسـيح من كفرناحوم إلـى الضفة الأخرى لنهر الأردن؛ لبلوغ منطقة اليهوديّة؛ فليسـت هناك منطقة في «اليهوديّة» هي «περαν του ιορδανου» «في الجهة المقابلة للأردن»؛ ولذلك حرّف النسّـاخ العارفون بجغرافية فلسـطين هذا النصّ! وفي ذلك قال الناقد **والتر وسّل**[1]: «يكشف التاريخ النصي لهذا العدد أنّ النسّـاخ وجدوا صعوبة في جغرافية مرقس»[2]. وأضاف أنّ القراءة التقليدية (كالتـي عندنا في ترجمـة الفاندايـك العربيـة[3]): «محاولة من النسّـاخ «لتصحيح» جغرافية مرقس»[4].

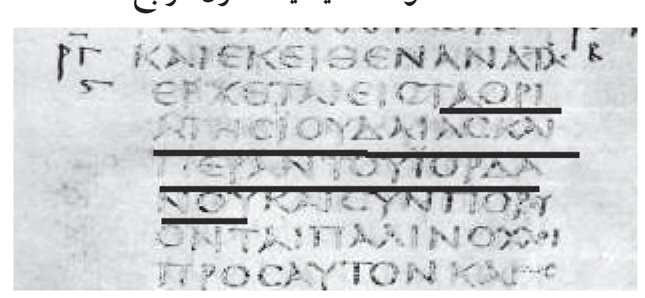
ولسنا من باب الإنصاف نملك أن نجزم بحسم أنّ قراءة «وراء الأردن» هي الأقدم؛ لأنّه يحتمل أيضًا أنّ النسّـاخ قـد اختاروا تحريف النص إلـى «وراء الأردن» لموافقة إنجيـل متّى 19/ 1. ولمّا كان الأمر مشـكلًا، يتعـذّر القطع فيه لتضـارب قواعد علم

(1) والتر واسل Walter Wessel : أستاذ دراسات العهد الجديد واليونانية في Bethel Theological Seminary.
(2) W. W. Wessel, 'Mark' in The Expositor's Bible Commentary, Volume 8: Matthew, Mark, Luke, F. E. Gaebelein, ed. (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984), p.712
(3) ترجمـة الفاندايك: الترجمة العربيـة التقليدية الأكثر تداولاً، ويُحال إليها عادة عنـد الاقتباس من الكتاب المقدس العربي.
(4) Ibid

النقــد النصي هنا، (فإنّنا نجد قاعدة اختيار القراءة الأصعب معارضة بقاعدتي تفضيل النص السكندري، وتقديم القراءة التي تظهر تخالف الأناجيل لا توافقها)؛ فإننا نقول إنّــه يلزم من ثبــوت قــراءة: «وراء الأردن» خطأ جغرافي، مع موافقتنا الناقد **ريتشــارد فرانس**[1] قوله إن هاتين القراءتين غير راجحتين «two improbable readings»[2].

تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ وَمَا وَرَاءَ الأُرْدُنِّ

المخطوطة السينائية (القرن الرابع)



تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ

مخطوطة واشنطن (القرن الخامس)

(1) ريتشارد توماس فرانس (2012-1938) Richard Thomas France: قسيس أنجليكاني. درّس دراسات العهد الجديد في London Bible College.

(2) R. T. France, The Gospel of Mark: A Commentary on the Greek Text (Grand Rapids; Cambridge: William B. Eerdmans Publishing Company, 2014), p.386

خريطة فلسطين زمن المسيح



المثال الحادي عشر: الجراسيين أم الجرجسيين أم الجدريين؟

مرقس 5/ 1:

«وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ **الْجَدَرِيِّينَ**» (ترجمة الفاندايك).

«ثُـمَّ وَصَلُوا إِلَى الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ، إِلَى بَلْدَةِ **الْجِرَاسِـيِّينَ**» (ترجمة كتاب الحياة).

اختلفت المخطوطات في اسم البلدة هنا بصورة فاحشة فوردت على أنّها **الجراسيين** Γερασηνῶν، **والجدريين** Γαδαρηνῶν في موافقة للنصّ الموازي في متّى 8/ 28، **والجرجسيين** Γεργυστήνων التي وردت في مخطوطة واشنطن.

وقـد اختار عامـة النقاد قراءة الجراسـيين في إنجيـل مرقس، وهو ما يشـكّل زلّة جغرافيّة. والأمر يبقى مشكلًا جغرافيًا حتّى على قراءة الجدريين!

متى 8/ 28:

«وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ **الْجِرْجَسِيِّينَ**، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ». (ترجمة الفانديك).

«وَلَمَّا بَلغَ الشَّـاطِئَ الآخرَ في نَاحِيةِ الجَدَرِيِّينَ، تَلَقاهُ رَجُلانِ مَمْسوسَانِ خَرجَا مِن القُبورِ، وَكانَا شَرِسـينِ جِدًّا حَتَّى لا يَسـتَطيعُ أَحدٌ أَن يَمرَّ مِـنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ» (الترجمة اليسوعية).

لوقا 8/ 26:

«وساروا الى كورة **الجدريين** التي هي مقابل الجليل» (ترجمة الفانديك).

«ووصلوا إلى ناحية **الجراسيين** مقابل شاطئ الجليل» (الترجمة المشتركة).

النقـاد على خلاف كبير في الكلمة الأصليـة أو الأرجح في لوقا حتّى إنّ الطبعتين الأولييـن للنـص اليونانـي لمؤسسـة United Bible Society (1966م و1968م) قـد اختارتا قراءة الجرجسـيين Γεργεσηνων، ثم تغيّر الاختيار فـي الطبعات الثالثة والرابعة والخامسة إلى قراءة الجراسيين Γερασηνων![1].

توجد جدارا على بعد بضعة أميال من بحر الجليل، وسـبعة أميال من نهر الأردن. وهـي تمثّـل بقايـا «أم قيس» فـي الأردن، على رأس هضبة تبعد سـتة أميـال من بحر الجليل[2]. وأمّا جراسـا – كما يقول معجم «Mercer Dictionary of the Bible»[3] – فتعرف اليوم باسـم الجرش، وهي تقع على بعد 33 ميلًا جنوب شرق بحر الجليل، وعشرين ميلًا شرق نهر الأردن.

(1) See Jostein Adna, "The Encounter of Jesus With the Gerasene Demoniac," in Authenticating the Activities of Jesus, Bruce Chilton, Craig A. Evans, eds. (Leiden: Brill, 2002), pp.294-295

(2) M. D. Hooker, Black's New Testament commentary: The Gospel according to Saint Mark (Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1991), p.142

(3) See Mercer Dictionary of the Bible (Mercer University Press, 1990), p.326

ولذلـك رفـض **أوريجانـوس** فـي بداية القـرن الثالث ميـلادي اختيار جـدارا أو جراسا، لأنّه لا وجود لهما بالقرب من ضفّة البحيرة التي غرقت فيها الخنازير. ورأى أنّ القراءة الصحيحة هي كورة الجرجسـيين، وهو مـا يرفضه النقّاد المعاصرون. قال **أوريجانوس**: «مع ذلك، فيما يتعلق بالأسـماء الأعلام، **هناك أخطاء في مواضع كثيرة في النسخ اليونانية ومن هذه الأخطاء ربما يضل شخص ما سبيله في الأناجيل**. فرواية الخنازير التي طرحتها الشـياطين واختنقت جرى تسـجيلها على أنها وقعت في مدينة الجراسـيين. لكن جراسـا مدينة في الجزيـرة العربية، وليس هناك بحـر أو بحيرة إلى جوارها، ولهذا ما كان للبشيرين –وهم الذين حفظوا بكل انتباه كل ما يتعلق باليهود– أن يقولوا شـيئاً بيِّنَ الخطأ ويسـهل نقضه. ولكـن لأنّنا نجد الجدريين فـي عددٍ قليلٍ من النُّسـخ، فلا بدّ أن نتنـاول هذا بالبحث كذلك. فجدارا هـي مدينة من مدن اليهود وبالقـرب منها تقع ينابيع حارة مشـهورة، لكـن ليس فيها بحيرة بهـا جرف متاخم أو بحر. وأمّا جرجسـا، التي أُخِذَتْ منها كلمة الجرجسـيين، فهـي مدينة قديمة بالقرب مـن البحيرة التـي يطلق عليها اليوم اسـم طبريا، التي بالقرب منهـا يوجد منحدر يقع إلـى جوار البحيرة، التي منها يمكـن تصور انطراح الخنازير فيها على يد الشـياطين. لكن جرجسا يترجم معناها كـ:«مسكن هؤلاء الذين يطردون»، والذي قد يكون تسمية تنبئيـة عن كيفيـة قيام مواطني هذه المدينـة الذين كانوا يقتنـون الخنازير بالتعامل مع المخلّص، آمرين إياه أن يذهب عن أراضيهم»[1].

وعلق علماء ندوة يسوع [2] على هذا الخلل الجغرافي، بقولهم: «تقع جراسا على بعد ثلاثين ميلًا تقريبًا جنوب شـرقي بحر الجليل، وليست المكان الموائم لغرق الخنازير.

---

(1) Origen, Comm. Jo., 6.41

(2) ندوة يسـوع Jesus Seminar: حلقة دراسـيّة تكوّنت في العقد الثامن من القرن العشرين، تضمّ قريباً من 150 باحثًا، العديـد منهم من الأكاديميين، ومن أبرزهم جون دومينيك كروسـان وروبرت فونـك .. تبحث الندوة في تاريخيّة يسوع بالفصل بين الشخصية التاريخيّة الحقيقيّة وما أضيف إليها في الذهنيّة الإيمانيّة في القرون الأولى. أصدرت ثلاثة كتب أثارت ضجّة كبيرة في السـاحة العلميّة في أمريكا وأوروبا؛ لأنّها نفت عن «يسوع التاريخ» جلّ ما نسبته إليه الأناجيل الأربعة.

حدّد متّى مكانًا آخر للمتشيطن وهو جدارا التي تبعد ستّة أميال فقط عن شاطئ البحيرة. وقد حاول الكتبة المتأخّرون أن يجدوا حلولاً أخرى لاستيعاب الخنازير»[1].

وذهب عدد من النقاد – مثل **كلوسترمان** Klostermann **ولوهماير** Lohmeyer **وشنك** Schenke **وشميثالز** Schmithals – إلى أنّ مرقس قد وجد قصّة يسوع والخنازير دون ذكر مكان وقوعها؛ فقام بإضافة عبارة الجراسيين[2]. وسواء أضاف مرقس الجراسيين من كيسه أم نقلها عن غيره؛ فقد أخطأ[3].

وأعجب من فعله فعل مؤلف إنجيل متّى الذي أدرك خطأ مؤلف إنجيل مرقس فغيّر الجرجسيين إلى الجدريين، فأصلح خطأ بخطأ.

وأما عبارة الجرجسيين التي تُنسب إلى لوقا، فالأرجح أنّها ليست هي القراءة الأقدم (الجرسيين هي أقوى القراءات)[4]، كما أنّها تشير إلى مكان غير معروف، لعلّه من اختراع **أريجانوس** للخروج بحلّ لأخطاء أصحاب الأناجيل[5].

حاول الدفاعيون الخروج من الإشكال بالقول إن جراسا (أو جرجسا) هي منطقة كرسي التي يُقال إنّ لها امتدادًا حتّى البحيرة. وهو جواب فيه نظر من وجهين:

أولا: كرسي/ كرسوي Κυρσοί تُكتب بالكابا K لا الجاما Γ في اليونانية. وهذا فارق واضح في بناء اللفظ، كما أنّ كلمة كرسي تنتهي بكسرة طويلة على خلاف جراسا التي تنتهي بفتحة طويلة.

ثانيا: حتّى لو قبلنا –جدلًا– قول المنصّرين في شأن جراسا وجرجسا، ستبقى أمامنا مشكلة جدارا –القراءة التي رجّحها عامة النقاد في إنجيل متّى –البعيدة عن حواف بحر الجليل. والقول إنّ جدارا تمتد حتّى بحر الجليل مُستدرك بأنّنا نعلم أن مدينة هيبوس Ἵππος تقع بين جدارا وكرسي؛ بما يمنع القول إنّ جدارا تمتد إلى بحر

(1) Jesus Seminar, The Acts of Jesus (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1998.), p.79
(2) R. A. Guelich, Mark 1-8:26, p.275
(3) Ibid
(4) J. A. Brooks, Mark, p.89
(5) M. D. Hooker, Black's New Testament Commentary: The gospel according to Saint Mark, p.142

الجليـل لتصل إلى منطقة كرسـي. ولا يُعتـرض على ذلك بأنّ يوسـيفوس قد قال إنّ جدارا تمتد حتّى ضفّة بحر الجليل، فإنّ امتدادها حتى الضفة -إن صحّ- كان من غير جهة كرسي؛ إذ إنّ هيبوس تمنع تمدّدها إلى الشمال حتّى الضفّة التي تقع عندها قرية كرسـي. وقد ميّز يوسيفـوس بين جدارا وهيبوس، بقولـه في سيرته الذاتية: «... خـرج، وحرق القرى التي تعود إلى جـدارا وهيبوس، وهي القرى التي تقع على حدود طبريّة»[1]. والظاهر هو أنّ كرسي قرية تقع في هيبوس نفسها.[2].

خريطة المدن العشر

Map of the Decapolis region (drawn by. M. Eisenberg & A. Regev Gisis).

(1) Josephus, The Life of Flavius Josephus, 9.

(2) See Michael Bird, "Textual Criticism and the Historical Jesus", Journal for the Study of the Historical Jesus 6 (2008), 152.

كما حاول الدفاعيون نسـبة كرسـي إلى جدارا؛ على أساس أنّ جدارا هي عاصمة الديكابوليس Decapolis (المدن العشر)؛ فنُسِبت كرسي بذلك إلى عاصمة المنطقة الكبرى التي تنتمي إليها. وتلك دعوى فاسدة من أوجه:

أولا: لا دليل من تاريخ القرن الأول على نسبة القرى إلى عواصم المناطق الكبرى التي تنتمي إليها.

ثانيا: لم تكـن جدارا عاصمـة الديكابوليس، وإنّما كانت Σκυθόπολις (بيسـان حاليًا) عاصمتها.

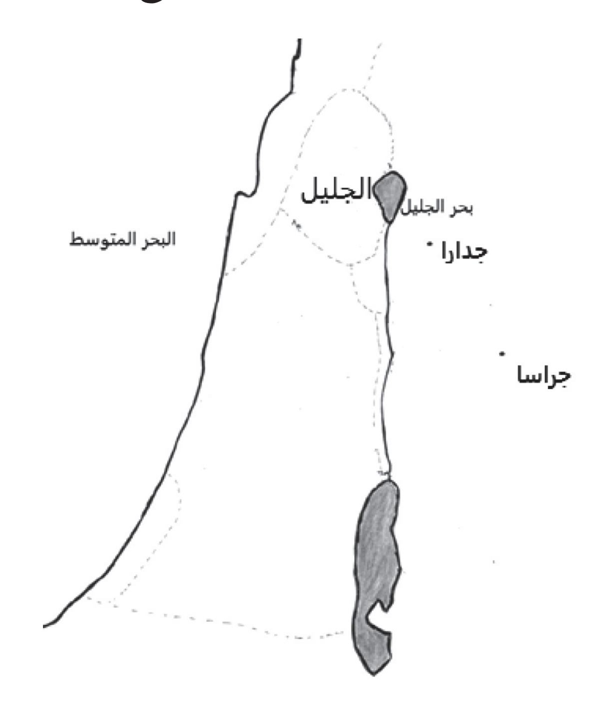
ثالثـا: هناك جدارا أخـرى (قريبة من منطقة السـلط الحالية فـي الأردن)، خارج الديكابوليـس، وهي عاصمة بيرية، ولذلك تميّزُ الأطالس بين Gedara Decapolis وGedara Perea.[1] ومـن قـال مـن الدفاعييـن النصـارى إنّ جـدارا عاصمـة الديكابوليس، أخطأ خطأً قبيحًا، بخلطه بين الجدارين.



ولذلـك رفض كثير من النقّاد حلّ الدفاعيين أو تجاهلوه؛ مصرّحين بخطأ مرقس، رغم علمهم بدعوى المتحمّسين لعصمة الأناجيل.

(1) Joseph R. Laurin, Lexicon and Atlas of the Modern World Coinciding with the Ancient Greek World, IN: Author House, 2013, p.250.

خريطة فلسطين زمن المسيح

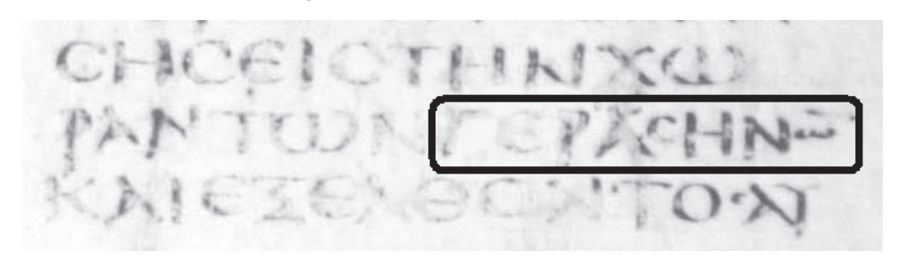


آخر مرقس 5/ 1 – بداية 5/ 2

وفيه كلمة الجراسيين Γερασηνῶν، النص الأصلي

قبل تحريفه من طرف أحد النسّاخ إلى الجرجسيين!

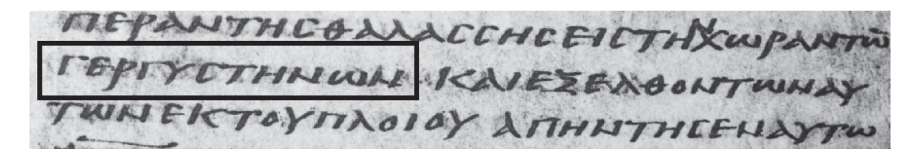
المخطوطة السينائية (القرن الرابع ميلاديًا)



صورة آخر مرقس 5/ 1 - بداية 5/ 2

الجرجسيين Γεργυστήνων

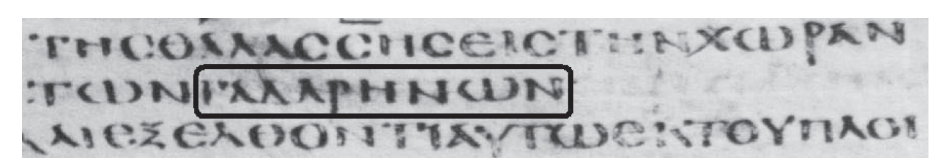
مخطوطة واشنطن (القرن الخامس ميلاديًا)



آخر مرقس 5/ 1 - بداية 5/ 2

الجداريين Γαδαρηνῶν

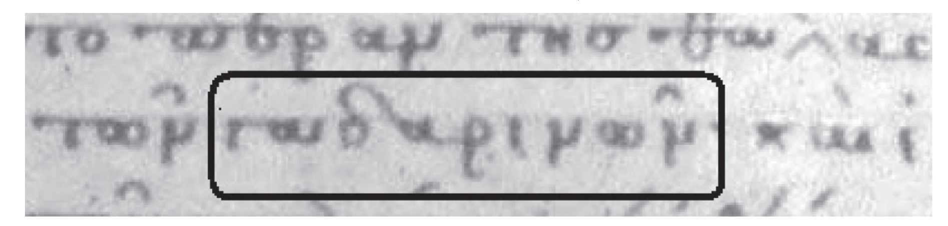
المخطوطة السكندرية (القرن الخامس ميلادياً)



كلمة الجداريين Γαδαρηνῶν

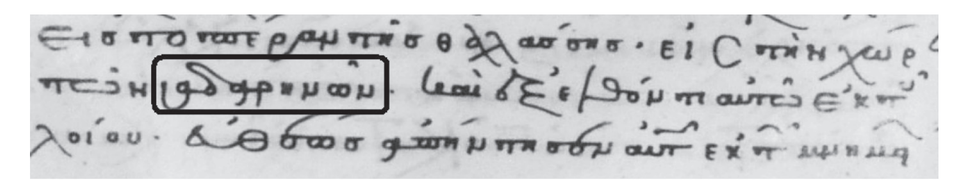
مع اختلاف طفيف - حرف اليوتا (ι) مكان حرف الإيتا (η)-

المخطوطة رقم (1432) (القرن الثاني عشر ميلادياً)



الجداريين **Γαδαρηνῶν**

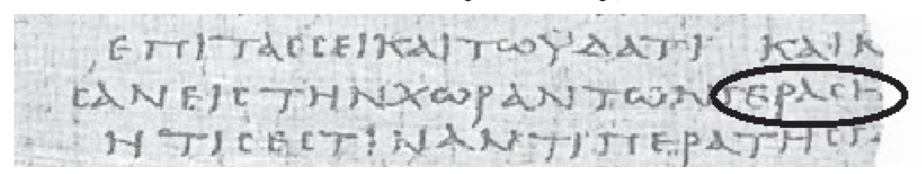
المخطوطة رقم (**2756**) (القرن الثالث عشر ميلادياً)



بداية لوقا **8/ 25** وآخر **8/ 26**

جراسيين **Γερασῃ[νῶν]**

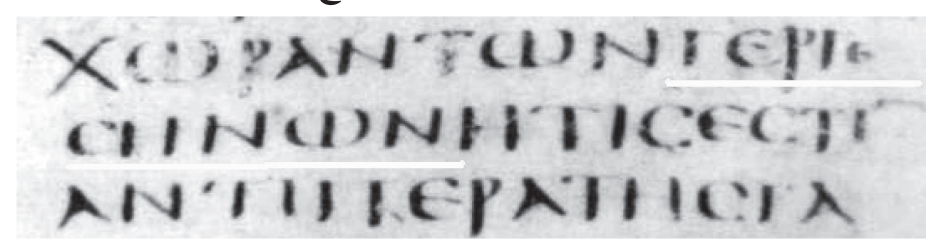
بردية **75** (القرن الثالث ميلادياً)



جزء من لوقا **8/ 25–26**

الجرجسيين **Γεργυστήνων**

المخطوطة السينائية (القرن الرابع ميلادياً)



آخر لوقا 8/ 25 إلى بداية 8/ 27

الجداريين Γαδαρηνῶ[ν]

المخطوطة السكندرية (القرن الخامس ميلادياً)

المثال الثاني عشر: بيت صيدا، مرة أخرى!

إنجيل مرقس 6/ 45: «وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ، إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ».

ذكر الناقد **بروس متزغر** حذف بعض الشواهد (P45vid W f1 syrs) لقراءة «إلى الضفة المقابلة (إلى العبر)» «εἰς τὸ πέραν» من مرقس 6/ 45، وعلّل ذلك بقوله: «لا شكّ أن ذلك سببه الصعوبات الجغرافيّة: بيت صيدا كانت في أرض هيرودس فيلبس الثاني؛ وبالتالي فهي شرق نهر الأردن»[1].

أمّا التفسير الكاثوليكي لإنجيل مرقس ضمن سلسلة Sacra Pagina والذي أعدّه الأب **جون ر. دوناهو**[2]، فقد جاء فيه: «الإحالات الجغرافيّة هنا مشوّشة» «The Geographical references here are confusing»[3]؛ معلّلا ذلك بأنّه «عبر هذا المقطع من مرقس، كان عيسى في الجهة الغربيّة من البحيرة (6/ 1–32). تقع بيت صيدا في الركن الشمال–شرقي للبحيرة (بحر الجليل) من حيث يأتي نهر الأردن إلى البحيرة، في حين أنّه في 6/ 53 يبدو أنّ الرحلة تنتهي في «جنِّيسارت»

---

(1) Bruce Metzeger, A Textual Commentary on the Greek New Testament, p.79

(2) جون ر. دوناهو John R. Donahue: أستاذ دراسات العهد الجديد في جامعة بالتيمور، وكان لسنوات أستاذاً للعهد الجديد في المدرسة اليسوعية للاهوت في بيركلي.

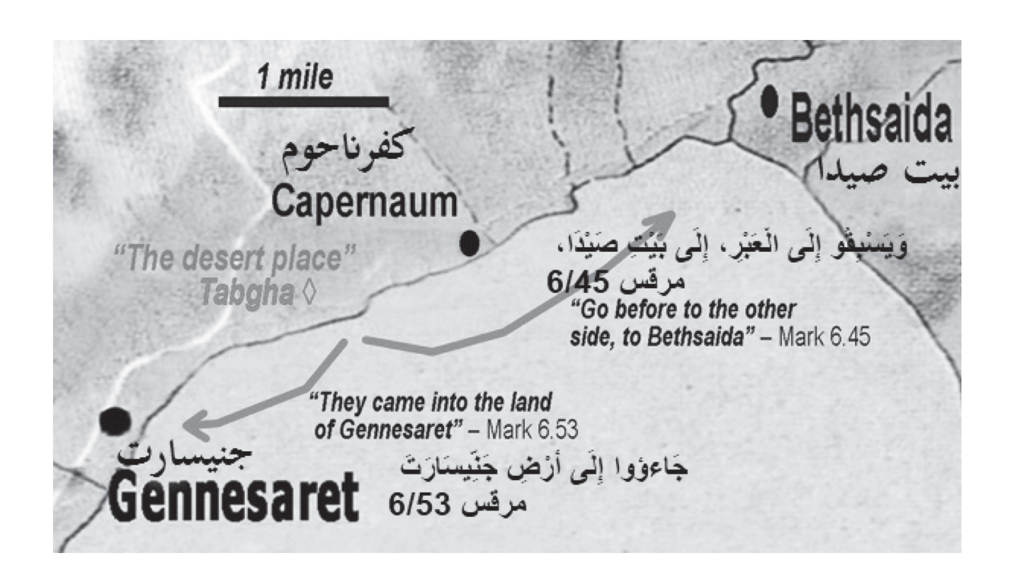
(3) John R. Donahue, The Gospel of Mark (Minnesota: Liturgical Press, 2002), p.212

التي هي في الجهة الغربيّة من البحيرة»[1].

الإشكال الجغرافي هنا: كان المسيح غرب بحر الجليل، وهناك طلب من تلاميذه أن يركبوا القارب ليعبروا إلى الضفة المقابلة: «بيت صيدا» التي تقع شرقي بحر الجليل، وبينما هم يعبرون على القارب إذ بهم يتعرضون إلى صعوبات في التجديف بسبب الريح، فالتحق بهم المسيح ماشيًا على الماء، وأعانهم في إتمام رحلتهم. ولمّا وصلوا إلى الضفة المقابلة؛ كانوا في جنيسارات التي تقع غرب بحيرة الجليل!

كيف ينطلق التلاميذ إلى شرق البحيرة من غربها؛ فيصلون إلى الضفّة المقابلة، الغربيّة؟! لقد كان مؤلّف إنجيل مرقس جاهلاً بجغرافيّة فلسطين؛ وهو ما اضطّر طائفة من النسّاخ إلى تحريف النصّ!

خريطة فلسطين زمن المسيح

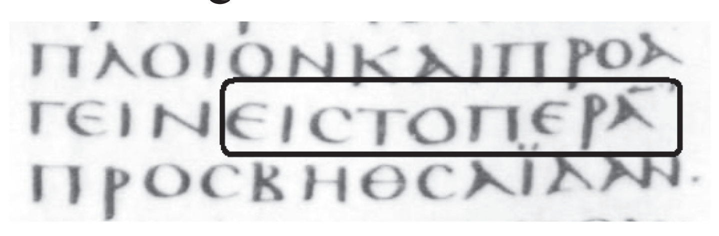


(1) Ibid

مرقس 6/ 45 – بداية 6/ 46

إلى الضفة الأخرى[ν]εις το περα

المخطوطة السينائية (القرن الرابع ميلادياً)

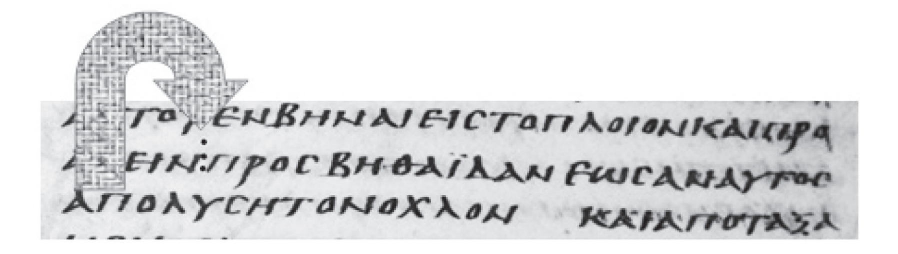


آخر مرقس 6/ 45 – بداية 6/ 46

عبارة: إلى الضفة الأخرى εἰς τὸ πέραν محذوفة

(النقاط الثلاث التي وضعناها تشير إلى المكان الذي كان من المفترض أن يوجد فيه النص)

مخطوطة واشنطن (القرن الخامس ميلادياً)



المثال الثالث عشر: الجبل الذي يُطلّ على جميع الأرض

إنجيـل متّـى 4/ 8 : «ثُمَّ أَخَـذَهُ إِبْلِيسُ أَيْضاً إِلَى قِمَّـةِ جَبَلٍ عَالٍ جِـدّاً، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَعَظَمَتَهَا».

النـصّ اليوناني لا يحتمل التأويل في أنّ الإشـارة هي إلى جبـل عالٍ يرى الواحد

مــن أعلاه جميع الأرض؛ فالجبل عال جدًا إلى درجة أنه يطلّ على العالم كلّه، وتلك خرافـة. ولو قيل إنّ الجبل يطلّ على فلسـطين فقط؛ لكان باطـلاً أيضًا. علمًا أنّ كلمة «كُوزْمُوس» «Kόσμος» لم تسـتعمل البتّة للدلالة على فلسطين - كما يقول **جون أ. برودس** أستاذ تفسير العهد الجديد-.

لقـد ذهب التراث النصراني إلى القول إنّ هـذا الجبل موجود في منطقة «أريحا». وهي محاولة للفهم لا شكّ في فشلها في ضوء الواقع الجغرافي!

حـاول بعض النصارى الإيهام بمجازية الجبل في هذه القصة، لكنّ الأمر كما جاء في النسـخة الدراسية لترجمة: «King James Version»: «من الواضح أنّ الجبل في النص حقيقي، على الرغم من أن موقعه الدقيق غير محدد»[1].

وخلاصة الأمر في شأن الأخطاء الجغرافية في الأناجيل، هي أنّها كثيرة وواضحة. ولذلـك قـال الأركيولوجـي س. س. ماك كون[2] -رغـم لينه- في مقالتـه: «جغرافية الإنجيل: خيال وواقع وحقيقة» التي نشرها في المجلة الشهيرة "Journal of Biblical Literature": «الخيـال والواقع والحقيقة، هذه الأمور الثلاث موجودة في المعطيات الجغرافيـة في الأناجيـل» " Fiction, fact, and truth-all three are to be found in the geographical data in the Gospels."،[3] كمـا وصـف جغرافية متّى ولوقا خاصةً، بقوله: «جغرافيتهما خيالية» " Their geography is fictional".[4]

---

(1) King James Version study Bible (Nashville: Thomas Nelson, 1988), p.1412

(2) ماك كون C. C. McCown (-1958): أركيولوجي ومؤرّخ وناقد متخصص في دراسات العهد الجديد.

(3) C. C. McCown, "Gospel Geography: Fiction, Fact, and Truth", Journal of Biblical Literature, Vol. 60, No. 1 (Mar., 1941), p.24.

(4) Ibid., 19.

المبحث الثاني:
هل في القرآن أخطاء جغرافية؟

لم يأخذ الخبر الجغرافي حيّزًا واسعًا في القرآن؛ لأنّ القرآن ليس كتابًا في سيرة نبيّ الإسلام ﷺ، ولا هو منصرف إلى تفصيل الإطار الجغرافي لقصص الأنبياء والأمم السالفة؛ ولذلك يندر في القرآن ذكر أسماء الأشخاص والبلدان.

والملاحظ في عامة اعتراضات النصارى والملاحدة على الخبر الجغرافي في القرآن إقحامهم فيه أمورًا مختلفة تتعلق بالكوسمولوجيا والكوسموجونيا وغيرهما من العلم. وبتتبّع المعارضات الجغرافية المحضة، وجدناها لا تخرج عن الآتي:

الاعتراض الأول: جبل قاف الخرافي في سورة ق

جاء في القرآن: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ [ق:1-2]. وقاف في الآية اسم جبل خرافي يحيط بالأرض.

الجواب:

أولًا: ق حرف من حروف الهجاء وليس اسمًا لجبل، وقد افتتحت سور قرآنية أخرى ببعض حروف الهجاء مثل: «ص» في سورة ص، و«ن» في سورة القلم.

ثانيًا: ليس في الآية شيء من ذكر الجبال عامة، أو جبل مخصوص له ذكر عند الخرافيين.

ثالثًا: لا يصحّ عن رسول الله ﷺ حديث في أمر هذا الجبل الخرافي. وما تنقله بعض كتب التفسير هو من الإسرائيليات التي لا يُحتج بها على القرآن.

قال الإمام **ابن كثير**: «وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ قَالُوا «ق» : جَبَلٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ، يُقَالُ لَهُ جَبَلُ قَافٍ. وَكَأَنَّ هَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- مِنْ خُرَافَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

الَّتِـي أَخَذَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ النَّـاسِ، لَمَّا رَأَى مِنْ جَوَازِ الرِّوَايَةِ عَنْهُـمْ فِيمَا لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكَـذَّبُ. وَعِنْدِي أَنَّ هَـذَا وَأَمْثَالَهُ وَأَشْـبَاهَهُ مِنَ اخْتِـلَاقِ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ، يُلَبِّسُـونَ بِهِ عَلَـى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، كَمَا افْتُـرِيَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ -مَعَ جَلَالَةِ قَـدْرِ عُلَمَائِهَا وَحُفَّاظِهَا وَأَئِمَّتِهَا- أَحَادِيـثُ عَـنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِـدَمٍ، فَكَيْفَ بِأُمَّةِ بَنِي إِسْـرَائِيلَ مَعَ طُولِ الْمَدَى، وَقِلَّةِ الْحُفَّاظِ النُّقَّادِ فِيهِمْ، وَشُرْبِهِمُ الْخُمُورَ، وَتَحْرِيفِ عُلَمَائِهِـمُ الْكَلِـمَ عَنْ مَوَاضِعِـهِ، وَتَبْدِيلِ كُتُبِ اللَّهِ وَآيَاتِـهِ! وَإِنَّمَا أَبَاحَ الشَّـارِعُ الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ» فِيمَا قَدْ يُجَوِّزُهُ الْعَقْلُ، فَأَمَّا فِيمَا تُحيله الْعُقُولُ وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْبُطْلَانِ، وَيَغْلِبُ عَلَى الظُّنُونِ كَذِبُهُ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[1].

وفي المقابل يُخبرنا إنجيل متّى 4/ 8 عن جبل عال جدًا يطلّ على كلّ العالم، كما سبق الحديث عنه.

الاعتراض الثاني: أمطار مصر

اعترض المستشـرق **نولدكه** على القرآن قوله في قصة يوسـف عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسـف:49]، بقولـه : «هناك تحريفـات متنوعة غريبة الحال، بعضها فاقع، وسـبب الزلّل فيها محمد نفسـه؛ ومن ذلـك أنّه ادّعى -بسـبب جهله بكلّ شـيء خارج الجزيـرة العربيـة- اعتماد خصوبة مصـر -حيث المطـر يكاد لا يُرى البتـة ولا يُفتقد- على المطر لا علـى فيضان النيل [يوسف/ 49]»[2].

الجواب:

أولًا: فُـزِّعَ **عبـد الرحمـن بدوي** -المصـري، أشـهر الباحثين العرب فـي التراث الاستشراقي- وهو يقرأ كلام **نولدكه** العجيب، والذي يدلّ على أنّه لا يعرف أي شيء

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 394.
(2) Theodor Noldeke, Sketches from Eastern History, pp.30-30

عن مصر سوى تصوّره لها أنّها صحراء قاحلة من أدناها إلى أقصاها؛ فقال ساخطًا وساخرًا: «هذا النقد قبيح وسخيف وينم عن جهل مطبق لدى نولدكه -الشهير جدًا- وعن جهل باللغة العربية وكذلك بشؤون مصر»[1].

وبيّن مبلغ جهل **نولدكه** بحال طبيعة مصر، بقوله: «إن المصريين الذين يعيشون في الدلتا والوجه البحري يعرفون تمامًا أن الجو يمطر بغزارة في الشتاء خلال شهر إلى أربعة شهور (من ديسمبر إلى مارس)، وأنّ زراعة القمح والشعير والفول...الخ تعتمد تقريبًا على المطر الذي ينزل في هذا الفصل، وأعرف تمامًا أن نولدكه لم يغادر أوروبا ولم تطأ قدمه خلال حياته الطويلة (1836-1931) أي بلد عربي أو إسلامي، فمن أين كانت مصادره للدراسات العربية والإسلامية؟! ... ثم إنه يؤكد أنه في مصر لا يُرى المطر ولا يُفتقد وهو خطأ عظيم **لا يرتكبه أي طفل**»[2].

وقد ذهب إلى قريب من قول **نولدكه** المستشرق **جورج سال**[3] في ترجمته للقرآن، غير أنّه اعترف أنّ من الكتّاب القدامى من أشار إلى أنّه كثيرًا ما تمطر في الشتاء في مصر السفلى (دلتا النيل)، كما ينزل الثلج في الإسكندرية[4].

ثانيًا: غوثُ طالبِ الماء لا يُطلق حصرًا على الغوث بالمطر؛ وإنّما هو غوث بمطلق الماء إلّا أن تصحبه قرينة. وليس في الآية قرينة أنّ الغوث بماء السماء؛ فالآية تحتمل أيضًا الغوث بما يفيض من النيل من ماء. فغاية رؤيا يوسف عليه السلام بيان أنّه سيأتي يوم ينقطع فيه القحط بالوفرة الحادثة للماء، أيًّا كان مصدره.

---

(1) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، تعريب: كمال جاد الله (القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير، 1418هـ/ 1997م)، ص197.

(2) المصدر السابق، 198.

(3) جورج سال (1697-1736) George Sale: مستشرق إنجليزي، اشتهر بترجمته الإنجليزية للقرآن، كما قام بمراجعة إحدى الترجمات العربية للعهد الجديد في زمانه.

(4) "Notwithstanding what some ancient authors write to the contrary, it often rains in winter in the lower Egypt, and even snow has been observed to fall at Alexandria" (George Sale, The Koran: Commonly Called the Alcoran of Mohammed, London: Tegg, 1844, p.193)

ثالثًا: ليس في القول إنّ الغوث لأهل مصر يأتي بالمطر، إشكال؛ فإنّ فيضان النيل سببه ذوبان الثلوج والأمطار الصيفية الغزيرة في الجبال الأثيوبية التي تدفع الماء لاحقًا إلى النيل في اتجاه مصر. وليس في الآية أنّ مصدر الغوث سيأتي من مصر، وإنّما الآية في أنّ الغوث سيكون أثره في مصر.

الاعتراض الثالث: **زيتون طور سيناء**

يقول القرآن: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون:19-20]. وهذا خطأ؛ فإن الزيتون معروف في الشام لا في سيناء.

الجواب:

تقوم نسبة النكارة إلى حديث القرآن عن شجر الزيتون في جبل سيناء على التسليم بمجموعة من التقريرات:

1 - امتناع اشتهار طور سيناء زمن البعثة النبوية -عند العرب- بالزيتون؛ فالعرب كانوا أوّل المخاطبين بالآيات القرآنية.

2 - الآية متعلّقة ضرورة بظهور الزيتون زمن البعثة.

3 - طور سيناء اسم عَلَم لجبل ما.

4 - للآية مفهوم واحد؛ وهو اشتهار طور سيناء بشجر الزيتون.

5 - طور سيناء هو ضرورة ما يُسمّى اليوم بجبل موسى في شبه جزيرة سيناء الحالية.

وعلى الأمور السابقة ملاحظات:

أولًا: نحن لا نحيط اليوم بثقافة البلاد العربية في شأن شهرة طور سيناء فيها بشجر الزيتون. وليس في اشتهار طور سيناء -إن قلنا إنّها حيث يحدّد النصارى مكانها اليوم- بالزيتون زمن البعثة، نكارة؛ فإنّها اليوم مشهورة بنوع مميز من الزيتون مما يرتوي بماء المطر لا السقي، ويُسمّى بـ«البعلي».

ثانيًا: ذهب **د. صلاح عبد الفتاح الخالدي** -أستاذ التفسير- إلى أنّ الآية في ظهور الزيتـون أوّل خلقـه لا زمن البعثة؛ فقال -في قوله تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون:18-20]- : «إنّ كلمة «شجرة» منصوبة لأنّها معطوفة على «جنـات» قبلَهـا، التي هي مفعول به لفعل «أنشـأنا» في قولـه تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾، والتقدير: أنشأنا لكم بالماء جنات من نخيل، وأنشأنا لكم به شجرة خارجة من طور سيناء!

وإنشاء الشيء إيجاده من العدم أوّل مرّة. واختيار فعل «أنشأ» في الآية مقصود، لأنّه يشـير إلى أوّل مرّة في التاريخ، ظهرت فيها جنات النخيل والأعناب وأشـجار الزيتون، ولعلّ إنشاء أشجار الزيتون على الأرض كان قبل خلق آدم عليه السلام بفترة طويلة...

ثـمّ إنّ حرف الجر «من» فـي الآية يقرّر هذا المعنى؛ فهو هنـا للابتداء، والمراد به الابتداء الزماني. والمعنى: كان ابتداء إنشـاء وإخراج شجرة الزيتون في منطقة سيناء: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ..﴾، وهذا الابتداء كان قبل آدم عليه السلام»[1].

ثالثًا: أشـار عدد كبير من السلف إلى أنّ «طور سيناء» ليس اسم علم لجبل ما. قال **الطبري** في تفسـيره: «واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك.

ذِكْرُ من قال ذلك:... عن مجاهد، في قوله: طُورِ سَيْنَاءَ. قال: المبارك.

... عـن ابـن عباس، قولـه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ قال: هو جبل بالشـام مبارك.

وقال آخرون: معناه: حسن.

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان (دمشق: دار القلم، 1428هـ/ 2007م)، ص48-49.

ذِكْرُ من قال ذلك:

... عن قتادة، في قوله: طُورِ سَيْنَاءَ قال: هو جبل حسن.

... أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، الطور: الجبل بالنبطية، وسيناء، حسنة بالنبطية....

وقال آخرون: معناه: أنه جبل ذو شجر»[1].

رابعًا: ليس في منطوق الآية أنّ طور سيناء مشهور بشجر الزيتون، وإنّما منطوق الآية أنّ شجر الزيتون ينبت في طور سيناء. والآية من ناحية المفهوم تتسّع لمعنيين اثنين، أولّهما أنّ طور سيناء قد اشتهر بشجر الزيتون، وثانيهما أنّ الله يمنّ على الناس بشجرة مباركة تنبتُ حتى في الجبال القاسية كطور سيناء. ويخبر سبحانه أنّه يخرج النعمة من المحلّ الضعيف. ولو رجّح المرء المعنى الثاني تبعًا لسياق الآيات في المنّ بالعطاء من المحلّ الضعيف لما خالف لغة ولا سياقًا. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المؤمنون:12-21].

خامسًا: القول إنّ جبل الطور الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام هو نفسه المكان الذي يدّعيه النصارى اليوم، ليس عليه برهان حاسم؛ والخلاف بين الباحثين المعاصرين في تحديد مكان «طور سيناء» «הַר סִינַי» التوراتي، معروف، ومن الباحثين من يجعله في الشام.

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17/ 28.

تقول الموسـوعة اليهودية Encyclopedia Jewish : «اختلف النقاد المعاصرون بصور واسـعة في تحديد الموقع الجغرافي لطور سـيناء. ... استنتج غرايتز Grätz ثم لاحقًا سـايس Sayce **أنّه يجب ألّا يُبحث البتّة عن سـيناء الواردة في الكتاب المقدس في ما يُسمّى بشبه جزيرة سيناء**. ومن الممكن –بمناسبة ذلك– التنبيه أنّ تلك التسمية ليسـت قديمة. لقد كانت معروفة زمن يوسيفوس الذي وصف طور سيناء ببساطة أنّه يقع في العربيـة البترائية [1]Arabia Petraea... بمقارنة نص سـفر العدد 33/ 8–10 ونص سـفر التثنية 1/ 1 من الممكن استنتاج أنّ سيناء كانت بين خليج العقبة وفاران. طبق هذه النظريّة تكون سيناء–حوريب إما جزءًا من جبل سعير أو غربه، ويفضّل نص سـفر التثنية 33/ 2 وكذلك سـفر القضاة 5/ 4–5 الخيـار الأول ... عرّف بيكر غرين Baker Green سـيناء أنّها جبل حور الذي هو جزء من جبل سعير، وعرّفه بيك Beke أنّه جبل النور عند نهاية خليج العقبة»[2].

وأمّـا الأركيولوجي البـارز ويليام ديفر، فقد نبّه إلى أنّه «مـن المعروف أنّ المكان التقليدي لجبل سـيناء قد حُدد عند دِير سـانت كاثرين، ولكـنّ ذاك التراث ليس أبكر من القرن السادس الميلادي، وهو على كل حال قد قام في الأصل على التخمين»[3]

ومن المهم الإشـارة –هنا– إلى أنّ التراث اليهودي لم يحفظ لنا مكان وجود طور سيناء؛ ولا نجد ذكرًا لمكانه –مثلًا– في التلمود، رغم سعة تفاصيل الأخبار التلمودية. وقد أجاب الحبر اليهودي **يهوذا شربين**[4] أحد سائليه عن قيمة الاجتهادات التي تقال فـي تحديد مكان هذا الجبل؛ فقـال –بالحرف–: «هناك كثير مـن النظريات، لكن لا يقتـرب أيٌّ منهـا من حسـم الأمر». وتسـاءل: «لمـاذا الأمر كذلك؟ لمـاذا لم يحفظ

(1) منطقة تضم –بالاصطلاح الحديث– الأردن وجنوب سوريا وشبه جزيرة سيناء والشمال الغربي لبلاد الحرمين.

(2) Art. 'Sinai, Mount', Jewish Encyclopedia, 11/382

(3) William G. Dever, Has Archaeology Buried the Bible? (Grand Rapids, Michigan: William B. Eerdmans Publishing Company, 2020), p.34.

(4) يهودا شـربن Yehuda Shurpin: عالم يهودي يعيش في ولاية منسـوتا الأمريكية. مشـرف على الموقع الإلكتروني اليهودي الشهير chabad.

الحكماء اليهود تراثًا بشــأن موقع الحدث الأبرز فــي التاريخ كله؟». ثم أجاب بقوله: «إنّ جبل ســيناء كان مهمًا زمن موسى عليه السلام، فقط، وأما بعد ذلك فلا أهمية له؛ ولذلك لم يحفل الأحبار بضبط مكانه»[1].

وقــال الناقــد اليهــودي **بنيامين ســومر**[2] -صاحب كتــاب «الوحــي والمرجعية: ســيناء في الأســفار والتراث اليهوديين»[3]-: «لا أحد يعرف أين طور سيناء. **العلماء ليســوا متأكدين حتى من أنها تقع في ما نســميه صحراء ســيناء،** جنوب غرب كنعان. البعض يقترح أنه قد يكون موجودًا بدلًا على الحافة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية»[4].

وقــد نشــر الحبــر اليهــودي **ألكســندر هــول** كتابــه «البحث عــن ســيناء: موضع الوحي»[5] منذ ســنتين. وفيه بحث في الجبال المرشّــحة أن تكون طور سيناء. وانتهى إلى أنّه «جبل حرب» في منطقة تبوك، وادّعى أنّه اســتفاد في بحثه من التراث الشفهي اليهودي للوصول عن طريق القرائن إلى أنّ هذا الجبل هو الأقرب إلى أن يكون الطور المقصود. علمًا أنّ عدد الباحثين الذين يرجّحون أن يكون هذا الجبل في شبه الجزيرة العربية في تنام، خاصة مع شــهادة بولس في القرن الأول أن جبل ســيناء يقع في بلاد «العربية» (الرسالة إلى غلاطية، 4/ 25).

خلاصــة البحث المعاصر أنّه لا يمكن الجزم بمكان طور ســيناء؛ فالاحتمال قائم عند النقاد أنه في شــبه جزيرة ســيناء الحالية أو في الشام أو في شبه الجزيرة العربية... ومــا تطــرّق إليه الاحتمال الجاد، ســقط به الاســتدلال فــي مقام دعــوى خطأ النص القرآني.

(1) Yehuda Shurpin, Where Is Mount Sinai? Why don't the rabbis know where it is
<https://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/4021233/jewish/Where-Is-Mount-Sinai.htm>

(2) بنيامين ســومر (1964) Benjamin Sommer: أســتاذ الكتاب المقدس فــي the Jewish Theological Seminary في نيويورك.

(3) Benjamin D. Sommer, Revelation and Authority Sinai in Jewish Scripture and Tradition (Yale University Press, 2018)

(4) Benjamin Sommer, "Sinai,"
<http://www.bibleodyssey.org/en/places/main-articles/sinai >

(5) Rabbi Alexander Hool , Searching for Sinai: The Location of Revelation (White Plains, N.Y.: Mosaica Press, New York : Feldheim, 2017)

الفصل السادس
اللغة والأسماء بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: ثقافة التأثيل اللغوي حتى عصر البعثة النبوية

الإتيمولوجيا/ الإثالة Etymology[1] علم خاص بتتبّع تاريخ الكلمات، وأصولها، وتطوّر أشكالها ومعانيها. وهو علم جاد، ومضن؛ لأنّه يدرس ظواهر تاريخيّة حيّة ومتقلّبة في أجواء ثقافية يغلب عليها التقارض، وتحرّكها عفويّة اللسان.

وقد غلب على البحث الإتيمولوجي القديم الفهم السطحي القائم على النظر في التشابه الصوتي بين الكلمات لرسم خريطة نشأتها وتحوّلها؛ ولذلك سُمّي ذاك النوع من التأثيل بالإتيمولوجيا الشعبية folk etymology .

عَرفت كثير من الأمم القديمة ظاهرة التفسير التأثيلي للألفاظ المقدسة والدنيوية. عرف ذلك الهنود القدماء، واليونان، والرومان. ولم يدخل علم الإتيمولوجيا طور مرحلة النضج الواعي حتى اكتشف اللسانيون العلاقة الأسريّة بين لغات البشر، والعلاقة الانتسالية بينها. وكان أعظم كشف هو ردّ العبريّة والآرامية والسريانية والحبشية والعربية ولغات أخرى إلى ما يُعرف بالأسرة السامية؛ فهي لغات لها أصل مشترك قديم يُسمى «Proto-Semitic»، أو الساميّة الأم، وهي لغة قيل إنّها كانت تُستعمل في الألفية الرابعة قبل الميلاد، وإن كان حسم أمر تاريخ تداولها عصيًّا على التتبّع.

والعلم بالإتيمولوجيا، وحقيقة الأصل السامي للعبرية والعربيّة، مقدّمة مهمّة في محاكمة دعاوى التأثيل المنسوبة إلى التوراة والقرآن. وهو أمر سنبحثه في الصفحات التالية؛ فإنّ فيه دلالات قوية لم يهتم بها عامة الباحثين في أصل أسفار أهل الكتاب والمسلمين.

(1) تُسمى أيضاً: علم أصول الكلمات.

المبحث الأول:
التأثيل اللغوي في الكتاب المقدس

الكتب الخمسة التي تنسب إلى موسى -عامتها- صناعة شعبية متأخرة جمعَت إلى التراث المتلقى من الأجيال السابقة، ثقافات العصر وأغراض المؤلفين. وتظهر أغراض المؤلفين في كثرة التلاعب بمعاني الأسماء في القصص التوراتي؛ إذ إنّ عامة الربط بين الأسماء والأحداث فاسد لغويًا لاعتماده على الجانب الصوتي للأسماء لا الاشتقاقي الصحيح الموثوق أو الراجح؛ حتّى قال الناقد غ.ج. **وينهام**[1] عن عامة التأثيل التوراتي: «التحليل اللغوي [للأسماء] ليس علميًا؛ التفسير مرتبط بالاسم بسبب جرسهما المتماثل»[2]. وهو ما فصّله الناقد **ك.أ. ماثيوز**[3] بقوله في تفسيره لسفر التكوين: «تسميةُ مكان ما أو شخص ما على أساس تشريح لغوي شعبي أمر شائع في الكتاب المقدس وفي سفر التكوين على وجه الخصوص[4]. هنا لدينا صيغة التسمية المألوفة حيث يظهر فعل «نادى» «קרא» [قرا] و«اسم» «שֵׁם» [شِيم] بشكل مشترك، وغالبًا ما يسبق ذلك: «لذلك» «עַל כֵּן» [عَلْ كِين]. وهكذا، فإنّ الصيغة تقول: «هذا هو السبب في أنه / أنها / أنهم أطلقوا عليه / عليها / على الشيء اسم كذا». عادة ما تكون مناسبة التسمية حادثة عند الولادة أو حدث مهم في مكان معين. أصل الكلمة ليس لغويًا ولكنه مشتق من التشابه في الصوت بين الاسم والحادث في العرض»[5]. أي إنّ كُتّاب الأسفار المقدسة -خاصة سفر التكوين- كانوا يشرحون

(1) غوردون ج. وينهام (1943) Gordon J. Wenham: ناقد بريطاني متميّز في الدراسات التفسيرية للعهد القديم. عمل أستاذًا للعهد القديم في عدد من الجامعات البريطانية.

(2) G. J. Wenham, Genesis 1-15, p.128

(3) كنث.أ. ماثيوز Kenneth A. Mathews: أستاذ العهد القديم والعبرية في Beeson Divinity School.

(4) أشار كنث.أ. ماثيوز في الهامش إلى وجود شرح لغوي لسبب التسميات 19 مرّة.

(5) K. A. Mathews, Genesis 1-11:26 (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001), p.485

سـبب ظهور الأسماء بغير الطريق العلمي، وإنّما بملاحظتهم الساذجة لتشابه حروف الكلمات.

ولبيان وجه التخليط في ربط أسـماء الأماكن والأشخاص بالأحداث على صورة ملفّقة، غير علمية، وجب أن نورد أهم الأمثلة لذلك.

المثال الأول: أصل اللغة وأسطورة بابل

يفسّر الكتاب المقدّس تعدد لغات البشر، تفسيرًا خرافيًا بقوله: «وَكَانَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ أَوَّلًا بِلِسَـانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ .وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَـرْقًا وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضِ شِـنْعَارَ فَاسْـتَوْطَنُوا هُنَاكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَيَّا نَصْنَعُ طُوبًا مَشْـوِيًّا أَحْسَنَ شَـيٍّ». فَاسْـتَبْدَلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطِّينَ بِالزِّفْتِ .ثُمَّ قَالُوا: «هَيَّا نُشَـيِّدْ لأَنْفُسِـنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا يَبْلُغُ رَأْسُـهُ السَّمَاءَ، فَنُخَلِّدَ لَنَا اسْمًا لِئَلَّا نَتَشَتَّتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كُلِّهَا». وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْـهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا .فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كَانُوا، كَشَـعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطِقُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذًا عَلَيْهِمْ أَيُّ شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِهِ. هَيَّا نَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلْبِلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لاَ يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلامَ بَعْضٍ». وَهَكَذَا شَـتَّتَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى سَـطْحِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَكَفُّوا عَنْ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ بَلْبَلَ لِسَانَ أَهْلِ كُلِّ الأَرْضِ، وَبِالتَّالِي شَتَّتَهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ كُلِّهَا». (تكوين 11/ 1–9)

تقـع مدينة بابل القديمة على نهر الفرات، 50 ميلًا من بغداد. واسـمها السـومري القديم: ك–دنجر–را، بالمعنى الذي فهمه السـومريون: «بوابة الإله»، ثم انتقل الاسم إلـى الأكاديـة: باب إلِ 𒆍𒀭𒊏𒆠 بالمعنى السـابق نفسـه[1]. ثم دلّـت النقوش أنّ الاسـم تطوّر ليغدو «باب الآلهة»: «باب إلانـو»، وباليونانية: «Βαβυλών» أي [باب الآلهة].. وصار الاسم يُكتب في العبرية: « בָּבֶל » [بابل].

(1) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.74

تشير الروايات البابلية المكتوبة المتعلّقة ببناء مدينة بابل أنّها قد بُنيت في السماء من قبل الآلهة كمدينة سماوية، تعبيرًا عن الفخر بهذه المدينة[1]، وتضيف هذه الروايات أنّ المدينة قد بُنيت بلبنات من الطين نقش على كلّ منها اسم الإله البابلي مردوخ. كما تم تشييد «زقورة» « Ziggurat»، وهي برج عال مدرّج. وكان ذلك لأوّل مرة في بابل. وقد أصبح هذا الجبل الاصطناعي مركز العبادة في المدينة، إذ يقع في أعلاه معبد صغير. وكان البابليون يفخرون كل الفخر بهذا البناء، ويرون أنّ مدينتهم ليست فقط عظيمة بطبيعة بنائها المنيع، وإنّما هي أيضًا مدينة سماوية: باب إلِ: بوّابة الإله[2].

وما جاء في سفر التكوين من ردّ اسم «بابل» إلى أنّ الربّ خشي من قوّة الناس لما كانت لغتهم واحدة أن يتّحدوا، فبلبل ألسنتهم؛ ولذلك تعدّدت بذلك لغاتهم، مما أضعف قوتهم ومنع إمكان اتحادهم للمكر به؛ فأصله رد اسم مدينة «בָּבֶל» [بابل] إلى فعل بَلْبَلَ בַּלְבֵּל [بَلبِلْ]:

وهاهنا تصوّر شنيع للخالق سبحانه؛ إذ تظهر هذه القصّة الخرافيّة الإله المعبود في مقام من يخشى أن يبلغ خلقه مرتبته في القوّة والسلطان إن اجتمعوا واتّحدوا وقَوِيت بيضتهم؛ وهو تصوّر قريب ممّا كان يرِد في الأساطير اليونانيّة والشرقيّة حيث الحسد والصراع المضطرم بين الآلهة فيما بينها، أو بين الآلهة والبشر!

وقد أجمع النقاد على خطأ مؤلف سفر التكوين في ما ادّعاه في أصل تسمية «بابل»؛ حتى كتب الناقد **كلوس وسترمان**[3] تعليقه الغاضب والساخر: «دعوى أنّ المدينة التي على نهر الفرات يُفسّر اسمها عن طريق الفعل العبري בלל [بلل]، الذي لا يشابه اسم بابل إلا قليلًا، مؤشر على المستوى الثقافي الذي ظهرت فيه هذه «الإتيمولوجيات

(1) Enuma Elish VI, lines 55-64

(2) J. F. Walvoord, R. B. Zuck & Dallas Theological Seminary, The Bible Knowledge Commentary: An exposition of the scriptures (Wheaton, IL: Victor Books., 1985), 1/44

(3) كلوس وسترمان (Claus Westermann (1909-2000: ناقد كتابي ألماني. أحد أهم العلماء المتخصصين في العهد القديم في القرن العشرين. درّس في Heidelberg University.

الشعبية» للهواة[1]. وهي متكررة في الطبقات الأولى من العهد القديم...

لقد فهم البابليون اسـم بابل على أنه يعني: «بوابـة الإله». وكان العبرانيون يحبون افتـراض أنّ الكلمة تعني «مختلط، مرتبك». هنا، كما هو الحال في العهد القديم، من الواضح أنّ تحليل أصل الكلمة المعروضة شعبيٌ -تفسير الاسم بالاستناد على كلمة لها الصوت نفسه- وليس تحليلًا علميًا لأصل اللفظ»[2].

ليسـت كلمة «بابـل» «בבל» من «بلل» «בלל»- التي هـي اختصار لكلمة «بلبل» «בלבל» العبريّة[3]- بمعنى «بلبل» و«مزج» في العربية، وإنّما هي تعني «باب إل» أي «باب الربّ»؛ وكما يقول «**جرهارد فون راد**»[4]: «هذا التفسير لكلمة «بابل» هو بداهة لا معنى له إتيمولوجيًا، إنّه **اختلاق شـعبي**»[5]، وقد كان الاسم في الأكاديّة «باب إلو» بالمعنى السابق نفسه، قبل أن يسيء مؤلّف سفر التكوين فهمه، أو يزيّف معناه**!**[6]

وذهب عالم السـومريات الكبيـر **صاموئيل كريمر**[7] إلى أنّ قصّة بلبلة لغة البشـر في سـفر التكوين مأخوذة من الأسطورة السـومرية «إِنْمِرْكَرْ وَرَبُّ أَرَتّا»[8]. وقد نوزع فـي ذلك.. ويبقى الأمر على كلّ حال فائحًا بريح الأسـاطير الأولى عن صراع الآلهة والبشر.

---

(1) "Amateurish "popular etymologies

(2) C. Westermann, A Continental Commentary: Genesis 1-11, pp.553-554

(3) See George James Spurrell, Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis (Oxford: Clarendon Press, 1887), p.118

(4) جرهـارد فون راد Gerhard Von Rad (1901-1971): لاهوتي ألماني. درّس العهد القديم في Ruprecht Karl University.

(5) Gerhard Von Rad, Genesis: A Commentary (Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972), p.150

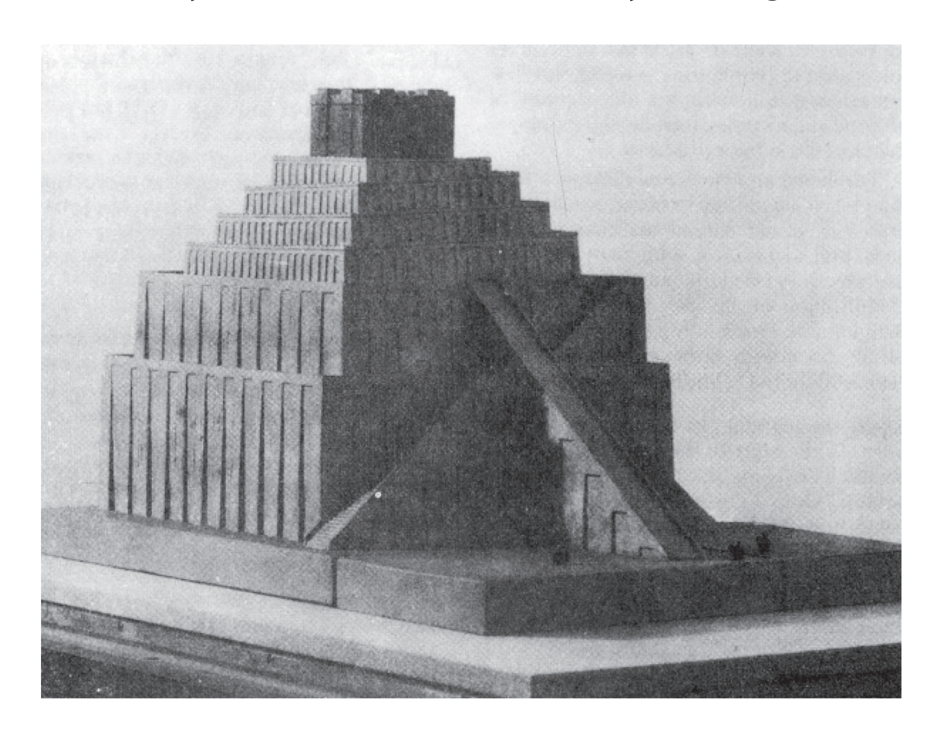
(6) See William Ricketts Cooper, An Archaic Dictionary (London: S. Bagster and Sons, 1876), p.116

(7) صموئيل نوح كريمر Samuel Noah Kramer (1897-1990): أحد أهم علماء اللغة والتاريخ الآشـوريين في القرن العشرين. ولد في روسيا (القديمة)، وعاش في الولايات المتحدة الأمريكية.

(8) S.N. Kramer, "Babel of Tongues": A Sumerian Version. Journal of the American Oriental Society, 1986, 88: 108-111

مثال للزقورة التي خلط اليهود بينها وبين برج بابل المزعوم

Courtesy Oriental Institute of University of Chicago[1]



أمّا القرآن الكريم، فلا يتابع الكتاب المقدّس في شـيء ممّا سبق، وإنّما يسوق أمر تعدد لغات الناس سَـوق المنّ على البشـر وإظهار فضل الله عليهم؛ بما ينفي بصورة تامـة التفسـير التوراتـي الوثنـي؛ قـال تعالـى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2].. فتعدّد اللغات آية من آيات عظمة الخالق سـبحانه .. وكفـى .. وليس مظهرًا من مظاهر صراع الربّ مع البشر وخوفه من اجتماعهم ضدّه!

---

(1) K. L. Barker, Expositorś Bible Commentary (Abridged Edition: Old Testament) (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994), p.20.

(2) سورة الروم/ الآية (22).

المثال الثاني: إبراهيم

تكوين 17/ 5

فَلا يُدْعَى اسْـمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي **أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ**.	וְלֹא־יִקָּרֵא עוֹד אֶת־שִׁמְךָ אַבְרָם וְהָיָה שִׁמְךָ אַבְרָהָם כִּי אַב־הֲמוֹן גּוֹיִם נְתַתִּיךָ

زعم مؤلّف سـفر التكوين أنّ الربّ قد غيّر اسـم نبيّه من أبرام אַבְרָם إلى أبراهام אַבְרָהָם؛ فجعل اسـمه الجديد بمعنى: أبٌ لجمهور من الأمم. فاسم إبراهيم –على هـذه الدعوى– يتكون من مقطعين: أب+راهام. غير أنّ العبريّة لا تعرف كلمة راهام، ولا توجد فيها مادة يمكن اشـتقاقها منها. ولذلك اقترح **دِلمان** أن يكون أصل أبراهام אביר הם [أبير هام]، أي رئيس الجماهير. وهي دعوى متعسّـفة لأنّ [هام] كلمة لا وجـود لها في العبرية بهذا المعنـى، كما أنّ أبير تعني القـويّ لا الرئيس[1]. وكان ابن عزرا قد زعم أنّ أصل الاسم: אביר המון [أبير همون] أي جمهور قوي. وذاك أولًا تلاعب بالأحرف، وثانيًا لا يوافق معنى الاسم كما زعمه مؤلف سفر التكوين.

المثال الثالث: إسرائيل

تكوين 32/ 28:

فَقَـالَ: «لاَ يُدْعَـى اسْـمُكَ فِي مَـا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ **إِسْـرَائِيلَ**، لأَنَّـكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ».	וַיֹּאמֶר לֹא יַעֲקֹב יֵאָמֵר עוֹד שִׁמְךָ כִּי אִם־יִשְׂרָאֵל כִּי־שָׂרִיתָ עִם־אֱלֹהִים וְעִם־אֲנָשִׁים וַתּוּכָל

(1) ف. عبـد الرحيـم، الإعـلام بأصـول الأعـلام الـواردة فـي قصص الأنبيـاء عليهـم السـلام (دمشـق: دار القلم، 1413هـ/ 1992م)، ص23.

يخبرنا نص تكوين 32/ 24–26 أنّ يعقوب عليه السلام قد صارع الربّ (!)، حتى اضطر الربّ إلى أن يطلب منه بكل وجل أن يطلقه، فاشترط عليه يعقوب عليه السلام أن يباركه.

وقد قال الربّ ليعقوب في آخر حديثه معه في هذه القصّة إنّه سيغيّر اسمه من يعقوب إلى إسرائيل « لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ » « כִּי־שָׂרִיתָ עִם־אֱלֹהִים וְעִם־אֲנָשִׁים וַתּוּכָל ». «جاهدتَ» «שָׂרִיתָ» [سَاريتا]، من فعل «שׂרא» [سرا] بمعنى «قاوم»، «جاهد». فهل سُمّي «يعقوب» باسم «إسرائيل» لأنّه صارع الربّ وانتصر عليه؟!

الجواب من أوجه:

الوجه الأول: ما قدّمته القصّة يعكس تصورًا وثنيًا منكرًا لمعنى الألوهية، وهو ما اضطر مؤلّف سفر هوشع إلى أن يحرّف القصة ليصبح الصراع بين يعقوب وملك من الملائكة (هوشع 12/ 3–4) رغم أنّ النص العبري صريح في أنّ الصراع كان بين يعقوب وإلوهيم (אלהים) لا ملاك إلوهيم (تكوين 32/ 28). كما أنّ تتمّة القصّة تقول: «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تكوين 32/ 30). وكلمة פְּנוּאֵל [فنوئيل] تتكون من مقطعين –على دعوى التوراة–: بانيم[1] פָּנִים أي وجه، وإيل אל أي الله (وجه الله).

الوجه الثاني: يقول تفسير Harper’s Bible commentary إنّ الأصل اللغوي لاسم «إسرائيل» في التوراة لا يمكن الدفاع عنه فيلولوجيًا[2]. ويكشف الناقد **ناحوم م. سارنا** أنّه لا يوجد حل مَرْضِيٌّ إلى الآن لتفسير الفعل المدغم في اسم الإله في كلمة «يسرائيل»، وحتّى تظهر حجج فيلولوجيّة جديدة، سيبقى الحل بعيدًا عن أيدينا[3].

(1) الفاء تنطق P في أول الكلمة العبرية.

(2) J. L.Mays, Harper’s Bible commentary (San Francisco: Harper & Row, 1996), Ge 32/24

(3) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.404

والمشكلة اللغوية الأساسية في زعم التوراة، أنّ الاسم قد يعني (بافتراضنا أنه جاء من الفعل «صارع» +«إل»): «الله يصارع» أو «فليصارع الإله (غيره)» [1]

وقد اقترح علماء العبرية بدائل تفسيرية أخرى للاسم، ومن ذلك إيل אל [إيل] (الإله) هو الحاكم، أو إيل محارب[2]، أو إيل يشفي، أو إيل يُشرق[3]، واختار كل من المترجمين اليونان (الترجمات: السبعينية وأكيلا وسيماخوس) والفولجاتا اللاتينية والبشيطا السريانية، ردّ الاسم إلى فعل שרר [سرر] بمعنى حكم أو كان قويًا.

الوجه الثالث: أشار كثير من الباحثين إلى الأصل الوثني لقصة صراع الإله مع يعقوب، مع تفاوت في بعض التفسير، ولذلك جاء في تفسير The Collegeville Bible commentary: «تتضمّن القصة عناصر مأخوذة من مصادر قديمة جدًا. غالبًا ما يتم العثور على موضوع وجوب استرضاء إله النهر بطريقة ما للسماح له بعبور النهر في الفولكلور القديم. هناك أيضاً فكرة من الفولكلور القديم أن قوة كائنات خارقة معينة تعمل فقط في الليل، ويجب على هذه القوى المغادرة أو خسارة الخصومات عند الفجر»[4].

وقال اللاهوتي اللبناني الأب **بولس الفغالي**: «يبدو أن الكاتب استقى عناصر هذا الخبر من القصص القديم عن الجن والعفاريت التي تقف قرب السواقي والأنهار وتمنع المارِّين من عبور المياه دون رضاها. غير أنه ترك ما فيها من أسطورة وحمَّلها معنى روحيًا عميقًا ألا وهو صراع يعقوب مع الله، أو صراعه مع ذاته قبل أن يستسلم إلى الله، وحصوله منه على بركة له ولنسله»[5].

---

(1) Ibid

(2) A. Dillmann, Genesis Critically and Exegetically Expounded (Edinburgh: T&T Clark, 1897), 2/279

(3) K. A. Mathews, Genesis 11:27-50:26 (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2007), p.559

(4) D. Bergant & R. J. Karris, The Collegeville Bible commentary, p.69

(5) بولس الفغالي، سفر التكوين (بيروت: المكتبة البولسية، 1408هـ/ 1988م)، ص 350.

المثال الرابع: موسى

خروج 2/ 10:

וַיִּגְדַּל הַיֶּלֶד וַתְּבִאֵהוּ לְבַת־פַּרְעֹה וַיְהִי־לָהּ לְבֵן וַתִּקְרָא שְׁמוֹ מֹשֶׁה וַתֹּאמֶר **כִּי מִן־הַמַּיִם מְשִׁיתִהוּ**	وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «**مُوسَى**» وَقَالَتْ: «**إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ**».

يشرح لنا نص خروج 2/ 10 سبب تسمية موسى النبي عليه السلام باسمه، وهو ما يكاد يختفي في الترجمة العربية التي حذفت كلمة «כִּי» [كِي] أي «لأنّ» بعد كلمة «قالت»؛ فتسمية هذا النبي باسم موسى سببه أنّه انتُشِل من الماء.

والأمر يظهر للقارئ إذا قرأ النص العبري: «מִן־הַמַּיִם מְשִׁיתִהוּ»، ونقحرته: «مِنْ همّايم مِشِيتِهُو» أي من المياه/ الماء انتشلته، ولذلك كان اسمه بالعبريّة «מֹשֶׁה» [موشيِ]، من فعل «מָשָׁה» [مَاشَا] أي انتشل. وما جاء هنا مشكل من ثلاثة أوجه عظيمة:

الإشكال الأول: نكارة تسمية ابنة فرعون المتألّه الرضيع باسم عبري بلسان أقلية مرذولة مضطهدة! لقد كان المصريون في عين أنفسهم السادة، وما الأقليات التي تعيش بينهم غير أغيار بلا قيمة، وكانت الأقلية الإسرائيليّة تعاني الاضطهاد والتهميش. ولا يمكن في هذا السياق تصوّر أن تختار ابنة الحاكم المتألّه اسمًا للولد الذي ستدخله قصر الحاكم من لغة الأقليّة الإسرائيليّة، خاصة أنّها لم تختر الاسم اعتباطًا، أو لحلاوة جرسه (كما يفعل بعض الناس اليوم)، وإنّما لأنّه مرتبط في اللغة العبريّة بتفسير حادثة العثور على الوليد.

وقد أدرك اليهود منذ القدم نكارة ظاهر النص فزعم المؤرخ اليهودي **يوسيفوس**[1] والفيلسوف اليهودي **فيلو**[2] أنّ أصل الاسم من المصريّة من كلمة ماء المصرية (𓈗) التـي هي «مُوي»، والتي بقيت على الصورة نفسـها فـي اللغة القبطية التي يعرفها **فيلو**[3].

الإشـكال الثاني: اسم موشي في العبرية على صيغة اسم الفاعل لا اسم المفعول، بمعنـى «مُنتشَـل»، على خلاف ما يفهم مـن نص خروج 2/ 10. واسـم المفعول في العبريّة لفعل [ماشـا] هو «ماشـوي» « מָשׁוּי » أي مُنتشَل. ولذلك لا معنى هنا للقول: وَدَعَت [ابن فرعون] اسْـمَهُ «منتشِـل» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَـلْتُهُ مِنَ الْمَـاءِ»! وهو أمر نبّه عليـه الناقد **ناحوم سـارنا** بقوله: «فسّـرت الأميرة الاسـم وكأنّه على صورة ماشـوي «المنتشَل»، اسم مفعول، في حين أنّه على الحقيقة اسم فاعل «المنتشِل»»[4].

الإشكال الثالث: الاسم يعني: «طفل» باللغة المصرية القديمة. وينقل الناقد **فكتور هاملتون**[5] «الإجماع اليوم على أنّ «موسـى» اسـم أصله جذر مصري «مس» بمعنى: «طفل»، «مسس» بمعنى: «وُلِد»»[6].

ويشـرح الناقد **إ.ج. درهام** الأمر بقوله: «اسم «موسى» هو المقابل العبري للاسم المصـري «صبي/ طفل»، من الفعل «مسـي» «ولـدت». تظهر هذه الكلمـة أيضاً في الأسماء المصرية، على سـبيل المثال «بتاحموس» و«تحتموس» و«أحموس» ... لم

(1) Josephus, Antiquities of the Jews, 2:9.6

(2) فيلو السـكندري (25 – 50 ق م) Philo of Alexandria: فيلسـوف يهودي عاش في الإسـكندرية. عرف بأسـلوبه المجازي في تفسير الأسفار المقدسة.

(3) Philo, 'On the Life of Moses'" in Outside the Bible: Ancient Writings Related to Scripture, Louis H. Feldman, James L. Kugel, Lawrence H. Schiffman, eds (Philadelphia: Jewish Publication Society, 2013), p.968

(4) Nahum M. Sarna, Exodus (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1991), p.10

(5) فكتور ب. هاملتون(Victor P. Hamilton -1941): أستاذ العهد القديم واللاهوت في Asbury University.

(6) R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., Theological Wordbook of the Old Testament (Chicago: Moody Publishers, 2003), p. 530.

يكن مؤلّـف العهد القديم يعرف ذلك، وإلّا لم يكن ليخترع أصلًا لغويًا على أســاس جرس الكلمة، ويحوّل أميرة مصر إلى امرأة تتحدّث العبرية»[1].

ويشــرح الناقد **توماس دوزمان**[2] أمر الأســماء الفرعونية المتضمنة لعبارة (ولد/ ابن) بقوله: «تُســتخدم الكلمة في أسماء الفراعنة، مثل تحتموس. «تحت» أو «تحث» اســم إله القمر المصري ممثَّلاً كحلقة أبي منجـل أو بابون، ويرتبط بالحكمة والكتابة والحكومة الحكيمة. اسم تحتموس يعني «ابن تحت»»[3].

وهــو ما قـرّره أيضًا الناقد **كنـث ل. باركر**[4] بقولـه: «أصبح يُنظر اليوم إلى اســم موســى بصورة عامة بين النقاد أنّه اسم مصري بســبب أنّ الأميرة المصرية لها الفضل في تســمية موسى، وبســبب مشــابهته الأســماء المصرية مثل بتاحموس، تحتموس، أحموس، ورامو س»[5].

تلك إذن أخلاط وأخطاء لغوية جليّة، وهو ما اضطر المفسّــر اليهودي الشــهير **ابن عزرا** أن يقول إنّ «موشــي» -الاســم العبري في التوراة- ليس هو اســم موســى عليه السلام، وإنّما هو ترجمة لاسمه المصري مونيوس: «الاسم موسى ترجمةٌ من اللسان المصري إلى اللســان العبري. واســمه باللســان المصري: مونيوس» «שם משה - מתורגם מלשון מצרי בלשון הקדש, ושמו בלשון מצרים היה מוניוס»، دون برهــان تاريخي أو لغوي من ابن عزرا، ودون دفاع عن التحليل اللغوي التوراتي للاسم باعتباره «المنتشَل»!

---

(1) J. I. Durham, Exodus (Dallas: Word, 2002), 3/17

(2) توماس دوزمان Thomas Dozeman: أستاذ العهد القديم واللغة العبرية في United Theological Seminary.

(3) T. B. Dozeman, Commentary on Exodus (Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2009), p.81

(4) كنـث لي باركر Kenneth Lee Barker (1931): أســتاذ العهد القديم والعبرية فــي Dallas Theological Seminary. شارك في أكثر من ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس.

(5) K. L. Barker, Expositorś Bible Commentary, p.67

المثال الخامس: يوسف

تكوين 30/ 23:

فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا فَقَالَتْ: «قَدْ **نَزَعَ** اللهُ عَارِي».	וַתַּהַר וַתֵּלֶד בֵּן וַתֹּאמֶר **אָסַף** [أسف] אֱלֹהִים אֶת־חֶרְפָּתִי

تكوين 30/ 24:

وَدَعَتِ اسْمَهُ «يُوسُفَ» قَائِلَةً: «**يَزِيدُنِي** الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ».	וַתִּקְרָא אֶת־שְׁמוֹ יוֹסֵף [يوسيف] לֵאמֹר **יֹסֵף** יְהוָה **לִי** בֵּן אַחֵר

بعد سنوات العقم والقلق، حملت راحيل -زوج يعقوب عليه السلام- وولدت، وسمّت ابنها يوسف عليه السلام. ويشهد النقاد في تفاسيرهم لسفر التكوين أنّ نص تكوين 30/ 23-24 يقدّم تحليلين لغويين مختلفين لاسم يوسف؛ التفسير الأوّل برد الاسم إلى فعل «نزع» «אסף» [آسف]، والتفسير الثاني يردّه إلى فعل «زاد» «יסף» [يَسَف].

يقول الناقد **ناحوم م. سارنا**: «نزع» و«زاد» تحليلان لغويان مختلفان للكلمة نفسها، يتعلّق الفعل الأوّل بالسنوات الماضية التي فيها عار وكرب، ويتعلّق الثاني بالمستقبل بمدى أكبر من الفرح»[1]. ويشاركه الناقد **غ.ج. وينهام** قوله في التفسير المزدوج هنا، مضيفًا أنّ الاسم في حقيقته مثل أسماء بقيّة الأنبياء على صيغة «سيفعل... الله»، فاسم يوسف مختصر عن «ليزد الله [ولدًا آخر]» «יוסף-אל»، وأشار إلى اسم يوسفيا في

(1) Nahum M. Sarna, Genesis. English and Hebrew, p.210

عزرا 8/ 10 حيث الياء الممدودة في آخر الاسم مختصر لاسم الله[1].

المثال السادس: قايين

تكوين 4/ 1

وَعَـرَفَ آدَمُ حَـوَّاءَ امْرَأَتَـهُ فَحَبِلَـتْ وَوَلَـدَتْ قَايِينَ. وَقَالَـتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ».	וְהָאָדָם יָדַע אֶת־חַוָּה אִשְׁתּוֹ וַתַּהַר וַתֵּלֶד אֶת־קַיִן וַתֹּאמֶר **קָנִיתִי** אִישׁ אֶת־יְהוָה

ولدت حوّاء ابنها «قايين» «קַיִן» [قاين]. وقد سمّته هذا الاسم لأنّها «اقتنت» بهذا الولد رجلًا عند الربّ. وفعل «اقتنى» بالعبرية «קָנָה» [قَانا].

يقـول الناقـد غ.ج. **وينهـام**: «الأصـل اللغوي لاسـم قاييـن الذي يقدّمـه النص «شاعري»؛ إذ لا توجد صلة جوهرية بين קין [قاين] و קנה [قانا]. وهذا الأمر من هذه الجهة يشـبه الأصول اللغوية لـشيث 4/ 25؛ ونوح 5/ 29 ؛ ولاوي 29/ 34، ويهوذا 29/ 35، وما إلى ذلك»[2]، ثم أشـار إلى أنّ هذا الاسم يُربط عادة بمهنة الحدادة على أساس الكلمة العربية «قينون» والآرامية קינאה. وذهب الناقد **أمبرتو كسّتو**[3] إلى أنّ اسم قاين بمعنى الشيء المخلوق[4].

ويبقـى الأمـر أنّ ربط التوراة اسـم قايين بمعنـى الاقتناء لا يسـتقيم لغة، وهو من سذاجة التفسير العبري في التوراة للاسم تبعًا للجرس الصوتي للكلمات لا للاشتقاق اللغوي؛ ولذلك قال الناقد **جيمس ماك كيون**[5]: «بصرف النظر عن الجرس الصوتي،

(1) G. J. Wenham, Genesis 16-50, p.249

(2) G. J. Wenham, Genesis 1-15, p.101

(3) أمبرتو كسّتو (Umberto Cassuto (1883-1951: حبر يهودي، وناقد كتابي فرنسي.

(4) المصدر السابق.

(5) جيمس ماك كيون James Mckeown : أستاذ العهد القديم واللغة العبرية في Theological College , Belfast.

كلّ رابط آخر بين الكلمتين غير محتمل»[1].

ووجه الاستشكال الأكبر لرفض معنى الاقتناء في فعل קָנִיתִי [قانيتي] -كما يقول الناقد **جون سكنّر**[2]- أنّ ذلك لا يستقيم مع تركيب الجملة باستعمالها في آخرها عبارة אֶת [إيت] قبل كلمة: يهوه (الله)؛ إذ هي أداة مفعولية لا تترجم، وإنما يُميَّز بها أساسًا بين الفاعل والمفعول به. ولذلك يعني هذا النص -إن قبلنا أنّ الفعل بمعنى الاقتناء-: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مع الله[3]. وذاك معنى منكر!

وقد حاول الناقد **دِلمان** أن يخرج من الإشكال بقوله إنّ أداة المفعولية [إيت] هنا استُعملت بمعنى עם [عم] أي مع. ولكن ردّ عليه الناقد **وسترمان** ببيانه أنّ جميع الأمثلة التي ساقها **دلمان** استُعملت فيها عبارة «مع» دائمًا لبيان أنّ الله يعين الإنسان لا العكس[4].

وحاول المترجمون الفرار من المعنى المنكر للأصل العبري، ومن هذه الترجمات، الترجمة اليونانيّة التي ذكرها **أريجانوس** «εκτησαμην ανθρωπον κυριον»[5] «لقد اقتنيت رجلًا، هو ربٌّ»؛ فنقلت الترجمة الأصل العبري يهوه יהוה -اسم خاص بالإله في العبرية- إلى كوريوس κύριος التي تستعمل لمعان، منها الربّ السيّد من البشر أساسًا، لا ثيوس Θεός التي تُستعمل للربّ الإله.

واختارت ترجوم أونكليوس «ואמרת קניתי גברא מן קדם יוי» أي: «وَقَالَت: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً من قدّام يهوه».

وأمّا ترجمة البشيطا السريانية، فقد اختارت السير أبعد عن الأصل؛ فاختارت: «ܘܐܡܪܬ ܩܢܝܬ ܓܒܪܐ ܠܡܪܝܐ» أي: «وَقَالَتِ: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً للربّ».

(1) J. McKeown, Genesis, p.39

(2) جون ج. سكنّر John J. Skinner: ناقد متخصص في دراسات العهد القديم. عميد Westminster College في بداية القرن العشرين.

(3) J. Skinner, A Critical and Exegetical Commentary on Genesis (New York: Scribner, 1910), p.102.

(4) Westermann, Genesis 1-11, pp.290-291

(5) M. W. Scarlata, Outside of Eden: Cain in the Ancient Versions of Genesis 4.1-16 (New York, NY : T & T Clark International, 2012), p.34

ويبدو أنّ اليهود قد أرادوا الهروب بصورة أعظم من نكارة الصياغة العبريّة الأصليّة؛ ولذلك جاء في مدراش تكوين ربا בְּרֵאשִׁית רַבָּה 22/ 2 أنّ تصريح حواء يعني أنّه بإنجابها ابنها صار زوجها ملكًا لها؛ فكأنّها اقتنته بهذا الولد. واختارت النسخة العبرية الأولى المطبوعة: «ואמרת קניתי גברא מלאכא דה» أي «وَقَالَتِ: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً، ملاك الربّ»!

النص العبري الأقدم منكر المعنى، ولا يستقيم تأصيله اللغوي لاسم قايين. وكثرة الترجمات المحرّفة للأصل كاشفة لذلك.

المثال السابع: نوح

تكوين 5/ 29

وَدَعَا اسْمَهُ نُوحًا، قَائِلاً: «هذَا يُعَزِّينَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ الَّتِي لَعَنَهَا الرَّبُّ».	וַיִּקְרָא אֶת־שְׁמוֹ **נֹחַ** לֵאמֹר זֶה **יְנַחֲמֵנוּ** מִמַּעֲשֵׂנוּ וּמֵעִצְּבוֹן יָדֵינוּ מִן־הָאֲדָמָה אֲשֶׁר אֵרְרָהּ יְהוָה

يُفهم من نص تكوين 5/ 29 أنّ اسم نوح «נֹחַ» [نُوحْ] مشتق من فعل عزّى «נָחַם» [نَاحَم] العبري. وبعيدًا عن إشكالية حديث نوح عليه السلام العبرية قبل عصر موسى عليه السلام بقرون كثيرة، نقول: هذا تأثيل فاسد؛ لاختلاف حروف الكلمات بما يمنع دعوى اشتقاق الأوّل من الثاني.

وقد جاء في هامش دراسة الكتاب المقدس The Oxford Study Bible: Revised English Bible with Apocrypha، تعليقًا على نص تكوين 5/ 29 : «عزاء: [أصلُ التسمية] الإتيمولوجيا الشعبية. الاسم نوح مشتق من فعل «ارتاح»»[1].

(1) M. Jack Suggs, et al. The Oxford Study Bible: Revised English Bible with Apocrypha (New York : Oxford University Press, 1992), p.16

وقال الناقد **ناحوم م. سارنا**: « نوح: الاسم على هذا النحو لا مثيل له في المصادر التوراتيــة وخــارج الكتاب المقدس. يبدو أنّ الاســم مســتمد من الجــذر ن–و–ح : «ارتاح» . وهناك ســجلات لأسماء شــخصيات أكادية وأمورية مركبة من هذا الاسم. يستند التفسير الوارد في الرواية إلى التشابه الصوتي، لا إلى أصل الكلمة إتيمولوجيًا؛ إذ إنّ كلمة نوح لا يمكن أن تُستمد من ن–ح–م، «عزّى، أغاث»»[1].

المثال الثامن: رأوبين

تكوين 29/ 32

فَحَبِلَتْ لَيْئَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «رَأُوبَيْنَ»، لأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ **نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي**. إِنَّهُ الآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي».	וַתַּ֤הַר לֵאָה֙ וַתֵּ֣לֶד בֵּ֔ן וַתִּקְרָ֥א שְׁמ֖וֹ **רְאוּבֵ֑ן** כִּ֣י אָֽמְרָ֗ה **כִּֽי־רָאָ֤ה יְהוָה֙ בְּעָ֣נְיִ֔י** כִּ֥י עַתָּ֖ה יֶאֱהָבַ֥נִי אִישִֽׁי

يُفهــم من الأصل العبري لنــص تكوين 29/ 32 أنّ «رأوبيــن» «ראוּבֵן» [رأوبين] قد سُــمّي بهذا الاســم لأنّ الله قد رأى مذلّة ليئة زوجة يعقوب عليه الســلام. وسبب التسمية يظهر كما في الأسفل:

الأصل العبري	النقحرة	المقابل العربي
כִּי	كِي	لأنّ
רָאָה	راءى	رأى، نظر
יהוה	يهوه	الربّ
בּ	بِـ	إلى
עָנְיִי	عُونِيي	مذلتي

(1) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.44

فاسم «رأوبين» مأخوذ من «رأى» و«بـ» ونون «عنيي»! وذاك تكلّف ظاهر في انتقاء المقاطع لصناعة الاسم!

يقول الناقد **وسترمان** إنّ اسم رأوبين في ظاهره من عبارة «انظروا ابنٌ**!**» «רְאוּ בֵן» [رِئو بين] تعبيرًا من الوالدين عن فرحتهم بميلاد ابن لهما[1]. وهو ما قرّره بجزم «معجم الكتاب المقدس» الذي أشرف عليه «بطرس عبد الملك» بقوله: «اسم عبري معناه: «هوذا ابن» (تكوين 29/ 32). هو بكر يعقوب ولدته له ليئة»[2]. وذهب آخرون إلى أنّ الاسم أصله عربي من «رأبان» أي قائد، وهو اسم يوافق حال المولود البكر[3].

وردُّ الاسم إلى «رأى مذلّتي» على كلّ حال، باطل. يقول الناقد **ناحوم م. سارنا:** «تقدم القصة الحالية أصلًا فولكلوريًا للاسم، متجذرًا في تفاصيل القصة، وذلك بالتلاعب بصدى صوامت عبارة [راءى بعونيي] «نظر [الله] إلى مذلّتي»[4].

المثال التاسع: زبولون

تكوين 30/ 20

فَقَالَتْ لَيْئَةُ: «قَدْ وَهَبَنِي اللهُ هِبَةً حَسَنَةً. الآنَ يُسَاكِنُنِي رَجُلِي، لأَنِّي وَلَدْتُ لَهُ سِتَّةَ بَنِينَ». فَدَعَتِ اسْمَهُ «زَبُولُونَ».	וַתֹּאמֶר לֵאָה **זְבָדַנִי** אֱלֹהִים׀ אֹתִי **זֵבֶד** טוֹב הַפַּעַם **יִזְבְּלֵנִי** אִישִׁי כִּי־יָלַדְתִּי לוֹ שִׁשָּׁה בָנִים וַתִּקְרָא אֶת־שְׁמוֹ **זְבֻלוּן**

يُفهم من نص تكوين 30/ 20 أنّ ليئة قد سمّت ابنها زبولون لأنّها بعد أن أنجبت

(1) G. J. Wenham, Genesis 16-50, p.243
(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة: دار الثقافة، 1995، ص 393.
(3) Nahum M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.206
(4) Ibid

وليدهـا الجديد قالت: الآن يسـاكنني יִזְבְּלֵנִי [يِزْبليني] زوجي فلا يتركني؛ إذ إنّها قد أنجبت له ستة بنين.

حار المفسّـرون في فهم نص تكويـن 30/ 20؛ إذ إنّ النص واضح في لغته العبريّة في ردّه سبب التسمية إلى فعل זָבַל [زابل]. وهذا الفعل لم يستعمل في العهد القديم إلّا هنا. وبالنظر في اسـتعمال جـذر هذا الفعل في بقية أسـفار العهد القديم (1ملوك 8/ 13، 2أخبار الأيام 6/ 2، المزامير 49/ 14، إشـعياء 63/ 15، حبقوق 3/ 11) يتبيّن أنّه بمعنى مسـكن عال. وبالنظر إلى اسـتعمال الجذر فـي الأوغاريتية (أمير، مَلكية)؛ بإمكاننا أن نقترح أنّ معنى الفعل: رفع، مجّد[1]. ولذلك لا يبعد أن يكون اسم زبولون من فعل زابل. وقد دفع ذلك الناقد **ناحوم سارنا** أن يقول: «تعني كلمة [زابل] كما في ترجمات قديمة وتفاسير يهودية «سكن»، أي: «رجلي يساكنني» . ولكنّ هذا التحليل اللغوي مشكوك فيه لأنّه من المعروف اليوم أنّ جذر ز-ب-ل يعني: «رفع»»[2].

ما سـبق دفـع جمهور النقّاد إلى ردّ تسـمية زبولون إلى جـذر זָבַד [زاباد] بمعنى وهـب؛ فوقعوا في مخالفة صريحة للسـياق؛ بالإضافة إلى أنّ اسـم زبولون فيه «لام» لا «دال».

وقد علّق الناقد **جيمس بار**[3] على التخليط هنا في تأثيل اسـم زبولون بقوله إنّ ما نراه في تكوين 30/ 20 ليس تأثيلًا علميًا للأسماء، وإنّما هو ركون إلى تشابه الكلمات فقط!![4]

---

(1) Victor P. Hamilton, The Book of Genesis, Chapters 18-50, p.276

(2) Nahum M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.210

(3) جيمس بار James Barr (1924-2006): ناقد أسـكتلندي متخصص في دراسـات العهـد القديم والعبرية التوراتية. درّس في عدد من الجامعات الأمريكية والبريطانية.

(4) Barr, 'Etymology and the Old Testament', OTS 19, 1974, p.26

المثال العاشر: جرشوم

خروج 2/ 22:

فَوَلَدَتِ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ».	וַתֵּלֶד בֵּן וַיִּקְרָא אֶת־שְׁמוֹ גֵּרְשֹׁם כִּי אָמַר גֵּר הָיִיתִי בְּאֶרֶץ נָכְרִיָּה׃

معنى النص السابق لا يظهر في الترجمة العربية، وإنما يظهر في الأصل العبري، كما هو الأمر في تفسير أصل كثير من أسماء الأشخاص والأماكن؛ ذلك أنّ أصل اسم جرشوم -كما هو زعم مؤلف سفر الخروج- اجتماع كلمتين: גֵּר [جير] بمعنى «غريب/ أجنبي» و שָׁם [شام] أي «هناك».

وقد جاء في هامش الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس New American Bible في الإقرار بفساد التفسير الاصطلاحي لاسم جرشوم: «جرشوم: فُسِّر الاسم تفسيراً غير علمي كما لو أنه جاء من الكلمة العبرية «جير» بمعنى «غريب، ساكن أجنبي»، والكلمة العبرية «شام» بمعنى «هناك»».

وقال **روبرت ألتر**[1]: «يعكس حديث التسمية هنا -على سُنّة أسلوب الكتاب المقدس- الإتيمولوجيا الشعبية؛ فقد تمّ تقسيم الاسم إلى جير بمعنى ساكن، وشام بمعنى هناك، رغم أنّ جذر الاسم ج-ر-ش يشير إلى الطرد»[2]. ووافقه الناقد **ناحوم سارنا** بردّ الاسم إلى גרש [جرش] بمعنى الطرد[3].

المثال الحادي عشر: الموآبيون

تكوين 19/ 35-37: «فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ».

(1) روبرت ألتر Robert Alter (1935): أستاذ العبرية والأدب المقارن في جامعة كاليفورنيا.

(2) Robert Alter, The Five Books of Moses: A Translation with Commentary (New York: W. W. Norton & Company, 2004), p.316

(3) Nahum M. Sarna, Exploring Exodus: The Origins of Biblical Israel (New York: Knopf Doubleday, 2011), p.37

يفهم من النص السابق، ومن ترجوم يوناثان، أنّ اسم موآب العبري (مو-آب) بمعنى من ماء الأب:

من العبرية: من מִן+ أب אָב، وعند الإدغام في العبرية تحذف النون.

أو من الآرامية: ماء מוי [موي]+ أب אָב.

وقد نبّه كثير من النقاد على الأصل العنصري الفاسد للتسمية والقصّة(1)؛ فإنّ مؤلّف سفر التكوين الإسرائيلي أراد أن يحطّ من قدر الموآبيين، فاخترع لذلك قصّة تزعم أنّهم أبناء زنى محارم، بزنى لوط بإحدى ابنتيه بعد أن سقته وأختها خمرًا ليفقد وعيه. ومن قصّة أصلهم جاء اسمهم: من ماء (مني) أبيهم.

أصل اسم الموآبيين مجهول، ومن أفضل ما اقتُرِح في شأنه أنّه من אִמּוֹאָב [إمّوآب] «أمّه هي أبوه»، وذلك بملاحظة تركيبة الأسماء الآشورية(2).

المثال الثاني عشر: بُوَانَرْجِسَ

مرقس 17/ 3: « وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ، وَجَعَلَ لَهُمَا اسْمَ بُوَانَرْجِسَ أَيِ ابْنَيِ الرَّعْدِ».

زعم مُؤلِّفُ إنجيلِ مرقس 17/ 3 أنّ المسيح قد أَطْلَقَ على يعقوب ويوحنّا لقبَ «Βοανεργές» [بُوَانَرْجِسَ]. وفَسّرَ اللَّقَبَ أنه يعني: «ابْنَا الرَّعْد». وهذا غلطٌ من وجهَيْنِ:

1 -«ابنا» في الآرامية «בני» (بِنِي) لا «بوا». وكلُّ محاولةٍ لُغويّةٍ لجعلِ «بوا» بمعنى «ابني»، تَبَيَّنَ فسادُها وتَكَلُّفُها. ولذلك جاء في المعجم الشهيرُ: «معجم يوناني-إنجليزي للعهدِ الجديدِ والأدب المسيحي الآخَر المبكّر»: «الصعوبةُ المتعلّقةُ بصوائتِ vowels «بُوا» لم تُحلَّ بعد».(3)

2 - «رعد» تقابِلُ «רעם» (رَعَم) لا «רגש» (رجس). ولذلك ذهب قِدّيسُ الكنيسةِ جيروم إلى أنّ الكلمةَ الأصلَ هي: «بني رعم» لا «بني رجس». وهو أيضًا اختيارُ مارتن لوثر.(4)

---

(1) H. C. Leupold, Exposition of Genesis (Baker Book House, 1942), p.576

(2) Ibid

(3) Walter Bauer, *et al*. *A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature*, Chicago: University of Chicago Press, 2021, 4th edition, p.158

(4) Adam Clarke, *The Holy Bible: Containing the Old and New Testaments*, J. Emory and B. Waugh, 1832, 5/277

المبحث الثاني:
هل في القرآن أخطاء في التأثيل اللغوي؟

ليس في القرآن تصريح بتفسير أسماء الأنبياء وبقية الشخصيات المذكورة في قصصه، وإن أشار بعض المحقّقين إلى أنّه كان يلمّح إلى ذلك في سياقات ذكر أسماء هذه الشخصيات[1]. وقد حاول بعض المستشرقين والمنصّرين الطعن في صواب استعمال القرآن لأسماء لها مقابل في الكتاب المقدس؛ فأتوا بأمور تكشف إعجاز القرآن، أو تظهر معرفة نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم بدقيق خبر الكتاب المقدس، مما لا يدركه إلا من قرؤوا الكتاب المقدس على مهل في الزمن القديم، وهم قلّة قليلة من الأحبار والرهبان والقساوسة. ومعلوم أنّ الكتاب المقدس لم يعرّب إلا بعد البعثة النبوية[2]. وفي الكلام التالي بيان ذلك.

المثال الأول: إدريس وأخنوخ

غيّرَ القرآن اسم النبي أخنوخ إلى إدريس. وذاك خطأ واضح وجهل بالتاريخ. ولذلك قال المنصّر **عبد الفادي** في كتابه التنصيري المعروف: «هل القرآن معصوم»، في إنكار على القرآن شديد: «من أين جيء باسم إدريس بدل أخنوخ؛ فالصواب أخنوخ وليس إدريس!»[3].

الجواب:

عامة علماء الإسلام وعامة المستشرقين على أنّ إدريس عليه السلام النبي المذكور في القرآن هو أخنوخ المذكور في الكتاب المقدس؛ وحجّتهم الأساسية

---

(1) انظر تفصيل ذلك في: رؤوف سعدة، من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن (القاهرة: دار الهلال).

(2) سامي عامري، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى، الكويت: مركز رواسخ، 2018، ص 93–164.

(3) Abdallah Abd al-Fadi, Is the Qur'an infallible (Austria: Light of Life), p.52

قولـه تعالـى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ ﴾ [مريـم:56-57][1]، بما يوافق سـفر التكويـن 5/ 21-24: «وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْسًا وَسِـتِّينَ سَـنَةً، وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وَسَـارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَـنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ».

والرد على الاعتراض السابق من وجهين:

الوجـه الأول: مخالفة القرآن الكتابَ المقدس نقل صور أسـماء الأنبياء لا تطعن في صدق نقل القرآن هذه الأسـماء؛ فإنّ القرآن لا يسـلك سُـنّة واحدة في التسـمية؛ فإنّ يسوع الإنجيلي هو عيسى القرآني، ولا يتّهم المستشرقون -عامة- القرآن بالخطأ هنا؛ لامتناع أن يخطئ أيّ عربي التقى بآحاد النصارى في نقل اسم معبودهم؛ ولذلك اقتصر عمل المستشرقين على محاولة فهم أصل التسمية.

ثانيًا: مقابلة اسم إدريس في القرآن لاسم أخنوخ في الكتاب المقدس حجّة لربانية القرآن -إن قلنا مع **عبد الفادي** إن هذا الاسـم لم يعرفه العرب-، وليسـت مطعنًا فيه؛ إذ إنّ التحليـل اللغوي لاسـم أخنـوخ دال أنّ إدريس مقابله العربـي؛ فإنّ عامة علماء الإسـلام على أنّ اسـم إدريس من فعـل «درس»[2]، دون علمهم بعلاقـة ذاك الجذر اللغوي بالاسم الغريب على أسماعهم بغير لغة العرب «أخنوخ».

اسـم «أخنوخ» في العبرية -سـواء كان هو الاسم الأصلي أو هو ترجمة عبرية له- هـو « חֲנוֹךְ» «حنوك» ويُنطق «حنوخ» لأنّ الـكاف في آخر الكلمة العبرية تنطق خاءً. والاسـم من فعـل « חָנַךְ» [حانَك]، ومـن معانيـه درّب (to train)، وعلّم؛ ولذلك ترجم الناقد **مارتن نوث**[3] اسـم أخنوخ في كتابه «أسـماء الشـخصيات الإسرائيلية»:

(1) رُوي عن الرسـول صلّى الله عليه وسـلم أنه قال: «يا أبا ذر، أربعة سـريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ، ونوح». وفي سنده -عند ابن حبان- إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وهو وضّاع كما ذكره أبو حاتم وأبو زرعة.

(2) الآلوسي، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار الفكر، 1987) 15/ 105.

(3) مارتن نوث (1902-1968) Martin Noth: مؤرخ وناقد كتابي ألماني متخصص في دراسات العهد القديم. درّس في جامعة بون، وأشرف على المؤسسة الأركيولوجية الألمانية في الأرض المقدسة.

«متعلّم، ذكي»[1]، وهو ما يوافق معنى الدارس، ومن ذاك جاء معنى إدريس. قال **ابن منظور** في «لسان العرب»: «ويقال: سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته كتاب الله تعالى واسمه أخنوخ»[2]. واليوم يُسمّي الكيان الصهيوني وزارة التربية عنده מִשְׂרַד הַחִנּוּךְ [مِسْراد هحِنُوك].

وقد حيّر أمر اسم إدريس في القرآن المفسّرين؛ فهو ظاهر الانتماء إلى الحقل اللغوي العربي (من فعل: درس)، لكنّه ممنوع من الصرف لعجمته. والحقّ أنّ فهم إعجاز القرآن في تعريبه للاسم الأعجمي حلّ هذا الإشكال.

يقول اللغوي الهندي **فانيامبادي عبد الرحيم**: «أمّا امتناعه من الصرف فللعلَميّة وشبه العجمة؛ لأنّه وإن كان عربيّ الأصل فهو ترجمة لعلَم أعجمي...

وأضيفُ ... أنّ «الدرس» الذي اشتق منه إدريس ليس بمعنى الدراسة[3]، إنّما بمعنى التعليم والتدريب[4] والرياضة. يقال: دَرَس الناقةَ أي راضها كما جاء في أساس البلاغة. وهذا هو معنى חנך (حانَخ) الذي اشتق منه أخنوخ، وهو توأم «حنك» بالعربيّة. فكأنّ الإشارة في اسمه إلى تسخيره هذه العلوم وتعليمه الناس إيّاها»[5].

المثال الثاني: يحيى، الاسم غير المألوف

قال القرآن في بشارة الله لزكريا عليه السلام: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾ [مريم:7]. وكلام القرآن غير سديد؛ لأنّ اسم «يحيى» في الأصل العبري יוֹחָנָן [يوحانان]، وهو اسم قد عُرف قبل ولادة يحيى المعروف باسم يوحنا في الأناجيل. ولذلك فلا يصحّ القول إنّه لم يُعرف البتة شخص

---

(1) Martin Noth, Die israelitischen Personennamen im Rahmen der gemeinsemitischen Namengebung (Gg Olms, 1928), p.228.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: درس.

(3) ليس ذاك خطأ، فاللفظ يتّسع لذلك أيضًا.

(4) جاء فعل חנך في سفر الأمثال 22/ 6 (اليسوعية): «درِّب [חֲנֹךְ] الفتى بحسب طريقه فمتى شاخ لن يحيد عنه».

(5) ف. عبد الرحيم، الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام، ص32؛ انظر أيضاً رؤوف سعدة، من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن، 1/ 224–226.

باسم «يوحانان» قبل ميلاد ابن زكريا النبي.

الجواب:

الآية في بشارة الله –سبحانه– نبيّه زكريّا أنّه سيرزقه ابنًا لا سَمِيَّ له من قبل. وحتّى يصحّ الاعتراض بخطأ القرآن لا بدّ:

- أن تكون كلمة: «سميًّا» تعني حصرًا: المشارك في الاسم.
- أن يكون اسم ابن زكريّا النبي المذكور في الآية قد سُمّي به بعض الناس من قبله.
- أن يكون الخبر في انتفاء التسمية بهذا الاسم بصورة مطلقة قبل ولادة هذا الوليد.

والجدل عندها لا بدّ أن يدور حول معنى كلمة «سميّ» القرآنية، وعبارة «من قبل».

أولًا: كلمة «سميّ» في لسان العرب تعني من وافق اسمه اسم غيره، وتعني أيضًا النظير. قال **ابن منظور**: «في التنزيل العزيز: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ قال ابن عباس: لم يسم قبله أحد بيحيى، وقيل: معنى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي نظيرًا ومثلًا»[1]. وحجّة المعنى الثاني –الذي انتصر له مجاهد بن جبر (توفي 104هـ) من القرآن-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:65][2]. وقد وردت كلمة «سميًّا» هنا في السورة ذاتها، سورة مريم. فلنناقش المعنيين السالفين.

1 – المشارك في الاسم: عورض القول إنّ يحيى عليه السلام اسم لم يُعرف قبل ولادة ابن زكريا عليهما السلام بأنّ أسفار العهد القديم تذكر أشخاصًا سُمُّوا يوحانان. ويوحانان هو الاسم العبري الذي يعتقد النصارى أنّه المقابل لاسم Ἰωάννης [يُوأنّيس][3] اليوناني في الأناجيل دلالة على اسم ابن زكريا عليهما السلام.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: سما.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 15/ 461، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 214.
(3) ليس في اليونانية حرف الحاء.

ويُعترض على ما سبق بأنّ اسم יוֹחָנָן [يوحانان] العبري الوارد ذكره في العهد القديم يقابله دائمًا في الترجمة السبعينية اليونانية Ιωαναν [يوأنان] لا Ἰωάννης [يُوأنّيس] اسم يحيى عليه السلام في الأناجيل[1]. والأوضح من ذلك أنّ إنجيل لوقا الذي وردت فيه تسمية ابن زكريا عليهما السلام باسم [يُوأنّيس]، قد ذكر أنّ من أسلاف المسيح أحد الأشخاص اسمه يوحنا كما في الترجمة العربية، وهو في اليونانية [يوأنان] (لوقا 3/ 27). وذاك حجّة لمن يرى أنّ يوحانان ليس هو الاسم العبري لابن زكريا عليهما السلام[2].

وقد ذهب الباحث **رؤوف سعدة** إلى أنّ معنى اسم يحيى عليه السلام بعد ردّه من اليونانية إلى العبرية: «يوحنّي»؛ أي الله أحصر؛ بما يوافق الخبر القرآني في وصف يحيى عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾؛ فقال: «في عبريّة التوراة، وفي العبريّة المعاصرة، وفي الآرامية أيضًا، الجذر «حنا» غيرُ مشدّد النون، تقول منه عبريًا وآراميًا على سبيل المثال: «حنّا عَلْ عِير» («عير» يعني المدينة)، أي ضرب عليها الحصار. فهو بمعنى حصَرَه وصرّاه وضيّق عليه.

والمُشدّد من هذا (أي زنة فعَّل العربي) هو «حنّى» بكسر الحاء في العبرية وبفتحها في اللهجة الآرامية التي غَلبت على ألسنة الناس في ربوع فلسطين منذ ما قبل عصر المسيح بثلاثة قرون على الأقل. والمعنى هو «شدّد الحصر عليه».

على هذا يكون معنى «يو+حنّى» (بإضافة «يو» مُختصر اسم الله عزّ وجلّ في العبرية) هو «الله أحصر» بمعنى: «الذي أحصره الله»؛ فهو الحصور الذي في القرآن»[3].

---

(1) كما في ملوك الثاني 25/ 23، أخبار الأيام الأول 3/ 15، 3/ 24، 6/ 9، 6/ 10، 12/ 4، 12/ 12، أخبار الأيام الثاني 28/ 12، عزرا 8/ 12، 10/ 6، نحميا 6/ 18، 12/ 22، 12/ 23، إرمياء 40/ 8، 40/ 13، 40/ 15، 40/ 16، 41/ 11، 41/ 13، 41/ 14، 41/ 15، 41/ 16، 42/ 1، 42/ 8، 43/ 2، 43/ 4،، 43/ 5.

(2) تسمَّى قلة من الأشخاص في العهد الجديد باسم [يُوأنّيس] (مرقس 1/ 19...).

(3) رؤوف سعدة، من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن، 2/ 273.

2 - النظير: قال المفسّر **ابن عاشور**: «وعندي أن السّمِيّ هنا هو الموافق في الاسم الوصفي بإطلاق الاسم على الوصف، فإن الاسم أصله في الاشتقاق وسَم، والسمة أصلها وسمة، كما في قوله تعالى ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:27]، أي يصفونهم أنهم إناث، ومنه قوله الآتي ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] أي لا مثيل لله تعالى في أسمائه. وهذا أظهر في الثناء على يحيى والامتنان على أبيه. والمعنى أنه لم يجىء قبل يحيى من الأنبياء من اجتمع له ما اجتمع ليحيى فإنه أعطي النبوءة وهو صبيّ، قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]، وجعل حصورًا ليكون غير مشقوق عليه في عصمته عن الحرام، ولئلا تكون له مشقة في الجمع بين حقوق العبادة وحقوق الزوجة، وولد لأبيه بعد الشيخوخة ولأمّه بعد العَقر، وبُعث مبشراً برسالة عيسى عليه السلام... وهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه، وهي لا تقتضي أنه أفضل الأنبياء لأنّ الأفضلية تكون بمجموع فضائل لا ببعضها وإن جلّت، ولذلك قيل: «المزيّة لا تقتضي الأفضليّة» وهي كلمة صدق»[1]. فالبشارة قد كانت بوليد قد اجتمعت فيه خصال لم تُعرف في أحد من قبل، دون أن يقتضي ذلك أن يكون أعظم من كلّ من سبقه. فلا سميّ/ نظير لابن زكريّا عليهما السلام، وإن لم يكن هو أعظم الأنبياء.

وليس للنصارى أن يعترضوا على معنى أنه لم يوجد قبل يحيى عليه السلام نظير له البتة (لعظمته أو لأي سبب آخر)؛ فإنه قد جاء في إنجيل متّى أنّ المسيح قد قال 11/ 11: « اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ».

ثانيًا: لا يلزم من عبارة «من قبل» أن يكون المقصود أنّه لم يُعرف أحد البتة باسم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/ 70.

يحيى/ يوحانان قبل ميلاد ابن زكريا؛ إذ يجوز أن يكون المعنى غير ذاك؛ فيجوز أن يكون المعنى أنه لم يُسَمَّ أحدٌ يوحنا في أسرة زكريا عليه السلام قبل ولادة هذا الولد. وهو التفسير الذي ينصره إنجيل لوقا؛ إذ جاء في لوقا 1/ 59–63: «وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا؛ فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا. فقالوا لها: ليس أحد في عشيرتك تَسمّى بهذا الاسم. ثم أومأوا الى أبيه ماذا يريد أن يسمى. فطلب لوحًا وكتب قائلًا اسمه يوحنا فتعجب الجميع». والقرآن بذلك نقل الخبر دون تفصيل دلالته.

وخلاصة البحث أنّه:

● إذا كان الاسم هو «يوحنّي» لا «يوحانان»، وأنّه بمعنى «الله أحصر»؛ فنحن أمام معجزة تاريخيّة صوّبت خطأ النصارى في ظنّهم أنّ اسم ابن زكريا عليهما السلام هو «يوحانان»، وبيّنت سبب التسمية في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران:39].

● إذا كان معنى الآية أنّه لم يسمّ أحد باسم «يوحانان»[1] في عشيرة زكريا عليه السلام وزوجه، فنحن أمام إشارة قرآنية لها أصل في إنجيل لوقا لم ينتبه إليها المفسرون القدامى[2]، وذاك مبين أنّ موافقة القرآن إنجيل لوقا هذه المسألة الدقيقة التي لا يدركها إلّا من خبر بدقّة ما جاء في العهد الجديد، من عجيب المسائل التي لا يمكن نسبتها لأميّ من أهل صحراء العرب في القرن السابع ؟!

(1) يكون عندها قوله تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ ﴾ [مريم:12–13] إشارة إلى علاقة الاسم بالحنان؛ فهو في العبرية يعني مرحوم من الله أو الله رحمن، والقرآن يذكر أنّ ما بيحيى عليه السلام «حنانًا من لدنّا» أي من رحمة الله سبحانه.

(2) المفسّرون عامة على قولين: يحيى عليه السلام لم تلد مثله عاقر، أو لم يسمّ أحد –بإطلاق– باسمه قبله.

المثال الثالث: طالوت

ذكر القرآن في قصّة داود النبي شخصًا سمّاه: «طالوت». وليس في التوراة هذا الاسم، وإنّما الشخص الذي تحدّث عنه القرآن وسمّاه «طالوت» هو «شاؤول» «שָׁאוּל» الملك الذي حكم بني إسرائيل!

الجواب:

أولًا: كيف يذكر القرآن تفاصيل قصّة النبي صاموئيل وشاؤول وجالوت وداود، ويخطئ في نقل اسم شاؤول؛ فيذكره باسم بعيد المبنى عنه بصورة واضحة؟! إذا كان نبي الإسلام صلّى الله عليه وسلّم قد سمع القصّة من أهل الكتاب؛ فلا شكّ أنّه قد سمع الاسم العبري الصحيح! وافتراض الخطأ هنا عجيب.

ثانيًا: ذكر القرآن شاؤول بوصفه لا باسمه؛ فهو موصوف بالطول في سفر صموئيل الأول 9/ 2: « كَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ، شَابٌّ وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ»، و10/ 23: « فَوَقَفَ بَيْنَ الشَّعْبِ، فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ». وكلمة طالوت مصدر صناعي من طال، كما هو الأمر في «ناس» و«ناسوت».

وقد حارب طالوت وجيشه جالوت الكافر وجيشه. واسم شاؤول في العبرية على صيغة اسم المفعول من سأل؛ فهو مسؤول؛ بمعنى من يتوجّه الناس له بالطلب عند حاجاتهم. وقد كان الأليق في سرد هذه القصّة الإيمانية التي تخبر عن طالوت الصالح ألّا تذكره باسمه الموهم بمعنى منكر، وتكتفي بوصفه دلالة عليه؛ فهو الرجل شديد الطول[1].

(1) انظر رؤوف سعدة، من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن، 2/ 134–138.

الفصل السابع
علم الحساب بين الكتاب المقدس والقرآن

تمهيد: الحساب في ثقافة أهل الكتاب

عِلم الحساب متعلّق «باستخراج مجهولات عددية من معلومات مخصوصة»، وهو مقدّمة أساسيّة لكثير من العلوم، ومقدماته يُدركها الصغار؛ ولذلك يستبعد المرء في بادئ النظر أن تقع الكتب المقدّسة في أخطاء حسابيّة ساذجة؛ فإنّ أمر الحساب في هذه الكتب متعلّق ضرورة بمسائل الزيادة والحذف وما شابه ذلك من مسائل حسابيّة بسيطة، كما أنّ -عادة- الأجيال اللاحقة لظهور هذه الكتب المقدسة إخفاء هذه الأخطاء بحذفها أو تعديل النصوص التي تشير إليها دفعًا لما يطعن في قداسة هذه الكتب.

والعجيب هنا أنّ اليهود والنصارى تركوا تحقيق القول في كثير من الأخطاء الحسابية في أسفارهم المقدسة، وأقبلوا على أمور حسابيّة ليست من دقيق العلم الذي تُكتشف به المجهولات بيقين؛ كعلم الجيماتريا גמטריא الذي ظهر عند البابليين، وقال به الأحبار، وشرّعوه في التلمود، وازدهر لاحقًا عند اليهود الكابالا، وفيه تُسند إلى الأسماء أو الألفاظ أو الجمل العبريّة قيم رقميّة.

وقضايا الخلط الحسابي في الكتاب المقدس من المسائل الجديرة بالعناية والدراسة، لأنّها تكشف مجموعة من الأمور المهمّة في تاريخ نص الكتاب المقدس، منها أنّ الذين أخطؤوا في العدّ كانوا سذّجًا في حسابهم، وكسالى لم يُراجعوا خطأهم الواضح، وأنّ الجماعة الأولى التي تلقّت كتبهم ما كانت تراها مقدّسة؛ إذن لراجعتها بدقّة لتردّها أو ترفع ما فيها من خلل، وأنّ التناقضات العدديّة الواضحة بين الأسفار كاشفة أنّ كُتّاب هذه الأسفار ما كانوا يرون الأسفار التي خالفوها مقدّسة.

المبحث الأول:
الكتاب المقدس في مواجهة حقائق العلم

تنقسم الأخطاء الحسابية في الكتاب المقدس إلى نوعين، أوّلهما أخطاء الجمع والطرح والضرب والقسمة، وثانيهما اضطراب الأرقام بالنظر في الأعداد؛ إذ تخبر أسفار الكتاب المقدس بأعداد مختلفة في وصف المجموعة الواحدة من البشر أو الحيوانات أو المتاع.

المطلب الأول: الأخطاء الحسابية في الكتاب المقدس

الأخطاء الحسابية في الكتاب المقدس كثيرة، وعجيبة، وتكشف أنّ كثيرًا ممن كتبوا هذه الأسفار كانوا بسطاء جدًا، وأنّ هذه الأسفار كانت تتداول في البدء في بيئة ساذجة لا تملك حسًا نقديًا في أدنى صوره.. ومن هذه الأخطاء:

المثال الأول: خمسة إخوة أم سبعة إخوة وأخت؟

أخبار الأيام الأول 3/ 19–20: «وَأَنْجَبَ فَدَايَا: زَرُبَّابَلَ وَشِمْعِي. أَمَّا أَبْنَاءُ زَرُبَّابَلَ فَهُمْ مَشُلاَّمُ، وَحَنَنْيَا وَأُخْتُهُمْ شَلُومِيَةُ، وَحَشُوبَةُ وَأُوهَلُ، وَبَرَخْيَا وَحَسَدْيَا، وَيُوشَبُ حَسَدَ، وَهُمْ خَمْسَةٌ فِي جُمْلَتِهِمْ».

1. مَشُلاَّمُ	2. شَلُومِيَةُ	3. حَنَنْيَا	4. حَشُوبَةُ
5. أُوهَلُ	6. بَرَخْيَا	7. حَسَدْيَا	8. يُوشَبُ حَسَدَ

الخطأ: عندنا هنا في القائمة سبعة إخوة ذكور وأخت أنثى، في حين يزعم النصّ السابق، أنّهم خمسة إخوة. وقد اختارت الترجمة الأرمينية تغيير العدد صراحة من

خمسة إلى ثمانية لرفع الخطأ! [1]

المثال الثاني: أبناء شِمْعِيَا: 6 أم 5؟

أخبار الأيام الأول 3/ 22: «وَبَنُو شِمْعِيَا: حَطُّوشُ وَيَجْآلُ وَبَارِيحُ وَنَعَرْيَا وَشَافَاطُ. سِتَّةٌ».

1. حَطُّوش	2. يَجْآل	3. بَارِيح
4.نَعَرْيَا	5. شَافَاط	6. ؟

يذكر النص 5 أبناء لشمعيا، غير أنه يجعل الحصيلة 6!

قال **آدم كلارك**: «توجد فقط خمسة أسماء في هذا النص، ولا تقدّم لنا الترجمات عونًا، ولا صحّحت المخطوطات العبرية هذا الموضع»[2]. ولذلك اختارت الترجمة العربية للكتاب المقدس «الشريف» حذف العدد «ستة»، في حين اختارت ترجمة «الحياة» الاحتفاظ بالعدد مع تغييره إلى خمسة: «وأبناء شمعيا الخمسة هم: حطوش ويجآل وباريح ونعريا وشافاط»!

المثال الثالث: أبناء يدوثون: 6 أم 5؟

أخبار الأيام الأول 25/ 3:

«بَنُو يَدُوثُونَ: جَدَلْيَا وَصَرِي وَيِشْعِيَا وَحَشَبْيَا وَمَتَّثْيَا، سِتَّةٌ».

---

(1) G. N. Knoppers, I Chronicles 1–9: A new translation with introduction and commentary (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.322

(2) Adam Clarke, The Holy Bible: Containing the Old and New Testaments (New York: T. Mason & G. Lane, 1837), 2/ 582

1. جَدَلْيَا	2. صَرِي	3. يِشْعِيَا
4. حَشَبْيَا	5. مَتَّثْيَا	6. ؟

يزعم النص أنّ عدد أبناء يدوثون 6، غير أنّ الأسماء المذكورة 5 فقط. كل المخطوطات العبرية لا تضم غير الأسماء السابقة، إلا مخطوطة عبرية واحدة يتيمة من القرون الوسطى أضافت اسم «شمعي» إلى القائمة لتكون الحصيلة ستة أسماء[1].

المثال الرابع: عدد مدن يهوذا القصية: 29 أم أكثر من ذلك؟

يشوع 15/ 21-32: «كَانَتِ الْمُدُنُ الْقَصِيَّةُ التَّابِعَةُ لِسِبْطِ يَهُوذَا جَنُوباً بِاتِّجَاهِ تُخُومِ أَدُومَ هِيَ: قَبْصِئِيلُ وَعِيدَرُ وَيَاجُورُ، وَقِينَةُ وَدِيمُونَةُ وَعَدْعَدَةُ، وَقَادَشُ وَحَاصُورُ وَيِثْنَانُ، وَزِيفُ وَطَالَمُ وَبَعْلُوتُ، وَحَاصُورُ وَحَدَتَّةُ وَقَرْيُوتُ وَحَصْرُونُ الَّتِي هِيَ حَاصُورُ. وَأَمَامُ وَشَمَاعُ وَمُولاَدَةُ، وَحَصَرُ جَدَّةَ وَحَشْمُونُ وَبَيْتُ فَالَطَ، وَحَصَرُ شُوعَالَ وَبِئْرُ سَبْعٍ وَبِزْيُوتِيَةُ، وَبَعَلَةُ وَعِيِّيمُ وَعَاصَمُ، وَأَلْتُولَدُ وَكِسِيلُ وَحُرْمَةُ، وَصِقْلَغُ وَمَدْمَنَّةُ وَسَنْسَنَّةُ، وَلَبَاوُتُ وَشِلْحِيمُ وَعَيْنُ وَرِمُّونُ. فَكَانَتْ فِي جُمْلَتِهَا تِسْعًا وَعِشْرِينَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا».

الخطأ: يعدّد النصّ 38 مدينة أو 36 على فهم بعض النقاد، في حين يزعم النصّ أنّها 29 مدينة.

قَبْصِئِيلُ	عِيدَرُ	يَاجُورُ	قِينَةُ	دِيمُونَةُ	عَدْعَدَة
قَادَشُ	حَاصُورُ	يِثْنَانُ	زِيفُ	طَالَمُ	بَعْلُوتُ
حَاصُورُ	حَدَتَّةُ	قَرْيُوتُ	حَصْرُون	أَمَامُ	شَمَاعُ

[1] The NET Bible First Edition Notes

مُولَادَةُ	حَصَرُ جَدَّة	حَشْمُون	بَيْتُ فَالَطَ	حَصَرُ شُوعَالَ	بِئْرُ سَبْعٍ
بِزْيُوتِيَةُ	بَعَلَةُ	عِيِّيم	عَاصَمُ	أَلْتُولَدُ	كِسِيل
وَحُرْمَةُ	صِقْلَغُ	مَدْمَنَّةُ	سَنْسَنَّةُ	لَبَاوُتُ	شِلْحِيمُ
عَيْنُ	وَرِمُّونُ				

انتبهت الترجمة السـريانية البشـيطا للخطأ الواضح في هذا النص؛ فغيّرت «تسعًا وعشـرين» إلى «سـتًا وثلاثين» «ܬܠܬܝܢ ܘܫܬ». يقول الناقد **يوهـان بيتر لونج**[1]: «بمـا أنّ جميـع الترجمـات القديمة الأخـرى تذكر: تسـعة وعشـرون، فربما كانت الترجمة السـريانية تقدّم «تصحيحًا نقديًا». التفسير البسيط للمسألة هنا هو أنّ القائمة القديمة الأصلية لم يكن بها سـوى تسع وعشـرون مدينة، ولكن لاحقًا -كما يعترف بذلك [الناقد] كايل - «أضافت يد أخرى أسماء أخرى دون تغيير المجموع الإجمالي الموافق لعدد المدن»[2]. وأما الناقد **تشـارلز .ف. فيفر**[3] فيقول: «إمّا أنّ الرقم تسـعة وعشرين خطأ من الناسخ، أو أنّ الأسماء الموضوعة كانت في الأصل في الهامش ثم بعد ذلك تم تحويلها إلى المتن»[4].

فنحن بين تحريف -لا دليل عليه- وتناقض منكر.. وكل منهما حلٌ مرّ!

المثال الخامس: عندما يكون الولد أكبر من أبيه!

جاء في أخبار الأيام الأول 21/ 20 عن يهورام: «كَانَ ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ

(1) يوهان بيتر لونج Johann Peter Lange (1802–1884): لاهوتي ألماني بارز متنوع الاهتمامات البحثية.

(2) J. P. Lange, et al., A Commentary on the Holy Scriptures : Joshua (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2008), p.133,

(3) تشـارلز .ف. فيفر Charles F. Pfeiffer (1919): أسـتاذ الأدب القديم في Central Michigan University. له عناية خاصة بأسفار العهد القديم والتاريخ اليهودي القديم.

(4) C. F. Pfeiffer, The Wycliffe Bible commentary : Old Testament (Chicago: Moody Press, 1962), Jos 15:21

مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ».

2الأيام 22/ 1–2: «وَمَلَّكَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ أَخَزْيَا ابْنَهُ الأَصْغَرَ عِوَضًا عَنْهُ... فَمَلَكَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكِ يَهُوذَا. كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي».

إذا كان يهورام قد بدأ ملكه لما كان سنّه 32 سنة، وقد حكم حتّى موته لمدّة 8 سنوات؛ فإنّه يكون قد مات لما كان سنّه 39 سنة (حكم من سنّ 32 إلى سنّ 39=8 سنوات). وبالنظر إلى أنّ ابنه قد ملك لمّا كان سنه 42 سنة؛ فإنّ الولد يكون أكبر من أبيه بثلاث سنوات!

الجدول يوضّح الأمر إذا بدأنا في التأريخ من سنة ميلاد يهورام.

	من الميلاد إلى بداية الحكم	بداية الحكم	العمر عند الوفاة
يهورام (الأب)	1 إلى 32	32	39 من ميلاد (يهورام)
أخزيا (الابن)	؟	42 من ميلاد (يهورام)	

وقد اضطر النصارى إلى تحريف ترجماتهم للخروج من المأزق. يقول المفسّر المحافظ **آدم كلارك** دفاعًا عن الترجمات ضدّ النص العبري الأقدم: «ربّما كان أخزيا يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، طبق ما جاء في 2ملوك 8/ 26، لكن لا يمكن أن يكون سنّه اثنين وأربعين كما هو مذكور هنا دون أن يكون أكبر من والده بسنتين! ... الترجمتان السريانيّة والعربية لديهما: اثنان وعشرون، والسبعينية، في بعض نسخها: عشرون. ومن المحتمل جدًا أن النص العبري قد كان كذلك في الأصل»[1]. وما كان

(1) Adam Clarke, The Holy Bible Containing the Old and New Testaments (New York: B. Waugh and T. Mason, 1831), 2/567

هـروب **كلارك** من الإقـرار بالخطأ إلى القـول بالتحريف إلا لامتنـاع الخروج بحل توفيقي أو تلفيقي بين النصوص، علمًا أنّ الترجمات العربية والسريانية ضعيفة القيمة عند علماء النقد النصي إذا خالفت النص العبري والسبعيني في عامة مخطوطاته.

المثال السادس: عدد الأواني 2499 أم 5400؟

عـزرا 1/ 9-11: «فَكَانَـتْ فِي جُمْلَتِهَا ثَلاَثِينَ طَسْـتاً مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْفَ طَسْـتٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَتِسْـعَةً وَعِشْرِينَ سِكِّيناً وَثَلاَثِينَ قَدَحاً مِنْ ذَهَبٍ، وَأَرْبَعَ مِئَةٍ وَعَشَرَةً مِنَ الأَقْدَاحِ الْفِضِّيَّـةِ، وَأَلْفاً مِـنَ الآنِيَةِ الأُخْرَى. فَـكَانَ مَجْمُوعُ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَمْسَـةَ آلافٍ وَأَرْبَعَ مِئَةٍ».

30 + 1000 + 29 + 30 + 410 + 1000= 2499 .. فـي حيـن يخبرنـا نـصّ عزرا 1/ 11 أنّ العدد هو 5400!

للهروب من هذا الخطأ الحسـابي الجلي، زعم **آدم كلارك** أنّ هذا النص «مُحرّفٌ بلا شك»![1] وأمّا الناقد **ف.س. فنشام**[2] فقال: «يبدو أنّ سبب هذه المشكلة التحريف النصي، ويبدو أنه لا حلّ لها. من أجل توضيح الفسـاد النصي، يقترح جالينج أن هذا التعداد قد كُتب أصلاً باللغة الآرامية ثم اسـتخدمه مؤلف سـفر عـزرا فيما بعد. ربما تسـبّب انتقال النص من الآرامية إلى العبرية في ظهور العديد من الإشكالات في هذه الأعداد»[3].

قلتُ: لا يوجد برهان على تحريف النص هنا، وإنما هو خطأ حسابي واضح!

المثال السابع: عدد المدن، 13 أم 14؟

يشوع 19/ 2-6: «وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى بِئْرِ سَبْعٍ وَشَبَعَ وَمُولاَدَةَ، وَحَصَرَ شُوعَالَ وَبَالَةَ

---

(1) Adam Clarke, The Holy Bible: Containing the Old and New Testaments (B. Waugh and T. Mason, 1833), 2/617

(2) ف.س. فنشـام (1925-1989) F. C. Fensham: ناقد متخصص في دراسـات العهد القديم، والدراسات السامية. رأس أكاديمية جنوب إفريقيا للعلوم والآداب.

(3) F. C. Fensham, The Books of Ezra and Nehemiah (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1982), p.46

وَعَاصَمَ، وَأَلْتُولَدَ وَبَتُولَ وَحُرْمَةَ، وَصِقْلَغَ وَبَيْتِ الْمَرْكَبُوتِ وَحَصَرَ سُوسَةَ، وَبَيْتِ لَبَاوُتَ وَشَارُوحَيْنَ. وَهِيَ فِي جُمْلَتِهَا ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَدِينَةً مَعَ ضِيَاعِهَا».

الخطأ: عدد هذه المدن هو 14 لا 13!

بِئْرِ سَبْعَ	شَبَعَ	مُولاَدَةَ	حَصَرَ شُوعَالَ	بَالَةَ
عَاصَمَ	أَلْتُولَدَ	بَتُولَ	حُرْمَةَ	صِقْلَغَ
بَيْتِ الْمَرْكَبُوتِ	حصَرَ سُوسَةَ	بَيْتِ لَبَاوُتَ	شَارُوحَيْنَ	

المثال الثامن: عدد اللاويين: 22300 أم 22000؟

العدد 3/ 17: «وَكَانَ هؤُلاَءِ بَنِي لاَوِي بِأَسْمَائِهِمْ: جَرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي».

العدد 3/ 22: «الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ [الجرشونيين] سَبْعَةُ آلاَفٍ وَخَمْسُ مِئَةٍ».

العدد 3/ 27–28: «هذِهِ عَشَائِرُ الْقَهَاتِيِّينَ... ثَمَانِيَةَ آلاَفٍ وَسِتُّ مِئَةٍ».

العدد 3/ 33–34: «هذِهِ هِيَ عَشَائِرُ مَرَارِي... سِتَّةُ آلاَفٍ وَمِئَتَانِ».

المجموع: 7500+8600+6200=22300، لكنّ نص سفر العدد 3/ 39 يجعل مجموع عدد اللاويين 22000، بحذف 300 شخص.

المثال التاسع: كم جيل من السبي إلى المسيح: 14 أم 13؟

متّى 1/ 17: «فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً».

بعيدًا عن مناقشة إشكالية أن يكون عدد الأجيال من إبراهيم عليه السلام حتى داود عليه السلام هو نفسه عدد الأجيال من داود عليه السلام حتى السبي البابلي (14 جيلًا)، رغم أنّ المدة الأولى تقارب ضعف المدة الثانية (!)، زعم مؤلف إنجيل

متى أنّ الأجيال من السبي إلى المسيح 14 جيلًا، رغم أنه لم يورد غير 13 جيلًا. وفي هـذا يقول هامـش ترجمـة «The New American Bible»: «اهتمّ متّى بأربعة عشـر جيلًا، ربما لأن أربعة عشر هي القيمة العددية للأحرف العبرية التي تشكّل اسم داود. في القسـم الثاني من سلسـلة الأنسـاب (متّى 1/ 6ب- 11)، تم حـذف ثلاثة ملوك مـن يهوذا، أخزيا ويوآش وأمصيا (1أخبار الأيام 3/ 11-12)؛ حتى يكون هناك أربعة عشـر جيلًا في ذلك القسـم. ومع ذلك؛ **فإنّ القسم الثالث (متّى 1/ 12-16) يبدو أنه يضم فقط ثلاثة عشر شخصًا**».

المثال العاشر: 40 ساعة= ثلاثة أيام بلياليها!

متّـى 12/ 40: «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْـنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال».

يخبرنا متّى 12/ 40 أنّ المسيح قد بقي في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، لكنّنا بقراءة الأناجيل سـندرك أنّ المسـيح لبـث في قبره أقل مـن يومين وليلتيـن؛ إذ يخبرنا نص مرقـس 15/ 25 أنّ الصلب تمّ يوم الجمعة في السـاعة الثالثة (أي التاسـعة صباحًا)، وأنّ المسـيح قد توفيّ الساعة التاسـعة (أي الثالثة مساءً)، وخرج من القبر حيًا قبل أن تكتشـف النسوة أنّ قبره فارغ، أي قبل إشـراقة يوم الأحد: «وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ» (يوحنا 20/ 1)، علمًـا أنّ إنجيل يوحنا 19/ 14 يجعل مدة لبث المسـيح فـي القبر أقصر؛ إذ يخبرنا أنّ المسيح لم يصلب بعد حتى الساعة السادسة من يوم الجمعة؛ إذ كان عندها عند بيلاطس. ولما كنا لا نعرف على التدقيق متى قام المسيح من الموت، ومتى خرج من القبر، فسنقبل أوسع التقديرات للبث المسيح في القبر:

يوم الجمعة	ليلة السبت[3]	يوم السبت	ليلة الأحد	المجموع
بضع ساعات أو أقل من ذلك.	كامل	كامل	كامل	ليلتان وأقل من يومين: تقريبا 40 ساعة.

وقد اعترف عدد من النقاد بالتناقض بين تصريح متّى 12/ 40 ومدّة لبث المسيح في القبر، واقترح عدد منهم القول إنّ المسيح قد صلب يوم الأربعاء أو الخميس لا يوم الجمعة، ليسلم لهم العدّ ثلاثة أيام وثلاث ليال، ومنهم صاحب كتاب « Good Friday: A Chronological Mistake, Or, The Real History of Our Lord's Burial Recovered »[1] الذي انتصر للصلب يوم الخميس، لكنّ نصوص الأناجيل صريحة أنّ الصلب كان اليوم السابق ليوم السبت (الجمعة) (لوقا 23/ 46–54)، كما أنّ المسيح قد قال إنّه سيقتل ويقوم في اليوم الثالث (متّى 16/ 21)، وهو ما شهد به بطرس أيضًا (أعمال الرسل 10/ 40)، واليوم الثالث إذا عددنا القهقرى من يوم الأحد سيكون الجمعة. والكنائس النصرانية على كلّ حال متّفقة على الاحتفال بيوم الصلب يوم الجمعة، وبالقيامة يوم الأحد.

وللخروج من أصل المشكلة ذهب عدد من النقاد إلى التشكيك في أصالة المقطع برمته؛ حتّى قال الناقد **غرانت أوزبورن**[2]: « من الشائع التقرير أنّ القول الأصلي كان يضمّ تعاليم يسوع كعلامة يونان (كما في لوقا 11/ 30)[3]، وأنّ الكنيسة الأخيرة

---

(1) James Gall, Good Friday: A Chronological Mistake, Or, The Real History of Our Lord's Burial Recovered (Edinburgh: Gall & Inglis, 1882)

(2) غ.ر. أوزبورن (G.R. Osborne (1942–2018: ناقد أمريكي متخصص في دراسات العهد الجديد. درّس في Trinity Evangelical Divinity School

(3) «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهذَا الْجِيلِ».

أضافت هذا العدد لإنزاله على القيامة»[1].

وذهــب **ويليام كامبل** إلى أنّ النصارى كانــوا -كاليهود- يعتبرون بعض اليوم يومًا كاملًا. واســتدل بقول **أ. ت. روبرتســون**: «العادة المعروفة عند اليهود أنهم يحسبون بعض اليوم يومًا كاملًا من أربع وعشــرين ســاعة... وهكذا يكــون بعض يوم الجمعة بمثابة يوم كامل، ويوم السبت يوم ثان، وجزء من يوم الأحد يوم ثالث[2]»[3].

والإشــكال فــي ما انتصر له **كامبل** أنّنا لســنا هنــا إزاء نبوءة تتحــدّث عن قيامة من المــوت بعد «ثلاثة أيام»؛ وبذلك نعدّ بعض اليوم يومًا، وإنّما نحن أمام عبارة تفصيلية تميّز اليوم عن الليل، ولا حلّ مطابق للنبوءة إلّا ثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة أو ناقصة (بعض يوم، بعض ليلة). ولا نجد عندنا في قصة القبر غير ليلتين كاملتين، ويوم كامل، وبعض يوم!

المثال الحادي عشر: بلايين الطيور

جاء في ســفر العــدد أنّ الربّ قــد قرّر أن يعطي بني إســرائيل لحمًــا حتى يصابوا بالتخمة: «فَيُعْطِيكُمُ الرَّبُّ لحْمًا فَتَأْكُلُونَ. تَأْكُلُونَ لا يَوْمًا وَاحِدًا وَلا يَوْمَيْنِ وَلا خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَلا عَشَــرَةَ أَيَّامٍ وَلا عِشْــرِينَ يَوْمًا، بَل شَــهْرًا مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ وَيَصِيرَ لكُمْ كَرَاهَةً» (العدد 11/ 18–20).

وليبلّغهم طيور السلوى، أرسل الربّ ريحًا «وَسَاقَتْ سَلْوَى مِنَ الْبَحْرِ وَأَلْقَتْهَا عَلَى الْمَحَلَّةِ، نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَا وَمَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَاكَ، حَوَالَي الْمَحَلَّةِ، وَنَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ» (العدد 11/ 31).

---

(1) G. R. Osborne, Matthew (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2010), p.485

(2) A T Robertson, A Harmony of the Gospels for Students of the Life of Christ, p.290

(3) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.179

يقدّر النقّاد مسيرة يوم بعشرين ميلاً، وهو ما يعني أنّ قطر المنطقة التي غطّتها طيور السلوى تبلغ 40 ميلًا، بما يعنى أنّ مساحتها تبلغ 1256 ميلًا مربعًا أي ما يزيد على 2000 كم مربع. وإذا حسبنا عدد الطيور المطلوبة لتغطي هذه المنطقة نحو ذراعين من الأرض، كان كلّ طير من طيور السلوى سيشغل 0.7 قدم مكعّب، فسيحتاج الأمر عندها إلى ما يقارب 150 بليون طير من طيور السلوى!

وبالنظر في سياق القصّة، وأنّ الربّ لم يخلق هذا الرقم الخرافي من الطيور ليطعم به بني إسرائيل، وإنما جمع هذا العدد الموجود أصلًا، يبدو أنّ وجود هذا الرقم الهائل جدًا لنوع واحد من الطيور دعوى فاسدة، كما أنّه بقسمة هذا العدد من الطيور على بني إسرائيل الذين لا تتجاوز أعدادهم مئات الآلاف -في أوسع الأحوال!-، فسيكون نصيب الواحد منهم مطعمًا في الشهر الواحد عشرات آلاف الطيور.

وقد حاول اليهود في الترجوم الآرامي والنصارى في الترجمة اللاتينية الفولجاتا تجاوز الإشكال السابق بترجمة آخر العدد 11/ 31 على غير معناه العبري الصريح؛ فجاء في ترجوم يوناثان «وعلى ارتفاع ذراعين، طارت على وجه الأرض» « וּכְרוּם תַּרְתֵּין אַמִּין הֲוָה פָּרַח עַל אַנְפֵּי אַרְעָא»، وتابعته على المعنى نفسه ترجمة الفولجات: «volabant in aere duobus cubitis altitudine super terram»؛ فانتقل الأمر من تراكم الطير حتى إنّه غطّى الأرض بارتفاع ذراعين، إلى الزعم أنّ الطير كان يطير على ارتفاع ذراعين من الأرض!

وقد رفض الناقد **هنري سبانس**[1] تحريف الترجوم والفولجاتا للنص العبري لأنّ الأصل العبري لنص العدد 11/ 31 لا يدلّ عليه، كما أنّ هذه الترجمة تخالف ما جاء في المزمور 78/ 27–28 من وصف الطير أنّه قد كان مثل حبّ الرمل، وأنّه أُلقي على

---

(1) هنري سبانس (1917-1836) Henry Spence: رجل دين إنجليكاني، وأستاذ العبرية في St David's College . قام بتحرير عدد من كتب التاريخ الكنسي والتفاسير.

بني إسـرائيل[1]. فعبارة الإمطار و«وأُسقِطت» «וַיִּטֹּשׁ» [ويَّفيل][2] لا تلتقيان مع معنى رفرفة الطير فوق الأرض. ولذلك صرّح صاحب تفسير The Pulpit Commentary بقولـه: «إذا تـم «إلقاء» الطيور علـى المحلّة، أو «أمطر» عليها مثـل الرمل، فلا يمكن أن تطير هـذه الطيور بثبات إلى الأمام على بعد بضعة أقدام فوق الأرض. من المؤكد أنـه من المسـتحيل أخذ هذا التقرير بصورة حرفيّة؛ لأنّ مثـل هذا العدد من الطيور لم يكن من الممكن التحكّم فيه البتّة»[3]. والعجيب أنّ الحل الذي اختاره **سبانس** هو أنّ هـذه الطيور قد دفعتها الريح لتتكوم فوق بعضهـا، وبلغت في بعض المواضع ارتفاع ذراعيـن[4].. وهو تأويل فاسـد أيضًا لأنّ النص صريح في أنّ المنطقة الواسـعة كانت تحمل أكوامًا من الطيور بلغ ارتفاعها على هذه الساحة -لا بعضها- ذراعين!

المثال الثاني عشر: مذبحة خرافية

أخبار الأيام الثاني 7/ 4-5: «ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ وَكُلَّ الشَّـعْبِ ذَبَحُوا ذَبَائِحَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَذَبَـح الْمَلِكُ سُـلَيْمَانُ ذَبَائِحَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَعِشْـرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْغَنَمِ مِئَةً وَعِشْـرِينَ أَلْفًا».

اسـتغرق العيد سـبعة أيـام (العدد التاسـع من الفصل السـابع)، وهو مـا يعني أنّ ذبـح 22000 بقـرة و120000 من الأغنام يحتاج ذبح عشـرات من هـذه الدواب في الدقيقة الواحدة على مدى عشـر سـاعات على مدى الأيام السـبع للعيد. وقد اضطر الناقد **ريموند ديلارد**[5] لذلك أن يقول: «من الراجح أنّ مؤلف سـفر الأخبار قد قصد المبالغة بإيراد هذه الأرقام»[6].

(1) «وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْمًا مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ الْبَحْرِ طُيُورًا ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ. وَأَسْقَطَهَا فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوَالَيْ مَسَاكِنِهِمْ».

(2) الفاء تنطق p.

(3) H. D. M. Spence-Jones, ed., The Pulpit Commentary: Numbers, p.112

(4) Ibid

(5) ريموند براين ديلارد (1944-1993) Raymond Bryan Dillard: أسـتاذ لغة العهد القديم وأدبه في Westminster Theological Seminary.

(6) R. B. Dillard, 2 Chronicles, 15/57

المثال الثالث عشر: مجموع العائدين من السبي

نقرأ في سفر عزرا 2/ 1–64 ونحميا 7/ 6–66 قائمتين لأعداد العائدين من السبي بسبب قبائلهم. والنظر في القائمتين مدهش في خلطه العددي:

أسماء القبائل	سفر عزرا	سفر نحميا	أسماء القبائل	سفر عزرا	سفر نحميا
بنو فرعوش	2172	2172	بنو بيصاي	323	324
بنو شفطيا	372	372	بنو حشوم	223	328
بنو آرح	775	652	بنو أريحا	345	345
بنو فحث موآب	2812	2818	بنو بيت لحم	123	(معًا)
بنو عيلام	1254	1254	رجال نطوفة	56	188
بنو زتو	945	845	رجال عناثوث	128	128
بنو زكاي	760	760	بنو عزموت	42	42
بنو باني (بنوي)	642	648	بنو حاريم	320	320
بنو باباي	623	628	بنو آطير	98	98
بنو عرجد (عزجد)	1222	2322	بيت ايل وعاي	223	123
بنو ادونيقام	666	667	رجال مخماس	122	122
بنو بغواي	2056	2067	بنو نبو الأخرى	52	52
بنو عادين	454	655	بنو سناءة	3630	3930
بنو الرامة وجبع	621	621	بنو عيلام	1254	1254
بنو يورة (حاريف)	112	112	بنو جبّار (جبعون)	95	95
جميع النثينيم وبني عبيد سليمان	392	392	بنو لود بنو حاديد واونو	725	721
بنو دلايا بنو طوبيا	652	642	بنو يشوع وقدميئيل	74	74
بنو يدعيا	973	973	المغنون بنو آساف	128	148
بنو امّير	1052	1052	بنو مغبيش	156	لم يُذكروا
بنو فشحور	1247	1247	بنو حاريم (الكهنة)	1017	1017

بنو البوابين بنو شلوم بنو آطير بنو طلمون بنو عقّوب بنو حطيطا بنو شوباي	139	138	بنو قرية عاريم كفيرة وبئيروت	743	743
المجموع حسب الكتاب المقدس	42360	42360	ناتج الجمع الصحيح	29818	31089

يعلّق **د. منقذ السقار** قائلًا: «وكما يلحظ القارئ الكريم فإنّ هذه الأرقام متباينة اختلف فيها السفران اختلافًا كبيرًا، فأحد الملهمين - أو كلاهما أخطأ - ولا محالة، والذي يخطئ في مثل هذه المسائل البسيطة لا يؤمَن عليه الخطأ في المسائل اللاهوتية والأمور المهمة الأخرى .

لكن الأعجب أنّ الكاتبين ورغم اختلافهما الكبير في أعداد عدد من القبائل العائدة مع زربابل، فإنهما يتفقان في المجموع الكلي للعائدين، هو 42360، فيقول عزرا: «كل الجمهور معًا اثنان وأربعون ألفًا وثلاث مئة وستون» (عزرا 2/ 64)، ويوافقه نحميا فيقول: «كل الجمهور معًا أربع ربوات وألفان وثلاث مئة وستون» (نحميا 7/ 66).

وكلاهما خطأ ولا ريب، ومن شك في ذلك فسيدرك اليقين إذا جمع الأرقام الكتابية بوساطة الآلة الحاسبة، وسيصل إلى نتيجة لا يختلف عليها طلاب المدارس الابتدائية، تفيد أن عدد العائدين حسب أرقام عزرا 29818، بينما عددهم حسب أرقام نحميا 31089، فمن الذي أخطأ في تقرير أعداد العائدين من السبي؟ ومن الذي أخفق في جمع أعدادهم؟ هل هم الكتبة المقدسون؟ أم الروح القدس الذي زعموا

أنـه ألهمهم ما كتبوه ولـم يتنبـه لأخطائهم؟ أم أولئك الذين أعطوا لكلام البشـر صفة القداسة والإلهام، وزعموا أن تخليطهم وأخطاءهم هي وحي الله وكلمته؟ تعالى الله عن خطئهم وزللهم علوًا كبيرًا»[1].

المثال الرابع عشر: عدد من ظهر لهم المسيح

جاء فـي إنجيل مرقس 14/ 16: « أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَـرَ وَهُـمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. «

يطـرح هذا النص مشـكلة كبيرة، تمنـع أن يكون من ظهر لهم المسـيح يوم قيامته –المزعومـة– من الموت 11 من رُسـله؛ إذ إنّنا نقرأ في إنجيـل يوحنا 24/ 20: «أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَـرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُـوعُ»؛ وهو ما يعني أنّ عدد التلاميذ الذين رآهم المسيح يوم قيامته –المزعومة– كان 10 لا 11.

ولذلك جاء في تفسير «Pulpit Commentary»: « لِلأَحَدَ عَشَرَ: إذا كان هذا الظهور يشـير –كمـا يبدو واضحًا– إلى يـوم قيامة ربّنا، فلن يكون هناك سـوى 10 [تلاميذ] حاضرين؛ لأنّ توما لم يكن معهم حينئذ».[2]

وحاول تفسـير « Pulpit Commentary» وغيره رفع الإشـكال بالقول إنّ عبارة «الأحد عشـر» تُطلق على مجموع الرُسـل وإن غاب بعضهم. وهـو جواب متكلّف؛ لسببين:

1– الإشـارة إلى الرسـل بعددهم، لا تدلّ إلّا على هذا العدد، وإلّا لكان الواجب عدّهم 12؛ باعتبار هذا العدد هو أشهر في الدلالة عليهم (متّى 4–1/ 10) قبل خيانة يهوذا الإسخريوطي للمسيح. ولذلك عندما ذُكر توما في إنجيل يوحنا 24/ 20 (حتّى بعد خيانة يهوذا الإسخريوطي للمسيح) وُصف توما أنّه « أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ».

(1) منقذ السقار، هل العهد القديم كلمة الله؟ (دار الإسلام، 1440هـ/ 2018م)، ص251–252.

(2) *H. D. M. Spence-Jones, ed. The Pulpit Commentary: St. Mark Vol. II. 2004 (Bellingham, WA: Logos Research Systems,* 2004), p.348.

2- جـاء ذكر ظهور المسـيح للأحد عشـر في غيـر إنجيل مرقـس، وبصورة تدلّ صراحة على أنّ عدد من رآهم المسيح أحد عشر تلميذًا:

«وَأَمَّا **الأحد عشـر** تلميـذًا فانطلقوا إِلى الْجَلِيل إلى الْجَبَلِ، حَيْثُ أمرهم يسـوع . وَلَمَّا رأوْهُ سَجَدُوا لَهُ، ولكنَّ بعضهم شَكُّوا.» (متّى 17-16/ 28).

«فقاما في تلك السـاعة ورجعا إلى أورشـليم، ووجدا **الأحد عشر** مجتمعين، هم والذيـن معهم وهم يقولون: «إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسـمعان!» وأما هما فكانا يخبران بما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسـر الخبز. وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: «سلام لكم!». فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحًا» (لوقا 37-33/ 24).

وقد تكرّر هذا الخطأ، وبصورة أفحش في 1 كورنثوس 5-4/ 15: «وأنّه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر.» وهنا إثبات لظهور المسـيح للاثني عشـر بعد قيامته من الموت، حتّى بعد شنق يهوذا الإسخريوطي نفسه (متّـى 5-3/ 27)! وهو خطأ أحرج كثيرًا من النسّـاخ؛ ولذلـك تمّ تحريف هذا النص بتغيير «الاثني عشـر» إلى «أحد عشـر» «ἕνδεκα» كما في مخطوطـة بيزا والفولجاتا والترجمة الغوطية وفي النص الذي اعتمده يوسابيوس وجيروم ويوحنا الدمشقي...

والذيـن حاولوا الخروج من خطأ نص 1 كورنثوس 5-4/ 15، زعموا أنّ «الاثني عشر» اسم يُطلق على مجموع الرسل. وهو جواب يُعارض الجواب السابق أنّ عبارة «الأحد عشر» هي المعبّرة عن مجموع الرسل!

المطلب الثاني: الاختلافات العددية في الكتاب المقدس

ذهب الناقد **جون وسلي هالي**[1] في كتابه الذي ألّفه لدفع ما استُشكل على الكتاب المقدس من تقريرات مخالفة للحق إلى الإقرار بوجود عدد كبير من الاختلافات العددية في أسفار الكتاب المقدس. وللخروج من هذا الإشكال المبطل لربانية هذه الأسفار، زعم أنّ هذه الاختلافات سببها أخطاء النساح إذ كانوا يرمزون للأعداد بالحروف العبرية؛ فوقع منهم التضارب[2]. ولم يقدّم برهانًا جادًا على دعواه؛ ولذاك فالأصل أنّ تناقض النصوص حجة لإبطال ربانيتها حتى يثبت تحريف النسّاخ.

من الأمثلة التي عرضها **جون وسلي هالي** للتضارب العددي:

المثال الأول: عدد فريق الكمين 30 ألفًا أم 5 آلاف؟

يشوع 8/ 3: «فَقَامَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ لِلصُّعُودِ إِلَى عَايٍ. وَانْتَخَبَ يَشُوعُ **ثَلاَثِينَ أَلْفَ** رَجُل جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ وَأَرْسَلَهُمْ لَيْلًا».

يشوع 8/ 12: «فَأَخَذ نَحْوَ **خَمْسَةِ آلاَفِ** رَجُل وَجَعَلَهُمْ كَمِينًا بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايٍ غَرْبِيَّ الْمَدِينَةِ».

ذهب **جون وسلي هالي** لدفع التناقض بين 30000 و5000، إلى أنّ سبب هذا التضارب الرقمي أنّ هذين العددين قد كُتبا بالترميز العبري، فكتب الناسخ سهوًا في يشوع 8/ 3 حرف اللام وعليه نقطتان (ל̈) (المساوي لـ30000) مكان حرف الهاء وعليه نقطتان (ה̈) (المساوي لـ 5000)[3].

المثال الثاني: طول التاج 5 أم 3 أذرع؟

الملوك الأول 7/ 16: «وَعَمِلَ تَاجَيْنِ لِيَضَعَهُمَا عَلَى رَأْسَيِ الْعَمُودَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ

(1) جون وسلي هالي (1878–1951) John Wesley Haley : لاهوتي وأحد رؤوس التنصير في إفريقيا في زمانه.

(2) John Wesley Haley, An Examination of the Alleged Discrepancies of the Bible (Andover: Warren F. Draper, 1876), pp.380-392

(3) Ibid., p.382

مَسْبُوكٍ. طُولُ التَّاجِ الْوَاحِدِ خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَطُولُ التَّاجِ الآخَرِ **خَمْسُ أَذْرُعٍ**».

ملوك الثاني 25/ 17: « ثَمَانِي عَشَـرَةَ ذِرَاعًا ارْتِفَـاعُ الْعَمُودِ الْوَاحِدِ، وَعَلَيْهِ تَاجٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَارْتِفَاعُ التَّاجِ **ثَلاَثُ أَذْرُعٍ**».

المثال الثالث: عدد أبناء آرح 775 أم 652؟

نقرأ في عزرا 2/ 5: «بَنُو آرَحَ **سَـبْعُ مِئَةٍ وَخَمْسَـةٌ وَسَـبْعُونَ**»، لكنّنـا نقرأ في نحميا 7/ 10: «بَنُو آرَحَ **سِتُّ مِئَةٍ وَاثْنَانِ وَخَمْسُونَ**».

المثال الرابع: ضحايا الوباء 24000 أم 23000؟

العدد 25/ 9: « وَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَاءِ **أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا**».

1كورنثـوس 10/ 8: «وَلا نَـزْنِ كَمَـا زَنَى أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَسَـقَطَ فِي يَـوْمٍ وَاحِدٍ **ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**».

المثال الخامس: عدد الفرسان والراجلين؟

صموئيل الثاني 8/ 4: « فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ **أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةِ** فَارِسٍ **وَعِشْرِينَ أَلْفَ** رَاجِلٍ».

أخبار الأيام الثاني 18/ 4: «وَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ **أَلْفَ** مَرْكَبَةٍ **وَسَبْعَةَ آلاَفِ** فَارِسٍ».

المثال السادس: عدد قتلى داود؟

صموئيل الثاني 10/ 18: «وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْـرَائِيلَ، وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ **سَبْعَ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ**، وَضَرَبَ شُوبَكَ رَئِيسَ جَيْشِهِ فَمَاتَ هُنَاكَ».

أخبـار الأيام الثاني 19/ 18: «وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْـرَائِيلَ، وَقَتَـلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ **سَبْعَةَ آلاَفِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ**، وَقَتَلَ شُوبَكَ رَئِيسَ الْجَيْشِ».

المثال السابع: عدد المعدودين 22 ألفًا أم 23 ألفًا؟

العدد 3/ 39: «جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنَ اللاَّوِيِّينَ الَّذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلُّ ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِدًا، **اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**».

العدد 26/ 62: «وَكَانَ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ **ثَلاَثَةً وَعِشْـرِينَ أَلْفًا**، كُلَّ ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ

فَصَاعِدًا. لأَنَّهُمْ لَمْ يُعَدُّوا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ لَمْ يُعْطَ لَهُمْ نَصِيبٌ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

المثال الثامن: الرؤساء 550 أم 250؟

1الملوك 9/ 23: «هؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الْمُوَكَّلِينَ عَلَى أَعْمَالِ سُلَيْمَانَ **خَمْسُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ**، الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ».

أخبار الأيام الثاني 8/ 10: «وَهؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الْمُوَكَّلِينَ الَّذِينَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ، **مِئَتَانِ وَخَمْسُونَ** الْمُتَسَلِّطُونَ عَلَى الشَّعْبِ».

المثال التاسع: عدد الوكلاء 3300 أم 3600؟

ملوك الأول 5/ 16: «مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلاَءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ **ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثَ مِئَةٍ**، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ».

ملوك الثاني 2/ 18: «فَجَعَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفَ حَمَّال، وَثَمَانِينَ أَلْفَ قَطَّاعٍ عَلَى الْجَبَلِ، **وَثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَسِتَّ مِئَةٍ** وُكَلاَءَ لِتَشْغِيلِ الشَّعْبِ».

المثال العاشر: المقتولون 800 أم 300؟

صموئيل الثاني 23/ 8: «هذِهِ أَسْمَاءُ الأَبْطَالِ الَّذِينَ لِدَاوُدَ: يُشَيْبَ بَشَّبَثُ التَّحْكَمُونِيُّ رَئِيسُ الثَّلاَثَةِ. هُوَ هَزَّ رُمْحَهُ عَلَى **ثَمَانِ مِئَةٍ** قَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً».

أخبار الأيام الأول 11/ 11: «وَهذَا هُوَ عَدَدُ الأَبْطَالِ الَّذِينَ لِدَاوُدَ: يَشُبْعَامُ بْنُ حَكْمُونِي رَئِيسُ الثَّوَالِثِ. هُوَ هَزَّ رُمْحَهُ عَلَى **ثَلاَثِ مِئَةٍ** قَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً».

وقد علّق **آدم كلارك** على نص صموئيل الثاني 23/ 8: «ثلاث مئة هي قراءة سفر أخبار الأيام، ويبدو أنّها هي الصحيحة»[1]. ونقل أيضًا شهادة الناقد **كنيكوت**[2] لذلك، والتي زعم فيها أنّ النص هنا محرّف[3].

---

(1) Adam Clarke, The Holy Bible containing the Old and New Testaments (N. Bangs and J. Emory, 1828), 2/271

(2) بنيامين كنيكوت Benjamin Kennicott (1718-1783): رجل دين إنجليزي، وعالم عبرية. كان له اهتمام خاص بجمع المخطوطات العبرية للعهد القديم.

(3) Ibid

المثال الحادي عشر: المقتولون 5 أم 7؟

ملـوك الثانـي 25/ 19: «وَمِـنَ الْمَدِينَـةِ أَخَذَ خَصِيًّـا وَاحِـدًا كَانَ وَكِيلاً عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ، **وَخَمْسَـةَ رِجَال** مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ وَجْهَ الْمَلِكِ الَّذِينَ وُجِدُوا فِي الْمَدِينَةِ».

إرميـاء 52/ 25: «وَأَخَذَ مِنَ الْمَدِينَةِ خَصِيًّا وَاحِـدًا كَانَ وَكِيلاً عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ، **وَسَبْعَةَ رِجَال** مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ وَجْهَ الْمَلِكِ، الَّذِينَ وُجِدُوا فِي الْمَدِينَةِ».

المثال الثاني عشر: كم من مذود 40 ألفاً أم 4 آلاف؟

الملـوك الأول 4/ 26: «وَكَانَ لِسُـلَيْمَانَ **أَرْبَعُـونَ أَلْفَ** مِذْوَدٍ لِخَيْـلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ».

أخبار الأيام الأول 9/ 25: «وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ **أَرْبَعَةُ آلاَفِ** مِذْوَدِ خَيْل وَمَرْكَبَاتٍ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ».

المثال الثالث عشر: كم وزنة من الذهب 420 أم 450؟

ملوك الأول 9/ 28: «فَأَتَوْا إِلَى أُوفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَبًا **أَرْبَعَ مِئَةٍ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ** وَزْنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ».

أخبـار الأيام الأول 8/ 18: «وَأَرْسَـلَ لَهُ حُـورَامُ بِيَدِ عَبِيدِهِ سُـفُنًا وَعَبِيـدًا يَعْرِفُونَ الْبَحْـرَ، فَأَتَوْا مَعَ عَبِيدِ سُـلَيْمَانَ إِلَى أُوفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ **أَرْبَعَ مِئَةٍ وَخَمْسِـينَ** وَزْنَةَ ذَهَبٍ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ».

المثال الرابع عشر: طول البيت 40 أم 60 ذراعاً؟

ملوك الأول 6/ 17: «**وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا** كَانَتِ الْبَيْتَ، أَيِ الْهَيْكَلَ الَّذِي أَمَامَهُ».

ملـوك الأول 6/ 2: «وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُـلَيْمَانُ لِلرَّبِّ **طُولُهُ سِـتُّونَ** ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَسَمْكُهُ ثَلاَثُونَ ذِرَاعًا».

كتب **جون وسـلي هالي** بعد أن سـاق هذا المثال والأمثلة السـابقة: «**في كلّ هذه الحالات تقدّم فرضيّة أخطاء النُسّاخ تفسيرًا سهلًا جدًا ومعقولًا**»[1].

ومن الاختلافات العددية الأخرى:

(1) كم من ثور وكبش؟

لاويين 23/ 18: «وَتُقَرِّبُون مَعَ الْخُبْزِ سَـبْعَةَ خِـرَافٍ صَحِيحَةٍ حَوْلِيَّةٍ، **وَثَوْرًا وَاحِدًا ابْنَ بَقَرٍ، وكَبْشَيْنِ** مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ مَعَ تَقْدِمَتِهَا وَسَكِيبِهَا وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ».

العـدد 28/ 27: «وَتُقَرِّبُـونَ مُحْرَقَةً لِرَائِحَةِ سَـرُورٍ لِلرَّبِّ: **ثَوْرَيْنِ ابْنَيْ بَقَرٍ، وَكَبْشًـا وَاحِدًا**، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ».

ذهب بعض المفسـرين إلى أن نص العدد 28/ 27 ناسخ لنص لاويين 23/ 18 [2]، لكنّ النصارى لا يؤمنون بالنَسخ؛ فبقي رد الأمر إلى التناقض واجبًا!

(2) المسافة.. ألف ذراع أم ألفا ذراع؟

العدد 35/ 4: «وَمَسَـارِح الْمُدُنِ الَّتِي تُعْطُونَ اللاَّوِيِّينَ تَكُونُ مِنْ سُـورِ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الْخَارِجِ **أَلْفَ ذِرَاعٍ** حَوَالَيْهَا».

العـدد 35/ 5: «فَتَقِيسُـونَ مِنْ خَـارِجِ الْمَدِينَةِ جَانِبَ الشَّـرْقِ **أَلْفَـيْ ذِرَاعٍ**، وَجَانِبَ الْجَنُـوبِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَجَانِبَ الْغَرْبِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَجَانِبَ الشِّـمَالِ **أَلْفَيْ ذِرَاعٍ**، وَتَكُونُ الْمَدِينَةُ فِي الْوَسَطِ. هذِهِ تَكُونُ لَهُمْ مَسَارِحَ الْمُدُنِ».

(3) عدد عائلة النبي يعقوب.. 70 أم 75؟

تكوين 46/ 27: «جَمِيع نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ **سَبْعُونَ**».

أعمال الرسـل 7/ 14: «فَأَرْسَلَ يُوسُـفُ وَاسْـتَدْعَى أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَجَمِيعَ عَشِيرَتِهِ، **خَمْسَةً وَسَبْعِينَ نَفْسًا**».

---

(1) John Wesley Haley, An Examination of the Alleged Discrepancies of the Bible, p.383

(2) See J. E. Hartley, Leviticus (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.386

(4) عدد الطيور غير الطاهرة.. 20 أم 21؟

اللاويين 11/ 13–19: «وَهذِهِ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ. لاَ تُؤْكَلْ. إِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ: اَلنَّسْرُ وَالأَنُوقُ وَالْعُقَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْبَاشِقُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالنَّعَامَةُ وَالظَّلِيمُ وَالسَّأَفُ وَالْبَازُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْبُومُ وَالْغَوَّاصُ وَالْكُرْكِيُّ وَالْبَجَعُ وَالْقُوقُ وَالرَّخَمُ وَاللَّقْلَقُ وَالْبَبْغَا عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ».

التثنية 14/ 12–18: «وَهذَا مَا لاَ تَأْكُلُونَ مِنْهُ: النَّسْرُ وَالأَنُوقُ وَالْعُقَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْبَاشِقُ وَالشَّاهِينُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالنَّعَامَةُ وَالظَّلِيمُ وَالسَّأَفُ وَالْبَازُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْبُومُ وَالْكُرْكِيُّ وَالْبَجَعُ وَالْقُوقُ وَالرَّخَمُ وَالْغَوَّاصُ وَاللَّقْلَقُ وَالْبَبْغَاءُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ».

المبحث الثاني:
هل في القرآن أخطاء حسابية؟

استعجل خصوم الإسلام في اتّهام آيات القرآن أنّها تضم بعض الخطأ الحسابي، رافضين أن يقرؤوا الآيات في سياقها، ويفهموا مراميها؛ ولذلك جاءت معارضاتهم متشنّجة في تكلّفها. ومعارضاتهم لا تتجاوز المسائل الثلاث التالية.

الاعتراض الأول: مدة الحمل، تسعة أشهر أم ستة أشهر؟

مدّة الحمل في القرآن ستة أشهر لا تسعة أشهر، ودليل ذلك أنّ القرآن يقول: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[1].

ويقول أيضًا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2].

وإذا حذفنا 24 شهرًا (حولين كاملين) من 30 شهرًا، بقيت لنا ستة أشهر هي مدّة الحمل.

الجواب:

النظر في إيماء القرآن إلى مدّة الحمل أنّها ستة أشهر دال على الدقّة العلميّة في خبر هذا الكتاب؛ وهذا أمر ليس من اكتشافات عصرنا وإنّما كشفه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد روى **عبد الرازق** -بسنده- عن عبد الرحمن بن عوف قال: رفعت امرأة إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولدت لستة أشهر، فقال عثمان: إنها قد رفعت إليَّ امرأة ما أراها إلا جاءت بشر، فقال ابن عباس: إذا كملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر، وقرأ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ

(1) [البقرة:233].
(2) [الأحقاف:15].

﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾[الأحقاف:15]، فدرأ عثمان عنها[1].

يشير القرآن -إذن- إلى الحدّ الأدنى للحمل حتّى يولد الطفل ويعيش في كلّ عصر، لا فقط في زمن حضانات المواليد المتطوّرة. وهو أمر ثابت علميًا وإن أنكره اليهود قديمًا.

وقد يستغرب القارئ اليوم هذا التقرير القرآني. ولا يرفع هذا الاستغراب غير العلم بالبيئة القرآنية التي كان اليهود وغيرهم يقررون فيها أنّ الوليد الذي يولد في شهره السابع لا بدّ أن يموت ولا أمل في حياته، فجاء القرآن فنقض هذه الدعوى.

يقول الباحث **صموئيل كوتك**[2] في مقاله «علم الأجنة في الأدبيات التلموديّة والمِدراشيّة»: «لنفكّر في مشكلة طفل سنّه ثمانية أشهر، وهي حالة مثيرة للجدل في علم الأجنة القديم. كان مؤلف البحث الأبقراطي المختصر عن الطفل ذي السبعة أشهر مقتنعًا أنّ الطفل المولود قبل فترة ثمانية أشهر «**لا يمكن أن ينجو بالتأكيد**». كانت هذه الفكرة مقبولة على نطاق واسع في العصور القديمة، **وحكماء التلمود عبّروا عنها عدة مرات**»[3].

وقد تسأل عن أهميّة هذه الإيماءة القرآنيّة. وجواب ذلك أنّ المرأة الزانية عقوبتها لزناها الموت رجمًا، وفي الآية رفع للشبهة عن من تضع وليدها بعد ستة أشهر من زواجها، ولولا هذا الحكم لبقي الناس على العرف، ولوقعت من تضع وليدها حيًا في هذه المدّة تحت حكم الحدّ الشرعي.

وما قرّره القرآن هو الذي انتهى إليه القانون الأمريكي، فقد جاء في الفصل 181 من «القانون المدني» لولاية لويزيانا الأمريكية[4]:

---

(1) قال الإمام ابن عبد البر: «وهذا الإسناد لا مدفع فيه من رواية أهل المدينة». (الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 – 2000، 7/ 492).

(2) صموئيل س. كوتك Samuel S. Kottek: طبيب يهودي فرنسي. أستاذ تاريخ الطب في الجامعة العبرية في القدس.

(3) Samuel S. Kottek, ‘Embryology in Talmudic and Midrashic Literature’ in Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981), p.313

(4) The Revised Civil Code of the State of Louisiana, 1910

«الطفـل القـادر على الحياة، والذي وُلد قبل اليوم 180 [6 أشـهر] بعد الزواج، لا يُعتبر ابنًا للزوج. كلّ طفل وُلد حيًا بعد سـتة أشـهر بعد الحمل، يُفترض أنّه قادر على الحياة».

صورة من مجلّة «القانون المدني» لولاية لويزيانا

ART. 181 [186] (205).—The child capable of living, which is born before the one hundred and eightieth day after the marriage, is not presumed to be the child of the husband; every child born alive more than six months after conception, is presumed to be capable of living.

إنّ العلـم يوافـق اليوم التقريـر القرآني، ويرفع بذلك الشـبهة عن النسـاء اللواتي يلدن أبناء بعد سـتة أشهر من الزواج؛ إذ يثبت لهن النسب، على خلاف التلمود الذي يجعلهن محلّ ريبة. والمدّة الأدنى المشار إليها في الآية أغلبيّة، ويعني ذلك أنّه يجوز أن يتطوّر العلم فيعيش بعض المواليد الذين ولدوا قبل الستة أشهر.

فالآية إذن ترد على من جعلوا ميلاد الوليد بعد ستة أشهر من الحمل علامة مؤكدة أنه لن يعيش. والشـرع لا يعتبر الشـذوذات في الظروف الطبيعيـة، وإنّما يقيم الحكم علـى العام فـي كلّ عصر؛ ولذلك أومأ إلـى المدة الأدنى في العادة رفعًا للشـبهة عن الوالدات إن أنجبن في ستة أشهر وليدًا قادرًا على العيش؛ خاصة أنّ عقوبة المتزوجة الزانية القتل رجمًا.

ونرى في المقابل أن سـفر الحكمة 7/ 2 يجعل مدة الحمل عشـرة أشهر لا تسعة: «وفي مدة عشرة أشهر تكونت في الدم من زرع رجل ومن اللذة التي تصاحب النوم»!

الاعتراض الثاني: هل أخطأ القرآن في حساب الميراث؟

جاء تفصيل فروض الورثة في القرآن، لكنّنا نجد أنفسـنا في أحيان أمام حالات لو جمّعنا فيها فروض الورثة، فستكون أكبر من مجموع الميراث.

مثال: ماتت امرأة عن زوج وأختين شقيقتين:

الزوج له النصف	﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾
الأختان الشقيقتان لهما الثلثان	﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾

وبجمع النصف والثلثين= 3 أسداس + 4 أسداس= 7 أسداس. وهذا يعني أنّ الميراث الذي سيقسم أقلّ من الفروض التي حدّدها الشرع.

الجواب:

تُسمّى هذه المسألة أو المسائل «بالعَول»[1]، وهي «زيادة في السهام ونقصان في الأنصباء»، أي: زيادة فروض الورثة على التركة. وبيان حقيقة الأمر يقتضي بيان مسألتين؛ (1) طريق حلّها عمليًا، (2) بيان أنّها لا تدلّ على وقوع الغلط أو السهو في النص في أحكام الميراث.

تقسيم الميراث عند زيادة الفروض على التركة: في هذه الحال ينقص من نصيب كلّ وارث بما يوافق معدّل نصيبه من الميراث، أو بعبارة أخرى: تُقسّم التركة على الورثة بالحصص؛ بتقليل حصص أصحاب الفروض بنسبة فروضهم. وهو ما أفتى به الصحابةُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عرضت له حادثة من هذا النوع[2].

ولكن قد يقول معترض: هذا الفعل ليس سوى حلّ بشري للخروج من مشكلة تعارض تقسيم القرآن للأنصبة بصورة تستوعبها كاملة مع وجود حالات تتجاوز الأنصبة مجموع الميراث!

(1) العَول لغة = الزيادة.
(2) رواه البيهقي، السنن الكبرى، 6/ 253.

وجـواب ذلك أنّـه ليس في القـرآن ما يدلّ أنّ القـرآن قد وضع أنصبـة الورثة بما يسـتوعب بصورة مباشـرة كامل الميراث؛ فإنّ هناك حالات يُعطى فيها الوارث زيادة علـى نصيبـه؛ فالبنت تـرث النصف بدليـل قولـه تعالـى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ [النسـاء: 11]؛ فهي تأخذ النصف فرضـاً والباقي ردًا؛ فإنّه يحصل الردّ في حال:

1 – وجود صاحب فرض.

2 – عدم وجود عاصب.

3 – بقاء فائض من التركة.

ومـن يقـرأ نصوص القرآن والسـنّة في الميراث يُـدرك أنّها تركت البـاب مفتوحًا لأن تبقـى في الميراث زيـادة، والزيادة لا تذهب هدرًا؛ فلا بـدّ أن يُمنح الميراث إلى منتفعيـن. والقول في نقص الميـراث كالقول في زيادته... فالقول بالخطأ الحسـابي لا يقوم إلّا بصريح نص أنّ أنصبة الورثة التي صرّح بها القرآن تسـتوعب في كلّ حال بطريـق مباشـر كامل الميـراث دون زيادة أو نقصـان، وليس الأمر كذلـك؛ بل ظاهر النصوص على خلاف ذلك.

الاعتراض الثالث: مدة خلق الكون في القرآن وترتيبها

يُفهم مما جاء في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعـراف: 54] أنّ خـلق السـموات والأرض استغرق ستة أيام، في حين يُفهم من سـورة فصـلت أنّ خلق السـموات والأرض اسـتغرق ثمانيـة أيـام: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ

فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: 9–12].

النتيجة = يومان لخلق الأرض + 4 أيام للرواسي والأقوات+ يومان لخلق السموات السبع = ثمانية أيّام.

ثم إن ترتيب الخلق في القرآن مخالف لما انتهى إليه العلماء من أنّ الأرض قد خُلقت بعد خلق السماء، لا العكس.

الجواب:

تتفّق الهيئات العلمية الكبرى على مجموعة من التقريرات التي تمثّل مكاسب عظيمة للعقل العلمي في القرنين العشرين والواحد والعشرين:

- مادة الكون بأرضه وسمائه وجدت في الانفجار العظيم.
- سِنّ الكون: 13.7 بليون سنة، وسنّ الأرض: 4.5 بليون سنة.
- تكوّنت الأرض في المدّة الأخيرة من سنّ الكون.

والناظر في كتاب الله بروية يجد تطابقًا مذهلًا مع مكتشفات العلم الحديث، ووجه الإذهال فيه أنه موافق بدقّة لأدقّ الدراسات العلمية الأحدث، وأنّه مخالف بشدّة لما جاء في التوراة والإنجيل.

مادة الكون: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، فالسماوات والأرض من مادة واحدة، وجدتا أولاً، ثم حدث الانفصال، فتميّزت السماء عن الأرض.

سنّ الكون والأرض: القراءة البسيطة غير المتكلّفة لآيات الخلق في القرآن تدلّ على عدد من الأمور:

- خلق الكون في ستة أيام: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[2]. فالسماوات والأرض قد خلقتا في ستة أيام، في عبارة محكمة. والأيام هنا مدد من الزمن دون حصر، ولا قرينة على أنّها أيام من أيام الدنيا.
- أيام الخلق متساوية بصورة تامة، فقد قال تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[3]،

---

(1) [الأنبياء: 30].
(2) [الأعراف: 54].
(3) [فُصِّلَت: 10].

فهي «سواء» أي متساوية زمنًا.

● السماء والأرض وجدتا معًا ثم فتقتا.

● الأيام الست في القرآن مقسمة على الشكل التالي:

1. خلق الله الأرض في يومين، ومعنى الخلق هنا هو إيجاد المادة الأولى، ثم طبخها في الفرن الكوني: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

2. تسوية السماوات في يومين، وهذا ليس خلقًا لمادة السماوات وإنما تشكيلها على صورة سبع سماوات، وذاك دال أنّ السماء تسبق الأرض في إحكام البناء، وإنْ تزامن خلق مادة السماء ومادة الأرض. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

3. فصل الأرض عن السماء، أي الأجرام التي ستعلوها بعد ذلك. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، بعد انفصال الأرض عن بقية الكواكب، بَسَطها الله سبحانه، وثبّتها، وذلك في يومين اثنين، وهذا هو سنّ أرضنا، أو قل: «سنّها الجيولوجي» - على حد تعبير الفيزيائي منصور محمد حسب النبي -: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[4]. فهذه

(1) [فُصِّلَت:9].
(2) [فُصِّلَت:11-12].
(3) [الأنبياء:30].
(4) [فُصِّلَت/ 9-10].

الأيام الأربع تتضمّن اليومين الأوّلين لخلق الأرض، واليومين الآخرين لتثبيت القشرة الأرضيـة كما هو قول كثير من المفسّـرين القدماء والمعاصريـن[1]. والقرآن يميّز في غيرما موضع بين «خلق» و«قدّر»، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[2].

النتيجة:

قرآنيًا، السنّ الجيولوجي للأرض يساوي 2/ 6 سنّ الكون، أي ثلثه 1/ 3.

تعقيب1:

الأيام الست للخلق تنتهي بخلق الأرض، في حين أنّ حسابكم (13.7 بليون سنة) خاص بسنّ الأرض من الانفجار العظيم إلى اليوم.

الجواب:

الأيام الســت المذكورة في القـرآن لا تنتهي بخلـق الأرض، ولا بفصلها عن بقية الأجرام، وإنّما تنتهي بتهيئة الســهول والجبال وأرزاق الأرض (النبات والحيوان...) لاسـتقبال آدم عليه الســلام. قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾. وإذا قلنا إنّ آدم عليه الســلام قد ظهر على الأرض منـذ عشـرات أو مئات آلاف السـنين (على خلافٍ بيـن المقدّرين)؛ وحذفنا ذلك من ســنّ الكون البليوني (13.700.000 ألف ســنة)؛ فلن تتغيّر النسبة المذكورة سابقًا لسنّ الأرض من سنّ الكون.

تعقيب2:

رغــم أنّ التفســير الــذي قدّمتموه مُؤيَّد بنصــوص القرآن، إلا أنّه مخالف لتفســير الصحابة، وأنتم بذلك تتعسّفون في استنطاق النصوص القرآنية لتوافق العلم الحديث!

(1) وهـو نفسـه قـول ابن عباس رضي الله عنـه - في ما أخرجه البخـاري- ببيان تعلّق اليـوم الأول والثاني والخامس والسادس بالأرض.
(2) [الفرقان:2].

الجواب:

بل تفسيرنا موافق لتفسير الصحابة، فهو عين تفسير ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لآيات الخلق، ولم يخالفه إلا في مسألة واحدة فقط، وهي قوله إنّ السماء خلقت بعد الأرض، لا مع الأرض، فقد فهم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[1]، على أنه مخبر بإنشاء السماء بين اليوم الثاني واليوم الثالث[2] الذي بدأ فيه أمر تسوية السماوات إلى سبع. فقد استشكل رجل آيات ترتيب الخلق، فأجابه ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قائلًا: «خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجماد، والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى: «دَحَاهَا»، وقوله: «خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ»، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين»[3]. وبيان فهم ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لآيات الخلق في الجدول التالي:

اليوم 1 و2	بين اليوم 2و3: نهاية الثاني (!) أو بداية الثالث(!)	اليوم 3و4	اليوم 5و6
الأرض	**خلق السماء (الدخان)**	**تسوية الدخان سبع سماوات**	**تهيئة الأرض للحياة**

ما قرّره ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هو ظاهر القرآن، غير أنّ قوله إنّ الله -سبحانه- قد خلق السماء بعد الأرض، ثم سوّاها سبع السماوات، ليس صريحًا في الآية، (ولذلك اختلف فيه علماء التفسير منذ القرون الهجرية الأولى، وإلى اليوم)، فالقرآن تحدّث

(1) [فُصِّلَت:11-12].
(2) العبارة غامضة، فربما قصد ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- نهاية اليوم الثاني أو بداية اليوم الثالث.
(3) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة حم السجدة.

عن تسـوية السـماوات في يومين، وليس خلقَها في هذين اليومين، والتسـوية متأخّرة عن الخلق ضرورة؛ فلزم أن يكون خلق السماوات في اليومين السابقين لليوم الثالث والرابع، أي إنّ القرآن قد دلّ على خلق السـماوات ضمنًا في اليومين الأوّلين بحديثه عن تسـويتها سـبع سـماوات في المرحلة الثانية من الخلق، فالله – سبحانه- استوى إلى السـماء الموجودة أصلًا على هيئة دخان في اليوم الثالث، فجعلها على هيئة سبع سـماوات في يومين. ولا حجّة للقول إنّ السـماء قد خلقت في آخر اليومين الأوّلين مـن القرآن؛ إذ ليس فـي آيات ترتيب الخلق حديث صريح عن مرحلة خلق السـماء؛ فيبقـى الأمر على إطلاقه، وهو أنّ السـماء خلقت في يومَي خلـق الأرض، إلّا بقرينة صارفة، ولا قرينة!

تعقيب3:

فلماذا لم يشر القرآن إلى خلق السماء مع الأرض؟

الجواب:

بـل أشـار القرآن إلـى ذلك فـي قولـه تعالـى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[1]، فقـد كانـت السـموات والأرض كتلـة واحدة، ثم تم فصلهما عن بعضهما، بالفتق، والفتق ضد الوصل؛ فسـوّيت السماوات السبع، وهيّئـت الأرض للحياة. قـال **ابن كثير**: «كان الجميع متّصـلاً بعضه ببعض، متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السـموات سبعًا، والأرض سـبعًا»[2]، وقـد جاء تفسـير الآيـة بفصل السـماء عن الأرض عـن التابعي الجليل المفسّـر قتادة السدوسـي (توفي 118هـ)، والتابعي الجليل الحسـن البصري (توفي 110هـ)[3].

(1) [الأنبياء:30].
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 339.
(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 16/ 256.

ترتيب الخلق قرآنيًا

اليوم 1 و2	اليوم 3 و4	اليوم 5و6
خلق مادة السماوات والأرض	تسوية الدخان سبع سماوات	إنشاء الكرة الأرضية بما فيها
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	تهيئة الأرض بعد خلق السماء: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)﴾. مدة خلق الكرة الأرضية: يومان، بعد حذف يومي خلق المادة وطبخها بتكوين العناصر الأساسية من مجموع الأيام الأربعة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠)﴾

ومن الناحية العلمية، يقدّر علماء ناسا رسميًا سنّ الكون على أنه 13.7 بليون سنة، ويقدر العلماء سنّ الأرض بـ4.5 بليون سنة[1]. وبحساب سُدسي سنّ الكون، أي يومين من حياته إذا قدّرنا أنه ستة أيام، تكون النتيجة بالضبط 4.5، بهذه الدقة وهذا الإعجاز![2]

(1) G. Brent Dalrymple, 'The age of the Earth in the twentieth century: a problem (mostly) solved' in Special Publications, Geological Society of London, 2001, 190 (1): 205–221.

(2) أوّل من ربط بين المعطى القرآني والمعطى العلمي بهذه الدقة -في حدود علمي- هو الدكتور منصور محمد حسب النبي، علمًا أنه لم يكن متأكدًا من دقة الكشوف الحديثة لسن الكون، وكان يرى أنّ «معظم الدلائل العلمية تشير الآن إلى أنّ سن الكون يتراوح بين 12 إلى 15 مليار سنة، كأرقام معروفة الآن لدى علماء الفيزياء الكونية». (مقال له إلكتروني: الزمن بين العلم والقرآن)، فكيف لو علم مطابقة النص القرآني لكشوف العلم بالدقة المعروفة اليوم؟!

سنّ الأرض بالنسبة إلى الكون علميا	سنّ الأرض بالنسبة إلى الكون قرآنيا
4,5 بليون سنة/ 13,7 بليون سنة	يومان/ 6 أيام
1/ 3	2/ 6=1/ 3

والأمر الذي يشير إلى أنّ هذا التطابق بين القرآن والعلم ليس صدفة، حقيقة الـمُدَد التي قرّرها القرآن، فإنّه يجوز أن يقال إنّ الأمر صدفة لو كان القرآن قد اختار القول إنّ الأرض قد خلقت في يوم واحد؛ باعتبار أنّ الأرض شيء واحدٌ، خُلِق في يوم واحد، أو أن تكون مدة خلق الأرض ثلاثة أيام، باعتبار أنّ الكون هو «السماوات والأرض»، فللسماوات نصف مدة الخلق الإجمالية، وللأرض النصف الآخر، نصف المدة. وليس في القرآن ذاك!

تعقيب 4:

نصُّ القرآن ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت/ 9-12)، قاطعٌ أنّ الأرض وما عليها قد خلقا قبل السماوات السبع.

الجواب:

هذا الفهم ليس حاسمًا؛ لسببين:

أولا: القرآن مخبر أنّ السماوات والأرض كانتا رتقا؛ فلزم من ذلك أنّ تميُّز الأرض قد كان بعد الفتق الذي كانت السماوات أثناءه مخلوقة.

ثانيا: جاء التصريح بسبق تسوية السماوات تهيئة الأرض للحياة في قوله تعالى:

﴿أَأَنتُمْ أَشَــدُّ خَلْقًا أَمِ السَّــمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَــمْكَهَا فَسَــوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْــرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْــدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَــا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31)﴾ (النازعـات/ 27-31). وقـد تهيّـأت الأرض للحياة بعـد انفصالها عن بقية الأجـرام، فتكوّرت، وأخرجت -بفضـل الله- خيراتها. وفي ضـوء ذلك تفهم آيات سورة فصلت.

الباب الثالث

الأسفار المقدسة وعالم الأحياء

عالَـم الأحياء عظيـم الحضور في القـرآن والكتاب المقدس؛ ففي هذه الأسـفار حديث عن الإنسـان، والحيوان، والحشـرات، والنباتات. وذاك بـاب زلّت فيه أقدام كثيـر من العلماء فـي الحضارات القديمة؛ فإنّ الإنسـان كان دائمًا فـي حاجة إلى أن يتعاطى مباشـرة مع أمراض البشـر، وطلب المأكل والمشـرب من لحوم الحيوانات ولبنهـا؛ ويتطبّب من النبات، ولمّا كانت العلوم في بداياتهـا، وأدوات البحث بدائية، والعمدة ظاهر الأشياء؛ كان الغلط واسعًا في فهم عالم الأحياء.

وخبر عالم الأحياء في القرآن والكتاب المقدس مواضيعه مختلفة، يتطلب دراسة منصفة، متريّثة. وذاك ما سنسـعى إلى تناوله في الفصول التالية، وأهم هذه المواضيع مـا جاء في أمـر علم الأجنّة في القرآن والسـنّة؛ فقد كثر الجدل في هذه المسـألة بين القائلين بإعجاز الوحي الإسـلامي، ومن ينسـبون تقريرات القـرآن إلى أخطاء اليهود واليونـان. ومن عجبٍ أنّ عامـة الباحثين في هذا الموضـوع يتجاهلون الحديث عن علم الأجنّة في الكتاب المقدس ويكتفون بمناقشـة ما جاء في القرآن والسُنّة؛ ولذلك ألزمنا أنفسـنا أن نتناول أمر علم الأجنة في القرآن والسـنّة والكتاب المقدس بتفصيل يسـتوعب عامة ما قيـل فيه من المنصّريـن والملاحدة، مع وزن ذلـك بميزان حقائق العلم والتاريخ.

كما سنتناول الحديث عن عالم الحيوان مما دبّ أو طار، وعالم الكائنات الخرافية المقتبسـة من أسـاطير الوثنييـن، ثم نعـرّج على عالم النبـات، قبـل أن نتناول بعض المتفرّقـات العلميـة التي نختم بها حديثنا عن التقريرات العلميّـة المقارنة بين القرآن والكتـاب المقدس.. ونحن في ذلـك كلّه نراجع أقوال المفسّـرين للكتاب المقدس من الأكاديميين غير المسلمين، ونتعقّب كلّ معارضة مشهورة في أدبيات المنصّرين، ونقتنص -ما استطعنا، بإنصاف- اللفتات العلميّة الخارقة في القرآن.

الفصل الأول
علم الأجنة بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية

كانت مكة تضمّ طائفة أميّة من العرب الذين لم يتركوا لنا خبرًا علميًا عن معرفتهم بعلـم الأجنّة، ولا هم يرتقون -بدءًا- إلى المسـاهمة في هذا العلم، وأمّا في المدينة، فقد جاور المسـلمون اليهود، وهم طائفة لها استقلالها العلمي عن النصارى واليونان في خبرهم العلمي بما عندهم من تفصيل في التلمود.

ولم يُؤثَـر عن اليهود مدوّنة علميّة في علم الأجنة قبل الإسـلام، وكان أوّل كتاب لهم عبري في هذا العلم ذاك الذي جمعه أسـاف في القرن السابع[1]؛ ولذلك فمصدر العلـم بالموقـف العلمي لليهـود في علم الأجنّة زمـن البعثة هو - أساسًـا - الكتاب المقدس (العهد القديم)، والتلمودين البابلي والأورشليمي.

وقد اسـتطاع التراث اليهودي التلمودي التأثير في الثقافة الإسـلامية كما يظهر في عدد من الأحاديث التي ردّ علماء الحديث نسبتها إلى نبيّ الإسلام ﷺ لأنّها مختَلقة، أو وَهـم الـرواة فظنّـوا أنّها من كلام النبـيّ ﷺ، في حين أنّها من تـراث أهل الكتاب السـائر بين الناس في القـرون الهجرية الأولى، ومن ذلك حديـث: «إن نطفة الرجل بيضـاء غليظـة، فمنها يكون العظـام والعصب، وإن نطفة المرأة صفـراء رقيقة، فمنها يكـون الـدم واللحم»[2]، فهذا الحديـث مطابق لما جاء في التلمـود[3]، وإن كان خبر التلمود أوسع في التفصيل، مع اشتراكهما في الخطأ العلمي. كما تُظهر السيرة النبوية أثر الثقافة اليهودية في المدينة النبوية كما في مسألة أصل الحَوَل؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: «كانـت اليهود تقـول: إذا جامعها من ورائها جاء الولـد أحول فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [البقرة:223]»[4].

---

(1) Isidore Simon, 'La gynécologie dans la Bible et le Talmud,' in Mélanges d'Histoire de la Médecine Hébraïque, Gad Freudenthal, Samuel S. Kottek, eds. (Brill, 2003), p.37

(2) حديث ضعيف، مداره على عطاء بن السائب. صدوق اختلط بآخرة. ضعفه الألباني (السلسلة الضعيفة، 11/ 804-805).

(3) Babylonian Talmud, Nidda 31a

(4) رواه البخاري، كتاب تفسـير القرآن، سـورة البقرة: باب نسـاؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم، (ح/ 4254)، ومسلم، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر (ح/ 1435).

كانت الثقافة الجاهلية في مكّة والمدينة نزّاعة إلى التفسيرات البسيطة والخرافية لما يتعلّق بأصل الذكورة والأنوثة والشبه، والذي هو مستقر إلى اليوم في ثقافتنا الشعبية من الظنّ أنّ إعجاب الحامل بشيء تراه، يكون له أثر في بنية الولد.

وليس عندنا برهان على أثرٍ لأثرِ الثقافة اليونانية لعلم الأجنّة في مكة أو المدينة، على خلاف ما كان مع كتبة أسفار العهد الجديد الذين عاشوا في بيئة يهيمن عليها الأثر العلمي اليوناني في نخبة المتعلمين.

ولم تهتم أسفار العهد القديم كثيرًا بعلم الأجنة. وقد كان سفر أيوب أصرح الأسفار في الحديث عن علم الأجنّة -وإن باقتضاب-، علمًا أنّ زمن تأليفه مجهول؛ فقد اضطرب النقاد في تحديد هذا الزمن من عصر الآباء (2100–1800 ق م) حتى القرن الثاني قبل الميلاد[1]؛ بما يجعل تأثّره بالموروث اليوناني الأرسطي والسابق لأرسطو محتملًا.

(1) Maurice J. O'Sullivan, The Books of Job (UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009), p.9

المبحث الأول:
نشأة الجنين بين القرآن والكتاب المقدس

يُعتبر أمر نشأة الجنين في القرآن أبرز أبواب الجدل في صدق الخبر العلمي في القرآن بين المسلمين ومخالفيهم. وقد أخذ هذا الموضوع حيّزًا واسعًا من البحث. ورغم المادة العلميّة الواسعة المطروحة في هذا النقاش إلا أنّه يغلب على هذا الحوار التقصير في رصد حقيقة المعرفة العلمية في الحجاز في القرن السابع؛ بما يفسد اعتبار دقّة اللفظ العربي للتعبير عن الحقيقة العلمية في بيئة لم تتطوّر مصطلحاتها، وتطلب ألفاظًا من بيئتها للتعبير عن حقائق العلم. ومن عظيم الخلل المنهجي -أيضًا- قراءة النص القرآني دون استيعاب ثقافة علم الأجنة اليوناني والتوراتي والتلمودي، مع انتقائيّة غير وفيّة للحياد المنهجي عند النظر.

المطلب الأول: نشأة الجنين في الكتاب المقدس والتراث اليهودي-النصراني

يعكس التراث اليهودي-النصراني القديم لعلم الأجنة ثقافات الأمم القديمة في ظاهريتها وبساطتها، وقد وافقها في أهم أخطائها الشائعة، وتفرّد بمقولات أخرى منكرة.

المثال الأول: مراحل تطور الجنين

النصوص التي تتحدّث عن نشأة الجنين في التراثين اليهودي والنصراني قليلة عددًا، لكنّها مباشرة وصريحة في تفصيلها العلمي؛ وهو ما يجعل الحكم على ربّانية الأسفار التي تتكلّم في هذا الخبر يسيرًا، لا تكلّف فيه.

التوراة:

جاء في سفر الحكمة[1] 7/ 2:

وَفِي مُدَّةِ عَشَـرَةِ أَشْهُرٍ صُنِعْتُ مِنَ الدَّمِ بِزَرْعِ الرَّجُلِ، وَاللَّذَّةِ الَّتِي تُصَاحِبُ النَّوْمَ.	δεκαμηνιαίῳ χρόνῳ παγεὶς ἐν αἵματι ἐκ σπέρματος ἀνδρὸς καὶ ἡδονῆς ὕπνῳ .συνελθούσης

نقل نص سـفر الحكمة 7/ 2 ما قرّره الطب اليوناني القديم من أنّ الجنين ينشأ من دم الحيـض، وهـي النظريّة التي هيمنـت على التراثين اليهـودي والنصراني منذ زمن مبكّـر وحتى قرون قريبة، وقد انتصر لها اللاهوتي الشـهير **توما الأكويني** في تفسـيره لسـفر أيوب[2]. ويبـدو أنّ التراث اليونانـي والكتاب المقدس ينقـلان هذه الدعوى العلمية عن عامة التراث العلمي القديم للأمم السابقة.

وجـاء في سـفر أيـوب 10/ 9–11: « اُذْكُرْ أَنَّـكَ جَبَلْتَنِـي كَالطِّيـنِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟

أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ، وَخَثَّرْتَنِي كَالْجُبْنِ؟

كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ».

النقل السابق هو النصّ المفضّل عند آباء الكنيسة لشرح تكوّن الجنين[3]، وقد لخّص الناقد **نورمن هابل**[4] معناه بقوله: «شُـكّل الجنين مـن الطين، صُبّ المني كالحليب،

(1) سفر الحكمة: يؤمن بقداسته النصارى الكاثوليك والنصارى الأرثوذكس، ويرفضه البروتستانت.

(2) Melissa Rovig Vanden Bout, Thomas Aquinas and the Generation of the Embryo: Being Human before the Rational Soul, Boston College Electronic Dissertation, 2013, p.132 <https://dlib.bc.edu/islandora/object/bc-ir:104090/datastream/PDF/view >

(3) انظر هامش: Ante Nicene Fathers, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1887, 3/538

(4) نورمن هابل(Norman Habel - 1964م): أستاذ في جامعة جنوب أستراليا، محرّر كتاب The Earth Bible.

وجُمّد كالجبن، كسي بالجلد واللحم، وأخيرًا نُسِج بالعظام والأعصاب»[1].

ما قرّره سفر أيوب يوافق الفهم الشعبي القديم لأصل النشأة الذي كرره **أرسطو** في كتابه: «حول ولادة الحيوانات» «Περι ζώων γενέσεως» حيث شبّه نشأة الجنين من خلال تجميد مني الرجل دم حيض المرأة « τα καταμήνια» بتخمير المنفحة[2] للحليب[3]، وهو ما جاء في مدراش اللاويين (من القرن الخامس أو السابع) تعليقًا على سفر أيوب 10/ 9-11: «عندما يكون رحم المرأة ممتلئًا بالدم المحتفَظ به، والذي يأتي بعد ذلك إلى مكان حيضها، تأتي بإرادة الرب قطرة من المادة البيضاء تَسقط عليها: في وقت واحد يتم إنشاء الجنين. [من الممكن] مقارنة ذلك بالحليب الذي يتم وضعه في إناء: عندما أضفت إليه مخدّرًا صناعيًا [دواء أو أعشاب]، يتخثر ويتجمّد؛ وإلّا يبقى الحليب سائلًا». (مدراش اللاويين ربا، 14/ 9)[4]. وجاء المذهب نفسه عند الهندوس في سفر «Garbha Upanishad» المتعلّق بالحَمْل.

ذهب عدد من الباحثين إلى أنّ التراث الأرسطي هو الأصل المباشر للخبر الجنيني في الكتاب المقدس، ومن هؤلاء مؤرّخ العلوم **نيدهام**[5] في حديثه عن تاريخ علم الأجنة وعلاقة النصين السابقين من الكتاب المقدس بموروث أرسطو؛ فقد قال: «ربما ليس من قبيل المصادفة أنه يمكن ردّ هذين الشاهدين إلى **أرسطو**، وفي الحال الثانية [الحكمة 7/ 2] يمكن ردّ الشاهد حتى إلى أبقراط. ربما كان يهود الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد يدرسون أرسطو باهتمام كما درس فيلو

---

(1) Norman Habel, The Book of Job: a commentary (Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1985), p.119

(2) Rennet

(3) Aristotle, On the Generation of Animals, 2.4

(4) Samuel S. Kottek, “Embryology in Talmudic and Midrashic Literature” in Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981), p.301

(5) جوزيف نيدهام Joseph Needham (1955). عالم كيمياء حيوية ومؤرّخ علوم بريطاني. عضو الجمعية الملكية وأكاديمية العلوم البريطانية.

اليهودي أفلاطون بعد مائتي عام بعناية أيضًا»[1].

وسـواء كان سـفر أيوب وسـفر الحكمة متأثرين بتراث **أرسطو**، أو كانا متأثرين بالتراث الذي استقى منه **أرسطو**؛ فالحقيقة على كلا الحالين أنّ مصدر الجميع تراث علمي واحد فاسد.

يتضمّن نص سفر أيوب 10/ 9–11 مجموعة أخطاء علميّة:

أولًا: يُفهـم مـن هذا النص أنّ الجنين يتكون فقط مـن مني الرجل الذي يُصب في الرحم، وليس لنطفة المرأة دور هاهنا.

ثانيًا: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن من كامل المنيّ الذي يقذفه الرجل.

ثالثًا: يُفهم من المعنى الحرفي لهذا النص أنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة.

وقد علّق كثير من النقّاد على ما أورده سـفر أيوب بقولهم إنّ المقصود هو أنّ مني الرجـل عندما يلتقي بدم الحيض عنـد المرأة يحوله إلى كيان صلب متخثّر، ويشـهد على ذلك النص السـابق من سـفر الحكمة 7/ 2، وهو المعنى الطبي الذي كان سائدًا فـي البيئـة التي كتـب فيها هذا السـفر؛ ولذلك جـاء تعليق ترجمة أورشـليم للكتاب المقدس على هذا النص –وقد تبنّته ترجمة الرهبانيّة اليسـوعيّة العربيّة–: «كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع»[2] «La science médicale antique se représentait la formation de l'embryon comme une coagulation du sang maternel sous l'influence de l'élément seminal»[3].

وأكّـد **ترتليان** المعنى السـابق بقوله في كتابه «حول جسـد المسـيح» «De Carne Christi»: «Sed materiam seminis quam constat sanguinis esse t colorem

---

(1) Joseph Needham, A History of Embryology (Cambridge: University Press, 1959), p.65

(2) ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة، ص1065.

(3) La Bible de Jerusalem (Cerf, 1973), p.664

«ut despumatione mutatum in coagulum sanguinis feminae»[1] أي إنّ الــزرع الذي يتكوّن منه الجنين ليــس إلاّ دمًا ولونًا، ويتخثّر هذا الدم بفعل منيّ الرجل، وهــو ما كرّره في تعليقه على الفصــل الأوّل من إنجيل يوحنا. وأكّد الفهم ذاته **كلمنت السكندري**[2] في القرن نفسه في كتابه «Προτρεπτικός προς Έλληνας»، مستعملاً -أيضًا- التمثيل الأرسطي لتخثير المنفحة.

ولذلــك قال البروفســور **نورمــان فــورد**[3] -القســيس الكاثوليكي والأســتاذ في (Catholic Theological College) والمتخصــص فــي أخلاقيــات علــم الأحياء- «ليــس الكتاب المقــدس خبرًا علميًــا عن بدايات حياة الإنســان أو عــن علم الأجنّة البشــري. يبدو أنّ بعض نصوص الكتاب المقدس تفترض الرؤية الأرســطيّة القديمة أنّ حياة الإنسان تنشأ عندما يجمّد دم الحيض بعد أن يختلط بالمنيّ»[4].

رابعًا: يُفهم من نص أيوب 10/ 11 أنّ الكتلة المخثّرة تُكسى أولًا بالجلد واللحم، رغم أن الجلد متأخر.

خامسًا: يفهم من نص أيوب 10/ 11 أنّه بعد تكوّن الجلد واللحم «يُنسج» الرضيع بالعظام والأعصاب. وذاك أيضًا خطأ في جهة الترتيب.

---

(1) De Carne Christi. 19. 3

(2) كلمنــت الســكندري(150-215) Clement of Alexandria: أحــد آباء الكنيســة المبكرين، وقديس عند الكنيســتين القبطية والأثيوبية. فيلسوف ولاهوتي بارز.

(3) نورمان فورد Norman Ford : أستاذ الفلسفة وأخلاقيات البيولوجيا في Catholic Theological College.

(4) Norman Ford, "A Catholic ethical perspective on human reproductive technology", Ethical Dilemmas in Assisted Reproductive Technologies, ed. Joseph G. Schenker (Berlin; Boston: De Gruyter, 2011), p.321

الإنجيل:

جاء في إنجيل يوحنا 1/ 13:

اَلَّذِيـنَ وُلِـدُوا لَيْـسَ مِـنْ دَم، وَلاَ مِـنْ مَشِـيئَةِ جَسَـدٍ، وَلاَ مِـنْ مَشِـيئَةِ رَجُـل، بَـلْ مِـنَ اللهِ.	οἳ οὐκ ἐξ αἱμάτων οὐδὲ ἐκ θελήματος σαρκὸς οὐδὲ ἐκ θελήματος ἀνδρὸς ἀλλ᾽ ἐκ θεοῦ ἐγεννήθησαν.

الكلمة اليونانية الأصل هي «دماء» «αἱμάτων» [هايمتون] في الجمع. والدعوى العلمية هنا هي نفسـها الواردة في سـفر الحكمة 7/ 2. وقد حاولت بعض الترجمات القديمة تغيير «دماء» إلى «دم» للقول إنّ النص على المجاز، ويحيل إلى دم المسـيح، لكنّ كلّ المخطوطات اليونانية وعامة الترجمات القديمة تستعمل كلمة «دماء».

التلمود:

ينصّ التلمود على أنّ الجنين يمرّ بست مراحل:

1. גולם : شيء ملتف على نفسه، لا شكل له.
2. שפיר מרקם : الجنين المزخرف.
3. עובר : شيء محمول.
4. ולד: الولد
5. ולד של קיימא: الولد المكرّم أو القائم.
6. בן שכלו חדשיו: الولد الذي كمُلت أشهره[1].

ليس في الأوصاف السابقة كبير دلالات علمية تشريحية واضحة.

المثال الثاني: تكوّن الجنين في معي أمه

مزمور 71/ 6:

(1) Joseph Needham, A History of Embryology, p.77

عَلَيْكَ اسْتَنَدْتُ مِنَ الْبَطْنِ، وَأَنْتَ مُخْرِجِي مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي. بِكَ تَسْبِيحِي دَائِمًا.	עָלֶיךָ׀ נִסְמַכְתִּי מִבֶּטֶן מִמְּעֵי אִמִּי אַתָּה גוֹזִי בְּךָ תְהִלָּתִי תָמִיד

إشعياء 49/ 1:

اِسْمَعِي لِي أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ، وَاصْغَوْا أَيُّهَا الأُمَمُ مِنْ بَعِيدٍ: الرَّبُّ مِنَ الْبَطْنِ دَعَانِي. مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي ذَكَرَ اسْمِي.	שִׁמְעוּ אִיִּים אֵלַי וְהַקְשִׁיבוּ לְאֻמִּים מֵרָחוֹק יְהוָה מִבֶּטֶן קְרָאָנִי מִמְּעֵי אִמִּי הִזְכִּיר שְׁמִי

النص العبري لا يقول: «من أحشاء»، إنّما يقول «من أمعاء» מֵעַיִם [ميعايم] -وقد حُذفت الميم من «من» «מִן» العبريّة عندما أُدغمت في الكلمة التي تليها -، ومفردها معي מֵעֶה [مِيعِي].وذاك يكشف أنّ الكتاب المقدس يُخبر أنّ الجنين ينشأ في أمعاء أمّه، غير أنّ الترجمة العربيّة غيّرت النص العبري إلى أحشاء: «مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي» «מִמְּעֵי אִמִּי” [مِمَّعِي إمِّي]. وفي الحديث النبوي: «المؤمن يأكل في مِعيٍ واحد»[1].

مصدر الخرافة: جاء في كتاب «تصوّر الجنين: غير المولود في الأسطورة والدين والتراث»: «تقول ترنيمة بابلية قديمة إنّ الإله إنليل «قد ترك منيّهُ في بطنها»؛ الكلمة المستعملة هنا تعني «المعدة» في حالات أخرى»[2].

ويُخبرنا العلم الحديث -في المقابل- أنّه من بين حالة واحدة من عشرة آلاف حالة، ينمو الجنين في أمعاء أمّه. ويُعرف هذا بـ«abdominal ectopic pregnancy». وفي 95٪ يموت الرضيع قبل الولادة.

المثال الثالث: الوليد الأحول

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم

(1) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد (ح/ 5394)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء، (ح/ 5274).

(2) Jane Marie Law, Imagining the Fetus: The Unborn in Myth, Religion, and Culture (Oxford University Press, 2009), p.139

مُّلَـٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة:223].

سبب النزول: روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ اليهود كانت تقول: إذا أتيت المـرأة من دبرها في قبلها ثـم حملت كان ولدها أحول. فنـزل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1].

والقرآن بذلك يصحّح خطأ علميًا كان سـائدًا بين اليهـود، وإن لم يرد في الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: نشأة الجنين في القرآن والسنّة

جاء خبر نشأة الجنين في عدد من الآيات:

- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[2].
- ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[3]، وقـال رسـول الله ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد»[4].
- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[5].
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[6].
- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[7].

---

(1) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها، (ح/ 1435).
(2) سورة الإنسان/ الآية (2).
(3) سورة السجدة / الآية (8).
(4) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، (ح/ 1438).
(5) سورة القيامة / الآية (37-39).
(6) سورة المؤمنون / الآيات (12-14).
(7) سورة الحج/ 5.

النصوص السابقة، تخالف منطوق الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما قرّره العلم الحديث وثبت بالعين الباصرة بالمجاهر. ولنبدأ بتفصيل الأمر على مهل.

المثال الأول: أصل الجنين:

يُفهم من الآيات القرآنية السابقة أنّ الجنين ينشأ من اختلاط مني الرجل بنطفة المرأة («من نطفة أمشاج»...)، وليس لدم المرأة دور في الولادة، والقرآن والسنّة قاطعان هنا في مخالفة التصوّر الأرسطي/ التوراتي الذي لا يرى للمرأة مساهمة في تكوين الجنين.

المثال الثاني: مستخلص ماء الرجل:

يفهم من الآيات القرآنية السابقة أنّ الجنين يتكون من جزء ضئيل من مني الرجل الذي يشارك نطفة المرأة عمليّة التكوين؛ فهو جزء صغير مستخلص (سلالة) من ماء الرجل. قال الشيخ المفسّر **ابن عاشور** في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨﴾[1]: «وسميت النطفة التي يتقوم منها تكوين الجنين سُلالة كما في الآية لأنها تنفصل عن الرجل، فقوله « من ماء مهين » بيان لـ «سلالة». و«من» بيانية فالسلالة هي الماء المهين، هذا هو الظاهر لمتعارف الناس؛ ولكن في الآية **إيماء علمي لم يدركه الناس إلا في هذا العصر**[2] **وهو أن النطفة يتوقف تكوّن الجنين عليها لأنه يتكون من ذرات فيها تختلط مع سلالة من المرأة وما زاد على ذلك يذهب فضلة، فالسلالة التي تنفرز من الماء المهين هي النسل لا جميع الماء المهين،** فتكون «من» في قوله «من ماء مهين» للتبعيض أو للابتداء»[3]. وهو معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من كل الماء

(1) سورة السجدة/ 7-8.
(2) قال بقريب من ذلك التلمود، مع خطأ التلمود في الوصف، كما في النقطة التالية.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 21/ 216.

يكـون الولـد»[1]. وذاك من الإعجاز العلمـي، كما أنّه يردّ على مـن زعم خطأ القرآن تقريره أنّ الجنين ينشأ من جميع ماء الرجل الذي يقذفه.

ومن المفيد هنا بيان المعنى الواسـع لكلمة «سلالة»، وانطباق هذا الطيف الدلالي الكبير على الحقيقة العلميّة المتعلّقة بنشـأة الجنين؛ فبالإضافة إلى المعاني المعروفة للانسـلال (انتزاع الشـيء وإخراجه في رفق) بما يوافق حال الحيـوان المنوي، يعني جذر سـلل: « المضي والخروج من مضيق أو زحام»[2]؛ ومعلوم أنّ الحيوان المنوي يكون في زحام وضيق بسـبب منافسته بقية الحيوانات المنوية الوصول إلى البويضة، فلا يفوز بذلك غير واحد لا غير، علمًا أنّ مجموع الحيوانات المنوية في مليمتر واحد من الماء يقذفه الرجل يتراوح بين 20 و100 مليون فرد منها.

تعقيب:

جاء في التلمود: «إنّه يعلّم أنّ الإنسان لا يُشكَّل من كلّ القطرة وإنّما فقط من أنقى جزء فيها»[3]. وهذا النص يطابق الخبر في القرآن والسنّة، ويمنع القول بإعجازه.

الجواب:

رغم التشـابه الظاهري بيـن الآية القرآنية والخبـر التلمـودي إلا أنّ القرآن موافق للحقيقـة العلميـة على خلاف التلمود. قال تعالـى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾[4]، فالإنسـان يُخلق مما يسـتخرج من ماءَي الرجل والمرأة، ولم يحدّد القرآن ما يُسـتلّ بأنّه الأطهر كما هو في التلمود. والعلم الآن يخبرنا أنّ الإنسـان يُخلق من حيوان منوي يسـتلّ من ماء الرجل، وبويضة المرأة المحاطة بالسـوائل، فهاهنا معنى الاسـتلال ظاهر، وليس في ذلك معنى الطهر أو الصفاء المذكور في التلمود؛ وهاهنا قد نقل القرآن خبرًا يقول

---

(1) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، (ح/ 1438).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلل.

(3) Babylonian Talmud, Nidda 31a

(4) [السجدة:7–8].

به عدد من اليهود، **ويرفضه النصارى كلّهم**، فوافق بعض قول اليهود، ولم يتابعهم في كلّ مذهبهم في هذه المسألة، وإنّما قال فقط بالجزء الصواب من قولهم.

المثال الثالث: أخلاط في الماءين:

وصفُ القرآن خليط ماء الرجل والمرأة أنّه «أمشـاج» في صيغة الجمع؛ برهان أنّ مجموع ماءيهما مركّب من أخلاط كثيرة. وقد كشف العلم في عصر المجهر أنّ كيان الحيوان المنوي وبويضة المرأة معقدٌ، كثير العضيّات.

المثال الرابع: مرحلة العلقة:

يفهـم من الآيات القرآنيّـة أنّ أوّل مرحلة مـن مراحل تكـوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلقة) التي تعني: (1) قطعة الدم المتجمّد، وهي أيضًا (2) (علقة) لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها (3) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

(1) **قطعـة الدم المتجمّد**: قال الإمام **القرطبي**: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ (العلق:2)، أي من دم، جمع علقة. والعلقة: الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح»[1].

يتحوّل الجنين بعد اختـلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة إلى كيان ممتلئ دمًا. وللدم هنا دور هام لطلب أسـباب البقاء من جسـد الأم. يقول صاحبا الكتاب المدرسي في البيولوجيـا Embryology: An Illustrated Colour Text: «بسـبب النمو السـريع للجنيـن خلال الأسـبوع الثاني، هناك حاجة إلى وسـائل أكثر كفـاءة للتبادل الغذائي والغازي. ويتحقق ذلك عندما تتلامس الأوعية الدموية الجنينية المشيمية مع الأوعية الدموية للأم»[2].

وقال المؤلّفان عن الأسـبوع الثالث من عمر الجنين: «تبادلُ المغذّيات والغازات التنفسـية والنفايـات بيـن دم الأم ودم الجنيـن يكـون عبـر الغشـاء المشـيمي داخل الفراغـات التبادليـة. يدخل دم الأم هذه المسـاحات من الشـرايين الحلزونية لفروع الشريان الرحمي، جالبًا المغذيات والأوكسجين للجنين عبر مراحله المختلفة»[3].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 20/ 119.

(2) Barry Mitchell and Ram Sharma, Embryology: An Illustrated Colour Text, 2nd Edition (Churchill Livingstone. 2009), p.10

(3) Ibid., p.11

ووَصفُ أصل الإنسان أنّه من دم **متجمّد**، دقيق؛ فإنّ الدم في هذه المرحلة جامد لا يتحرّك، وهو موزّع في مناطق منفصلة عن بعضها. وتنتهي مرحلة التجمّد ببداية حركة الدم، وبالتالي خروجه عن مرحلة العلقة مع نهاية الأسبوع الرابع.

تعقيب 1:

لا يعـرف العلم الطبيعـي وصف بناء الجنين أنه «دم متجمـد» «clot of blood».

قـال **ويليام كامبل**: «لا توجد مرحلة الـدم المتجمّد clot أثناء تكوين الجنين؛ ولذلك فهذا الأمر يمثّل مشكلة علميّة كبيرة جدًا»[1].

الجواب:

قـال أصحـاب كتـاب Pathology of the Human Embryo and Previable Fetus: An Atlas في وصف ما يكون في الأسبوع الثاني: «في نهاية الأسبوع الثاني، مـن الممكن التعرّف على موقع الزرع كمسـاحة صغيرة مرتفعة مـن بطانة الرحم مع مسام مركزي فيه دم متجلّط a blood clot»[2].

صورة الجنين وقد امتلأ دمًا



(2) **العلوق**: وصف الجنين بالعلوق هنا دقيق. يقول **د. محمد علي البار**: «هناك.. جملـة تعلّقات في هذه المرحلة، تعلّق أوّلي بواسـطة الخملات الدقيقة. ثمّ تعلّق ثان

---

(1) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.185

(2) "At the end of the second week, the implantation site may be recognized as a small elevated area of endometrium with a central pore occupied by a blood clot." Dagmar K. Kalousek, Naomi Fitch, Barbara A. Paradice, Pathology of the Human Embryo and Previable Fetus: An Atlas (Springer Science & Business Media, 2013), p.4

بواسطة الخلايا الآكلة trophoblasts، ثم تعلّق ثالث بواسطة الخملات المشيمية chorionic villi، ثم تعلّق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق»[1].

تعقيب2:

وصف مرحلة العلقة لعلوق الجنين بالرحم دعوى من مسلمي القرن العشرين لإثبات موافقة القرآن لمعارف العصر.

الجواب:

من علماء الإسلام من ربط بين مرحلة العلقة والعلوق بالرحم منذ قرون، قبل أن تعرف البشريّة المجهر، وقبل أن يُكتشف أمر العلوق. ومن الشهادات في هذا الباب:

قال **الماوردي** المتوفّى سنة 450هـ/ 1058م في تفسيره «النكت والعيون»: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾، العلقة الدم الطري الذي خلق من النطفة سُمّيَ علقة لأنه أوّل أحوال العلوق»[2].

وقال **ابن الجوزي** المتوفّى سنة 507 هـ/ 1201م في تفسيره «زاد المسير»: «فأما النطفة، فهي المني. والعلقة: دم عبيط جامد. وقيل سميت علقة لرطوبتها وتعلُّقها بما تمرُّ به»[3].

وقال **الأصفهاني** المتوفّى سنة 502هـ/ 1108م في كتابه في شرح ألفاظ القرآن «المفردات في غريب القرآن»: « ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ إلى قوله ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾، والعلق **الشيء النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يفرج عنه**»[4].

(1) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن (جدة: الدار السعودية، 1403هـ/ 1983م)، ص 368.
(2) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية)، 4/ 48.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ)، 3/ 223.
(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق: دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ)، ص 580.

وقــال **ابن فــارس** المتوفّى ســنة 395 هـ / 1004م فــي معجمه «مقاييــس اللغة»: «والعَلَــق الــدم الجامد، وقياسُــه صحيح لأنَّــه يَعْلَقُ بالشــيء»[1]، وقــال أيضًا: « قال الخليل: العَلَق أن يَنْشِب الشيء بالشيء»[2].

(3) **دودة العلق**: قال **ابن عاشــور**: «ومن إعجاز القرآن العلمي تسـمية هذا الكائن باسم «العلقة»؛ فإنّه وضْع بديع لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أنّ هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له قوّة امتصاص القوّة من دم الأم، بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوّة الدم، والعلقة: قطعة من دم عاقد»[3].

فالعلــق يصــحّ إطلاقه على ما شــابَهَ دودة العلق شــكلًا، ووظيفــة؛ إذ تمتصّ دم غيرها.

تعقيب 3:

وصف الجنين في أولى مراحله بما يشبه دودة العلق، لم يقل به أحد من المسلمين قبل عصر المجهر. وقد تمّ افتعال هذا المعنى لإثبات الإعجاز القرآني.

الجواب:

ليــس ذاك مــن دعــاوى متأخري علمــاء الإســلام؛ فقد شــهد لمثلــه -قبل عصر المجهر- الإمام **ابن كثير** المتوفّى ســنة 774هـ/ 1373م في تفسيره، بقوله: «فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة»[4].

ومــن المثير أنّ من النصارى من فهم في القرون الوســطى كلمة «علق» في القرآن أنّها تعني دودة العلق، ومن هؤلاء **زغابنوس**[5]؛ إذ ترجم الكلمة إلى اليونانية βδέλλα

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1399هـ/ 1979م)، 4/ 125.
(2) المصدر السابق، 4/ 126.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/ 23-24.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 466.
(5) أوثيميوس زغابنوس (1118-؟) Euthymios Zigabenos: راهب له مجموعة تفاسـير لأسـفار الكتاب المقدس. يُنسب إليه كتاب «حوار مع مسلم».

[בִּדְלָא] أي دودة العلق[1].

ومن المهم هنا الإشارة أنّ كلمة عَلُوقا עֲלוּקָה العبريّة اسم عام لكلّ حشرة تمصّ الـدم، وقد جاء ذكرها فـي نصّ سـفر الأمثـال 30/ 15: «لِلْعَلُوقَـةِ [עֲלוּקָה] بِنْتَانِ: «هَـاتِ، هَاتِ!». ثَلاَثَةٌ لاَ تَشْـبَعُ، أَرْبَعَـةٌ لاَ تَقُولُ: «كَفَا»». والأمـر قريب من ذلك في الآراميّة والسريانيّة.

الوصف القرآني إذن للجنين في ما بعد مرحلة النطفة دقيق من كلّ وجه:

- يتكون الجنين من جزء كبير من الدم.
- في هذه المرحلة يكتسب الجنين أوّل مرّة الدم.
- يعلق الجنين لأوّل مرّة بالرحم.
- يكون شكله شبيهًا بدودة العلق.
- يعيش كدودة العلق على الدم.

تعقيب4:

وافق القرآن **أرسطو** وغيره في أمر أنّ أصل الجنين دم المرأة.

الجواب:

ذاك اعتراض فاسد، لأسباب:

أ. أجمعت المصادر العلمية السابقة للإسلام كلّها على التصريح بعبارات واضحة أنّ دم المـرأة أصل الجنين. وليس في القرآن شـيء من التصريـح بذلك رغم اقتضاء المقـام إعلانـه، خاصة مـع وجود تفصيـل بيّن في القرآن والسـنّة لأمر نشـأة الجنين وأطوارها.

ب. القـرآن صريح في أنّ العلقة ليسـت دم الحيض وإنما هـي الطور التالي الذي تتحـوّل إليـه النطفة الأمشـاج. قـال تعالـى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ

---

(1) Pier Mattia Tommasino , “Textual Agnogenesis and the Polysemy of the Reader: Early ModernEuropean Readings of Qurānic Embryology” in After Conversion, Iberia and the Emergence of Modernity, Mercedes García-Arenal, ed. (Leiden Boston Brill, 2016), p.162

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ (المؤمنون:12-14)؛ فالعلقة تخلق من النطفة، وعند **أرسطو** النطفة مجرّد دم مجمّدٍ لمادة البناء، وهي دم الحيض.

ت. الحديث النبوي صريح في أنّ أصل الإنسان ماء الرجل **وماء المرأة**. ولم يرد البتّة حديث عن الحيض ودوره في بناء الجنين. والتفصيل الوارد في الأحاديث واضح جدًا في **تجاهله التام لدم الحيض**.

تعقيب 5:

الجنين في مرحلة العلق لا يكون مكونًا فقط من دم جامد[1].

الجواب:

لا يُشترط للشيء أن يوصف أنّه دم جامد أن يكون محض دم؛ فقد وُصف الكبد في الحديث النبوي أنه دمٌ رغم أنّه من المعلوم في عصر النبوة واليوم أنّ الكبد ليس كلّه دم؛ فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «أُحلّت لنا ميتتان ودمان، الحوت والجراد والكبد والطحال»[2].

وإن قيل إن الحديث ضعيف لا يصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فالجواب:

أ. الحديث يصحّ عن الصحابي ابن عمر رضي الله عنه[3]؛ فهو وإن كان موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنه إلا أنّه مرفوع إلى الرسول ﷺ حكمًا؛ لأنّ ابن عمر رضي الله عنه كان ينقل خبر ما أُحلّ للمسلمين في السُنّة (فالخبر ليس في القرآن). قال ابن

(1) بعضهم أكّد هذه الشبهة بحديثه أنّ كيس المح ليس دمًا، وهو أكبر أجزاء الجنين. والحقيقة هي أنّ كيس المح (الحويصلة السُرية) yolk sac ليس جزءًا من الجنين، وإنّما هو واحد من الأعضاء الخارج جنينية extraembryonic، ووظيفته حماية الجنين وتغذيته؛ ولذلك يُعرّف علميًا أنّه «غشاء ملتصق بالجنين».

(2) رواه أحمد (2/ 97)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (89/ 2)، والعقيلي (231)، وابن ماجه (3314) والبغوي في «شرح السنة» (3/ 185/ 2).

(3) قال ابن حجر: «ورواه الدارقطني من رواية سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم موقوفًا. قال: وهو أصح. وكذا صحّح الموقوف: أبو زرعة وأبو حاتم». (التلخيص الحبير، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1989م، 1/ 161).

حجـر: « قول الصحابي: أُحِلّ لنا، وحُرِّم علينا كـذا، مثل قوله: أُمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية؛ لأنها في معنى المرفوع»[1].

ب. بحثُنا ليس قاصرًا على تفسـير نبي الإسـلام ﷺ لمعنى الدم؛ وإنّما يشمل فهم العرب اللفظ قبل اختلاط لغة العرب بلغة العجم وتطوّرها. وابن عمر رضي الله عنه صحابي، وكلامه حجّة في فهم معاني اللفظ القرآني والنبوي. بل لو لم يصحّ الحديث عـن ابن عمر رضي الله عنه فلا يمنع ذلك من الاسـتدلال به مـن الناحية اللغوية لأنّ الحديث كان يُتداول في زمن نقاء اللسان العربي.

وسـبب اعتبـار الكبد دمًا أنّه يمـرّ منه كلّ دقيقة 1.5 لتر من الـدم لغرض التنقية أو استخلاص المواد الخام أو صناعتها. والجنين في مرحلة العلقة يكتسب الدم من أمّه، ومن خلال هذا الدم يأخذ غذاءه عن أمّه.

وقـد ذكر عدد من المفسّـرين أنّ مرحلة العلقة لا تعني أنّ طـور ما بعد النطفة كلّه دم؛ فقد روى **الطبري** عن ابن زيد قال فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 14]: «طَوْرًا النُّطْفَةُ، ثُمَّ طَوْرًا أَمْشَـاجًا حِينَ يَمْشِـجُ النُّطْفَةَ الدَّمُ، ثُمَّ يَغْلِبُ الدَّمُ عَلَى النُّطْفَةِ، فَتَكُونُ عَلَقَةً»[2]. فوصف العلقة كان بما يغلب عليها لا بمجموع ما تتكوّن منه.

تعقيب 6:

الجنيـن معلّق بالرحـم طول مكوثه فيه؛ فلا معنى لأن تسـمى مرحلـة بعد النطفة الأمشاج وحدها بمرحلة العلقة.

الجواب:

قال **الماوردي** المتوفى سنة 450هـ/ 1058م في تفسيره: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، العلقـة الدم الطـري الذي خلق من النطفة. سُـمّيَ علقة **لأنه أوّل أحـوال العلوق**»[3].

(1) المصدر السابق، 1/ 162.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 23/ 298.

(3) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية)، 4/ 48.

فالجنين في مرحلة النطفة الأمشاج لا يعلق بالرحم، ويعلق بالرحم بداية من مرحلة العلوق؛ ولذلك سُمّي علقة؛ فوُصفت هذه المرحلة بأبرز خصائصها التي ستبقى لاحقًا، ولكن ستظهر بعدها خصائص أخرى أكثر بيانًا للأطوار الجديدة للجنين.

المثال الخامس: مرحلة المضغة:

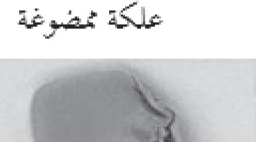
تتحوّل علقة الدم إلى مضغة، والمضغة كما في «لسان العرب»: «القطعة من اللحم لمكان المضغ أيضاً. التهذيب: المضغة قطعة لحم، وقيل: **تكون المضغة غير اللحم**. يقال: أطيب مضغة أكلها الناس صيحانية مصلية. وقال خالد بن جنبة: المضغة من اللحم قدر ما يلقي الإنسان في فيه، ومنه قيل: في الإنسان مضغتان إذا صلحتا صلح البدن: القلب واللسان». وفي «القاموس المحيط»: «والمُضْغَةُ، بالضمِ: قِطْعَةُ لَحْمٍ **وغيرِه**»[1]... فالمضغة إما قطعة اللحم، أو ما يكون في قدر أو صورة ما يُمضغ من الأنسجة اللينة. ومعنى قطعة اللحم مستبعد في الآية لأنّ اللحم سيذكر في تتمّة الآية: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾. والناظر في صورة الجنين في هذه المرحلة يلحظ أنّ الجنين:

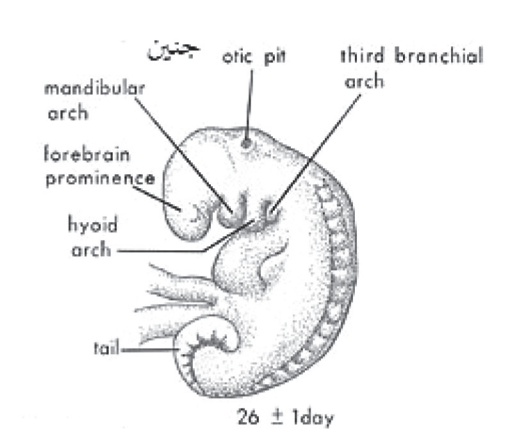
- خرج عن وصف الدم، ولم تظهر فيه العظام، وظهرت فيه بعض الأنسجة، بما يجعله ليّنا، قابلًا للمضغ؛ فالجنين يتكون في هذه المرحلة من أنسجة ميزانكيمية mesenchymal tissues؛ وهي تعينه على الانطواء على نفسه في شكله المعروف.
- يكون الجنين في قدر المضغة حجمًا، على خلاف العلقة في المرحلة السابقة والتي كانت أصغر من أن توصف في لغة العرب بالمضغة. قال **ابن الجوزي**: «قال ابن قتيبة: **وسميّت بذلك لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: غرفة لقدر ما يُغرَف**»[2].

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ/ 2005م)، ص788.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير، 3/ 223.

● يحمل الجنين شـكل الأشـياء الممضوغة؛ ففيها آثار الأسنان: (أ) إذ تظهر على الجنين الفلقات التي تشـبه آثار الأسنان على الأشياء الممضوغة. (ب) كما أنّه يكون منحنيًا انحناء ممضوغات الأسنان على الفك المنحي.

صورة المضغة، وشيء ممضوغ عليه آثار أسنان[1]





● يبـدأ التخليق في مرحلة المضغة. وهو ما قرّره القرآن في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحـج:5]. قال **الرازي**: «فيجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على من سيصير إنسانًا»[2].

أثبـت القرآن أنّ مرحلة المضغة، يكون فيها شـيء من الجنيـن مخلّقًا. وهذا على خـلاف التلمود الـذي يرى أنّ مرحلـة التخليق تبدأ بعـد الأربعين[3]، علمًا أنّ نسـبة التخليـق إلـى الأربعين موجودة في كثير من كتب علم الأجنة، قبـل البعثة النبوية، بل

(1) Embryology in the Qur'an: A description of the Mudghah Stage
< /https://islampapers.com/2013/06/12/the-mudghah-stage >

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، 23/ 204.

(3) Babylonian Talmud, Bechorot 21b; Niddah 25b

وقبل بعثة المسـيح، فقد ذكر **أرسطو** أنّه قد فحص جنينًا أُجهض، سنّه 40 يومًا، وكان «في حجم النمل الكبير، وكانت كلّ أطرافه ظاهرة للعين، بما في ذلك العضو الذكري والعينـان ...»[1]. وفـي هذا يقول **مارتن سـتول**[2]: «وفقًا لإحـدى النظريات القديمة المؤثـرة التي روّج لها أرسـطو، يصل الجنين إلى مرحلة جديـدة في تطوره بعد اليوم الأربعين. وفي هذه المرحلة، يتمايز الذكور والإناث بشكل بيّن»[3].

ويبدو أنّ تحديد مدّة الأربعين يعود إلى العمل التشـريحي الذي كشف عن تشكّل الجنين في هذه المرحلة، وهو ما وافقته السنّة النبويّة، وأصابت.

المثال السادس: كسوة العظام لحمًا

قال تعالى: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ [المؤمنون:14].

تظهـر العظام منذ الأسـبوع الخامس والنصف على شـكل غضروفي، ثم تُكسـى باللحـم. وفي ذلـك يقول الكتاب المدرسـي في علم الأجنّـة The Fundamentals of Human Embryology: «**بعـد فترة وجيزة** من إنشـاء **النماذج الغضروفية للعظام**، تتجمّع الخلايا العضليـة (myogenic) – التي أصبحت الآن خلايا مولّدة للعضلات (myoblasts) – **لتشكيل كتل العضلات على الجوانب البطنية والظهرية للأطراف**»[4].

فالألياف العضلية تظهر أولًا بصورة غير منتظمة، وتنتظم على شـكل حزم من الألياف العضليّة، وبعد ذلك تنتقل لتغطي العظام الموجودة قبل ذلك في مكانها.

---

(1) Aristotle, Historia animalium, 7. 3. 583a

(2) مارتن ستول (1940) Marten Stol: أستاذ الكلاسيكيات واللغات السامية في جامعة ليدن. له عناية خاصة بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بابل القديمة.

(3) Marten Stol, "Embryology in Babylonia and the Bible" in Imagining the Fetus the Unborn in Myth, Religion, and Culture, eds. Vanessa R Sasson and Jane Marie Law (Oxford; New York: Oxford University Press, 2009), p.145

(4) Soon after the cartilaginous models of the bones have been established, the myogenic cells, which" have now become myoblasts, aggregate to form muscle masses on the ventral [front] and dorsal [back or posterior] aspects of the limbs" John Allan and Beverley Kramer, The Fundamentals of Human Embryology (Johannesburg: Wits University Press, 2010), p.148

تعقيب 1:

العظم يكون في أوّل أمره غضروفًا؛ ولذلك فلا يصحّ أن يُسمّى عظمًا!

الجواب:

1 – الغضروف عند العرب زمن البعثة عظم من العظام، وهو عظم فيه لين:

- «لسان العرب»: «الغُضْرُوف: كلُّ عَظم رَخْص ليّن في أيّ موضع كان»[1].
- «القاموس المحيط» **للفيروزآبادي** (توفي 817هـ): «الغُرْضُوف والغُضروفُ: كُلُّ عَظْمٍ رَخْصٍ يُؤْكَلُ، وهو مارِنُ الأنْفِ، ونُغْضُ الكَتِفِ، ورُؤوسُ الأضْلاعِ، ورَهابَةُ الصَّدْرِ، وداخِلُ قُوفِ الأذُنِ»[2].

2 – اللحم الأوّل نفسه يكون بدائيًا –كما العظم– ثم يتطوّر إلى بنية أخرى، ومع ذلك فهو عندنا «لحم».

تعقيب2:

القرآن أخطأ؛ إذ اللحم والعظم ينشآن مع بعض. يقول **ويليام كامبل** تعليقًا على الآية 14 من سورة المؤمنون، وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة:259][3]: «توحي لنا هذه الآيات أنّ الهيكل العظمي يتكوّن أولًا، ثم يُكسى لحمًا. والدكتور بوكاي يعلم جيّدًا أنّ هذه الدعوى غير صحيحة. يبدأ تكوّن العضلات والغضروف سلف العظام من «somite» في الوقت نفسه»[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غضرف.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1/ 840.

(3) هذه الآية لا علاقة لها بتكوّن الجنين، وإنّما هي في إعادة خلقِ حمار مات، كخارقة إلهية: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾. [البقرة: 259]!

(4) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.188

الجواب:

لم يصرّح القرآن أنّ العظم ينشأ قبل اللحم. والقول بخلاف ذلك خطأ شائع. لقد صرّح القرآن بنشوء العظم، ثم صرّح بعد ذلك بكسوة اللحم للعظم، **وذاك هو منطوق القرآن**: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:14]. وقد أنكر **كامبل** على القرآن قوله بسبق خلق العظام كسوتها لحمًا، واستدلّ لذلك بخلق العظام والعضلات في الآن نفسه، رغم أنّ موضوع الخلق غير موضوع الكسوة! والأمر أشبه بقول المرء: «لقد جبلتُ من الطين طيرًا. صنعتُ جسده، ثم ألبستُه رأسًا». الطير في حديثنا هذا مجبول كلّه من طين، كما أنّ الجنين كلّه مخلوق من المضغة. وقد تمّ تصوير الجسم كلّه، ثم تمّ وضع الرأس لاحقًا، ولا يعني ذلك أنّ الرأس لم يكن مصورًا مع تصوير الجسم؛ فالأمر محتمل أنّ الرأس كان مصوّرًا، ثم تمّ وضعه، كما يحتمل أنّه قد تمّ تصوير الرأس بعد أن جبل عامة الجسم. وذكر خلق العظام من المضغة لا يعني أنه لم يبق منها شيء آخر ليكون منه اللحم؛ فإنّ العرب قد يطلقون الكل ويريدون به الجزء؛ كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:19]؛ فإنّ الناس لا يدخلون كلّ أصابعهم في آذانهم عند سماع صوت الصواعق، وإنّما يدخلون أطراف الأصابع. وليس في القرآن أنّ العلقة تتحوّل إلى شيء آخر مع المضغة؛ ولذلك فالمضغة أصل العظم واللحم.

مفهوم[1] الآية -إذن- يتّسع لواحد من معنيين:

الخيار الأول: ينشأ اللحم بعد العظم عند إكساء العظم.

الخيار الثاني: ينشأ اللحم مع العظم، لكنّه لا يغادر مكانه ليكسو العظم إلا بعد أن يتّخذ العظم مكانه.

---

(1) المنطوق: المعنى الذي دلّ عليه اللفظ المنطوق (ما دل عليه اللفظ في محل النطق). وأما المفهوم فهو المعنى المستفاد من ذكر اللفظ (ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق). انظر حسن العطار، حاشية العطار على جمع الجوامع (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1/ 307.

ويتّفق العلماء اليوم أنّ القطع اللحمية تغادر إلى مكانها النهائي بعد ظهور العظم. وذاك أمر لا يُجادل فيه خصوم الإسلام من نصارى وملاحدة. ولذلك فمفهوم الآية السائغ أنّ نشأة اللحم تكون مع نشأة العظم لا يُعارض صحيح العلم. ولسنا بحاجة إلى بيان أنّ نشوء العظام يسبق نشوء اللحم؛ فإنّ معارضي القرآن يرفضون الأدلّة العلميّة الدالة على ذلك، ويُكثرون من اللدد فيها. ولمّا عجز النصارى والملاحدة عن إثبات فساد صريح القرآن، وهو سبق خلق العظام لكسوته لحمًا، امتنعت إقامة الحجّة على خطأ القرآن.

تعقيب 3:

اللحم ينشأ قبل العظم؛ فإنّ ظهور خلايا «البضعة العضليّة» « mytomes» يكون قبل تعظم النموذج الغضروفي «ossification».

الجواب:

هذه مغالطة علميّة؛ إذ المخالف يقارن بين ظهور اللحم في شكله البدائي، والعظم في شكله النهائي بعد تصلّبه ossification، خاصة أنّ نهاية مرحلة التعظّم تكون مع وصول الإنسان إلى سنّ البلوغ. والصواب أن يقارن زمن ظهور العظم البدائي (sclerotome) واللحم البدائي (mytomes) (وهو ما ذكرناه سابقًا)؛ فخلايا العظام تهاجر أولًا وتتخذ موقعها في مكان بناء الهيكل العظمي، قبل أن تسافر خلايا العضلات لتكسو هذه العظام.

والترتيب كالآتي:

1. يبدأ ظهور الجسيدات (Somites) في الأسبوع الثالث من عمر الجنين، ومنها ينشأ الجسد لاحقًا.

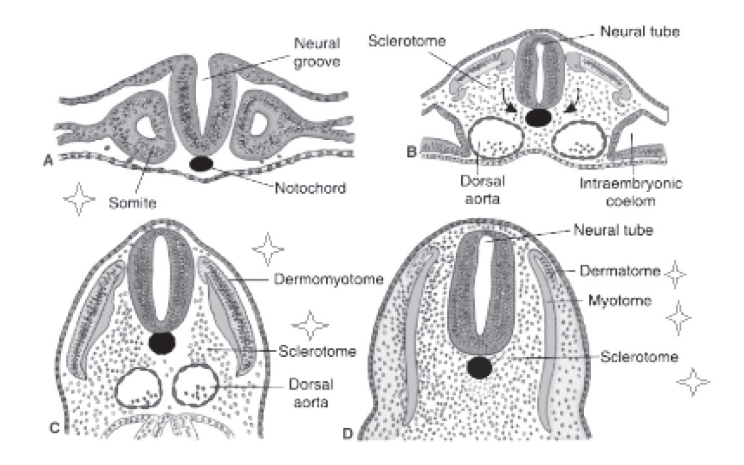
2. يحصل التمايز بين الخلايا التي سيتكون منها العظم (sclerotome)، والخلايا التي سيتكون منها اللحم والجلد (Dermatomyotome).

3. يحصل لاحقًا التمايز بين الخلايا التي سيتكون منها اللحم (myotome) والأخرى التي سيتكون منها الجلد (Dermatome) من (Dermatomyotome).

يقول صاحبا كتاب «Syringomyelia»: «لأنّ sclerotome تتميّز قبل Dermatome و myotome، يُشير مصطلح dermomyotome إلى dermatome و myotome مجتمعين قبل تمايزهما هما أيضًا»[1].

فخلايا العظم تظهر قبل أن تنقسم (Dermatomyotome) إلى خلايا لحم وأخرى للجلد. وتهاجر إلى الموضع الذي سيكون عظامًا ليّنة قبل مهاجرة خلايا العضلات التي ستحيط بها. وذاك حجّة لمن يرى قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ دالًا على خلق العظم قبل اللحم.

وهذا كتاب مدرسي في علم الأجنّة يشرح تطوّر الأمر بالصورة:[2]



(1) Graham Flint, Clare Rusbridge, Springer-Verlag GmbH, Syringomyelia: A Disorder of CSF Circulation (Berlin: Springer Berlin Springer 2016), p.54

(2) Rani Kumar, Textbook of Human Embryology (I. K. International, 2008), p.68
النجوم على الصورة من عندي للتنبيه.

تعقيب4:

اللحم ينشأ قبل العظم؛ إذ إنّ القلب يبدأ في النبض من اليوم الواحد والعشرين.

الجواب:

حديث القرآن عن اللحم، خاص باللحم الذي يكسو العظم. وليس القلب كذلك.

كما أنّ القرآن قد تحدّث عن تخليق بعض الأعضاء قبل ظهور العظم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ [الحج:4]، والقلب مما هو مُخلَّق في مرحلة المضغة.

شهادات علمية للإعجاز

شهد لإعجاز آيات علم الأجنّة في القرآن عدد من علماء الأجنة من غير المسلمين، ومن أهمهم **كيث مور**[1] الذي قدّم شهادته من منطلق الإقرار العلمي البحت، وصرّح بحقيقة الإعجاز القرآني في كتابه الأكاديمي الذي اعتُمد كمقرر في جامعات غربيّة تدرّس الطب: «الإنسان المتطوّر» (The Developing Human) «1988م» حيث قال بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهندوس واليونان وفي التلمود: «لقد كان تطور العلوم التطبيقية بطيئًا في القرون الوسطى، ونحن نعلم القليل عن بعض النقاط المهمة المسجلة حول دراسات علم الأجنة في تلك الفترة. ولقد ذُكر في القرآن (في القرن السابع الميلادي)، كتاب المسلمين المقدس، أنّ الإنسان يخلق من أمشاج إفرازي الذكر والأنثى. وردت عدة إحالات إلى خلق الإنسان من «نطفة». كما قرّرت أن الخلايا الناتجة تستقر في الرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمّت الإشارة أيضًا إلى أنّ شكل الجنين في الطور المبكّر يشبه العلقة. وبعد ذلك ذكر بأن الجنين

(1) كيث مور (1925) Keith Moore: عالم أجنة وتشريح كندي شهير. عضو الجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح.

يُشبه الشيء الممضوغ»[1].

وكان قـد كتب في مقدمة هـذا الكتاب (طبعة 1982م): «أذهلتنـي دقة التقريرات المسجّلة في القرن السابع بعد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة. ومع أني كنت على وعي بتاريخ علماء المسـلمين العظيم في القرن العاشـر، وبعض ما قدموه لعلم الطب، لم أكن على علم البتة بالحقائق الدينية والمعتقدات الواردة في القرآن والسنة. ومن المهم أن يتعلم الطلبة المسـلمون وغيرهم معانـي العبارات القرآنية حول تطور نشوء الإنسان، بناءً على المعرفة العلمية المعاصرة»[2].

وصرّح في المؤتمر الطبي الذي عقد في الدمّام سنة 1981م: «إنه لشرف عظيم لي أن أساعد في شرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري. ومن الواضح لدي بأن التقريـرات القرآنيّة قد بلغت -قطعًا- محمدًا من الله؛ وذلك لأنّ كل تلك العلوم -تقريبًا- لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك. وهذا يثبت لي أنّ محمدًا هو قطعًا رسـول من الله». وأثناء فترة الأسـئلة سـئل مور: «هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟»؛ فأجاب: «لا أجد إشكالًا في قبول ذلك»[3].

---

(1) "Growth of science was slow during the medieval period and few high points of embryologic investigation undertaken during this time are known to us. It is cited in the Quran (seventh century ad) the Holy Book of the Muslims that human beings are produced from a mixture of secretions from the male and female. Several references are made to the creation of a human being from a nutfa (small drop). It also states that the resulting organism settles in the womb like a seed 6 days after its beginning. Reference is also made to the leechlike appearance of the early embryo. Later the embryo is said to resemble a "chewed substance" Keith Moore, The Developing Human: clinically oriented embryology (Philadelphia: Saunders, 1988), p.8

(2) "I was astonished by the accuracy of the statement that were recorded in the 7th century AD before the science of embryology was established. Although I was aware of the glorious history of Muslim scientists in the 10th century AD and of some of their contributions to medicine, I knew nothing about the religious facts and beliefs contained in the Qur'an and Sunnah. It is important for Islamic and other students to understand the meaning of these Qur'anic statements about human development, based on current scientific knowledge"
Cited in: Muzaffar Iqbal, Science and Islam, CT: Greenwood Publishing Group, 2007, p.163

(3) Muzaffar Iqbal, Science and Islam, p.164

تعقيب:

جاء في الحديث النبوي: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا؛ فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح؛ فإنّ الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه؛ فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[1].

وذاك يدلّ أنّ مرحلة المضغة تنتهي عند 120 يومًا من عمر الجنين، في حين أننا نعلم أن الجنين يُصوّر ويظهر فيه السمع والبصر والجلد واللحم والعظم قبل ذلك. يقول المنصّر **ويليام كامبل** عن هذا الحديث: «تبقى نطفة المنيّ نطفة من مني 40 يومًا، ثم علقة 40 يومًا، بما مجموعهما 80 يومًا، ثم مضغة 40 يومًا، بما مجموعه 120 يومًا. وقد أظهرت دراسات طبّ النسائيات أنّ المنيّ يبقى حيًا أقلّ من أسبوع داخل الجهاز التناسلي للأنثى، وأنّه في اليوم السبعين يكون التمايز والنضج في مرحلة متقدمة»[2].

الجواب:

أولًا: زعم بعض المعارضين أن رواية **البخاري ومسلم** تبدأ بـ «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا **نطفة**». والصحيح أنّ زيادة «نطفة» ليست عند **البخاري** ولا **مسلم**، وهي شاذة في مسند **أبي عوانة**. ولذلك فالحديث لا يخبر أنّ الإنسان يكون أربعين يومًا نطفة ليتحول في أربعين أخرى إلى علقة.

ثانيًا: قال الرسول ﷺ: «إنّ أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون **في ذلك** علقة **مثل ذلك**، ثم يكون **في ذلك** مضغة **مثل ذلك**، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[3]، فعبارة

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ح/ 3036)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2643).

(2) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.191

(3) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2643).

«فـي ذلك.. مثل ذلك» تحتمل معنى أنّ كلّ الأمر (أطوار النطفة، والعلقة، والمضغة) يتمّ في أربعين يومًا لا في أكثر من أربعين يومًا. ولذلك قال بعض الشـرّاح السـابقين: «وَلَيْـسَ الْمُـرَادُ أَنَّ الْكِتَابَـةَ لَا تَقَعُ إِلَّا عِنْدَ انْتِهَـاءِ الْأَطْوَارِ الثَّلَاثَةِ فَيُحْمَـلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ تَرْتِيبِ الْأَخْبَارِ لَا مِنْ تَرْتِيبِ الْمُخْبَرِ بِهِ»[1].

والـذي يحسـم القـول هنا هـو ورود حديث آخر يصـرّح أنّ مرحلـة الانتقال من المضغـة إلى العظم واللحم تكـون نهاية الأربعين يومًا الأولـى: «إذا مرّ **بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة**، بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شـاء ويكتب الملك»[2]. قال الإمـام **ابن رجـب**: «وظاهر هذا الحديث يـدلُّ على أنَّ تصويرَ الجنين وخلقَ سـمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أوَّل الأربعين الثانية، فيلزمُ من ذلك أن يكون فـي الأربعين الثانية لحمًا وعظامًا»[3]. وذاك يـدلّ أنّ المراحل الثلاث الأولى للخلق مجموعة كلها في أربعين يومًا. وهو أمر يوافق العلم الحديث باعتراف **كامبل**.

لذلك فسّر **ابن الزملكاني** (المتوفى سنة 727هـ) الحديث الموهم بنفخ الروح عند 120 يومًا من خلق الجنين بقوله: «وأما حديث البخاري فنزل على ذلك، إذ معنى يجمع فـي بطن أمه، أي يحكم ويتقن، ومنه رجل جميع أي مجتمع الخلق. فهما متسـاويان في مسمى الإتقان والإحكام لا في خصوصه، ثم إنه يكون مضغة في حصّتها أيضاً من الأربعين، محكمة الخلق مثلما أن صورة الإنسـان محكمة بعد الأربعين يوماً فنصب مثل ذلـك على المصدر لا على الظرف. ونظيره في الكلام قولك: إنّ الإنسـان يتغيّر في الدنيا مدة عمره. ثم تشـرح تغيّره فتقول: ثم إنه يكون رضيعًا ثم فطيمًا ثم يافعًا ثم شابًا ثم كهلًا ثم شيخًا ثم هرمًا ثم يتوفاه الله بعد ذلك. وذلك من باب ترتيب الإخبار عن أطواره التي ينتقل فيها مدة بقائه في الدنيا»[4].

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، 11/ 485.

(2) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2645).

(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور (دار السلام، 1424هـ/ 2004م)، 1/ 162.

(4) ابـن الزملكاني، البرهان الكاشـف عن إعجاز القـرآن، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلـوب (مطبعة العاني، 1394هـ)، ص 275.

المطلب الثالث: المصادر المزعومة لعلم الأجنة في القرآن والسنّة

الاقتباس القرآني من مصادر أجنبيّة في خبر علم الأجنّة اعتراض شائع جدًا، غير أنّه هذه المرّة يعود بصورة أكبر إلى التراث اليوناني أكثر منه إلى التراث اليهودي، وإن كان للتراث التلمودي حضور قائم، خاصة فيما تعلّق بالخبر العلمي في السنّة النبويّة. ولا تكاد تغادر هذه المصادر التراث التلمودي وتراث جالينوس، وأقلّ منهما التراث الأرسطي.

أولا: التلمود:

يزعم بعض خصوم الإسلام (خاصة ملاحدة الشبكة العنكبوتية ونصارى الغرب) أنّ ما جاء في القرآن من أخبار علم الأجنة مقتبس من التراث اليهودي المضمّن في التلمود.

قلت:

1. ما كان التلمود معرّباً زمن البعثة، بل لم يُعرّب التلمود كاملًا إلا منذ سنوات قليلة (سن 2011م). وقد وجدت المؤسسة التي قامت على تعريبه حرجًا كبيرًا للعثور على مترجمين مؤهلين علميًا على مدى العالم العربي؛ ولذلك رفضت -أثناء إعداد فريق العمل- عامة المتقدّمين لعجزهم عن معرفة معاني كثير من الاصطلاحات التلمودية[1]. والنسخة العربية ضخمة حجمًا، في عشرين مجلدًا.

2. ما جاء من خبر في التلمود عن علم الأجنّة مفرق في أكثر من مكان؛ بما يجعل الإحاطة بعلم الأجنّة التلمودي عسيرًا على الأحبار؛ فكيف برجل أميّ في القرن السابع في صحراء بلاد العرب؟!

3. التلمود كتاب يضم التراث اليهودي الواسع، وهو يضم تفسير النصوص المقدسة، والثقافة اليهودية عامة، ولا يبعد أنّ من الآراء المنقولة فيه ما يعود إلى

---

(1) انظر في صعوبات إنشاء فريق لتعريب التلمود: التلمود البابلي (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2011)، 1/ 9-17.

قول نبي؛ إذ إنّ عدد الأنبياء في بني إسرائيل، طبق تصريح السنّة النبويّة المحمّدية[1] والتلمود[2] على السواء، كبير جدًا، خاصة أنّ معرفة حال الجنين له علاقة بالأحكام الشرعية في الميراث والقصاص.

4. النصوص التي يستدلّ بها المخالفون على ثلاثة أنواع:

أ. تشابه حقيقي، موافق للعلم. مثال: الجنين يبدأ في اكتساب شكل بعد اليوم الأربعين من الحمل[3].

ب. تشابه حقيقي مردّه اقتباس وضّاعي الحديث من التراث اليهودي، وهو مخالف للعلم وليس حجّة على الإسلام لأنّ الحديث الموضوع مكذوب على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، مثال: تحوّل ماء المرأة إلى أعضاء مخصوصة في الجنين، على خلاف ماء الرجل الذي يتحوّل إلى أعضاء جنينية أخرى.

ت. تشابهات مزعومة لا تصحّ، وسيأتي توضيحها لاحقًا.

5. التراث التلمودي في علم الأجنة واسع، وعامته مخالف للعلم، وليس في القرآن والسنّة تلك الأخطاء:

● بداية تشكل الجنين في القرآن بتشكيل العظم، في حين يبدأ تشكّل الجنين في التلمود من الرأس أو من السرة، ومن جذره الذي يتمدد في كلّ اتّجاه. فقد جاء في التلمود: «من أين يتشكل الجنين؟ من رأسه؛ فإنّ [مزمور 71/ 6] يقول: «وَأَنْتَ مُخْرِجِي مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي»، وقال [إرمياء 7/ 29] : «جُزِّي شَعْرَكِ وَاطْرَحِيهِ». الأب شاول قال إنّ الجنين يُخلق من سرّته، ومن هناك يرسل جذوره في كل الاتجاهات»

« מהיכן הולד נוצר מראשו וכן הוא אומר ממעי אמי אתה גוזי ואומר

(1) قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: « كَانَت بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ»، (رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ح/ 3455)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، (ح/ 1842).

(2) Babylonian Talmud, Megillah 14a

(3) Babylonian Talmud, Bechorot 21b; Niddah 25b

גזי נזרך והשליכי וגו׳ אבא שאול אומר מטיבורו ומשלח שרשו אילך ואילך »[1].

● يكتمل تشـكيل الجنين الذكر في الأربعين يوماً الأولى، في حين يكتمل تشكيل الجنين الأنثى في اليوم الثمانين[2]، علما أن مدَّتي الأربعين والثمانين هما مدّة النفاس عند إنجاب الذكر والأنثى في سفر اللاويين 12/ 1-5 .

● يصبح الجنين ذا شكل خارجي مميّز عند الشهر الثالث من الحمل[3].

● مـن ينام وفراشـه في اتّجـاه شـمال-جنوب ينجـب أولادًا، ولا تصاب زوجته بالإجهاض[4].

● الألم المصاحب لميلاد الأنثى أعظم من آلام إنجاب الذكر[5].

● حصل الخلاف في التراث اليهودي العام في أمر مساهمة المرأة (بغير حيضها) في نشـأة الجنين، ففـي مدراش اللاويين ربـا 14/ 6 جاء إنـكار دور المرأة (كما هو المذهب الأرسطي)، وذاك يخالف ما في التلمود من مساهمة المرأة في نشأة الجنين.

● نصَّ التلمود على أنّ بعض أعضاء الجنين تنشـأ من ماء الرجل، والبعض الآخر من الدم[6].

● يُفهـم من التلمـود أنّ الجنين يكون أوّل أمره شـبيهًا بالجراد، وأنّ نشـأة اليدين والرجلين تتشكّل في الأنثى في فترة متأخرة عن تشكلها في الجنين الذكر[7].

والملاحظ هنـا أنّ الخلاف القرآني-التلمودي يمتد مـن أصل الجنين إلى جميع أطوار نشأته.

---

(1) Babylonian Talmud, Sotah 45b

(2) Tosefta Niddah 4:17

(3) Babylonian Talmud, Yebamot 37a; Niddah 8b

(4) Babylonian Talmud, Berakhot 5b

(5) Babylonian Talmud, Niddah 31a

(6) Babylonian Talmud, Niddah 31a

(7) Babylonian Talmud , Niddah 25a

ثانيًا: أرسطو

لا يهتم خصوم الإسلام عامة بمرجعية **أرسطو** في خبر علم الأجنة القرآني رغم أنّ نظرية **أرسطو** قد بقيت مهيمنة على علم الأجنّة حتى ظهور أعمال **ويليام هارفي**[1] في القرن السابع عشر[2]. وقد وُصف **أرسطو** –بسبب ريادته العلمية– بأبي علم الأجنّة[3]. وبالإمكان تلخيص مذهبه في العناصر التالية:

- ينشأ الجنين من ماء الرجل ودم حيض المرأة، ولا تساهم المرأة بغير ذلك في هذه النشأة. وقال إنّ دم الحيض يقابل بيض بقيّة الكائنات.
- مني الرجل لا دور له غير تنشيط دم المرأة الذي سيتكوّن منه الجنين. وهو يقوم بتخثيره.
- جسد الجنين من الأم وروحه من الأب.
- مال **أرسطو** إلى أنّ الذكر ينشأ في مكان مختلف عن الأنثى في الرحم.
- كان **أرسطو** يرى اختلاف تكوّن الجنسين حتّى الشهر الثالث.

لقد كان الإنصاف يقتضي من خصوم الإسلام أن يجعلوا **أرسطو** المرجع العلمي الوحيد للخبر القرآني في علم الأجنة إن أصرّوا على المصدر العلمي اليوناني لما في القرآن؛ فإنّ مؤرخي علم الأجنة على القول إنّ التراث الأرسطي هو الذي كان مهيمناً قبل البعثة وبعدها بقرون طوال في البيئة العلمية النصرانية الغربيّة والشرقية. وقد اختار منتقدو القرآن غير **أرسطو** دون برهان من واقع الفكر العلمي في القرن السابع لأنّ الصورة الأرسطية لتطور الجنين وأصله بعيدة بصورة واسعة عن التفصيل القرآني.

---

(1) ويليام هارفي (1578–1657) William Harvey: طبيب إنجليزي، يُنسب إليه في الغرب الوصف الكامل للدورة الدموية لأوّل مرّة.

(2) C. M. Jackson, 'Pioneers in Embryology', The Journal of the American Medical Association, Volume 76, p.498

(3) D.R. Khanna, Text Book of Embryology (Discovery Publishing House, 2004), p.2

ثالثاً: جالينوس

بعد صدور كتاب **موريس بوكاي**: «الكتاب المقدس والقرآن والعلم»[1]، شاع في كتابات المنصّرين الردّ على إعجازية مراحل ترتيب خلق الجنين قرآنيًا، بالزعم أنّ النص القرآني ليس إلا صدى لما قرّره **جاليونس** قبل البعثة النبوية بخمسة قرون. وقد تولّى كبر هذا الزعم **ويليام كامبل** في ردّه على كتاب **بوكاي**[2] في طبعته الثانية.

حاول **جالينوس** أن يمزج بين تراث **أرسطو**، ومن سبقوه، واجتهادات الأبقراطيين. والجنين عنده ينشأ على أربع مراحل، كما يلخّصها **آرثر ويليام ماير**[3] في كتابه «أبحاث في تاريخ علم الأجنّة»:

أ. مرحلة المني الخالص: خالف **جالينوس أرسطو** فقال إن المرأة لها ماء تشارك به في بناء الجنين، لكنّه زعم أنّ وظيفة ماء المرأة أن يكون طعامًا لماء الرجل في تطوّره إلى أن يكون جنينًا.

ب. مرحلة ظهور الجنين: يظهر الجنين مباشرة بعد مرحلة المني، ولكن يكون بلا كبد ولا دماغ ولا قلب، وإن كانت له أوعية دمويّة.

ت. المرحلة الثالثة: ليس لها اسم، وفيها يتشكّل القلب والكبد والدماغ بصورة تامة، وإن لم تظهر فيها بصورة كبيرة الملامح الخارجية.

ث. المرحلة الأخيرة: وفيها يكتمل بناء الجنين.

كما قسّم **جالينوس** أعضاء الجنين إلى قسمين، قسم ينشأ من ماء الرجل، والآخر من دم حيض المرأة، وهو تقسيم بقي سائدًا قرونًا بعد **جالينوس**.

وافق **جالينوس أرسطو** في أنّ الجنين الذكر يكون يمين الرحم، والجنين الأنثى يكون شماله. ودافع عن الزعم أنّ جنين الذكر أسرع نموًا من جنين الأنثى. ووصف

---

(1) La Bible, le Coran et la Science

(2) The Quran and the Bible in the Light of History and Science

(3) آرثر ويليام ماير Arthur William Meyer: أستاذ علم التشريح في جامعة ستانفورد. له أكثر من دراسة في تاريخ علم الأجنّة.

الجنين أنه في بداية أمره نباتي الصفات ثم ينتقل إلى حياة حيوانية الطبع[1].

ومن اليسير ملاحظة أنّ القرآن يخالف **جالينوس** في كلّ المراحل:

- في مرحلة المني، يثبت القرآن للمني دور البناء، لا أنه مجرّد طعام للمني.
- **عند جالينوس**، ماء المرأة ضعيف جدًا، وهو بذلك أضعف من ماء الرجل.
- مـاء الرجل والمرأة -عند **جالينوس**- لا يصيران خليطًا (أمشـاجًا)، وإنما يخثر ماء المرأة ماء الرجل.
- يثبت القرآن أنّ بعض المني (السلالة) يساهم في إنشاء الجنين لا كلّه.
- ينكر القرآن مساهمة دم الحيض في نشأة الجنين.
- يخلط **جالينوس** بين مرحلة العلقة والمضغة.
- لا توجـد مرحلـة العلقـة عند **جالينوس**، إنمـا يتحول مني الرجـل والمرأة ودم الحيض إلى مرحلة اللحم.
- لا يتحدّث القرآن عن مراحل خلق القلب والكبد والدماغ.
- **عند جالينوس**، ينشأ الذكر في يمين الرحم، في حين تنشأ الأنثى في شماله.
- ليـس في القرآن شـيء من نسـبة أعضاء الجنيـن إلى ماء الرجـل أو الدم؛ وإنما ينشـأ الجنين من اختـلاط ماء الرجل والمرأة. في حين ذهـب **جالينوس** إلى أنّ أصل العـروق والأعصاب والعظام والأوتار والغضاريف من ماء الرجل، وبطانة الرحم من ماء المرأة، والعضلات والكبد وبقية الأحشاء مباشرة من الدم[2].

أضف إلى ما سـبق أنّ **جاليونس** كان يعتقـد أنّ المني أصله من الدم؛ وأنّ الدمّ في طريقه إلى الخصيتين يبدأ في التحوّل تدريجيًا إلى لون البياض[3].

---

(1) Arthur William Meyer, Essays on the History of Embryology (San Francisco: 1932), p.31; Joseph Needham, A History of Embryology, pp.69-74; Charles McRae, Fathers of Biology (London: Percival, 1890), pp.45-61

(2) Samuel S. Kottek, 'Embryology in Talmudic and Midrashic Literature', Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981), p.302

(3) Ibid., p.109

المطلب الرابع: تفسير مشابهة الطب اليوناني بعض الخبر القرآني

يسوق **ويليام كامبل** وجمهور المنصّرين بعض التشابه الموجود بين القرآن والتراث اليوناني في موضوع نشأة الجنين، برهانًا حاسمًا على الاقتباس.. والحقيقة أنّ سوق هذا التشابه مساق الاقتباس، عجلة لا تعرف الرويّة؛ فإنّ الأمر يحتاج تفصيلًا هادئًا سنتناوله في الحديث التالي.

1 - إمكان المشابهة، وحدودها

مبالغة بعض الكتب الإسلامية في ادّعاء سذاجة علم الأجنّة قبل البعثة النبويّة، جعلت بعض القرّاء يُصدم عندما يكتشف مشابهات بين الخبر القرآني وما عرفه اليونان. والأمر -لذلك- يقتضي إعادة بسط هادئ.

أولًا: هل من المستغرب أن يشارك أطباء اليونان القرآن العلم بخبر الجنين؟

يعمد المنصّرون والملاحدة لإثارة التشابه بين القرآن واجتهادات اليونان لإحداث صدمة للقارئ في الوهلة الأولى. ولكن النظر الواعي يقول بجزم: إنه من الطبيعي أن يفكر اليونان وغيرهم في:

- مساهمة مني الرجل في الحمل لأنه لا حمل دون قذف في الرحم؛ فالميلاد العذري خارقة مخالفة لطبائع الأمور عند الجميع.
- نشوء الإنسان مرة واحدة، ثم تضخمه بعد ذلك، وهي نظرية (preformation)، أو نشوء الإنسان على مراحل، وهي نظرية (epigenesis)، عُرفتا منذ عصور قديمة، قبل **أرسطو**. وقد تناول **أرسطو** هذين القولين، وانتصر للثاني[1]، عِلماً أنّ النظرية الأولى بقيت حاضرة في الغرب حتى بضعة قرون ماضية. النظرية الثانية أقرب للتصديق من الأولى بسبب أنّ الناس لا يرون عندما تُسقط المرأة حملها في مرحلة مبكّرة إنساناً صغيرًا؛ ولذلك فإن تصور نشوء الإنسان على مراحل متعاقبة متوقع في أي زمن.

---

(1) Evelyn B. Kelly, Stem Cells (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2007), p.16

أيــن يكون الامتحان الحقيقي؟ وأين يكون الإشــكال الــذي يصعب أن تتفق عليه الآراء لأنــه ليــس بدهياً؟ وأيــن هو الخطأ الذي مــن الممكن أن ينتج نتيجة الدراســة الخارجية العفوية التي لا تتسلّح بالمايكروسكوبات؟

هنا المفاجأة!

الإشكالات الحقيقية التي يحار فيها العقل القديم هي:

أولًا: وهــو الموضــوع الأهــم، والفيصل: **تحــول المني إلى دم ولحــم وعظم**، ثم ترتيب مراحل الخلق والمسافة بينها. وهنا يتفوق النص القرآني:

● لم يتابع القرآن **إجماع** أهل الكتاب واليونان في وهمهم أنّ انقطاع حيض المرأة عند الحمل ســببه مســاهمته في بناء الجنين. ولاحظ هنا صراحة النص القرآني الذي يقرر أنّ المني نفسه يتحوّل إلى علقة، وليس هو مجرد منشط لدم الحيض. وقد قال **ابن حجر** المتوفى عام 852هـ، محتجًا بالحديث النبوي: «وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب [أي أحاديث النبي محمد عليه السلام] تبطل ذلك»[1]. وقول أهل التشريح هو مذهب اليونان واليهود والنصارى.

● أثبت القرآن والسنّة أنّ مني الرجل يساهم في بناء الجنين وليس هو مجرّد مجمّد لحيــض المرأة، فخالف ثقافة العصر الظاهرة في ســفر أيوب وفــي موروث اليونان. والعجيب أنّ موروث اليونان بقي ظاهرًا في البلاد الإســلامية بين المتعصبين للتراث اليونانــي بعد قرون من البعثــة النبوية، ولذلك قال **القرطبي** - المتوفى ســنة 671هـ/ 1273م-: «ذَهَــبَ قَــوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ إِلَــى أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَــاءِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، وَيَتَرَبَّى فِي رَحِمِ الْأُمِّ، وَيَسْــتَمِدُّ مِنَ الدَّمِ الَّذِي يَكُونُ فِيــهِ... وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، **فَإِنَّهَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ**»[2].

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، 11/ 480.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 16/ 343.

● أثبـت القـرآن للمرأة نطفـة تختلط بمني الرجل (نطفة أمشـاج) رغـم أنّ المرأة لا تقـذف بويضتها كما يفعل الرجل، وهي المسـألة التي اختلـف فيها علماء اليونان، وانتصر فريق واسـع منهم إلى أنّ المرأة ليس لها نطفة، ولا تسـاهم بغير دم الحيض. ولذلـك قال **ابن القيـم** المتوفى 751هـ/ 1350م: «الجنين يُخلـق من ماء الرجل وماء المرأة، خلافاً لمن يزعم من الطبائعيين، أنه إنما يخلق من ماء الرجل وحده»[1].

● رتـب مراحل الخلـق زمنيًا ترتيباً صحيحـاً؛ فأثبت أنّ اللحم يكسـو العظم بعد ظهور العظم. على خلاف سـفر أيوب 10/ 11 الذي رتّـب الأمر على صورة مخالفة بسبق العظم للحم: « كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ».

ثانـيًا: تاريخ علم الأجنة قبل القرن السـادس عشـر لم يعرف تطـورًا بعد كتابات **أرسطو وجالينوس**؛ فقد هيمنا على الثقافة اليونانية ومن تبناها في الغرب والشرق منذ وفاتهما[2]. **والسؤال هنا**: لماذا تبنّى العهد القديم المذهب الأرسطي بأخطائه الكثيرة، وخالف القرآن **أرسـطو** بوضوح، ووافق عددًا من القضايا التي قررها **جالينوس** رغم أنّ **أرسـطو** كان أعظم أثراً في النصارى السـريان المتاخمين لبـلاد العرب أثناء البعثة النبوية وقبلها –علمًا أنّ التلمود البابلي لم يتبن شيئًا من طب **جالينوس**–؟**!**

ثالـثًا: وافق القـرآن **جالينوس** في ما أصـاب فيه الحق، وخالفه فـي ما خالف فيه الحق، كما سبق بيانه.

2 – الإمكان التاريخي للاقتباس من جالينوس

قبـول تهمـة المنصّرين أنّ نبيّ الإسـلام صلّى الله عليه وسـلّم قـد اقتبس معارفه فـي علم الأجّنة مـن كتابات **جالينوس** يعارض علمنا أنّ نبيّ الإسـلام صلّى الله عليه وسـلّم قد عاش في بيئة علمية بائسـة؛ منعزلة عن بقية الأمم، إلا عن بعض العلاقات

---

(1) ابـن القيـم، تحفة المودود بأحكام المولـود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (دمشـق: مكتبـة دار البيان، 1391هـ/ 1971م)، ص277.

(2) D.R. Khanna, Text Book of Embryology, pp.2-3

التجاريــة الخفيفة لرجال لا يعرفــون غير لغة العرب، ولا يحســنون القراءة والكتابة. وتزداد نــكارة الدعوى بعد علمنا أنّ أوّل مترجم كبيــر لكتابات **جالينوس** إلى العربية هو حنين بن إســحاق الذي ولــد بعد قرنين من وفاة الرســول ﷺ، وقد ترجم له قريبًا مــن مئة كتاب[1]، بما يدلّ أنّ هذه الكتب لم تعرفها المكتبة العربية من قبل، كما يؤكد الباحثــون أن المترجمين في العالم الإســلامي هم الواســطة التي وصلت من خلالها كتابات **جالينوس** إلى أوروبا اللاتينية!

حــاول المنصــرون التغلب على المعضلة الســابقة بقولهم إنّ كتــب **جالينوس** قد ترجمت إلى الســريانية قبل قرن من ولادة الرسول ﷺ، على يد سرجس الرأس عيني المتوفى ســنة 536م، وكان السريان بذلك الواســطة العلمية بين اليونان والعرب، غير أنّ هــذه الدعوى لو صحّت لا تنصر مذهبهم، لأنّ قرنًــا واحداً لا يكفي للتخلّص من هيمنة الفكر الأرسطي على الثقافة السريانية.

وقد شاع في الكتابات التنصيريّة والإلحاديّة نسبة المعرفة العلمية الخاصة بالأجنة في القرآن إلى **الحارث بن كَلَدَة** مصدرًا للوســيط بين القــرآن **وجالينوس**، لأنّه درس الطب في مدرســة جنديسابور قبل أن يعيش بين المسلمين. وتلك دعوى مردودة من وجهين:

الوجه الأول: يشــكّك البحث العلمي اليوم في وجود مدرســة طبيّة بجنديســابور زمن البعثــة أو قبلها بقليل. يقول **ديفيد س. لنبرغ**[2] في كتابه «بدايات العلم الغربي»: «تطوّرت أســاطير مؤثرة حول النشــاط النســطوري في مدينة جنديســابور في جنوب غرب بلاد فارس. وفقًا للأســطورة التي غالبًا ما تتكرّر، حوّل النســاطرة جنديســابور

(1) D. C. Lindberg, The Beginnings Of Western Science: The european scientific tradition in philosophical, religious, and institutional context, prehistory to A.D. 1450 (Chicago: University of Chicago Press, 2007)

(2) ديفيــد س. لنبــرغ (David C. Lindberg (1935-2015: مــؤرّخ علــوم أمريكــي. له عناية خاصة بتاريــخ العلوم في العصور الوسطى.

إلى مركز فكري رئيسـي في القرن السـادس الميلادي، مما جعل بعض المتحمسـين يسـمّون ذاك المركز جامعة حيث يمكن الحصول على تعليم في جميع التخصصات اليونانية. ويُزعم أنّ جنديسـابور كان لديها مدرسة طبية، مع منهج دراسي يعتمد على الكتب الدراسـية من الإسكندرية، ومستشـفى على غرار المستشفيات البيزنطية، مما زوّد المنطقـة بالأطباء المدرّبين في الطب اليوناني... وقد كشـفت الأبحاث الحديثة عـن واقع أقل دراماتيكية إلى حد كبير. ليس لدينا أي دليل مقنع لوجود مدرسـة طبية أو مستشـفى في جنديسـابور، على الرغم من أنه يبدو أن هناك مدرسة لاهوتية وربما مستشفى مرفق بها»[1].

وأمـا مـؤرّخ الطـب **روي بورتر**[2]، فقـال: «كانـت جنديسـابور بالتأكيـد ملتقى للمفكريـن العرب واليونانيين والسـريانيين واليهود، ولكن لا يوجد دليل على وجود أي أكاديمية طبية هناك. فقط في أوائل القرن التاسع تبلور الطب العربي الإسلامي»[3].

وقال مـؤرخ العلـوم العربيـة –النصرانـي اللبناني– **جـورج صليبا** فـي مراجعته النقديـة للموسـوعة الإيرانية الإنجليزية: «هذه القصة، على الرغم من انتشـارها على نطاق واسـع في مصادر العصور الوسطى والحديثة، هي أساسًا غير تاريخية. التقارير المتعلقة بالمؤسسـات المرتبطة بهذه المدينة – المدرسـة والمستشفى والأكاديمية – على الرغـم من تواترها في مصادر العصور الوسـطى المتأخرة، هي فريدة من نوعها لمدينة جنديسابور. وفي هذا السياق، أود أن أثير الملاحظات التنبيهية التالية.

أولًا: مـن المسـتبعد أن تكـون جنديسـابور المدينـة الوحيـدة فـي الإمبراطورية الساسـانية أو البيزنطية التي اسـتأثرت بمدرسـة ومستشـفى –ناهيك عـن أكاديمية– لمئات السنين.

---

(1) David C. Lindberg, The Beginnings of Western Science, pp.164-165

(2) روي بورتر (Roy Porter (1946-2002: مؤرخ بريطاني اشـتهر بمؤلفه «تاريخ الطب». درّس تاريخ الطب في University College London.

(3) Roy Porter, The Greatest Benefit to Mankind: A Medical History of Humanity (Fontana Press, 1999(, p.94

ثانيًا: كل الإشـارات إلى المستشـفى في تلك المدينة وإلى الأكاديمية / المدرسة متأخّرة تاريخًا بما يجعل قبول مصداقيتها غير ممكن دون تقويم نقدي عال.

ثالثًـا: إذا وُجدت هذه المدرسـة/ الأكاديمية والمستشـفى في جنديسـابور، وإذا كانت جميع هذه المؤسسـات قد انتقلت إلينا من العصـور القديمة المتأخرة كما هي دعوى الأسـاطير، فلماذا إذن لم تترك بصمتها خلال المائة سـنة الأولى من الإسلام، وبدأت فقط في ممارسة التأثير خلال الجزء المبكر من عهد العباسيين؟.

وأخيرًا: فإنه يبدو أنّ السـمات الرئيسة للأسـطورة ما هي إلّا محاولة لتفسير حافز نقل العلم من الحضارة الهلنسـتية إلى العالم الإسلامي، وتحديد الوسائل التي تم بها هذا النقل»[1].

الوجـه الثاني: كان الحارث بن كلدة من أهل الطائـف. وكان أوّل تماسٍ بين أهل الإسـلام وأهل الطائف في غزوة الطائف، في السـنة الثامنة من الهجرة، قبل سـنوات قليلـة جدًا من وفاة الرسـول صلّى الله عليه وسـلّم[2]، ومعلوم أنّ آيـات علم الأجنّة نزلت في مكّة حيث جاء خبر أصل الإنسان.

3 – القرآن بين التلمود وجالينوس

كشـف البحث السـابق أنّ المصدريـن اللذَين يقول خصوم الإسـلام إنهما أصل

---

(1) George Saliba, “Science and Medicine”, Iranian Studies, Vol. 31, No. 3/4, A Review of the “Encyclopaedia Iranica” (Summer - Autumn, 1998), pp. 688-689

(2) روى ابن إسـحاق عن إِسْـمَاعِيل بْن مُحَمَّدِ بْنِ سعد بْن أَبِي وقاص، عن أبيه، قال: مرض سعد، وهو مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ في حجة الوداع، فعاده رَسُـول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فقال: يا رَسُـول اللَّهِ، ما أراني إلا لما بي، فقال رَسُـول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: إني لأرجو أن يشفيك اللَّه حتى يضر بك قوم، وينتفع بك آخرون، ثـم قـال للحارث بْن كلدة: عالج سـعدًا مما به، فقال: والله إني لأرجو شـفاءه فيما ينفعه فـي رحله، هل معك من هذه التمرة العجوة شـيء؟ قال: نعم، فصنع له الفريقة، خلط له التمر بالحلبة، ثم أوسـعها سـمنًا، ثم أحساها إياه، فكأنما نشط من عقال». (ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية الطبعة، 1415هـ / 1994م، 1/ 633). وهذا أشـهر ما يروى في خبر الحارث بن كلدة زمن حياة الرسـول صلّـى الله عليه وسـلّم. وظاهر من الروايـة أنّ القصّة وقعت في حجّة الوداع سـنة 10 هجريًا، أي السـنة السابقة لوفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

الخبـر القرآنـي والنبوي فـي علم الأجنّـة يخلطان حقائـق العلوم بكثير مـن الأفكار الفاسدة علمياً، وقد كان القرآن والسنّة يوافقانهما كلّما وافقا الحق، ويخالفانهما كلما خالفـاه، دون أن يلتزمـا كامل اختيـارات أحدهما، وهو ما يتّضح فـي الجدول التالي الذي نعرض فيه أهم هذه النقاط العلمية حيث نضع علامة (❋) على الاختيار الموافق للعلم و(x) عندما لا نعلم للمتحدّث عنه قولًا:

المسألة العلمية	التلمود	جالينوس	القرآن والسنة
ماء الرجل والمرأة هو أصل بنية الجنين	❋ ماء الرجل والمرأة	فقط ماء الرجل	❋ ماء الرجل والمرأة
دم الحيض يساهم في بناء الجنين	نعم	نعم	❋لا
الجنين ينشأ من جزء من الماء	من أطهر جزء	من كل الماء	❋ الجنين ينشأ من جزء من الماء
العظام تتكون قبل الكسوة باللحم	لا	❋نعم	نعم❋
جزء من الجنين يتخلّق قبل مرحلة العظم	لا	❋نعم	❋نعم
يتّخذ الجنين صورة بعد يوم الأربعين	❋نعم	x	❋نعم
تحول ماء الرجل إلى أعضاء مخصوصة، وكذلك ماء المرأة	نعم	نعم	❋لا

يبدأ تشكّل الجنين من الرأس أو السرّة	نعم	❋لا	❋لا
تظهر الآلة الجنسية بعد الأربعين	❋نعم	x	❋نعم
ينشأ الذكر في يمين الرحم، في حين تنشأ الأنثى في شماله	❋لا	نعم	❋لا
يتشكل الجنين الذكر بصورة أسرع من الجنين الأنثى	❋لا	نعم	❋لا

ومـن المفيد هنا التنبيه أنّ الزعم أنّ القـرآن قد قدّم خلاصة تجمع بين علم الأجنة التلمـودي واليوناني لا يمكن تفسـيره في ظـلّ واقع اليهود زمن البعثـة النبوية؛ إذ إنّ الأحبـار الذين كتبوا التلمود لم يتأثّروا بالثقافـة اليونانية، فقد كتب الباحث اليهودي، مؤرّخ الطب **سليمان كاجان**[1]: «قرّر الدكتور ل. كرزنلسون أنّ الطب اليوناني القديم لم يكن لـه تأثير على التفكير الطبي للتلموديين أثناء مراحل تطوّر التلمود، ولا يوجد تبادل للمعرفة بينهما»[2].

فهل تفرّغ نبي الإسـلام إلى صناعة هذه الخلاصة التوفيقية، في بيئة يرفض اليهود فيهـا أخبـار اليونان؟ وما فائـدة مخالفة اليهود هنا بعد موافقتهـم في بعض الأمر، في مسائل علمية بحتة؟!

(1) سـليمان كاجـان (Solomon Kagan (1889-1955: باحث من ليتوانيا، من أسـرة من الأحبـار. نصّب حبرًا ثم ترك ذلك ليتّجه إلى دراسة الطب.

(2) Gwynn Kessler, Conceiving Israel: The Fetus in rabbinic narratives (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2009), p.180

وأما الفارق بين القرآن والكتاب المقدس، فتجده في الجدول التالي:

المسألة العلمية	القرآن	الكتاب المقدس
ينشأ الجنين من ماء الرجل والمرأة	*نعم	لا
ينشأ الجنين من حيض المرأة	*لا	نعم
دور مني الرجل هو تخثير دم الحيض	*لا	نعم
اللحم يسبق العظم	*لا	نعم

4 – أسئلة إلى المنصّرين والملاحدة

يرى المنصّرون والملاحدة أنّ نبي الإسلام ﷺ قد علم خبر اليهود وأعظم أطباء اليونان الذين لم تعرّب كتبهم حتى توفي ﷺ.. وهنا أسئلتنا:

- كيف اطّلع نبي الإسلام ﷺ على كتب (1) لم تعرّب بعد (2) ضخمة جدًا (3) خبر علم الأجنّة مشتت في صفحاتها؟!
- لماذا خالف نبيّ الإسلام ﷺ علم الأجنة التوراتي والتلمودي رغم أنّ موافقته التوراة والتلمود في الأخبار التاريخية والعلمية حجّة المستشرقين الكبرى والأساسية على الأصل البشري للقرآن؟
- لماذا وافق نبيّ الإسلام ﷺ الحق في التراث التلمودي عند تعدّد الآراء فيه؟
- لماذا خالف نبيّ الإسلام ﷺ علوم العصر في مكة والمدينة رغم أنّ خلافه مع أهل مكة وأهل الكتاب لا علاقة له بالجدل العلمي؟ إذا لم يكن هناك حافز علمي لمخالفة أهل الأوثان وأهل الكتاب، فلمَ خالفهم، وأصاب؟!
- لماذا جمع محمد ﷺ خلاصة علمية من اليهود **وجالينوس**، ولم يكتف بأحدهما، خاصة أنّ قومه جهلة بعلم الأجنّة؟
- لماذا خالف محمد ﷺ التلمود ووافق **جالينوس**، رغم أنّ بيئته في المدينة لم تتأثّر سوى بأقوال اليهود؟

● ما برهان تنازل الكنيسـة السـريانية عـن علم الأجنة الأرسـطي الموافق للتوراة لتبنّي اجتهادات **جالينوس** في ما خالف فيه **أرسطو**؟

● لمـاذا أهمل محمد ﷺ الثقافة اليهودية في مسـائل محببة إلى الذوق الشـعبي، كالسبيل لإنجاب الذكور، والتمييز بين مدة النفاس بالذكور وبالإناث؟

● لمـاذا خالف محمـد ﷺ الجميع في أمر الحيض، فلم يجعله مشـاركًا في خلق الجنين، رغم أنّها مُسَلَّمة علمية عند جميع أهل العصر؟

● تنازع علماء العصر في أمر مشاركة المرأة في المادة المشاركة في نشأة الجنين، ووافق القرآن المصيب منهم. كيف أصاب القرآن، رغم أنّ الأمر غير محسـوم تجريبيًا في زمانه؟

● اختلف أهل العصر في نشـأة الجنين، هل ينشـأ أطواراً، أم ينشأ صغيرًا ثم يكبر، ووافق القرآن الحق.. لمَ؟

● ذهـب عامـة علماء العصـر إلى أن ماء الرجل يشـارك كله في إنجـاب الجنين، وخالف القرآن ذلك.. لمَ؟

● اختلـف علماء العصر في نشـأة الأعضـاء (القلب، الكبد...)، أولها وأوسـطها وآخرها، وكلّ ذلك خطأ، وتجانف القرآن عن موافقة أي طرف منهم.. لمَ؟.

● ظاهرُ الكتاب المقدس سبق اللحم العظم، ولم يتابع القرآن الكتاب المقدس في ذلـك... بل لا يكاد يوافق القرآن الكتاب المقدس في شـيء رغم تكرّر إعلان القرآن أنّ موافقته أخبار أهل الكتاب حجّة ربّانيّته -لأنّ نبيّ الإسلام ﷺ أميّ، لم يدرس عند الأحبار أو الرهبان-.. لمَ؟

ما جواب ما سبق، مع دليله التاريخي؟

خلاصة الباب:

- وافق القرآن معارف العصر الصحيحة، علمًا أنها كانت مشتتة.
- وافق القرآن التلمود في صوابه، وتحاشى أخطاءه، وصحّح بعض زلّاته.
- وافق القرآن **جالينوس** صوابه، وتحاشى أخطاءه، وصحّح بعض زلّاته.
- تحاشى القرآن أخطاء الكتاب المقدس، وصحّح بعض زلّاته.
- أضاف القرآن حقائق علمية لا ذكر لها في التلمود، ولا في كتابات **جالينوس**، ولا في الكتاب المقدس.

المبحث الثاني: هل في القرآن والسنّة أخطاء في علم الأجنّة؟

الاعتراضات العلميّة على علم الأجنّة في القرآن والسنّة في الكتابات التنصيرية والإلحاديّة مكررة بلا تجديد. وقد تطرّقنا إلى أهم الاعتراضات في تعليقنا السابق على آيات سورة المؤمنون، وبقيت شبهات أخرى نعرضها الآن، وسنذكر منها اعتراضات على خبر السنّة النبويّة لاقتران الشبهات حول القرآن بالشبهات حول السنة في خبر علم الأجنّة.

الاعتراض الأول: سبب التذكير والتأنيث

جاء في الحديث: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ»[1]، ومعلوم أنّ سبق ماء الرجل أو المرأة لا تأثير له في تحديد جنس الجنين!

الجواب:

أولًا: يزعم بعض المخالفين للإسلام أنّ أصل تحديد الجنس في الخبر النبوي أصله التراث التلمودي؛ فقد قال الحبر إسحاق: «إذا أَمْنَتْ المرأة أوّلًا، كان لها ولد ذكر، وإذا أمنى الرجل أولًا كان الولد بنتًا»[2]، وهي دعوى فاسدة من وجهين رئيسين:

أ. الحديث النبوي يتحدّث عن اجتماع المائين، ثم علوّ أحد الماءين[3]، في حين يتحدّث التلمود عن سبق إمناء المرأة قبل الرجل.

---

(1) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، (ح/ 315).

(2) Babylonian Talmud, Niddah 31a

(3) جاءت بعض روايات الحديث بلفظ «سبق» لا لفظ «علا». ولعلّ الأظهر لفظ العلو لا السبق لأنّ السبق جاء تاليًا للاجتماع بما ينفي أنّه سبق الإنزال من الرجل وتحوّل البويضة عن محلّها.

ب – الحديث يذكر عكس ما جاء في التلمود؛ إذ التلمود يجعل تحديد الجنس بغلبة ماء الجنس المخالف، فسبق الرجل يؤدي إلى ميلاد أنثى، والعكس بالعكس. ويعود هذا المذهب إلى نص لاويين 12/ 2: «אִשָּׁה כִּי תַזְרִיעַ וְיָלְדָה זָכָר»، وهو النص الذي يترجم عادة: «إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا»، وكلمة «حبلت» هنا تقابل «תַזְרִיעַ» من فعل «زرع» العبري الذي له المعنى نفسه في العربية، على وزن «هفعيل» (وزن أفعل في العربية)، بما يجعل المعنى الحرفي للكلمة: «تعطي زرعًا»[1]، مع العلم أنّ **جالينوس وأبقراط** كانا يعتقدان أنّ الأطفال الذكور يأتون من الخصية اليمين، فيما يأتي البنات من الخصية الشمال**!**[2]

ثانيًا: ما جاء في الحديث النبوي صحيح، ودقيق؛ فإنّ الحديث يتحدّث عن العلو، وتلك هي العبارة الأليق في تفسير ظاهرة تحديد الجنس بلغة يفهمها الأعرابي في القرن السابع الميلادي وتوافق حقائق العلم اليوم.

التفسير العلمي العصري: يحمل نصف الحيوانات المنويّة عند الرجل، الصبغيّ المذكر(Y)، والنصف الآخر صبغيّه مؤنّث (X)، وأمّا بويضة المرأة فصبغيّها مؤنّث (X). عند تلقيح حيوان منويّ مذكّر البويضة يكون الجنين ذكرًا، وبذلك يغلب ماء الرجل بويضة المرأة، وإذا لم يكن الحيوان المنوي مذكرًا غلبت البويضة، أي غلب الطابع الأنثوي للبويضة لأنّه لم يلتحم بكائن أقوى منه (مذكّر)[3].

والعلم اليوم لا يجد حرجًا في وصف ما يكون بين الصبغيات بأنّها مغالبة تنتهي بمنتصر؛ إذ إنّنا نقرأ أنّه «إذا انتصر الحيوان المنوي «Si le spermatozoïde X gagne»[4] كان الجنين أنثى، و«إذا كان الحيوان المنوي الفائز winning sperm

---

(1) Marten Stol, "Embryology in Babylonia and the Bible", p.141

(2) Comm. on book VI of Epid., and Hippocrate, Comm. IV.27

(3) Andrew Stauffer, Introductory biology (Princeton, N.J.: Van Nostrand Co, 1954), p.424

(4) David Klein, Pol Dodinval, La Génétique Humaine au Service de la Médecine (Genève : Editions Médecine et Hygiène, 1979), p.44

يحمل الصبغي الصغير (Y) تكون النتيجة مختلفة»[1].

كما أثبت العلم مؤخرًا أنّ ماء الرجل قلويّ، وماء المرأة حمضيّ؛ فإذا غلبت قلوية مـاء الرجل حمضية ماء المرأة، غلب احتمال ذكـورة المولود؛ ولذلك ينصح الأطباء بأغذية معيّنة تزيد قلوية ماء الرجل لمن تريد ذكورًا[2].

ونُشـرت مؤخـرًا ورقة علميّة تشـير إلى أنّ العلاقـة بين بويضة المـرأة والحيوان المنوي ليسـت اعتباطية، وإنّمـا هناك جينات من الطرفين تعمـل على اختيار الطرف الآخر المناسب؛ فليست البويضة طرفًا سلبيًا في هذه العلاقة، وإنّما هي أيضًا تمارس سلطانًا لاختيار رفيقها[3].

ومن الممكن التعبير عن المعنى السابق بلغة بسيطة يفهمها كلّ الناس في كلّ زمن: عندمـا يلتقي ماء الرجل (أي نطفته) وماء المرأة (أي نطفتها)، ويغلب الطابع الخاص بالنطفـة (X وحمضيتها)؛ يكـون المولود أنثى، وإذا غلب الطابـع الخاص بالذكر (Y وقلويته)؛ كان ذكرًا. وهي عبارة مطابقة لعبارة الحديث النبوي.

الاعتراض الثاني: تفسير الشبه

جاء في الحديث عن أُمِّ سُلَيْم أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ ذَلِكِ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِـلْ». فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ – وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ – قَالَتْ: وَهَلْ يَكُونُ هَذَا؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُـونُ الشَّـبَهُ، إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيـقٌ أَصْفَرُ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ»[4]، وهذا التفسير للشَبه غير علمي.

---

(1) Roger Pilkington, Sons and daughters (London: G. Allen & Unwin, 1951), p.76

(2) Mathews, F.; Johnson, P. J; Neil, A. (2008). "You are what your mother eats: evidence for maternal preconception diet influencing foetal sex in humans" Proc Biol Sciv.275(1643); 2008 Jul 22
< /https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2602810 >

(3) Joseph H. Nadeau, 'Do Gametes Woo? Evidence for Their Nonrandom Union at Fertilization', Genetics, October 1, 2017 vol. 207 no. 2 369-387
http://www.genetics.org/content/207/2/369?fbclid=IwAR3jj8-7FjphKdMcXM8eg1V_m440qhmZnns->
<ClYOzvcSM2LVtIB4y2j_A54w

(4) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب وُجُوبِ الْغُسْلِ عَلَى الْمَرْأَةِ بِخُرُوجِ الْمَنِيِّ مِنْهَا، (ح/ 736).

الجواب:

أولًا: لاحِظ الاستدلال لوجود ماء للمرأة بمساهمة مائها في تكوين الجنين. وهذه ملاحظة علميّة بارعة استدلّ بها **جالينوس** – ومن قالوا بقوله لاحقًا – للرد على من أنكروا ذلك، وهم كثُرٌ. وهي ملحوظة علمية صادقة؛ إذ إنّ الشبه سببه مساهمة كروموسومات الأنثى – التي تضم المعلومات الجينية المتعلقة بالشكل والحجم...– في صناعة بنية الجنين.

ثانيًا: ما قرّره الحديث صحيح علميًا؛ فإنّ في الحيوان المنوي والبويضة معلومات جينية مختلفة، الجزء الذي يساهم به الذكر يضم معلومات تشابه ما في أسرته، والجزء الذي تساهم به المرأة فيه معلومات جينية تشابه ما في أسرتها. وإذا غلبت المعلومات الجينية للذكر، كأن يكون فيها لون العينين أخضر، كانت عين المولود على هذا اللون، وإذا غلبت المعلومات الجينية كما في البويضة، كأن تكون العين سوداء، كانت عين المولود سوداء.

التعبير عن المعنى السابق بلغة بسيطة يفهمها الأعرابي في القرن السابع يكون باستعمال ألفاظ تدلّ على الانتصار في صراع الغلبة على الهيمنة بين خيارات مختلفة.

الاعتراض الثالث: زمن تحديد جنس الجنين

قال رسول الله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا، فصوّرها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟»[1].

يخبر الحديث أنّ جنس الجنين يتحدّد في اليوم الثاني والأربعين، في حين أنّ العلم يخبر أنّ جنس الجنين يتحدّد منذ تلقيح البويضة.

---

(1) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2645).

الجواب:

ليس في الحديث غير أنّ الملك لا يعلم أنّ الجنين ذكرٌ أو أنثى إلا مع اليوم الثاني والأربعين، وذاك يدلّ على أنّ جهاز الذكورة أو الأنوثة لا يتميّز بمظهر الذكورة أو الأنوثة إلا في هذه المرحلة. ويوافق الحديث النبوي العلم في أنّ الذكورة والأنوثة تتحدد منذ التخصيب، وذاك في قول الرسول ﷺ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ»[1]، فتحديد جنس الجنين يكون منذ مرحلة النطفة الأمشاج، وعلمُ الملك خاص بتكوين الشكل الخاص للجهاز التناسلي.

وإذا قيل: لماذا يسأل الملك عن جنس الجنين في اليوم الثاني والأربعين؟ فالجواب أنّ الملك يسأل قبل ظهور طابع الجهاز التناسلي له، كما أنّه قد يتحدّد جنس الجنين أنّه أنثى، ثم يتطوّر ليكون الجهاز التناسليّ ذكريًا، أو العكس، وذلك لأسباب عدّة، منها نقص هرمون التستوستيرون.

الاعتراض الرابع: نفخ الروح

جاء في الحديث النبوي: « إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله مَلَكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتُب عمله ورزقه وأَجَله وشقيٌّ أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح»[2]. وذاك خطأ؛ إذ إنّ الحركة والنمو ثابتان للجنين منذ مرحلة دخول الحيوان المنوي البويضة؛ ولا حركة ونمو دون روح.

---

(1) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، (ح/ 315).
(2) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ح/ 3036)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2643).

الجواب:

لا علاقة للحركة والنمو ضرورة بنفخ الروح؛ فإنّ النبات ينمو ويكبر دون أن تكون له روح. والإنسان يكتسب الروح -إسلاميًا- عندما يبدأ في اكتساب الصورة الآدميّة، ولا يكتسب هذه الروح وهو قطعة دم، أو عندما تبدأ بعض أعضائه في التشكّل. والروح في القرآن خَلْقٌ خفيٌ لا نعرف كنهه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء:85].

الاعتراض الخامس: هل المني من الصلب والترائب؟

يقول القرآن عن الإنسان: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق:6-7]. وذاك يعني أنّ منيّ الرجل موجود بين الصلب والترائب. وهي دعوى باطلة!

الجواب:

الآية لا تعلّق لها بالمني؛ وإنما هي تتحدث عن الإنسان مذ يكون جنينًا، وعلى ذلك أدلّة:

أولًا: لعلّ الأظهر أنّ الضمير للإنسان، والمقصود هو إعادة بعث الإنسان يوم القيامة، كما هو دأب القرآن في تكرار هذا المعنى، وبيان أنّ الإنسان ضعيف، لا ناصر له عند الحساب. وليس هذا القول باعتبار «الإنسان» هو متعلّق فعل الخروج، من ابتكار المعاصرين؛ فقد قال المفسّر **ابن عطية** (متوفى 541هـ/ 1146م): «والضمير في «يخرج» يحتمل أن يكون للإنسان، ويحتمل أن يكون للماء»[1]، وقال **القرطبي** (متوفى 671هـ) -نقلًا عن غيره-: «مَنْ جَعَلَ الْمَنِيَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِهِ، فَالضَّمِيرُ فِي يَخْرُجُ لِلْمَاءِ. وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرجل وترائب المرأة،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ)، 5/ 465.

فالضمير للإنسان»[1].

وسياق الكلام كلّه عن الإنسان وليس عن المني، ولننظر سويًا:

«فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ»[الطارق:5]

«خُلِقَ [الإنسان] مِن مَّاء دَافِقٍ»[الطارق:6]

«يَخْرُجُ [الإنسان] مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ»[الطارق:7]

«إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ [الإنسان] لَقَادِرٌ»[الطارق:8]

«يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»[الطارق:9]

«فَمَا لَهُ [الإنسان] مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ»[الطارق:10]

ثانيًا: القول إنّ القرآن يتحدّث عن المنيّ في كلّ الآيات السابقة يعني أنّ الله سبحانه سيبعث المنيّ ليحاسب، لا الإنسان ذاته!

ثالثًا: الآية تتحدث عن شيء خارج «من بين» الصلب والترائب لا «من» الصلب والترائب، والجنين يخرج من بين عظام الصلب والترائب أي أضلاع الصدر[2].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ – 1964م)، 20/ 7.

(2) قال ابن عطية: «التريبة من الإنسان: ما بين الترقوة إلى الثدي، وقال أبو عبيدة: معلق الحلي على الصدر، وجمع ذلك: ترائب ومنه قول الشاعر [المثقب العبدي]:

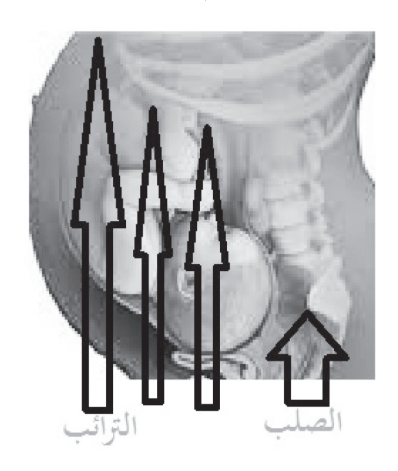
ومن ذهب يسن على تريب ... كلون العاج ليس بذي غضون

وقال امرؤ القيس:

... ترائبها مصقولة كالسجنجل

فجمع التريبة وما حولها فجعل ذلك ترائب، وقال مكي عن ابن عباس: إن الترب أطراف المرء ورجلاه ويداه وعيناه، وقال معمر: التَّرائِب، جمع تريبة، وهي عصارة القلب، ومنها يكون الولد، وفي هذه الأقوال تحكم على اللغة، وقال ابن عباس: التَّرائِبِ موضع القلادة، وقال أيضا: هي ما بين ثدي المرأة، وقال ابن جبير: هي أضلاع الرجل التي أسفل الصلب، وقال مجاهد: هي الصدر، وقال هي التراقي، وقيل هي ما بين المنكبين والصدر». (المصدر السابق).

صورة الجنين في الشهر التاسع
قبل خروجه من بين عظام الظهر والقفص الصدري



الاعتراض السادس: أصل المني من الصلب أم من الحقو؟

يقول القرآن إنّ أصل المني من الظهر: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:23] والمني يخرج من الخصيتين لا من الظهر. والقول بأنّ المني من الظهر يرجع إلى كلام **جالينوس** الذي صرّح بذلك.

الجواب:

أولًا: يعترف المنصّر **ويليام كامبل** في ردّه على الأخبار العلمية في القرآن أنّ الكتاب المقدس نفسه يشير إلى المعنى نفسه المذكور في القرآن. يقول: «الفكرة بنفسها موجودة في التوراة، الكلمة العبرية (chalats) استعملت بالضبط بمعنى الكلمة العربية «صلب».

عندما قال إشعياء: «تَنَطَّقْنَ عَلَى الْأَحْقَاءِ (32 /11) chalats»، أو عندما كتب إرميا:

« كُلَّ رَجُلٍ يَدَاهُ عَلَى حَقَوَيْهِ (30 /6) chalats»، فذاك يعني «الظهر» أو «الوسط»[1].

وعندما كان الله يخاطب يعقوب، قال له: « مُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ chalats» التوراة، سفر التكوين 35/ 11.

أو عندما قال الله لداود سنة 1000 قبل الميلاد: «إِلَّا إِنَّكَ أَنْتَ لاَ تَبْنِي الْبَيْتَ، بَلِ ابْنُكَ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِكَ هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاسْمِي» 1ملوك 8/ 19 [2].

قلت: الحَقْو : الخَصْر، وهو وسط الإنسان فوق الورك.

أَخَذ بحَقْو أبيه / عاذَ بحَقْو أبيه : استجار به واعتصم.

تكوين 35/ 11: وَقَالَ لَهُ اللهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ מֵחֲלָצֶיךָ יֵצֵאוּ».

1ملوك 8/ 19: «إِلَّا إِنَّكَ أَنْتَ لاَ تَبْنِي الْبَيْتَ، بَلِ ابْنُكَ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِكَ הַיֹּצֵא מֵחֲלָצֶיךָ هوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاسْمِي».

2أخبار الأيام 6/ 9: «إِلَّا أَنَّكَ أَنْتَ لاَ تَبْنِي الْبَيْتَ، بَلِ ابْنُكَ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِكَ הַיּוֹצֵא מֵחֲלָצֶיךָ هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاسْمِي».

أين مكان «الحقو» في الكتاب المقدس؟

أيوب 38/ 3: «اُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ חֲלָצֶיךָ كَرَجُل، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي».

إشعياء 5/ 27: «لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ، وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ חֲלָצָיו، وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أحذيتهم».

إرمياء 30/ 6: « لِمَاذَا أَرَى كُلَّ رَجُل يَدَاهُ عَلَى حَقْوَيْهِ עַל־חֲלָצָיו كَمَاخِضٍ».

المني من الحقو في العهد الجديد:

العبرانيون 7/ 10: «لأَنَّهُ كَانَ بَعْدُ فِي صُلْبِ أَبِيهِ حِينَ اسْتَقْبَلَهُ مَلْكِي صَادَقَ. ἔτι γὰρ ἐν τῇ ὀσφύϊ τοῦ πατρὸς ἦν ὅτε συνήντησεν αὐτῷ Μελχισέδεκ».

(1) waist

(2) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.181

كلمة ὀσφῦς [أُوسفوس] الواردة في عبرانيين 7/ 10، جاءت أيضًا في:

متّى 3/ 4 : «وَيُوحَنَّا هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ».

مرقس 1/ 6: «وَكَان يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا».

ولوقا 12/ 35: «لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً».

والرسالة إلى أفسس 6/ 14: «فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ».

1بطرس 1/ 13: «لِذلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ».

والملاحظ أنّ [أُوسفوس] كانت تعني دائمًا منطقة الوسط حيث يربط الحزام، باستثناء 1بطرس 1/ 13 حيث المعنى المجازي ظاهر، ولا تعلّق للعبارة بمكان مخصوص من الجسد.

والحقو هنا من الممكن أن يُقصد به المنطقة الخلفية منه، في الظهر، ولا يمكن أن يقصد به الخصية، فالخصية ليست في منطقة الحقو، كما أنّه قد ورد ذكر كلمة الخصية في النص العبري للاويين 21/ 20: «وَلاَ مَرْضُوضُ الْخُصَى אָשֶׁךְ»[أَشِكْ].

ثانيًا: هل أخذ القرآن فكرة الصُّلْب من الثقافة الطبية لعصره؟ ليس في التوراة خبر صريح عن أصل المني، وأما اليونان فقد اختلفوا إلى مذاهب؛ فذهب **ديموقريطس**[1] إلى أنّ المني يُعتصر من كل البدن، وقال **أرسطو** إنّ أصل المني مما يتغذاه المرء.

ومن المثير –والمخزي– هنا أنّ خصوم الإسلام يكثرون من نقل كلام **جالينوس** مبتورًا؛ إذ إنّ **جالينوس** يذكر أنّ المني ينزل إلى الجهاز التناسلي من الدماغ إلى الخصيتين مرورًا بالأذنين، فالعنق، فالعمود الفقري، إلى عضلات الفخذين[2]،

(1) ديموقريطس Democritus (370-460): أحد أبرز الفلاسفة اليونانيين قبل سقراط. عُرف بنظريته الذرية.

(2) Hippocrates, On Seed 2 (Cited in: Anthony Preus, Galen's Criticism of Aristotle's Conception Theory, (Journal of the History of Biology, vol. 10, no. 1 (Spring 1977), 70

فيوهم خصوم الإسلام سامعيهم أنّ **جالينوس** يجعل المني من الظهر، في حين أنّ كلامه صريح في أنّ المني من الدماغ، وليس في الكتاب والسنّة شيء من نسبة المنيّ إلى الدماغ.

ثالثًا: للصلب في «لسان العرب» معان:

أ. العمود الفقري: جاء في «لسان العرب» عن الصلب: «عظم من لدن الكاهل إلى العُجْب»[1]، والكاهل ما بين الكتفين، والعُجْب هو أدنى العمود الفقري.

ب. كامل جهة الظهر: جاء في «لسان العرب»: « ويقال للظهر : صلب وصلب وصالب؛ وأنشد :

كأن حمى بك مغرية *** بين الحيازيم إلى الصالب»[2].

فالظهر بعظمه وبقية أعضائه يُسمّى أيضًا صلبًا. والصلب والظهر قد استعملا بالمعنى نفسه الذي في حديثنا؛ فقد جاءت نسبة أصل الأولاد في القرآن إلى الظهر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:172].

والظهر من الإنسان في «لسان العرب»: «من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره»[3]، وهو بذلك يشمل كلّ ظهر الإنسان، من جهة الكتفين حتى العجز.

ت. بعض الصلب: يسمّى بعض الصلب صلبًا. جاء في «لسان العرب»: «وقال حميد:

وانتسف الحالب من أندابه *** أغباطنا الميس على أصلابه

كأنه جعل كل جزء من صلبه صلبًا»[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلب.
(2) المصدر السابق.
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ظهر.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلب.

نتيجة ما سبق: يصحّ لغة إطلاق عبارة «من صلب» أو «من أصلاب» لما كان من الجهة الخلفية للإنسان تحت العنق وفوق الفخذين. ويُخبرنا العلم أنّ الماء المنوي يتكوّن في seminal vesicles القريبة من العصعص أسفل العمود الفقري (لا يفصلها عن عظم العصعص سوى المستقيم rectum)، في جهة الحوض، ومنه يخرج المني عند القذف -لا من الخصية-، ولا تساهم الخصية سوى بجزء ضئيل جدًا من مكون الماء (2 ٪ إلى 5 ٪). والحيوانات المنويّة الخارجة من الخصيتين تمرّ عبر seminal vesicles لتختلط بماء المني قبل القذف. وما كان العرب يعرفون التشريح، ولم تكن لهم تسمية علمية خاصة بـseminal vesicles، ولذلك جاء الخبر القرآني مراعيًا العصر، بالإشارة إلى ما أسفل الظهر، فلم تكن ثقافة العصر تحمل مفردات خاصة بالمطلوب، وهو سبب إحالة الكتاب المقدس إلى منطقة الحقو، حيث يوجد عند الجهة الخلفية منها seminal vesicles.

النتيجة: إذا أخذنا بالقول إنّ ماء الرجل يخرج من خلايا غير عظمية، وإنّ القرآن يقصد بالصلب عظام الظهر فقط، وإنّ التوراة تحيل إلى منطقة الوسط (عظام الحوض)؛ فالقرآن والكتاب المقدس لا يوافقان ما يقوله العلم حتّى هذه الساعة؛ وإذا قلنا إن منطقة إنتاج عامة الماء المنوي، والتي يخرج منها المنيّ قبل القذف لم يكن لها مسمى خاص في بيئة التوراة والقرآن الأولى، فكلا الكتابين مصيب لأنهما يحددان المنطقة بما يقاربها من العظام؛ إذ إنّ seminal vesicle تقع في منطقة أسفل الظهر.

الاعتراض السابع: ويعلم ما في الأرحام

قال نبي الإسلام ﷺ: «مفاتح الغيب خمس ثم قرأ الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ

أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ [لقمان: 34]»[1]. ومعلوم اليوم أنّ الطب قادر على معرفة جنس الجنين، وذاك من علم الغيب الذي زعم القرآن أنّ الله قد استأثر بالعلم به.

الجواب:

أولًا: الآية في الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلّا الله. ولا يمكن أن يكون جنس الجنين هو المقصود في الآية؛ فإنّ الحديث النبوي قد أخبر أنّ الملَك يعلم جنس الجنين بدءًا من منتصف شهره الثاني في الرحم كما في قوله ﷺ: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكًا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك»[2].

ثانيًا: روى **البخاري** عن الرسول ﷺ أنّه قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[3]. **فالعلم المطلق الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه هو ما يغيض في الأرحام وليس ما يزداد فيها بتضخّم حجم الجنين عبر أطوار نشأته.**

وإذا كان نمو الجنين لا يدخل في غيض الأرحام؛ فإنّ غيض الأرحام إذن ما يَفسد في الأرحام، أي الإسقاط التلقائي المبكر، بدلالة اللغة. قال **الأصفهاني**: «وما تغيض الأرحام: ما تفسده الأرحام، فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض. والغَيْضَةُ: المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه»[4]، وقال المفسّر **عبد الرحمن السعدي**: «وما تغيض الأرحام، أي تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل، أو يضمحل. وعرّف

(1) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله عنده علم الساعة، (ح/ 4500).
(2) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح/ 2645).
(3) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: عالم الغيب، (ح/ 7379).
(4) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 619.

علماء اللغة أيضًا السقط بأنه: الجنين يسقط من بطن أمّه قبل تمامه»[1].

وقد انقسم أهل العلم منذ زمن الصحابة في مفهوم غيض الأرحام إلى قولين كبيرين، **أولّهما** الدم الذي ينزل على المرأة الحامل، **وثانيهما** سقط الأجنة قبل تمام خلقها. علمًا أنّ الغيض قد يكون بسقوط الجنين من بطن أمه أو بهلاكه في الرحم بأن يتحلل ويغور وتختفي آثاره منه، كما يغور الماء في الأرض.

يقول **د. عبد الجواد محمد الصاوي**[2] : « يقول علم الأجنة الحديث: عندما تهلك الأجنة في الأسابيع الثمانية الأولى من عمرها؛ إما أن تسقط خارج الرحم، أو تتحلل وتختفي تمامًا من داخله، ويسمّي علماء الأجنة هذا الهلاك بصورتيه: الإسقاط التلقائي المبكر. وهو متوافق تماماً مع أقوال علماء اللغة وعليه يمكننا أن نقول: بأن غيض الأرحام هو الإسقاط التلقائي المبكر. وهو الذي يحدث خلال الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل، وهو ظاهرة شائعة، ونسبة حدوثه كبيرة، إذ تصل إلى حوالي 60 ٪، في الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل. وفي عدة مشاهدات للسقط المبكر لم يكن الجنين موجودًا؛ أي إنّ الجنين قد تحلّل واختفى داخل الرحم. وعدم رؤية جنين بالمرة في حويصلة الحمل، يسمى كيس الحمل الفارغ، وتمثل هذه الحالات حوالي نصف حالات السقط التلقائي المبكر، وبعد اكتشاف جهاز الأشعة فوق الصوتية واستخدامه في تشخيص الحمل ومتابعته؛ تأكدت حالات غور الأجنة واختفائها من داخل الأرحام»[3].

ويجيب على سؤال: «ماذا يعني العلم بغيض الأرحام؟»، بقوله: «العلم بِغَيْض الأرحام يعني العلم المسبق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر بشقيه قبل تمام تخليق

(1) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ / 2000 م)، ص 414.

(2) عبد الجواد محمد الصاوي: استشاري طب أطفال واسشاري الطب البديل.

(3) عبدالجواد محمد الصاوي، مفاتح الغيب... وعلم ما في الأرحام. الموقع الرسمي للهيئة العالمية للكتاب والسنّة https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/86-Twenty-eighth-is-> < sue/809-Mphath-unseen

الجنين برغم توفر مقدمات الخلق الضرورية ومادته الأولى، وتهيؤ الأسباب وانتفاء الموانع لحدوثه، فيتخلص الرحم من تلك المواد الأولية؛ إما بإسقاطها أو بغورها واندثارها؛ وذلك لبيان أن الإيجاد بعد العدم والإعدام بعد الوجود ظاهرة متكررة تبين إمكان وقوع البعث بالنظير والضد، وأن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار.

وعلى هذا يكون المراد بعلم غيض الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله هو العلم بمستقبل هلاك الأجنة المبكرة، أو بمعنى آخر: العلم بإرادة الله في إنشاء إنسان جديد من عدمه. وأن هذا العلم مقصور على الله وحده، ويستحيل على البشر بل وعلى الخلق جميعاً معرفته»[1].

وأسباب السقط كثيرة جدًا، منها ما هو وراثي، ومنها ما هو مرضي بسبب الأشعة أو الهرمونات أو الفيروسات أو المواد الكيميائية، ومنها ما هو سيكولوجي أثناء الحمل؛ بما يجعل الإحاطة بجميع هذه الأسباب محالًا. بل إنّ الخلل في الصبغيات وحده يحدث بطريقة عشوائية يعجز العلم عن التنبؤ به.

---

(1) المصدر السابق.

الفصل الثاني
علم الأمراض والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية

يُعنى علم الأمراض Pathology بـالأمراض وطبائعها وآثارها. ولعلم الأمراض أهميّة خاصة في الأمم القديمة، لأنّ الجماعة البشريّة لا تستغني عن البحث عن حلول لأسقامها، وقبل ذلك فهم طبيعة الأمراض بين الرؤية العجائبية المحضة، والفهم المادي المحض، والجمع بين أثر السنن الكونية وحكمة الربّ في تصريف الأمور.

وقد اختلط علم الأمراض بالخرافة في كلّ الأمم السابقة للبعثة النبوية. وكان يغلب على تفسير ظواهر الانحراف الصحّي التفسير الغيبي المحض؛ ولذلك كانت حقيقة عامة الأدوية أنها قرابين يُراد بها إرضاء الآلهة، دون طلب معرفة أسباب الأدواء وسبب علاجها. وقد كانت لكثير من الحضارات القديمة آلهة خاصة بالأمراض أو الشفاء كأسكلبيوس عند قدماء اليونان.

لا ينفي ما سبق محاولة المصريين والصينيين والهنود القدماء توصيف الأمراض على نحو سليم، واستنباط الأدوية الناجعة. وتعتبر توصيفات المصريين من أبكر ما وصلنا عن العالم القديم، لكنّ ذلك لم يجعل توصيف الأمراض عندهم ظاهرة علميّة على جادة البحث العلمي السوي حتى ظهر **أبقراط** ومدرسته منذ القرن الثالث قبل الميلاد. واستمرّ تأثير هذه المدرسة في الغرب حتى عصر ما يُسمى بالنهضة.

تلقّف الرومان بعد ذلك الموروث اليوناني غير أنّهم لم يقدّموا إضافات متميّزة، وكان ظهور **جالينوس** –الطبيب اليوناني الذي عاش في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني – آخر مشهد علمي جاد في علم الأمراض قبل البعثة النبوية، وهو الذي عُرف بنظريته –الشهيرة على مدى قرون – في ردّ الأمراض إلى اختلال توازن الأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والمِرّة الصفراء والمِرّة السوداء[1].

وأمّا معرفتنا بالطب اليهودي القديم، فهي محدودة لضيق أخباره الموروثة اليوم.

(1) Jan G. van den Tweel & Clive R. Taylor, 'A brief history of pathology', Virchows Arch (2010) 457:3–10

وقد جاء في الموسـوعة اليهوديـة Jewish Encyclopedia: «ليس بالإمكان تحديد المجموع الكلي للمعرفة الطبية التي امتلكها العبرانيون القدماء بصورة نهائية بسـبب عدم وجود رسائل طبيّة في الكتاب المقدس أو التلمود. يَذكر المشنا كتابًا طبيًا اسمه: سـفر رفـوؤوت רפואות، وقد نُسـب إلى الملك سـليمان ونقّحه الملـك حزقيا[1]، ويستشـهد التلمـود بأطروحة عن علـم الصيدلـة Megillat Sammanin [2]. ولكن لـم يتم الحفاظ على أيّ منهمـا. كان الطب جزءًا لا يتجزأ من ديـن اليهود. وكان يتم التعامـل مع المواضيع الطبية أو التلميح إليها فقط بقـدر ما يتعلّق ذلك ببعض النقاط القانونية»[3].

وليـس في العهـد الجديد حديث طبيعي ذي بال عن الأمراض وشـفائها. ويغلب على الحديث في الأناجيل والرسـائل ردّ الأسقام إلى تفسـيرات خارقيّة محضة، بما أثّر لاحقًا في تطوّر الطبّ تحت سـلطان الكنيسـة في القرون الوسطى، وازدراء مهنة الطب في العصر ذاته.

لـم تكن مكّـة والمدينة بمنأى عن منطـق العصور القديمة؛ فقـد كان الطبّ رهين العقـل العجائبي الذي أسـلم لفعـل الأصنام والجنّ تفسـير كثير مـن ظواهر الأبدان والنفوس. وكانت المعالجات المادية بسـيطة جدًا لا تتجاوز معارف أدنى كلّ عصر. قـال صاحب كتاب «المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام» عن طب الأعراب قبل الإسـلام: «أمّا الأعراب، فقد كان لهم أطباء، ولكن طبهـم، هو طب العرف والعادة. طـب موروث، يداوي بالوصفات التي داوى بها الآبـاء والأجداد، دون تغيير وتبديل وجدل ونقاش. ولهذا، فهو طب بدائي تقليدي موروث، يعتمد في مداواته على قدرة القبيلـة، وعلى ما يجده الطبيب حوله من نبات وأعشـاب وحيـوان ونار فيداوي بها.

(1) Pes. iv. 9

(2) Babylonian Talmud, Yoma 38a

(3) Art. 'Medicine', Jewish Encyclopedia, 8/410

ومـا زال الأعـراب على طبهم هذا، يـداوون به على نحو مـا داوى أجدادهم وأجداد أجدادهم في الإسـلام وقبل الإسـلام. وليس لطب البادية اتصـال بالطب الخارجي، إلا مـا كان من طب القبائل القاطنة على مقربة مـن الحواضر، أو القبائل التي كان لها اتصال مباشر منتظم أو غير منتظم بالعالم الخارجي»[1].

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار الساقي، 1422هـ/ 2001م)، 16/ 23.

المبحث الأول: علم الأمراض والعهد القديم

يتضمّن العهد القديم وصف بعض الظواهر المرضيّة في سياق عرض الأحكام، أو سرد القصص، أو وصف الأحوال. وقد كشف هذا الوصف عن ثقافة بدائية في فهم حقيقة الأمراض. وهاهنا أمثلة كاشفة لذلك.

المثال الأول: اختبار البطن المتألّم

يخبرنا سفر العدد 5/ 12–31 أنّه إذا شكّ الرجل في زوجته، وقام في ذهنه أنّها زنت، فعليه أخذها إلى الكاهن ليسقيها «ماء اللعنة المر» (5/ 18)؛ وهو ماء مخلوط بتراب الأرض. فإذا تورّم بطن المرأة، وسقط فخذها «וְנָפְלָה יְרֵכָהּ» [ونافلا يركاه]، فإنّها تكون زانية، وإلّم يحصل ذلك تكون بريئة. وهي شريعة فاسدة عمليًا، سواء أخذنا العقوبة بالمعنى الحرفي وهو سقوط الفخذ (وهو معنى بعيد)، أو أخذنا بالمعنى المرموز له، وهو معنى الإجهاض للطفل الذي تحمله في بطنها، والعقم لاحقًا.

اختبار ماء اللعنة المر موهم أنّ هناك علاقة آلية بين الزنا والإجهاض والتورّم، والعلم يشهد بخلاف ذلك. ولا يملك اليهود والنصارى القول بالتدخل الإلهي الخارق للسنن الكونية ليؤدي الماء الملوث بالتراب إلى الإجهاض والعقم كلّ مرّة؛ فإنّ الحالات التي تعرضت لهذا الحكم لا تشهد لصدق هذه الشريعة.

والراجح أنّ هذه الشريعة مقتبسة من شرائع الوثنيين؛ فإنّ نصًا مكتشفًا في «ماري» (شمال غرب بلاد ما بين النهرين) يتحدث عن محاكمة للآلهة عن طريق الاختبار حيث يطلب من الآلهة شرب الماء الذي يحتوي على التراب المأخوذ من بوابة المدينة. وغاية هذا الاختبار إلزام الآلهة بقسمها لحماية المدينة[1].

(1) V. H.Matthews, et al., The IVP Bible background : Old Testament, p.145

ويقـول أصحـاب كتـاب The IVP Bible background commentary تحت عنوان «المحاكمة عن طريق الاختبار في الشـرق الأدنى القديم»: «يصف «الاختبار» الوضـع القضائـي الذي يتم فيـه وضع المتهم في يـد الله باسـتخدام بعض الآليات، وهي بشـكل عام تعرّض المتهم للخطـر. إذا تدخّل الإله لحمايـة المتهم من الأذى؛ فإن الحكم يكون بالبراءة. تضمّنت معظم المحاولات عن طريق الاختبار في الشـرق الأدنى القديم مخاطر مثل الماء أو النار أو السـم. في الواقع، يُفترض أن المتهمة التي تتعرض لهذه المخاطر مذنبة إلّا أن يعلن الإله غير ذلك عن طريق فعل في صالحها»[1].

وفي مقابل هذه الشـريعة الفاسـدة والظالمة، يخبرنا القرآن بمعاني العدل إذا ظنّ الرجـل أنّ زوجتـه قد زنـت، ولم تكن لـه بيّنة (أربعة شـهود)، فلـه أن يلاعن المرأة وتلاعنـه، بأن يحلف أنّها زنت، ويلعن نفسـه إن كان كاذبًا، فإن زعمت المرأة أنّها لم تزن، فعليها أن تحلف أنّها بريئة، وأنّ لعنة الله عليها إن كانت زانية، ثم يفرّق القاضي بينهما، ويفصم علاقة الزوجية، دون أن يُقام عليها حدّ الزنا، لغياب البيّنة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾[2]، فليس في النصّ مخالفة للعلم، ولا ظلم للمرأة، ولا بيع للوهم.

المثال الثاني: البرص

لاويين 13/ 9-13: «إِنْ كَانَتْ فِي إِنْسَـانٍ ضَرْبَةُ بَرَصٍ فَيُؤْتَـى بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي الْجِلْدِ نَاتِئٌ أَبْيَضُ، قَدْ صَيَّرَ الشَّـعْرَ أَبْيَضَ، وَفِي النَّاتِئِ وَضَحٌ مِنْ لَحْمٍ حَيٍّ، فَهُوَ بَرَصٌ مُزْمِنٌ فِي جِلْدِ جَسَـدِهِ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. لاَ يَحْجُزُهُ لأَنَّهُ نَجِـسٌ. لكِنْ إِنْ كَانَ الْبَرَصُ قَدْ أَفْرَخَ فِي الْجِلْدِ، وَغَطَّـى الْبَرَصُ كُلَّ جِلْدِ الْمَضْرُوبِ

---

(1) Ibid

(2) [النور:6-9].

مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ حَسَبَ كُلِّ مَا تَرَاهُ عَيْنَا الْكَاهِنِ، **ورَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الْبَرَصُ قَدْ غَطَّى كُلَّ جِسْمِهِ، يَحْكُمُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ**. كُلُّهُ قَدِ ابْيَضَّ. إِنَّهُ طَاهِرٌ».

لاويين 13/ 47–49: «وَأَمَّا الثَّوْبُ فَإِذَا كَانَ فِيهِ ضَرْبَةُ بَرَصٍ، ثَوْبُ صُوفٍ أَوْ ثَوْبُ كَتَّانٍ، فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الْكَتَّانِ، أَوْ فِي جِلْدٍ أَوْ فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ مِنْ جِلْدٍ، وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ ضَارِبَةً إِلَى الْخُضْرَةِ أَوْ إِلَى الْحُمْرَةِ فِي الثَّوْبِ أَوْ فِي الْجِلْدِ، فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ أَوْ فِي مَتَاعٍ مَا مِنْ جِلْدٍ، فَإِنَّهَا ضَرْبَةُ بَرَصٍ، فَتُعْرَضُ عَلَى الْكَاهِنِ».

على النصّين السابقين مجموعة ملحوظات:

الملحوظة الأولى: مرض البرص المذكور في التوراة حيّر العلماء اليوم لأنّه لا يصدق على أي مرض مخصوص؛ وقد أطلقه الكتاب المقدس بصورة غير علمية على ظواهر غير مؤتلفة؛ فرغم أنّ ظاهر كلمة «برص» « צרעת » [صَرعاة] موهم أنّه يوافق مرض الجذام إلا أنّه لا يوجد شيء مما يميّز الجذام موجود في الفصل 13 من سفر اللاويين[1].

الملحوظة الثانية: لا يمكن وصف تغطية البياضِ كامل جلد المريض –لا بعضه– برهانًا على الشفاء؛ فهذا الأمر لا يوافق أيّ توصيف علمي لبرص الكتاب المقدس.

الملحوظة الثالثة: يفهم من الكتاب المقدس أنّ مرض البرص غير معد، ومع ذلك نصّ الكتاب المقدس على وجوب عزل مريض البرص عن بقيّة الشعب؛ ولا تفسير للعزل لغير أسباب طبيّة (العدوى) سوى تشرّب مؤلفي الكتاب المقدس للثقافة البابليّة القديمة التي كانت تنصّ على أنّ من يصاب ببياض في جلده؛ فقد وجب عزله عن جماعة الناس؛ لأنّ بياض جلده علامة على غضب الله عليه[2]، وهي ظاهرة كانت منتشرة في الأمم الأخرى أيضًا مثل اليونان والفرس ونوير إفريقيا[3].

(1) V.H. Matthews, et al. The IVP Bible background : Old Testament, p.129

(2) Ibid

(3) J. H. Walton, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament), 1/301

الملحوظة الرابعة: الظنّ أنّ البرص الذي يصيب الإنسان يصيب الأثواب والحيطان سذاجة علميّة؛ وهو ما استفزّ «الموسوعة اليهودية» لتقول -رغم محاولتها الخروج بحلّ للإشكال-: «وصفُ الكتاب المقدس لبرص الملابس والمنازل مماثل بشكل لافت للنظر في صياغته للبرص الذي يصيب البشر. **مقاطع سفر اللاويين 13/ 47-59 لا يمكن تفسيرها في الوقت الحاضر في ضوء العلم الحديث... مسألة أنّ أوصاف لاويين 14/ 33-48 لا يمكن ربطها ببرص حيطان البيوت، غير قابلة لأيّ شك**»[1]. وهو المعنى نفسه الذي صرّح به غ.ج. **وينهام**، بقوله: «يرى العقل الحديث أنّ المشترك بين أمراض الجلد البشرية والعفن الذي يؤثر على الملابس أو المواد المنزلية الأخرى صغيرٌ جدًا، في حين كان الإسرائيليون القدماء يرون الأمر بشكل مختلف»[2].

المثال الثالث: الحيض أذى حسيّ وليس مجرد نجاسة معنوية

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾[البقرة:222].

روى **مسلم** في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه»[3].

(1) leprosy" art., The Jewish Encyclopedia, 8/10"

(2) G. J. Wenham, The Book of Leviticus (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1979), p.201

(3) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، (ح/ 302).

وقد كان عـرب المدينة على مذهب اليهود في معاملة الحائض. قال قتادة وغيره: «إنّ العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنّوا بسنّة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها؛ فنزلت هذه الآية»[1].

والناظر في التوراة يرى المعاملة القاسـية في أحكامها للمرأة؛ إذ إنها تكون نجسة أيام حيضها (المرأة في الإسـلام لا تنجـس لحديث « إن المؤمن لا ينجس»[2]، وإنما تكـون جنبًـا)، وتُنجِّس كلّ ما تمسّـه، وتنام عليـه، بل من مسّ ثيابها أو الأشـياء التي جلسـت عليها يكون نجسًـا أيضًا (اللاويين 15/ 19 – 24). كما أنّ التلمود قد صوّر أمر الحيض والحائض في صورة مخيفة؛ حتّى إنّ الحائض إذا رأت أفعى، وأرادت أن تطردها، تقول لها: أنا حائض![3]

وقـد جاء الخبـر القرآني في بيان أنّ الجمـاع أيام الحيـض أذى، فقط، ولذلك لا يجـوز الجمـاع أيام الحيض، ويجوز بين الزوجين كل شـيء عدا ذلك. وهو الموافق للعلم والأدب. ولذلك جاء في الحديث في مخاطبة الأزواج: «اصنعوا كل شـيء إلا النكاح»[4].

المثال الرابع: ضربة القمر

مزمور 121/ 6

لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ.	יוֹמָם הַשֶּׁמֶשׁ לֹא־יַכֶּכָּה וְיָרֵחַ בַּלָּיְלָה

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3/ 81.

(2) رواه البخاري، كتاب الغسـل، باب الجنب يخرج ويمشـي في السـوق وغيره، (ح/ 281)، ومسلم، كِتَاب الْحَيْضِ، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ، (ح/ 371).

(3) Babylonian Talmud, Shabbath 110a

(4) رواه مسـلم، كتاب الحيض، باب جواز غسـل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، (ح/ 302).

كان هنـاك اعتقاد منتشـر فـي الأمم السـالفة أنّ الناس تختل قواهـم العقليّة بفعل المراحـل التي ينتقـل عبرها القمر، وأنّ ضـوء القمر ليلًا مهلـك، تضطرب له القوى العقلية.

قال الناقد **متشـال داهود**[1] في شـرحه الموسـع للمزامير: «آمن القدماء [أنّ القمر يـؤذي النـاس]. كانت فكرة أن القمر يبث مؤثرات ضارة منتشـرة في الشـرق الأدنى القديم، انظر إنجيل متّى 17/ 15 حيث تعني كلمة «σεληνιάζεται » [سِـلينيازِتاي] حرفيًا: «مصابٌ بضربة قمر»، «بمعنى مجنون»»[2].

وقال الناقد **روبرت ديفيدسـون**[3]: « غالباً ما يُنظر إلى القمر – في الفكر الشـعبي في العالم القديم والخرافات حتى يومنا هذا – على أنّ له تأثيرًا مهلكًا، ويُربط بأوجاع وأمـراض معينة. الكلمـة اليونانية المترجمة فـي متّى 17/ 15 «مصـروع» هي حرفيًا «مصابٌ بضربة قمر»»[4].

وقـال أصحاب كتـاب « The IVP Bible background commentary »: «كان يُعتقد في العالم القديم أن التعرّض الكثيف للقمر –كما هو الأمر بالنسـبة للشـمس – خطرٌ، ويمكن أن يشـكل تهديدًا على الصحة. تشـير النصوص التشخيصية الطبية من الألفية الأولى في بابل وآشـور إلى عدة حالات مرضيّة نتيجة لـ«يد سـين» (سين كان إلـه القمر)، إحداها أن يطحن المريض أسـنانه وترتجف يداه وقدماه، وأخرى تحمل كل أعراض الصرع. تُظهر الكلمات الإنجليزية مثل «moonstruck» و «lunatic» أنّ

---

(1) متشـال داهـود (Mitchell Dahood (1922-1982: ناقـد كتابي أمريكـي، معتن باللغة العبرية. درّس لغات الشـرق الأدنى القديم في Pontifical Biblical Institute .

(2) M. Dahood, Psalms III: 101-150: Introduction, translation, and notes with an Appendix: The Grammar of the Psalter (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.202

(3) روبرت ديفيدسون (Robert Davidson (1927–2012: أستاذ العهد القديم في جامعة غلاسغو.

(4) Robert Davidson, The vitality of worship : A commentary on the book of Psalms (Grand Rapids, Mich.; Edinburgh: W.B. Eerdmans; Handsel Press, 1998), p.409

مثل هذا الاعتقاد استمر في الآونة الأخيرة نسبيًا»[1].

نحن إذن إزاء خرافة قديمة عن ضربة للقمر مؤذية كضربة الشمس، يختل لها عقل الإنسان!

(1) Matthews, et al. The IVP Bible background commentary : Old Testament, p.555

المبحث الثاني:
علم الأمراض والعهد الجديد

يتضمّن العهد الجديد وصفًا غير مستقيم لحالات بدنيّة تتضمّن أوصافًا علميّة أو شرحًا لها أو لمآلاتها. وكلّ ذلك كاشف عن بشريّة هذه النصوص كما سيظهر لكلّ دارس.

المثال الأول: الأمراض والشياطين في فلسطين

من أسباب ثورة كثير من العلماء -منذ القرن التاسع عشر- على الأناجيل وما فيها من معجزات، طبيعةُ البيئة التي تصوّرها هذه الأناجيل؛ إذ إنه لا ينكر عاقل أنّ المعجزات الخارقة للسنن المادية لا يعجز الربّ سبحانه عن أن يمنحها أصفياءه من الأنبياء، لكنّ ذلك لا يلزمنا أن نصدّق ما جاء في الأناجيل من أنّ كثيرًا من أهل فلسطين، إنسهم وحيوانهم، كانت تسكنهم الشياطين، حتى كأنّ الشياطين هي سبب كلّ مرض في القرن الميلادي الأوّل. تلك أنفاس العقل الخرافي المنكر للأسباب الماديّة لعامة الأمراض. وما وصلنا شيء عن ظاهرة فوق طبيعية فاشية ذهبت بعافية أهل فلسطين بداية القرن الأول.

وقد ورثت الكنيسة بعض روح الفلسفة الأرواحية animism في تفسيرها للعالم، خاصة ما تعلّق بالأمراض والأسقام، ولذلك قال **جورج منوا**[1]: «في مجال الطبّ العملي اليومي، كانت السلطات الكنسيّة تفكّر انطلاقًا من مصطلحات أرواحيّة: للمرض غالبًا سبب روحيّ»[2]. وقد آل ذلك إلى شيوع ثقافة الشفاء الروحي للأسقام البدنيّة، بعيدًا عن تطلّب الدواء في الأعشاب والعقاقير والمعالجات الماديّة

(1) جورج منوا (1946 Georges Minois): مؤرخ فرنسي غزير التأليف.

(2) Georges Minois, L'Eglise et la Science: Histoire d'un malentendu (Paris: Fayard 1990), 2/149

المكتسبة من خبرة التعاطي العلمي مع الأسقام. ولذلك أرخّ دليل الكتاب المقدس The Oxford companion to the Bible للعقليّة الطبيّة في الكنيسة بعبارة مركزة قال فيها إنّ الكنيسة قد أهملت الاستعانة بالطب واكتفت بالاستشفاء بالصلاة والصوم. وإنّ علم الطب قد انفصل عن اللاهوت بصورة كليّة -منذ عصر النهضة- لينشأ على أسس أخرى مادية[1]. فما عرف الغرب النصراني نهضة في الطب إلاّ بمفاصلته للرؤية الإنجيليّة للتطبّب.

وفي المقابل، بُعث محمد ﷺ في بيئة لا تقلّ خرافية عن فلسطين القرن الأول، وكان أهل مكّة على ولع شديد بالجن وقدراته والأوثان ومعجزاتها، ولذلك كان الطب في حضيض التخلّف، لكنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم قال بعد بعثته: «يا عباد الله تداووا؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء -أو قال دواء- إلا داء واحداً... الهرم»[2].

ونشأ الطب الإسلامي، منذ عصر النبوّة، على الأخذ بالأسباب المادية في الكون، واليقين أنّ طرائق العلاج موجودة في الأرض، وعلى الإنسان أن يبحث عنها فيها، دون مُشاقة لمعاني سلطان الله سبحانه في الأرض؛ فالمؤمن يعلم أنّ الأسباب كلّها بيد الله، وأنّه لن ينفع دواء دون إرادة الله؛ فالمؤمن يؤمن بسلطان الله في الأرض، وفاعلية الأدوية أيضًا، وأنّ الله قد جعل من سنن الشفاء طلب الدواء ضمن سنن الطبيعة، وسؤال الله البركة والتوفيق في ذلك.

المثال الثاني: في الخمر شفاء

قال بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس 5/ 23: «لاَ تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَّابَ

(1) Bruce Manning Metzger, Michael David Coogan, eds, The Oxford companion to the Bible (Oxford: Oxford University Press, 1993), p.510

(2) رواه الترمذي،كتاب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، (ح/ 2038)، وقال: حسن صحيح، وأبو داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، (ح/ 3855)، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، (ح/ 3436).

مَاءٍ، بَلِ اسْتَعْمِلْ خَمْرًا قَلِيلاً مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ».

يزعم بولس أنّه من الجيّد شرب قليل من الخمر لأجل حفظ الصحّة ومعالجة الأمراض؛ وهو زعم لا سند له من علم؛ فإنّ للخمر أضرارًا كثيرة جدًّا متلفة للبنيان الجسدي للإنسان، فضلًا عمّا تحدثه في أخلاقه وسلوكه من فساد، سواء أكان الشرب بكميات كبيرة أم صغيرة![1]

ونص بولس صريح في الدعوة إلى شرب الخمر مع الماء لأنّ ذلك يدفع الأسقام، وهو ما فهمه آباء الكنيسة، ويظهر مثلًا في قول يوحنا ذهبي الفم: «لكن بولس لا يسمح له بالاستهلاك الحر للخمر، وإنما يشرب بقدر ما تحتاجه حالته الصحية وليس من أجل الترف»[2]. وهو تأكيد لما جاء في العهد القديم:

2 المكابيين 15/ 39: «كَما أَنَّ شُربَ الخَمرِ وَحدَها أَو شُربَ الماءِ وَحدَه مُضِرٌّ، وإِنَّما تَطيبُ الخَمرُ مَمْزوجَةً بِالماء وتُعْطي لَذَّةً وطَرَبًا، كذلك تَنْميقُ الكَلامِ يُطرِبُ مَسامِعَ مُطالِعي السِّفر».

وهو قول فاسد علميًا؛ إذ إنّ شرب الخمر قلّ أو كثر لا يرفع سقم البطون وإنّما يفسد البدن ويعلّه.

وقد ادّعى بعض النصارى -للخروج من الحرج- أنّ بولس كان يتحدّث عن عصير العنب لا الخمر. والنصّ -في الحقيقة- لا يسعف هؤلاء في تأويلهم. وكما قال **ويليام مونس**[3]، فإنّ «الخمر» «οἶνος» [أَيْنوس] كان شرابًا مخمّرًا، ولا توجد أدلّة على وجود خمر غير كحولي (مبستر) في الأزمنة القديمة[4]، وكلّ محاولة لنفي الطبيعة الخمريّة لهذا الخمر بدعوى أنّه عصير العنب تخالف معنى اللفظ اليوناني،

(1) انظر الدراسة العلميّة الشرعيّة: محمد علي البار، الخمر بين الطب والفقه.
(2) Homilies on First Timothy, 16
(3) ويليام د. مونس (1953) William D. Mounce: ناقد أمريكي متخصص في يونانية العهد الجديد. شارك في أكثر من ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس.
(4) W. D. Mounce, Pastoral Epistles (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.319

كما أنّه لا معنى لأن يطلب بولس من النصارى أن يستعملوا فقط قليلًا من الخمر إذا كان الأمر متعلقًا بعصير!

نص 1تيموثاوس 5/ 23 من أكثر النصوص إثارة للجدل والاختلاف والحيرة في كتابات المفسرين[1]، وهو كذلك صادم للعاميّ اليوم؛ يقول الناقد **كلنتون.أ. أرنولد**[2]: «اسْتَعْمِلْ خَمْرًا قَلِيلاً: هذا العدد مفاجئ لبعض الناس اليوم لأنهم مقتنعون بأن الإنجيل يُعلّم الامتناع التام عن الخمر الكحولي. قد يأخذ الناس «النبيذ» هنا على أنّه عصير العنب، ولكن هذا بعيد، لأنّ كل النبيذ المستخدم في العصور القديمة كان كحوليًا. بدون تبريد أو مواد حافظة كيميائية، يتحول عصير العنب بسرعة إلى الخل»[3].

عند تقديم هذه التوصية، يعكس بولس الاستخدام الواسع للخمر للأغراض الطبية بين اليهود واليونانيين[4]. وقد كانت الدعوة إلى استعمال الخمر دواءً شائعة في الزمن القديم؛ فقد جاء في التلمود، وفي كتابات **أبقراط**[5] **وبلينيوس**[6] **وبلوتارك**[7] التأكيد على أهميّة الخمر في مكافحة أمراض المعدة الناجمة عن تلوّث المياه[8].

وتلخّص الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia –تحت مادة «خمر»– موقف اليهود من الطابع العلاجي للخمر، بقولها: «كان الناس يعتبرون الخمر

(1) W. S. Outlaw, Commentary on the Books of 1 Timothy, 2 Timothy & Titus. In R. E. Picirilli (Nashville, TN: Randall House Publications, 1990), p.272

(2) كلنتون إ. أرنولد (1958) .Arnold Clinton E: ناقد متخصص في دراسات العهد الجديد وعميد Talbot School of Theology، ورئيس Evangelical Theological Society

(3) C. E. Arnold, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2002), 3/469

(4) G. D. Fee, New International biblical commentary: 1 and 2 Timothy, Titus (Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1988), p.132

(5) Hippocrates, De med. antiq. Xiii

(6) بلينيوس الأكبر (79-23) Pliny the Elder: عالم طبيعة روماني. صاحب الموسوعة العلمية: Naturalis Historia.

(7) بلوتارك (120-46) Plutarch: فيلسوف ومؤرخ يوناني شهير.

(8) Gordon D. Fee, New International Biblical Commentary: 1 and 2 Timothy, Titus, p.135

الذي يتم تناوله باعتدال منشّطًا صحيًا، باعتباره يمتلك عدّة عناصر علاجية. كان حكماء اليهود يقولون: «الخمر أعظم الأدوية، وعندما ينقص الخمر؛ تكون الأدوية ضرورية» (B. B 58b). وقال الحبر حنا: «النبيذ يساعد على فتح القلب للتفكير» (B. B. 12b).... ثلاثة أشياء: الخمر، والخبز الأبيض، واللحوم الدهنية، تقلل من البراز، وتشدّ الظهر، وتقوي البصر. الخمر العتيق جدًا يعود بالفائدة على الجسم كله (Pes. 42b). الخمر العادي ضار بالأمعاء، لكنّ النبيذ القديم مفيد (Ber. 51a). تم علاج حاخام من اضطراب شديد في الأمعاء عن طريق شرب نبيذ التفاح عمره سبعون سنة، وقد خزّن غير اليهود 300 برميلًا منه (Ab Zarah 40b). زعم الحبر إليعازر أنّ «خيرات مصر» (تكوين 45/ 23) التي أرسلها يوسف إلى والده تتضمّن «الخمر القديم» الذي يرضي الشخص المسنّ (Meg. 16b)... حتّى سن الأربعين، الأكل الحر مفيد، لكن بعد الأربعين من الأفضل شرب المزيد من الخمر وتناول كميات أقل من الطعام (Shab. 152a). وقال الحبر بابا إنّ النبيذ أكثر تغذية عندما يؤخذ في جرعات كبيرة. نصح رابا الطلاب الذين قُدّم لهم القليل من الخمر أن يشربوا بصورة حرّة (Suk. 49b) من أجل ضمان أكبر قدر ممكن من الفائدة من الخمر. الخمر يفتح الشهية، وينشّط الجسم، ويرضي المعدة (Ber. 35b). بعد النزيف ... وفقًا لصموئيل، ينبغي أن تشرب الخمر بحرية؛ حتّى تخلف حمرة الخمر حمرة الدم الذي فُقد (Shab. 129a)[1].

وقد جاء النص القرآني في تبشيع الخمر وتقبيحه قبح الميسر وعبادة الأصنام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[2]، وجاء الحديث النبوي حاسمًا في حكمه: «إنّه ليس بدواء ولكنّه

(1) Art. 'Wine', Jewish Encyclopedia, 12/534

(2) سورة المائدة/ الآية (90).

داء»[1]، وأنّ «ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام» [2]، واليوم تخبر دراسة علمية عن ملخّص أبحاث أجريت على مدى السنوات من 1990 – 2016 أنّ نسبة الأمان في استهلاك الخمر في الدواء وفي غيره هي صفر، أي إنّ الأعراض السلبيّة لاستهلاك الخمر في العلاج لها سلبيات تربو على إيجابياته، أو بعبارة أصحاب البحث: «مستوى الاستهلاك الذي يقلّص الخسائر الصحية هو صفر»[3]. وهو كلام يطابق الاعتراض النبوي على ثقافة العصر عندما قال طارق بن سويد: «يا رسول الله إن بأرضنا أعنابًا نعتصرها فنشرب. قال: لا! فراجعته. قلت: إنا نستشفي للمريض. قال: إنّ ذلك ليس بشفاء ولكنه داء»[4].

ويقول تقرير منظمة الصحة العالمية رقم 650 لعام 1980م عن الكحول ومشكلاتها: «إنّ شرب الخمور يؤثر على الصحة، ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته (الهروين والمورفين)، والحشيش، والكوكايين والأمفيتامين، والباربيتورات، وجميع ما يسمى مخدرات مجتمعة. إن الأضرار الصحية والاجتماعية لتعاطي الكحول تفوق الحصر». ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء النفسيين بالمملكة المتحدة (1986م) عن مشكلة تعاطي الخمور: «إنّ الكحول مادة تسبّب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات مجتمعة»[5].

---

(1) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر، (ح/ 1984).

(2) رواه أبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، (ح/ 3681)، والترمذي، كتاب الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، (ح/ 1865)، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، (ح/ 3392). وصححه ابن حبّان.

(3) المجلّة العلمية «The Lancet» على موقعها الإلكتروني:

Alcohol use and burden for 195 countries and territories, 1990–2016: a systematic analysis for the Global Burden of Disease Study 2016, Thelancet, August 23, 2018

< https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(18)31310-2/fulltext >

(4) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطب، باب النهي أن يتداوى بالخمر، (ح/ 3500).

(5) نقله محمد علي البار، الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر، الهيئة العالمية للكتاب والسنّة (المقال من الموقع الرسمي):

< http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/91-Scientific-Miracles-in-conversations-to-prevent-medication-with-alcohol >

وفي سنة 1928 عقد المؤتمر الدولي التاسع عشر لمكافحة المسكرات في مدينة «أنفرس»، وفيه وقَف كبير أطباء مستشفى فيينا بالنمسا ليقول: «لقد كان بعض الأطباء على خطأ علمي عظيم عندما كانوا يوصون بتعاطي جرعات من المشروبات الكحولية للاستفادة منها في مقاومة البرد، لما كان يبدو من تأثير ظاهري في تدفئة الجسم عند تناولها. إنّ الشعور بالدفء في هذه الحال إنّما هو شعور كاذب؛ إذ يعقبه انخفاض في درجة الحرارة»[1].

وقال مشارك آخر: «هناك عديد من المرضى، كنّا نحن معشر الأطباء نوصيهم ونصف لهم أنواعًا من الخمر تعجيلًا لشفائهم، والحقيقة أنّنا كنّا نعجل بالقضاء عليهم».

وعندها قام ممثل مصر الدكتور **أحمد غلوش** في المؤتمر، قال: «إنّ ضحايا البشريّة التي أشار إليها الأعضاء قد سلم المسلمون من أمرها بسبب اتّباعهم أوامر دينهم ونبيّهم محمّد صلّى الله عليه وسلّم حيث حذّرهم من شرب الخمر وأوضح لهم أنّها لا تنفع في مقاومة البرد». ثم قرأ على مسامعهم ما رواه **أبو داود** في سننه أنّ ديلم الحميري جاء في وفد اليمن، فقال: «يا رسول الله، إنّا بأرض باردة نعالج فيها عملًا شديدًا، وإنّا نتخذ شرابًا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، قال: هل يسكر؟ قلت: نعم، قال: فاجتنبوه. قال: قلت: فإن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم»[2]، فأُعجب الحضور بكلامه، وصفقوا له إعجابًا، وطلبوا أن يملي عليهم نصّ الحديث[3].

وقد أفاض صاحب كتاب «الخمر داء وليست بدواء»[4] في بيان مضار الخمر الجسديّة -على القلب والجهاز الهضمي والنزوع الجنسي...- والنفسيّة بتفصيل علمي دقيق.

---

(1) الدكتور شبيب بن علي الحاضري، الخمر داء وليست بدواء، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 1421هـ/ 2000م، ص 59.

(2) رواه أبو داود، كتاب الأشربة، باب ما جاء في السكر، (ح/ 3683). وصحّحه الألباني.

(3) الحاضري، الخمر داء وليست بدواء، ص 60.

(4) الدكتور شبيب بن علي الحاضري، الخمر داء وليست بدواء، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 1421هـ/ 2000م.

المثال الثالث: النوم بسبب التهيج النفسي

لوقا 22/ 45

ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ.	καὶ ἀναστὰς ἀπὸ τῆς προσευχῆς ἐλθὼν πρὸς τοὺς μαθητὰς εὗρεν κοιμωμένους αὐτοὺς ἀπὸ τῆς λύπης

جاء في إنجيل لوقا 22/ 45 في الحديث عن الفترة السابقة مباشرة للقبض على المسيح، وقد كان فيها المسيح وتلاميذه في حالة خوف؛ لأنهم يرقبون محنة قادمة: «ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ، فوجدهم نائمين من الحزن» .. تعليلُ إنجيل لوقا للنوم السريع[1] بـ«من الحزن» «απο της λυπης» [أبو تيس لوبيس]، لم يتابعه عليه أصحاب بقية الأناجيل، ولعلّ ذلك لأنّه خطأ علمي؛ إذ إنّ الإنسان عند الخوف تفرز عنده غدة الكظر -التي تقع فوق الكلية- هرمون الأدرينالين، مما يحدث عنده حالة تنبّه، لا استرخاء ونوم[2]. وقد شعر **جون كالفن** -أحد أئمة الثورة البروتستانتية- بالحرج من التعليل الذي قدّمه مؤلّف إنجيل لوقا؛ ولذلك زعم أنّ السبب الرئيس لنوم التلاميذ إغواء الشيطان لهم، مخالفًا صريح لفظ إنجيل لوقا 22/ 45 [3]. كما أشار الناقد أيان **مارشال** إلى وجود نقّاد شكّكوا في صحّة التفسير السيكولوجي للنوم بسبب الحزن[4].

في مقابل ذلك، نجد أنّ القرآن الكريم قد عدّ النوم عند الخوف معجزة؛ لأنّ الأصل عند الخوف هو التنبّه والرعب لا النوم والأمن؛ فجاءت المعجزة بذلك في غزوة بدر خارقة للمألوف، مصادمة للأصل الطبيعي؛ قال تعالى:

(1) ناموا في أقل من ساعة من وصولهم البستان (انظر مرقس 14/ 37)!

(2) Gerard J. Tortora and Sandra Reynolds Grabowski, Principles of Anatomy and Physiology) Harper-Collins College Publishers, 7th ed(, pp.511, 512, 557

(3) H. A. W. Meyer, Critical and Exegetical Handbook to the Gospels of Mark and Luke, (Edinburgh: T&T Clark, 1883), 2/324

(4) I. H. Marshall, The Gospel of Luke: A commentary on the Greek text, p.833

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾[1].

قال المفسّر **ابن عاشور**: «فإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله لأنه الذي قدر أن يناموا **في وقت لا ينام في مثله الخائف**، ولا يكون عامًّا سائرَ الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لِفائِدتهم»[2].

المثال الرابع: الإيمان يبطل فعل السمّ دائماً

مرقس 16/ 16–18: «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. وَهذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، **وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ**».

يخبرنا إنجيل مرقس أنّ المؤمنين لا يؤذيهم السم ضرورة، ويملكون قدرة إعجازية على شفاء المرضى بوضع أيديهم على المرضى. وقد هلك كثير من النصارى المؤمنين بقداسة إنجيل مرقس لمّا ظنوا أنّ خبر يسوع صادق؛ فشربوا السم وأوهموا الناس أنّهم يملكون شفاء جميع أسقامهم ببركة أيديهم[3].

---

(1) سورة الأنفال/ الآيات 9–11.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 278.

(3) جاء في الحديث النبوي: «من اصطبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» (رواه البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، (ح/ 5443)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (ح/ 2047)). ويشكّك المنصّرون في صدق حماية الاصطباح بالتمر من السمّ. والحقيقة هي أنّ الحديث لا يخبر أنّ أكل سبع تمرات صباحًا لأيام أو لمرّات يحمي من السمّ، وإنّما ذكر أنّ المداومة على ذلك هي التي تقي من السحر. كما أنّ هذا الحديث قد جاء في روايات أخرى بتحديد نوع التمر أنّه من عجوة المدينة. ولم توجد دراسة إلى اليوم تُثبت أنّ المداومة على الاصطباح بالتمر عامة أو عجوة المدينة خاصة لا تقي من السمّ كلّه أو بعضه (عموم السمّ في الحديث قد يكون مخصوصًا ببعضه كما قاله ابن القيم). ولا يجوز تكذيب أمر دون بيّنة، كما أنّه لا يجوز القول بصدقه دون برهان.
وقد بدأت حديثًا تَظهر دراسات في فائدة الانتفاع بأكل التمر من أثر السموم؛ فقد قام كل من الدكتور عبدالكريم السلال والدكتور زهير والدكتور أحمد ديسي، بنشر بحث في مجلة Letters Biomedical بعنوان: «دراسة تأثير خلاصة التمر على إبطال مفعول سم الحية والعقرب»، فكان في خلاصة الدراسة أنه: «تمّ إعطاء أربعة متبرعين من

خبر عن امرأة نصرانية ماتت بسم أفعى بسبب تصديقها وعد يسوع



Woman dies after being bitten by snake during church 'serpent-handling' service

Last updated at 13:18 08 November 2006

Comments (0) | Add to My Stories

A woman who followed a Biblical entreaty to 'take up serpents without being harmed' died after being bitten by a snake during a serpent-handling service at church, police said.

Linda Long, 48, of London, Kentucky, died Sunday at University of Kentucky Medical Center, said Brad Mitchell, a detective with the Laurel County Sheriff's Office said.

Long died about four hours after the bite was reported, the Lexington Herald-Leader reported.

Serpent: Handling reptiles as part of religious services is illegal in Kentucky

---

(9 – 11) حبة تمر لكل منهم، أما عينات الدم فتم أخذها قبل أكل التمر وبعده بحوالي (4 – 5) ساعات، فكشفت الدراسة أنّ عينات الدم التي أخذت منهم بعد تناول التمر كانت مقاومة لسم الأفعى بنسبة (٪83)، وأنّ نسبة امتصاص الهيموغلوبين لسم الأفعى وتأثيره على (٪3) من خلايا الدم الحمراء قبل تناول التمر كانت (0.542)، وبعد تناول التمر أصبحت (0.09)، وقد وجدت الدراسة أو التجربة أنّ إعطاء (٪5) من خلاصة التمر أبطلت حوالي (٪34) و (٪71) من النشاط السمي للأفعى والعقرب على التوالي، وأنّ (٪20) من خلاصة التمر أحبطت المفعول بنسب (٪87) و (٪100)».

Abdul-karim j. sallal. A Zuhair S. Amr. A Ahmad M. Disi, 'Inhibition of haemolytic activity of snake and scorpion venom by date extract,' Biomedical Letters, 55, 51 - 56, 1997.

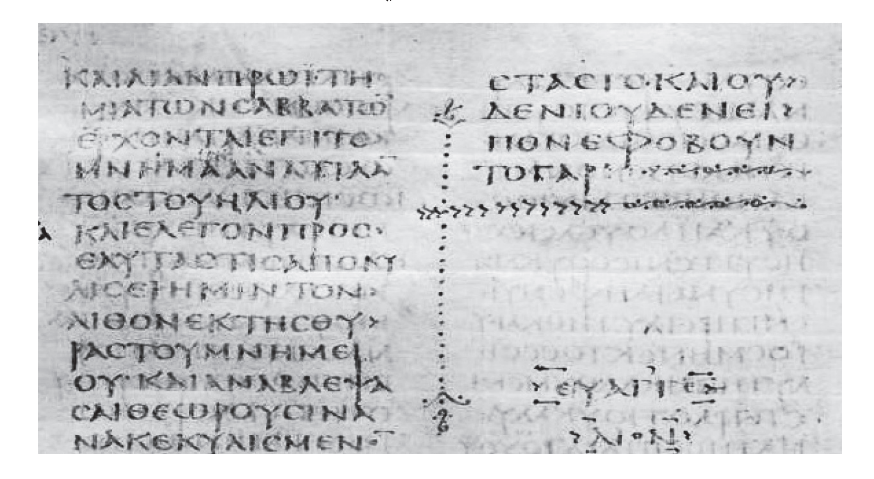
كما يمكن مراجعة بحث الدكتورة أروى عبد الرحمن أحمد (قسم علوم الحياة، كلية العلوم، جامعة صنعاء)، بعنوان: «إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة»، في «بحوث المؤتمر العالمي العاشر لأبحاث الإعجاز العلمي»، دار جياد للنشر (1/ 158 – 204). . وبحث آخر للدكتورة ليلى أحمد الطيب الحمدي (كلية العلوم للبنات جامعة الملك عبد العزيز) بعنوان: «العلاج النبوي بتمر العجوة في حالات التسمم والتليف الرئوي بالجازولين (2/ 125 – 146). وقد جاء فيه: «أوضحت هذه الدراسة تأثير تمر العجوة العلاجي على التسمم والتليف الرئوي الناتج من استنشاق أبخرة الجازولين، مما يتيح الفرصة أمامنا للوصول إلى إثبات الأثر الإيجابي لهذا التمر، في معالجة الأنسجة المريضة في الأعضاء المختلفة».

(عن: جميل فريد أبو سارة، أثر العلم التجريبي في كشف نقد الحديث النبوي، ص 236–237).

ومن باب الأمانة، فالراجح أنّ خاتمة مرقس بأكملها (16/ 9 – 20) ليست أصلية، وإنّما هي محرّفة زادها النُسّاخ في زمن متأخّر لأنّ هذا الإنجيل ينتهي في صورته الأبكر المعروفـة نهاية مفاجئة غير سلسـة. وهي زيادة نصيّة غير موجـودة في المخطوطتين السـينائية والفاتيكانية من القرن الرابع، وكذلك هي مفقودة في المخطوطة السـينائية السـريانية من القرن الرابـع، والمخطوطات الأرمينيّة. ولذلـك وضعت بين عمودين في أهم النصوص النقدية اليونانية للعهد الجديد اليوم: (NA28) و(USB5) باعتبارها نصًا غير موثوق في أصالته.

المخطوطة السينائية، القرن الرابع

إنجيل مرقس ينتهي عند 16/ 8



المثال الخامس: لماذا يموت المعلَّق على الصليب؟

تقـوم النصرانية على دعوى موت الإله على الصليب فداء للبشـريّة عن خطاياها، ولا ينال النجاة يوم الدينونـة (يوم الدين) غير المؤمنين بهذا الفداء الخلاصي، ولكن قصّـة الموضوع على الصليب فـي الأناجيل تمنع –من زاويـة علمية– تصديق موته؛

إذ يظـنّ عامة النصارى أنّ المسـيح مات على الصليب بفعـل تعذيبه وإنهاكه وإدخال مسـمارين في يديه.. ولكنّ ذاك الظنّ باطل؛ إذ إنّ سـبب موت المصلوب عجزه عن التنفّس بعد أيام من رفعه على الصليب، بعد إنهاكه الشديد.

ودلائـل امتنـاع تصديق دعوى الأناجيل موت المسـيح على الصليـب كثيرة، من أهمّها:

● يُفهـم من إنجيل مرقس 15/ 25، 34–37 أنّ المسـيح قد بقي على الصليب في أقصى تقدير 6 ساعات فقط، من الساعة الثالثة –بالتقويم اليهودي– (التاسعة صباحًا) حتى السـاعة التاسـعة (الثالثة مسـاءً). ولا يمكن أن يكون تعليق المرء على الصليب هذه السـاعات القليلة سـببًا لموتـه؛ فإنّ المصلـوب يبقى عادة 5 أيام ليهلك بسـبب صعوبة التنفّس، أو ما ينجم عن التعليق من إنهاك القلب (Heart arrhythmia) ...

وقد ذكر المؤرّخ **يوسـيفوس** في القرن الأوّل أنّ مجموعة من أسـرى الحرب في زمانـه قد تمّ صلبهم، ثلاثـة منهم من معارفه. ولما ذهب دامـع العين إلى الإمبراطور الروماني تيطوس يسأله العفو عنهم، أمر الإمبراطور بإنزالهم. وبعد أن تمّ إنزالهم من الصلبان، توفي اثنان منهما، وتعافى الثالث[1].

ورغم أنّ **يوسـيفوس** لم يذكر مدّة بقـاء أصحابه المصلوبين معلّقين، إلّا أنّ طبيعة السـرد، ودخوله على الإمبراطـور الروماني، وطلب الإذن، وتنفيـذ الأمر، يوحي أنّ لبث المصلوبين معلّقين كان طويلًا.

● كان المسـيح حتّى آخر لحظة –قبل أن يزعم أصحاب الأناجيل وفاته– محتفظًا بوعيه، قادرًا على الكلام، بل والصراخ؛ فقد صرخ[2] في آخر ساعة لصلبه: «إيلي إيلي

(1) Flavius Josephus, Flavius Josephus (Lovell, Coryell), p.57

(2) قال الناقد ر.ت. فرانس: «يبدو واضحًا من رواية متّى أنّه في حالة يسوع، لم يكن ذلك انحسارًا بطيئًا للوعي. الصوت العالي، كما هو في العدد 46، يوحي بقوّة كبيرة متبقيّة» (France, *Matthew: An introduction and commentary*, p.405).

لما شبقتني» (متّى 27/ 46)، ونادى قبل ثوان من موته: «يا أبتاه في يديك استودع روحي». ثم أسلم الروح مباشرة (لوقا 23/ 46). وذاك الوصف **يقطع كلّ أمل للنصارى أنّ المسيح قد مات بسبب الإرهاق بعد نزف الدم أو أي تفسير يتضمن إنهاك البدن** (وتفاسير النصارى كلّها تدور حول ذلك)؛ فقد كان مستجمعًا لوعيه وقوّته قبل موته، مع لبثه القصير على الصليب.

● للمسارعة بموت المصلوب،كان الرومان يقطعون سيقان المصلوبين؛ إذ إنّ ذلك يؤدي إلى حرمان المصلوب من الاستناد على رجليه؛ بما يجعل كلّ الثقل على الذراعين. وفي حال المسيح يخبرنا مؤلف إنجيل يوحنا 19/ 31–33 أنّ الجنود قد كسروا سيقان المصلوبَين بجانب المسيح «وأمّا يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات».. علمًا أنّ عبارة «رأوه قد مات» لا حجّة فيها للنصارى؛ إذ إنّ الجنود قد اغتروا بمنظر المصلوب (الذي يزعم النصارى أنّه المسيح) وهو منكّس الرأس؛ فظنوا أنّه قد مات دون فحص صدره للتأكّد من نبض قلبه، أو الاقتراب من أنفه للتأكد أنه ما عاد يتنفّس (وقد كان المسيح عاليًا على الصليب، ولم يستطع الجند سقيه الخل أو الخمر إلا باستخدام قصبة).

● لمّا علم بيلاطس –الحاكم الروماني الذي قدّم المسيح ليُصلب– مساءً أنّ المسيح قد مات على الصليب في هذا الوقت القصير جدًا، تعجب كلّ العجب؛ لأنّ ذلك مخالف للمعروف المألوف. يقول إنجيل مرقس 15/ 44: «تعجّب بيلاطس أنّه مات كذا سريعًا؛ فدعا قائد المئة وسأله: هل له زمان قد مات؟».

فلو صحّت رواية الأناجيل لقصّة الصلب؛ فهي حجّة أنّ المصلوب (المسيح بدعوى النصارى، وشبيه المسيح على قول عامة علماء المسلمين) لم يمت على الصليب.

وعمدة ردّ النصارى:

1 – المسيح قد عذّب قبل الصلب، وهو ما جعله ينزف طويلًا.

وجـواب ذلـك أنّ تعذيب المسـيح قبـل صلبه ليس فيه شـيء ممـا يعجّل بهلاك المعذّب، كما أنّه ليس في الأناجيل ما يجعل تعذيب المسـيح أعظم من تعذيب عامة المصلوبيـن ذاك الزمان. ونحن نعلم أنّ المصلوبين عند الرومان ما كانوا يموتون بما يُعَذَّبون به قبل صلبهم، وإنّما كانوا يموتون بسبب تعليقهم الطويل على الصليب.

2 – جاء في إنجيل يوحنا 19/ 34 أنّ أحد الجنود بعدما رأى أنّ المسيح قد مات، قـام فـ «طعن جنبه بحربـة وللوقت خرج دم ومـاء». فهذه الطعنة قـد أدّت إلى موت المسيح.

وهي دعوى مردودة من وجهين:

الوجه الأول: إنجيل يوحنا أثبت أنّ المسـيح قد مات قبل هذه الطعنة: « فَلَمَّا أَخَذَ يَسُـوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْـلَمَ الرُّوحَ... وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ». (يوحنا 19/ 30، 33–34).

الوجـه الثاني: خروج الدم والماء علامة حياة لا موت؛ فإنّه مع توقّف نبض القلب تتوقّف الدورة الدمويّة، ويبدأ الدمّ في التجلّط.

ثم إنّـه من الناحية اللاهوتية، تقـوم عقيدة النصارى على الاعتقاد أنّ المسـيح قد مات صلبًا فداء للبشريّة، في حين أنّ دعوى المدّعي هنا مضمونها أنّ المسيح قد توفي طعنًا لا صلبًا. وقد عدّ كلمنت الخامس سـنة 1311م القول إنّ المسـيح قد طعن على جنبه لمّا كان حيًا هرطقة[1].

(1) S. W. Whitney, The Revisers' Greek Text: A Critical Examination of Certain Readings, Textual and Marginal in The Original Greek of the New Testament, Boston: Silver, Burdett, 1892, 1/165

وقـد أدّت روايــة الأناجيل بعدد مـن الباحثيــن الغربيين إلى تقديـم رواية لصلب المســيح تنتهي بأنّ المســيح لمّا علّق على الصليب فقد وعيه ولـم يمت، وهي النظرية المعروفة بنظرية الإغماءة Swoon theory. وهي النظريّة التي اعترف الناقد الدفاعي النصراني **موراي هاريس**[1] أنّها «كانت تتمتّع بشــعبيّة بالغة بين العقلانيين الألمان في القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشـر»[2]. وقد أُلّفت كتب في نصرتها، منها «If Jesus Did Not Die on the Cross»، و«Jesus in Rome»، وأهمهـا «The Passover Plot» للناقد البريطاني **هيو شونفيلد**[3]، وقبله اللاهوتي الشهير **شليرماخر**[4] في كتابه «The Christian Faith».

وليـس في مذهبنا نصـرة هذه النظرية فـي مجموعها بما تتضمنه مـن خطة لإنقاذ المسـيح ومعالجتـه، وإنّما على المنصف أن يقرّ لأصحابهـا أنّ موت المصلوب كما فـي قصة الأناجيل باطل بدلالة تفاصيل القصّة، وإن كنّـا ننكر –قرآنيًا– أن يكون هذا الموضوع على الصليب هو المسيح.

---

(1) مـوراي ج. هاريـس (1939) Murray J. Harris: ناقد كتابي أمريكي محافظ. أسـتاذ التفسـير واللاهوت في Trinity Evangelical Divinity School.

(2) Murray Harris, From Grave to Glory: resurrection in the New Testament (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1990), 114

(3) هيـو ج. شـونفيلد (1901-1988) Hugh J. Schonfield: ناقـد متخصـص في دراسـات العهد الجديـد والنصرانية المبكّرة. أصدر ترجمته الخاصة للعهد الجديد تحت عنوان: Authentic New Testament.

(4) فردريك شـليرماخر (1768-1834) Friedrich Schleiermacher: لاهوتي وناقد كتابي ألماني. لُقّب بأبي اللاهوت الليبرالي المعاصر.

الفصل الثالث
علم الحيوان بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية

علم بيولوجيا الحيوان animal biology علم يعتني بدراسة فسيولوجيا الحيوان، وتقسيمات مجموعاته، وسلوكها، وعلاقة الحيوانات ببيئتها الطبيعية.

وقد اهتم الإنسان بعالم الحيوان منذ العصر الأول للجنس البشري على الأرض لقيام حياة الإنسان على الاغتذاء على ما يصطاده من الحيوانات. وتعاظم هذا الاهتمام مع بداية تدجين أنواع متنامية منها، غير أنّ تلك المعرفة لم تكن ذات طابع نسقي، وإنّما غلب عليها الطابع العملي المباشر.

نشأ علم البيولوجيا -في حدود علمنا- في شكله النسقي في اليونان، خاصة مع كتابات **أرسطو** الذي أفاد من ثقافة عصره وما سبقه، واتّجه إلى العمل الميداني بجمع الملاحظات، والتشريح، ودراسة الأجنّة، وتقسيم أنواع الحيوانات إلى مجموعات متمايزة. وتطوّر الأمر بعد ذلك في الثقافة اليونانية-الرومانيّة مع **جالينوس** وغيره.

ولا نجد في العهد القديم حديثًا نسقيًا عن الحيوانات، وإنّما هي أحاديث عملية وظرفيّة لا تكشف عن رؤية علميّة متطوّرة. ولم يختلف الحال مع التوسّع الكبير في الحديث عن الحيوانات وخصائصها في التلمود. وبقي همّ تقسيم الحيوانات إلى طاهرة وغير طاهرة الهاجس الأكبر للنظرة اليهودية العلمية للكائنات الحية. وأمّا العهد الجديد، فخبره عن الحيوانات باهت، لا يكاد يثير انتباهًا.

ولم ترتق بيئة الحجاز في القرن السابع فوق بيئة اليهود في تعاملها مع عالم الحيوان؛ فالهم اليومي في طلب النفع المباشر بالذبح والحلب للاغتذاء أو التطبّب البسيط هو سائق العقل العربي لفهم عالم الحيوان. ولم يبدأ النظر العلمي الجاد إلا عند العصر الإسلامي مع كتاب «الحيوان» للجاحظ، والمتضمن لمعلومات غزيرة عن الحيوانات، ومقدمات نظر تحوّلت لاحقًا بعد قرون إلى نظريات علمية متكاملة.

المبحث الأول:
الكتاب المقدس في مواجهة حقائق العلم

أخطاء الكتاب المقدس العلمية في عالم الحيوان لها دلالات خاصة؛ إذ هي تكشف أنّ مؤلّفي أسفار الكتاب المقدس كانوا «ظاهريين» جدًا في وصفهم لما هو دان جدًا من حياتهم اليوميّة؛ فقد تلبّسوا بأخطاء جليّة في وصف مظاهر بسيطة؛ وذاك كاشف أنّ هذه الأسفار يغلب عليها النَفَسُ البشريّ، وأنّ مؤلّفيها لم يمارسوا العلوم ولم يخالطوا أهلها، أو هم قد عاشوا قبل تطوّر أدنى العلوم الجادة. وقد أرهقت هذه الأخطاء الدفاعيين النصارى في الغرب لأنّها تحضر في عامة حديثهم عن الوحي والعلم والصراع بينهما.

المثال الأول: الوبر والأرنب المجتران

لاويين 11/ 2–6:

<table>
<tr>
<td>«كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: هذِهِ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفًا وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ، وَيَجْتَرُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. إِلاَّ هذِهِ فَلاَ تَأْكُلُوهَا مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ: الْجَمَلَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَالْوَبْرَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَالأَرْنَبَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفًا، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ.</td>
<td>דַּבְּרוּ אֶל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל לֵאמֹר זֹאת הַחַיָּה אֲשֶׁר תֹּאכְלוּ מִכָּל־הַבְּהֵמָה אֲשֶׁר עַל־הָאָרֶץ׃ כֹּל ׀ מַפְרֶסֶת פַּרְסָה וְשֹׁסַעַת שֶׁסַע פְּרָסֹת מַעֲלַת גֵּרָה בַּבְּהֵמָה אֹתָהּ תֹּאכֵלוּ׃ אַךְ אֶת־זֶה לֹא תֹאכְלוּ מִמַּעֲלֵי הַגֵּרָה וּמִמַּפְרִיסֵי הַפַּרְסָה אֶת־הַגָּמָל כִּי־מַעֲלֵה גֵרָה הוּא וּפַרְסָה אֵינֶנּוּ מַפְרִיס טָמֵא הוּא לָכֶם׃ וְאֶת־הַשָּׁפָן כִּי־מַעֲלֵה גֵרָה הוּא וּפַרְסָה לֹא יַפְרִיס טָמֵא הוּא לָכֶם׃ וְאֶת־הָאַרְנֶבֶת כִּי־מַעֲלַת גֵּרָה הִוא וּפַרְסָה לֹא הִפְרִיסָה טְמֵאָה הִוא לָכֶם׃</td>
</tr>
</table>

يصف النص السابق الوبر שפן [شفان] والأرنب ארנבת [أرنبت] بأنّهما من الحيوانات المجترة. وذاك خطأ فجّ؛ لأنّ الوبر والأرنب لا يجتران طعامهما. وسبب خطأ مؤلّف هذا النصّ ظنّه أن حركة أسنان الوبر والأرنب التي تشبه الاجترار، اجترارٌ حقيقي للطعام.

كان هذا الخطأ مصدر إشكال كبير لمفسّري التوراة مع بداية تطوّر علم التشريح. وقد حاول عدد من علماء النصارى آنذاك الزعم أنّه بالإمكان من واقع التجربة إثبات أنّ الأرنب يجتر[1]، لكن علماء اليوم قد حسموا المسألة بصورة قاطعة لتخطئة ما جاء في هذا النصّ. وحاول غيرهم إنكار أن يكون ארנבת حيوان الأرنب. وذاك زعم منكر؛ فالعربي يُدرك بداهة أنّ [أرنبت] تقابل كلمة أرنب العربية، وذاك أمر قد لا يُدركه الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني لأنّهم لا يتكلّمون لغة ساميّة. وقد دفع روغان بعض الدفاعيين النصارى البروفسور **هتزغ Hitzig** من جامعة لايبتزغ –أحد أكبر علماء العبرية في عصره– أن يقول: «لقد جعل أساقفتكم من أنفسهم أضحوكة أوروبا. كلّ عالم عبريّة يعلم أنّ الحيوان المذكور في سفر اللاويين هو حقيقة الأرنب؛ .. كلّ عالم حيوان يعلم أنّه لا يجترّ»[2].

لم يجد أصحاب ترجمة الآباء اليسوعيين «العهد القديم لزماننا الحاضر» حلاً إلا أن يعترفوا أن هذا التصنيف خطأ علمي، مصرّحين أنّ «تصنيف الأرنب في المجترّات تصنيف غير علمي، فإنهم كانوا يحكمون بحسب الظواهر»[3].

وقال الناقد **باروخ لفين**[4] في شرحه لسفر اللاويين إنّ الوبر «من الثدييات

---

(1) See George Bush, Notes, Critical and Practical, on the Book of Leviticus (New York: Ivison, Phiney, 1842), p.100

(2) Andrew White, A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom, p.351

(3) الكتاب المقدس ـ العهد القديم لزماننا الحاضر ـ دار المشرق بيروت ـ طبع بإذن النائب الرسولي للاتين بولس باسيم.

(4) باروخ لفين Baruch Levine (1930): رئيس جمعية الدراسات اليهودية، وأستاذ الكتاب المقدس دراسات الشرق الأدنى القديم في New York University.

الصغيـرة. وهو لا يمضـغ في حقيقة الأمر، ولكنه يعطي هـذا الانطباع لأنّ له نتوءات فـي بطنـه، مما يوحي بـأن معدته قد تحتوي علـى حُجَيرات متمايـزة، كما هو الحال في الحيوانـات المجترة»[1]. وقال عن الأرنب: «إنه ليـس حيوانًا مجترًا ولكنه يُعطي الانطباع بأنه من الحيوانات المجترّة لأنه يمضغ طعامه بشكل ملحوظ»[2].

وقال الناقد **روبرت جاميسون**[3]: «لا الأرنب ولا الوبر يجتران على الحقيقة. يبدو الأمـر فقط علـى الظاهر أنهما يجتران بسـبب حركة الفكّ عند تناول الأعشـاب التي يعيشون عليها»[4].

وقال الناقد **كلايد وودز** في تعليقه على سفر اللاويين: «الوبر... والأرنب -علميًا- لا يجترّان، وإنّما يحرّكان فكوكهما حتّى إنّها تبدو وكأنّهما يجتران»[5].

وقال **روبـرت تاك** في كتابه الضخم الذي ألّفه لرفع إشـكالات الكتاب المقدس: «يمثّل هذا الأمر عرضًا واضحًا للطبيعة غير العلمية **للأسـفار** المقدسـة. إنّها تسـجّل الأخطاء الشـعبيّة في الشـأن العلمي. لقد كرّر موسـى الرأي الشـائع في زمانه.... لا الأرنـب ولا الوبر -في الحقيقة- يجتر. ليس لأيّ منهما جهاز داخلي أساسـي ليقوم بذلـك. لقد كان يُظنّ أنهما يقومان بذلك زمن موسـى. ولا يزال كثير من الناس اليوم يعتقدون ذلك»[6]. وشهد نقاد آخرون كثر على طبيعة الخطأ في سفر اللاويين[7].

---

(1) B. A. Levine, Leviticus. English and Hebrew: commentary in English (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1989), p.66

(2) المصدر السابق.

(3) روبرت جاميسون (1802–1880) Robert Jamieson: رجل دين إسكتلندي.

(4) Robert Jamieson, A Commentary, Critical and Explanatory, on the Old and New Testaments (Glasgow: William Collins, 1863), 1/68

(5) C. M. Woods & J. Rogers, Leviticus-Numbers (Joplin, Mo.: College Press, 2006), p.85

(6) Robert Tuck, ed. A Handbook of Scientific and Literary Bible Difficulties (New York: Thomas Whittaker, 1891), p.343

(7) B. A. Levine, Leviticus, p.66; J. Milgrom, Leviticus 1-16: A new translation with introduction and commentary (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.648; J. E. Hartley, Leviticus (Dallas: Word, 2002), p.158

ومن الظريف في هذا المقام أنّ بعض نسخ الترجمة السبعينية اليونانية تضيف «لا» عند فعل «يجتر» لتوافق الحقيقة العلميّة![1]

المثال الثاني: الجمل غير مشقوق الظلف

لاويين 11/ 4:

إِلاَّ هـذِهِ فَـلاَ تَأْكُلُوهَـا مِمَّـا يَجْـتَرُّ وَمِمَّـا يَشُـقُّ الظِّلْـفَ: الْجَمَـلَ، لأَنَّـهُ يَجْتَرُّ لكِنَّـهُ لاَ يَشُـقُّ ظِلْفًـا، فَهُـوَ نَجِـسٌ لَكُـمْ.	אַךְ אֶת־זֶה לֹא תֹאכְלוּ מִמַּעֲלֵי הַגֵּרָה וּמִמַּפְרִיסֵי הַפַּרְסָה אֶת־הַגָּמָל כִּי־מַעֲלֵה גֵרָה הוּא וּפַרְסָה אֵינֶנּוּ מַפְרִיס טָמֵא הוּא לָכֶם׃

ظلف الجمل على الحقيقة مشقوق، لا كما هو وهم صاحب سفر اللاويين. يقول **جـون هارتلي**[2] في تعليقه على سـفر اللاويين: «على الرغم مـن أن الجمل له ظلف مشقوق، إلا أن باطن قدمه سميك وموسّد[3] حتى لا يظهر الانقسام»[4]. وقد كان على صاحب سفر اللاويين أن يصف الظلف بأنّه يبدو غير مشقوق لا أن ينكر أنّه مشقوق!

المثال الثالث: جناح النسر مَرْكَبٌ

التثنية 32/ 11–12:

كَـمَا يُحَرِّكُ النَّـسْرُ عُشَّـهُ وَعَـلَى فِرَاخِـهِ يَـرِفُّ، وَيَبْسُـطُ جَنَاحَيْـهِ وَيَأْخُذُهَـا وَيَحْمِلُهَـا عَـلَى مَنَاكِبِـهِ، هكَـذَا الـرَّبُّ وَحْـدَهُ اقْتَـادَهُ وَلَيْـسَ مَعَـهُ إِلـهٌ أَجْنَبِـيٌّ.	כְּנֶשֶׁר יָעִיר קִנּוֹ עַל־גּוֹזָלָיו יְרַחֵף יִפְרֹשׂ כְּנָפָיו יִקָּחֵהוּ יִשָּׂאֵהוּ עַל־אֶבְרָתוֹ: יְהוָה בָּדָד יַנְחֶנּוּ וְאֵין עִמּוֹ אֵל נֵכָר

(1) G. L. Haydock, Haydock's Catholic Bible Commentary (Aeterna Press, 2015), 1/204

(2) جون هارتلي John E. Hartley: أستاذ العهد القديم في Azusa Pacific Seminary .

(3) cushiony

(4) J. E. Hartley, Leviticus, p.157

لا شكّ أنّ النسور لا تحمل فراخها على أجنحتها؛ ولذلك اعترف أصحاب كتاب The IVP Bible Background Commentary أنّ «هـذا السـلوك كان مـن الصعب علـى علماء الطبيعة تأكيده من خـلال الملاحظة. في الواقع، لا تأخذ معظم النسـور وطيـور vultures رحلتهـا الأولى حتى ثلاثة أو أربعة أشـهر مـن عمرها، وفي ذلك الوقـت يـكاد يكتمل بنيانها. وعلاوة علـى ذلك، أكدت الملاحظـات من قبل علماء الطبيعة باسـتمرار أن الرحلة الأولـى عادة ما يتم أخذها حين يكـون الوالدان بعيدين عن العش»[1].

ويـرى الناقد **جـون والتـون** -وكثير غيـره- وجود أصـل خرافي لصـورة «الطير المركب»؛ ولذلك يقول إنّ ملحمة إيتانا السومريّة لها علاقة بنص التثنية 32/ 11-12؛ إذ كان الملك السومري إيتانا يركب نسرًا كان يهتم به؛ حتّى إنّ النسر وضعه على ظهره وطـار به. وتَظهر صورة إيتانا وهو يركب على طائر من الكواسـر على ختم إسـطوانة يعود إلى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد[2].

ختم أسطوانة يعود إلى القرن 23 ق م

فيه إيتانا يطير على ظهر نسر[3]





(1) V. H. Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.205

(2) J. H. Walton, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament), Volume 1: Genesis, Exodus, Leviticus, Numbers, Deuteronomy (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009), p.516

(3) Ibid., p.517

الظريـف هنـا أنّ أزمة علماء النصـارى مع هذه الصورة الخرافيـة جعلت بعضهم يختلق قصص نسـور رأوها تحمل أولادها، وقد نقل **روبرت تاك** بعضها في كتابه[1]**!** وخطّأتهـم **أليس برملـي** في كتابها «كلّ طيور الكتاب المقـدس: قصصها، والتعريف بهـا، ومعناهـا»، وإن كانت قد حاولت التملّـص من وضوح الخطأ بقولهـا إنّ العبرة ليسـت بحقيقـة الحال، وإنّمـا العبرة بمـا يظنّه الناس حقيقـة إذا رأوه مـن بعيد[2]..، فجعلت وهم الأبصار حجّة في وصف عالم الطبيعة!

المثال الرابع: وحم الخراف

تكوين 30/ 37 39-: «فَأَخَذَ يَعْقُوبُ لِنَفْسِـهِ قُضْبَانًا خُضْـرًا مِنْ لُبْنَى وَلَوْزٍ وَدُلْبٍ، وَقَشَّـرَ فِيهَا خُطُوطًا بِيضًا، كَاشِـطًا عَنِ الْبَيَاضِ الَّذِي عَلَى الْقُضْبَانِ. وَأَوْقَفَ الْقُضْبَانَ الَّتِـي قَشَّـرَهَا فِي الأَجْرَانِ فِي مَسَـاقِي الْمَاءِ حَيْثُ كَانَـتِ الْغَنَمُ تَجِيءُ لِتَشْـرَبَ، تُجَاهَ الْغَنَـمِ، لِتَتَوَحَّمَ عِنْدَ مَجِيئِهَا لِتَشْـرَبَ. فَتَوَحَّمَـتِ الْغَنَمُ عِنْدَ الْقُضْبَـانِ، وَوَلَدَتِ الْغَنَمُ مُخَطَّطَاتٍ وَرُقْطًا وَبُلْقًا».

لمّا أراد يعقوب النبي (!) أن يخدع خاله لابان بأن يأخذ لنفسه ما تنتجه أغنامه، قرّر أن يضع قضبانًا أمام مسـاقي المياه التي تشرب منها الماشية حتى تلد غنمًا مخططات ورقطًا وبلقًا. ووقع ما أمّله يعقوب.

بعيدًا عن مناقشة الطعن في عصمة يعقوب باتّهامه بممارسة الخديعة للاحتيال على خاله الذي أمّنه على الغنم، هناك مشـكلة علميّة واضحة، وهي الزعم أنّ شكل مواليد الغنـم يكون تبعًا لما تـراه الغنم أثناء النهار. وذاك تفكير سـاذج وخطأ واضح يعكس عقليّة علميّة فاسـدة؛ فإنّ شكل مواليد الغنم يكون تبعًا للصفات المشفّرة في الرصيد الجيني لأبوي الحيوان الوليد؛ ولذلك قال الناقد **ناحوم م. سـارنا:** «يقوم هذا التفسير علـى اعتقـادات فولكلورية، ويفترض بصورة فاسـدة وراثة الصفات المكتسـبة»[3]. وجـاء في كتاب « The IVP Bible Background Commentary »: «علميًا، [تنصر

---

(1) Robert Tuck, ed. A Handbook of Scientific and Literary Bible Difficulties, p.346-347

(2) Alice Parmelee, All the Birds of the Bible: their stories, identification and meaning (New York: 1959), p.99

(3) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.212

هـذه القصـة] المبدأ القائـل إنّ بعـض الخصائص (التلويـن في هـذه الحالة) يمكن تحصيلها من خلال المساعدات البصرية. القضبان المقشّرة التي وضعها يعقوب قبل أحـواض الخراف لا يمكنها أن تؤثّـر على الخراف. يوجد هذا النوع من السـحر في العديد من التقاليد الشـعبية (بما في ذلك القصـص الحديثة للألوان التي ترتديها الأم لتحديد جنس طفلها)»[1].

وهي كما تقول لويس ماجنر -المتخصصة في تاريخ العلوم- خرافة توراتية شائعة في الأمم القديمة، لا تزال حاضرة إلى اليوم عند بعض الشـعوب التي ترى أنّ ما تراه الأم بعينيها مؤثر في صورة الجنين[2].

قرّر الإسـلام -فـي مقابل ما سـبق- أنّ الحيوانات ترث من أسـلافها خصائصها العضويّـة، لكـن لم يرد البتّة أنّ أجنّة الحيوانات تتأثّر بمـا تراه الأنثى الحامل، رغم ما يبدو من شيوع هذه الثقافة العلميّة المغلوطة في البيئات القديمة.

وفـي الحديـث النبوي بيـان علمي دقيق لسـبب ما يظهـر من طبائـع عضوية في الكائنات الحيّة؛ فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود.

فقال النبي ﷺ: هل لك من إبل؟

قال: نعم.

قال: فما ألوانها؟

قال: حمر.

قال: هل فيها من أورق [الذي فيه سواد ليس بصاف]؟

قال: إنّ فيها لورقًا.

قال: فأنّى أتاها ذلك؟

قال: عسى أن يكون نزعه عرق؟

قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق[3].

---

(1) Matthews, et al. The IVP Bible background commentary: Old Testament, p.63

(2) Lois N. Magner, A History of the Life Sciences, Revised and Expanded (New York: Dekker 2002), p.317

(3) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض (ح/ 6455)، مسلم، كتاب اللعان، (ح/ 1500).

فمـا يكون من صفة في الحيوان أصلها ما يكون في سـلفه؛ فإنّ الكروموسـومات تحفظ صفات السلف القريب الذي ورثها في الأغلب من أسلافه.

المثال الخامس: الحيّة التي تأكل التراب

تكوين 3/ 14: «فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ».

الخطأ العلمي في النصّ السابق دعواه أنّ الحيّات كانت منتصبة، ثم صارت تسعى على بطنها، وتأكل التراب!

يقول الناقد **ناحوم م. سـارنا**: «على بطنكِ: يعكس هذا المقطع فكرة شائعة، غالبًا مـا يتـم التعبير عنها في فن الشـرق الأدنى القديـم بإظهار أنّ الثعبان كان يسـير أصلاً منتصبًـا. بعد أن اغتر بنفسـه في تحدٍ للـه، أصبح الآن محكومًا بشـكل دائم بهيئة من الإذلال المهين.

ترابًـا تأكلين: ينطوي التعدي[1] على الأكل، وكذلك كانـت العقوبة. يبدو خفقان لسـان الأفعـى –وهي تتحـرّك في طريقهـا– وكأنّهـا تـأكل التراب وهي تسـعى في الأرض»[2].

وقـد امتـد تأثير خرافـة الثعبـان المنتصب الذي يمشـي على رجلين إلـى التراث اليهودي اللاحق، فظهر في ترجوم يوناثان المنحول[3] وفي كتاب تاريخ يوسـيفوس، وفي تكوين ربا 20/ 5 [4].

وقـد نبّـه تفسـير «Lange Commentary on the Holy Scriptures» إلـى أنّ الأسفار الأخرى للكتاب المقدس قد أخذت قصة أكل الأفعى للتراب بصورة حرفية، مشيرًا إلى:

(1) ذنب آدم وزوجه بالأكل من الشجرة.

(2) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.27

(3) Targum of Pseudo Jonathan

(4) Wenham, Genesis 1-15, p.79

ميخا 7/ 17: «يَلْحَسُون التُّرَابَ كَالْحَيَّةِ، كَزَوَاحِفِ الأَرْضِ».

إشعياء 65/ 25: «الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعًا، وَالأَسَدُ يَأْكُلُ التِّبْنَ كَالْبَقَرِ. أَمَّا الْحَيَّةُ فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا»[1].

ويردّ النقّاد عقوبة الحيّة أن تأكل التراب إلى أثر الثقافة المصريّة القديمة التي كانت تعتبر الحيّات من حيوانات العالم السفلي، وتصوّر عادة أكلها التراب. والأمر نفسه في قصيدة نزول عشتار[2] –آلهة الحبّ والخصب والحرب– إلى العالم السفلي (من أدب بلاد الرافدين القديم)، حيث طعام أهل العالم السفلي التراب وخبزهم الطين.

وأكّد أصحاب كتاب The IVP Bible Background Commentary رسوخ دعوى أكل الأفعى في ثقافات الوثنيين الذين تأثّر بهم صاحب (أصحاب) سفر التكوين، في قولهم: «أكل العفر[3]: إن تصوير العفر أو التراب كغذاء، نموذج لتوصيف العالم السفلي في الأدب القديم. في «ملحمة جلجامش»، يحلم إنكيدو على فراش الموت بأرض العالم السفلي ويصفها بأنها مكان بلا ضوء وحيث «العفر طعامهم، والطين خبزهم»، وهو وصف معروف أيضًا في [الأسطورة الأكاديّة] نزول عشتار. يبدو أنّ تلك الأمور تمثّل على الأرجح سمة من سمات العالم السفلي لأنها تصف القبر»[4].

المثال السادس: الحيّة تقتل بلسانها لا بنابها

أيوب 20/ 16:

سَمَّ الأَصْلاَلِ يَرْضَعُ. يَقْتُلُهُ لِسَانُ الأَفْعَى.	רֹאשׁ־פְּתָנִים יִינָק תַּהַרְגֵהוּ לְשׁוֹן אֶפְעֶה

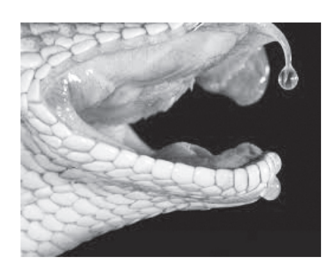
الخطأ العلمي: الأفعى لا تقتل بلسانها، وإنما تقتل بنابها!

(1) J. P Lange, et al., A commentary on the Holy Scriptures: Genesis, p.233
(2) Descent of Ishtar
(3) النص العبري يستعمل في تكوين 3/ 14 كلمة عفر עָפָר [عافار]، وهي تعني في لسان العرب: ظاهر التراب.
(4) Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.32

يقول الناقدان **صموئيل درايفر وجورج غراي** في تعليقهما على سـفر أيوب: «الأمر من الناحية الفسيولوجية غير صحيح؛ إذ إنّ اللسان الحاد للثعبان قد ادُّعي بصورة طبيعية أنّه أداة للموت»[1]. وهو اعتقاد بدائيّ في الأزمنة القديمة بالظنّ أنّه مصدر السم[2].

ويوضّـح الناقـد **ديفيد كلاينـز**[3] أصل الوهـم العلمي بقوله في تعليقه على سـفر أيـوب: «لا توجـد أي ثعابين تلدغ أو تقتل بلسـانها، وإنّما هي تقتل بالسـم الذي يتم تفريغه من خلال الأسـنان الأمامية أو الأنياب. ومع ذلك، فإن اللسـان النشط للأفعى (فـي الواقـع، هو في حركة دائمة لأنه جهاز الشـم) كان يُنظر إليه بشـكل لا يخلو من معقوليّة أنه الوسيلة التي يتمّ بها إخراج السم. راجع مزمور 140/ 4»[4]. والإحالة إلى نص «سَنّوا ألسنتهم كحيّة. حمة الأفعوان تحت شفاههم»[5].

وقـد أدركـت ترجمـة The New American Bible هـذا الخطـأ العلمـي فقامـت بتحريف النص بصورة غير أمينة واضعة أنياب مكان لسان: « The poison of asps he shall drink in; the viper's fangs shall slay him »، وهـو تحريـف واضح للكلمة العبرية «לשון» [لَشُونْ] التي تعني -كما هو واضح لمن يعرف العربية-: لسان.



(1) S.R. Driver & G. B. Gray, A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Job (Edinburgh: T. & T. Clark, 1921), 1/171

(2) John L. Cloudsley-Thompson, The Diversity of Amphibians and Reptiles: An Introduction (Springer Science & Business Media, 2012), p.223; Stephen M. Hooks, Job (Missouri: College Press, 2006), p.262; John E. Hartley, The Book of Job (Michigan: Eerdmans, 1988), p.306; William Smith, Dictionary of the Bible (New York: Hurd and Houghton, 1872), 4/2928

(3) ديفيد كلاينز (1938) David Clines: ناقد كتابي. أسـتاذ في University of Sheffield. رئيس جمعية دراسـة العهد القديم ورئيس جمعية الأدب الكتابي.

(4) D. J. A. Cline, Job 1–20 (Dallas: Word, Incorporated, 2002), p.490

(5) عامة الترجمات تعتبره العدد الثالث لا الرابع من المزمور 140.

المثال السابع: أُمّة النمل غير المنظّمة

الأمثال 6/ 6–8:

اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ، وَتُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا، وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أُكْلَهَا.	לֵךְ־אֶל־נְמָלָה עָצֵל רְאֵה דְרָכֶיהָ וַחֲכָם׃ אֲשֶׁר אֵין־לָהּ קָצִין שֹׁטֵר וּמֹשֵׁל׃ תָּכִין בַּקַּיִץ לַחְמָהּ אָגְרָה בַקָּצִיר מַאֲכָלָהּ

الخطأ العلمي: عالم النمل منظّم هرميًا، وخاضع للترتيب الوظيفي؛ ولذلك يتحدّث العلماء عن «مستعمرة النمل» « ant colonies ». ومستعمرات النمل معقدة التركيب، وخاضعة لتنظيمات دقيقة، وقد تضمّ الواحدة منها ملايين النمل، والعمل يسير فيها بسلاسة عجيبة.

وقد اعترف الناقد المحافظ **ترمبر لونجمان**[1] أنّ الدراسات العلميّة الحديثة تخالف دعوى غياب التنظيم الهرمي لجماعة النمل في سفر الأمثال 6/ 6–8. وأضاف قائلًا: «هذه المعلومة لم تكن متاحة للناظرين في الشرق الأدنى القديم؛ ولذلك يتكلّم الحكيم من زاوية نظر الملاحظة الساذجة»[2].

وقد اتّخذ الناقد القسيس **فرانك رميراز** حديث سفر المثال مثالًا على خطأ أصحاب الأسفار المقدسة في معرفة عالم الطبيعة، رغم أنّ مضمون رسالتهم (الأخلاقية، الروحية...) صحيح بزعمه[3].

---

(1) ترمبر لونجمان (1952) Tremper Longman: ناقد أمريكي، متخصص في دراسات العهد القديم. درّس في West-minster Theological Seminary.

(2) Tremper Longman, Proverbs (MI: Baker Academic, 2006), p.172

(3) Frank Ramirez, Proverbs, Ecclesiastes, Song of Solomon (Abingdon Press, 2011), pp.13-14

ومــن أوضــح مظاهر الخطأ العلمي في هــذا النص وجود النمل المســتعبَد؛ والذي يســتعبده نمل آخــر من غير مســتعمرته. كما أثبــت البحث الحديــث أنّ الملكة تصدر أصواتًا تأمر من خلالها العمال أن يقوموا ببعض الوظائف[1]. وقدّ فصّلت صاحبة كتاب «نشاط النمل: كيف نُظّم مجتمع حشرة»[2] حقيقة هذا المجتمع التراتبي المنظّم.

ثم إنّ سفر الأمثال قد أخطأ أيضًا في زعمه أنّ النمل كلّه يتحرّك لحفظ الطعام؛ فإنّ نصف مملكة النمل في الحقيقة لا يعمل، وهو مخزون احتياطي للنمل.

المثال الثامن: الحلزون الذائب

مزمور 58/ 8:

كَمَـا يَـذُوبُ الْحَلَـزُونُ مَاشِـيًا. مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ لاَ يُعَايِنُوا الشَّمْسَ.	כְּמֹו שַׁבְּלוּל תֶּמֶס יַהֲלֹךְ נֵפֶל אֵשֶׁת בַּל־חָזוּ שָׁמֶשׁ

الترجمات الإنجليزيّة:

As a snail which melteth, let every one of them pass away: like the untimely birth of a woman, that they may not see the sun.	The King James Version
May they be like a slug that melts away as it moves along, like a stillborn child that never sees the sun.	The New International Version
Let them be like the snail which dissolves into slime, like the untimely birth that never sees the sun.	The Revised Standard Version

(1) Lewis Smith, Hills are alive with the sound of ants — talking to each other, February 6 2009, The Times <https://www.thetimes.co.uk/article/hills-are-alive-with-the-sound-of-ants-talking-to-each-other-jcv2krlcszf>

(2) Deborah M. Gordon, Ants at Work: How an Insect Society is Organized (New York, NY: The Free Press, 2009).

الترجمات الفرنسيّة:

La Bible de Semeur	Qu’ils périssent comme la limace !qui fond tout en se mouvant Comme les enfants mort-nés, !qu’ils ne voient pas le soleil
Louis Segond	Qu’ils périssent en se fondant, comme un limaçon; Sans voir le soleil, comme l’avorton d’une !femme

الخطـأ العلمي: القول إنّ الحلزون يـذوب بزحفه على الأرض، خطأ علمي جليّ سببه ما يراه المرء من لزوجة أسفله؛ فيظنّها بعض جسمه الذي يحتّه التراب من تحته. وقد ردّ تفسير KJV Bible commentary الأمر هنا إلى جهالات الأوّلين، بقوله: «في الشـرق الأدنى القديم، كان يُعتقد أن المسـار اللزج الذي يخلفه الحلزون أثناء زحفه يأخذ من جسده، ومع مرور الوقت، يصبح الحلزون أصغر وأصغر حتى يتلاشى»[1]. وقد دفـع ذاك التصوير النقّاد إلى وصف ما زعمه صاحب المزمور بأنّه مجرّد «اعتقاد شعبي»[2].

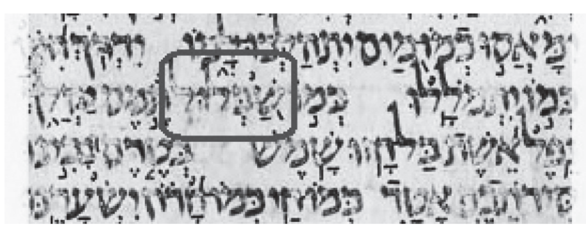
انتبـه النصارى إلى الخطأ العلمي فـي هذا النص، ولذلك غيّر بعضهم «الحلزون» «שַׁבְּלוּל» [شَـبْلُولْ] فـي النص العبري إلى «شـمع»، كما هو في الترجمة السـبعينية اليونانيـة: «κηρὸς» [كيـروس]، والبشـيطا السـريانية: «ܫܥܘܬܐ» [شْـعوتا]، والفولجاتا اللاتينية: «cera»!

(1) KJV Bible commentary, (Nashville: Thomas Nelson, 1997), p.1052

(2) A Cohen, The Psalms (Soncino Press, 1962), p.184; The Seventh-day Adventist Bible Commentary, F. D. Nichol, ed. (Washington D.C: Herald Pub. Association, 1978), 3/770

مخطوطة حلب (القرن العاشر)

[شَبْلُولْ]



الترجمة اليونانية في المخطوطة السينائية (القرن الرابع)

[كيروس]

المثال التاسع: الحجلة والبيض

إرمياء17/ 11:

حَجَلَـةٌ تَحْضُنُ مَا لَمْ تَبِـضْ مُحَصِّلُ الْغِنَـى بِغَيْرِ حَـقٍّ. فِي نِصْفِ أَيَّامِـهِ يَتْرُكُهُ وَفِي آخِرَتِهِ يَكُونُ أَحْمَقَ!	קֹרֵ֤א דָגַר֙ וְלֹ֣א יָלָ֔ד עֹ֥שֶׂה עֹ֖שֶׁר וְלֹ֣א בְמִשְׁפָּ֑ט בַּחֲצִ֤י (יָמָו] (יָמָיו֙] יַעַזְבֶ֔נּוּ וּבְאַחֲרִית֖וֹ יִהְיֶ֥ה נָבָֽל

الخطأ العلمي: الحجلة تأخذ بيض غيرها، ثم تهمله.

أشـار **روبرت تاك** في جوابه على سـؤال: «هل يوجد في الحقيقة أيّ أسـاس لهذه الدعوى عن الحجلة؟» إلى أنّ آباء الكنيسة: **إبيفانيوس**[1] **وأمبروسيوس ويوحنا ذهبي الفم** قد ذكروا أنّ هناك اعتقادًا قديمًا أنّ الحجلة تأخذ البيض من عشش الطيور الأخرى، وأنّـه عندما يفقس البيض، وتكبر الطيور تهرب عـن أبويها المزيّفين.. وأضاف: «ربّما كان هذا المفهوم معتنقًا من العبرانيين القدماء، **رغم أنّه لا أساس له**»[2].

ونقل **تاك** عن القسيس الباحث **جون جايكي** قوله عن دعوى سفر إرمياء إنّها «**وهمٌ شعبي في زمن إرمياء**»[3].

وأما تفسـير «Speaker's Commentary» فيردّ دعوى سفر إرمياء سرقة الحجل لبيض غيره إلى كثرة البيض الذي يجلس عليه الحجل، بما يوهم الناس أنّه ليس بيضه وإنّما هو بيض غيره من الطيور[4].



(1) إبيفانيـوس السلاميسـي (Epiphanius of Salamis (320-403: أحـد آبـاء الكنيسـة وقديسـيها. اشـتهر بمحاربتـه للهرطقات في زمانه.

(2) Robert Tuck, ed. A Handbook of Scientific and Literary Bible Difficulties, p.340

(3) Ibid

(4) Ibid

المثال العاشر: النعامة مهملة لصغارها

أيوب 39/ 13–17:

«جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرَفْرِفُ. أَفَهُوَ مَنْكِبٌ رَؤُوفٌ، أَمْ رِيشٌ؟ لأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا وَتُحْمِيهِ فِي التُّرَابِ، وَتَنْسَى أَنَّ الرِّجْلَ تَضْغَطُهُ، أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَدُوسُهُ. **تَقْسُو عَلَى أَوْلاَدِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا.** بَاطِلٌ تَعَبُهَا بِلاَ أَسَفٍ. **لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا فَهْمًا.**	כְּנַף־רְנָנִים נֶעֱלָסָה אִם־אֶבְרָה חֲסִידָה וְנֹצָה׃ כִּי־תַעֲזֹב לָאָרֶץ בֵּצֶיהָ וְעַל־עָפָר תְּחַמֵּם׃ וַתִּשְׁכַּח כִּי־רֶגֶל תְּזוּרֶהָ וְחַיַּת הַשָּׂדֶה תְּדוּשֶׁהָ׃ הִקְשִׁיחַ בָּנֶיהָ לְּלֹא־לָהּ לְרִיק יְגִיעָהּ בְּלִי־פָחַד׃ כִּי־הִשָּׁהּ אֱלוֹהַּ חָכְמָה וְלֹא־חָלַק לָהּ בַּבִּינָה

الخطأ العلمي: النعامة تتميّز بإهمالها لصغارها.

الظنّ أنّ النعام قاسٍ على أبنائه، مهمل لبيضه، باطل؛ فإنّ النعام حذر ويقظ؛ إذ يقوم ذكر النعام بحفر حفرة للبيض، وتقوم الأنثى خلال النهار باحتضان البيض، ويتولّى الذكر الوظيفة ليلًا. وبعد أن يتم فقس البيض، يتم الاعتناء به من قبل الأم لأكثر من شهر. كما أنّ قشرة بيض النعام أثخن ست مرات من بيض الدجاج.

وقد ردّ الناقد ج.إ. **هارتلي** وصف سفر أيوب للنعام أنّه قاس على أولاده ومهمل لهم، بقوله: «النعام هو أكثر حرصًا على وقاية بيضه المخاطر مما قد توحي به القراءة العرضية لهذا المقطع. كثيرًا ما يهرب الوالدان عندما يهاجمهم الصيادون تاركين الصغار وراءهم مكشوفين على الأرض. لكنهما ليسا غير آبهين بالصغار؛ إذ إنّهما بهروبهما يحاولان سحب الصيادين إليهما»[1]. وأحال في توثيق هذا الوصف العلمي إلى كتاب «حيوانات أرض الكتاب المقدّس»[2].

(1) J. E. Hartley, The Book of Job, p.150

(2) Cansdale, Animals of Bible Lands, p. 193

واعترف الناقد **جون والتون** في تفسيره لسفر أيوب بالخطأ العلمي في وصف النعامة بإهمالها بيضها، قائلًا: «في الحقيقة، تتصّرف النعامة بطريقة أخرى مختلفة عن الطيور الأخرى، وهي مع ذلك منتبهة بصورة كبيرة جدًا لبيضها القوي جدًا»(1). وحاول الخروج من الإشكال بالقول إنّ النصّ ينقل ما يراه الناس لا حقيقة الحال(2). وحصيلة هذا الردّ موافقتنا أنّنا أمام كلام غير صحيح علميًا، وأنّنا أمام كلام بشري لا إلهي!

والملحوظة الواردة في سفر أيوب تعكس النظرة الساذجة للثقافة القديمة لسلوك النعام، دون تحقيق. وقد حاول بعض النصارى الدفاع عن عصمة الكتاب المقدس في اتهامه النعام أنّه بلا حكمة؛ فأشاروا إلى صغر جمجمة النعام مقارنة بحجمه، وأنّه من علامات غبائه أنّه يدسّ رأسه في التراب عندما يهاجمه عدوّه. وذاك دفاع ضعيف عن الكتاب المقدّس؛ إذ لا تلازم بين حجم الدماغ والذكاء، كما أنّ القول إنّ النعام يخفي رأسه مع بدوّ جسمه عند الخوف، خرافة غير صحيحة كما هو معلوم. علمًا أنّ القرآن قد جعل سلوك الحيوانات حجّة على كمال الله وعلمه، لا حماقة الدواب التي نعلم أنّها لا تعقل. قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:49–50].

وأخيرًا لا بدّ من بيان إشارة النقاد إلى غياب نص أيوب 39/ 13–17 من الترجمة السبعينية اليونانيّة. وقد ذهب عامة النقاد إلى أنّ هذا المقطع مزيد في النص العبري، وذهب غيرهم، مثل الناقد **نورمان هابل**(3)، إلى أنّ تفسير إسقاط الترجمة السبعينية

(1) John H. Walton, Gerald H. Wilson, Paul Koptak, Iain Provan, NIVAC Bundle 3: Wisdom Books, ebook edition

(2) Ibid

(3) نورمان س. هابل (Norman C. Habel (1932: قسيس أسترالي. وناقد متخصص في العهد القديم. أستاذ في University of South Australia.

للنـص أقرب للقبول من إضافة النص العبري له[1]. ونحن على كلّ حال بين طعن في حفظ النص وطعن في عصمته[2]!

(1) Norman Habel, The Book of Job: A Commentary, p.524

(2) للأسـف، هنـاك من الدفاعييـن النصارى العرب من ينكر غياب هذا المقطع عن الترجمة السـبعينية. وسـبب ذلك اعتمادهـم بعض النسـخ الإلكترونية للترجمة السـبعينية غير المحققـة. ولو أنّهم عادوا إلـى المطبوعات اليونانية المحققة أو الترجمات الإنجليزية العلمية للسـبعينية لعلموا غياب النص عن الترجمة السبعينية. انظر مثلا الترجمة الإنجليزية التي أشرف عليها بيترزما ورايت، والتي جعلت النص بين معقوفين؛ دلالة على الشك في أصالته.
Albert Pietersma and Benjamin G. Wright, A New English Translation of the Septuagint (New York: Oxford University Press, 2007), p.694

المبحث الثاني:
هل في القرآن أخطاء في علم الحيوان؟

عامة الخبر القرآني في عالم الأحياء متعلّق بالدعوة إلى النظر إلى الخلق والجمال والمنّـة، ولا يهتم بتفصيل بنية الحيوان، ولا الظواهر الطبيعية المتعلّقة بمعيشـته. ولم يمنـع ذلـك المنصّرين والملحدين من اتّهـام الخبر القرآني في عالـم الأحياء بالغلط أحيانًا.

الاعتراض الأول: تكلّم النمل

يقول القرآن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل:18].. والنمل لا يتكلّم، وإنما يتواصل عن طريق الإفرازات الكيميائية.

الجواب:

جـاء في مقال «تحليل الاتصالات الصوتية عند النمل» الصادر في المجلة العلمية «The Journal of the Acoustical Society of America» -في الملخّص-: «من الواضـح أن النمل يتواصل بشـكل رئيس عبر الهواء، وأن المسـتقبلات الصوتية هي شعيرات على الهوائيات تستجيب لسرعة الصوت الجسيمية»[1].

كما أَثْبَتَتْ دراسـةٌ لباحِثِين من جامعة «ستانفورد» أنّ النَّمْلَ مُجَهَّزٌ بنظام إنترنت أو «anternet» -كما سمَّاهُ هذا الفريق-؛ إذ يُطْلِقُ النَّمْلُ تردُّداتٍ في نطاقٍ مكانيٍّ يُحيط به لإرسـال رسـائلَ إلى النَّمْلِ المجاوِرِ، والـذي يقوم بالتقاطِهَـا وقراءَتِها، في طريقةِ

(1) Robert Hickling, 'Analysis of acoustic communication by ants', The Journal of the Acoustical Society of America, Volume 108, Issue 4

<https://asa.scitation.org/doi/10.1121/1.1290515>

عَمَلٍ مُعقَّدةٍ كتلك التي تُسْتَعْمَلُ في نقلِ الملفَّات على الإنترنت[1].

ونشرت مجلة «تايمز» مقالًا بعنوان: «التلال حية بأصوات النمل تتكلم مع بعضها بعضاً»، ومما جاء فيه: «باستخدام ميكروفونات صغيرة مغروسة في أعشاش النمل، اكتشف الباحثون أن ملكات النمل تستطيع إصدار تعليمات لعاملاتها»[2].

THE TIMES

Hills are alive with the sound of ants — talking to each other

Lewis Smith, Environment Reporter

February 6 2009, 12:00am, The Times

Advances in audio technology have enabled scientists to discover that ants routinely talk to each other in their nests.

Most ants have a natural washboard and plectrum built into their abdomens tha they can rub together to communicate using sound.

Using miniaturised microphones and speakers that can be inserted unobtrusively into nests, researchers established that the queens can issue instructions to their workers.

الاعتراض الثاني: العسل يخرج من بطون النحل

يقول القرآن: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ [النحل: 69]. والقول إن العسل يخرج من بطن النحل لا من فمه خطأ علمي.

الجواب:

أولًا: قول القرآن إنّ شراب النحل يخرج من البطن لا ينفي أنّه يمرّ عبر الفم؛ فعبارة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ تعني أنّ أصل العسل من بطون النحل؛ كما لو قلتَ: إنّ الخبز الذي تشتريه من المخبز في حيّك يخرج من فرن المخبز؛ فلا ينفي ذلك أنّك إذا اقتنيته تأخذه من رفوف المخبز أو من يد الخبّاز.

(1) 'Stanford researchers discover the 'anternet' <https://news.stanford.edu/news/2012/august/ants-mimic-internet-082312.html>

(2) "Using miniaturised microphones and speakers that can be inserted unobtrusively into nests, researchers established that the queens can issue instructions to their workers" Lewis Smith, Hills are alive with the sound of ants — talking to each other, The Times, February 6 2009. <https://www.thetimes.co.uk/article/hills-are-alive-with-the-sound-of-ants-talking-to-each-other-jcv2krlcszf>

ثانيًا: تقرير القرآن أنّ العسل يخرج من بطون النحل، ليس من لغو القول ولا الثرثرة، وإنّما هو حسم لمسألة علميّة كان الخلاف فيها شائعًا قبل الإسلام وبعده لقرون، وهي تحديد أصل العسل، هل يخرج من البطن إثر تكوّنه هناك مما يأكله النحل، أم إنّ النحل يحضر العسل جاهزًا مما يحطّ عليه من نبات، ولا يصنعه في بطنه؟

والعجبُ أنّه رغم صريح قول القرآن إلا أنّ من علماء المسلمين من خضعوا لسطوة الثقافة العلميّة السائدة في عصرهم، وتعسّفوا في تأويل الآية بفهمها على غير ظاهرها؛ فقد قال المفسّر **الشريف الرضي** (توفي 406هـ/ 1015م) في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: «والمراد بذلك العسل. **والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل، وإنما تنقله بأفواهها** من مساقطه ومواقعه من أوراق الأشجار وأضعاف النبات، لأنه يسقط كسقوط الندى في أماكن مخصوصة وعلى أوصاف معلومة. والنحل ملهمة تتّبع تلك المساقط، وتعهد تلك المواضع، فتنقل العسل بأفواهها إلى كواراتها، والمواضع المعدة لها، فقال سبحانه: «يخرج من بطونها» والمراد: من جهة بطونها، وجهة بطونها أفواهها...»[1] وقد رأيت أنّ **الرضي** قد نسب مذهبه إلى «المحققين من العلماء» في عصره!

ثالثًا: حديث القرآن عن الأكل من الثمرات ثم إخراج الشراب، يوحي أنّ الأكل غير الشراب، وأنّ الأكل يتحوّل إلى شراب. والقرآن في ذلك موافق لقطعي العلم، ومخالف لتصريح التلمود أنّ النحل لا يصنع العسل، وإنما هو يجمعه من النباتات جمعًا، ولا يُنتجه في بطنه[2]، ولذلك أباح عامة أحبار مشنا التلمود العسل لأنه ليس من آثار بطون النحل رغم أنّ النحل ليست من الكائنات الحيّة الطاهرة[3]. وقد وافق التلمود في توصيفه العلمي ما جاء في وثيقة آشورية قديمة تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد تشير إلى «حشرات طنّانة تجمع العسل»[4].

(1) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: علي محمود مقلد (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، ص143–144.
(2) Babylonian Talmud, Bechorot ,7b
(3) Aaron Parry, The Complete Idiot's Guide to the Talmud (Indianapolis, IN : Alpha Books, 2004), p.101-102; Friedrich Simon Bodenheimer, Animal and Man in Bible Lands: Supplement, (Leiden: Brill, 1960) p.106
(4) Art. 'Honey', Encyclopaedia Judaica, 9/517

ومن المثير أنّ القرآن قال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل:68-69]؛ فنسب إلى النحل الأكل من الثمرات رغم أنّ الشائع أنّ النحل يجمع العسل السائل من الثمرات بما يعني أنه يشرب العسل لا يأكله. والنحل يتغذى على حبوب اللقاح والرحيق، وإذا أكل الإنسان وشرب، غلّب لسان العرب فعل الأكل على الشرب في وصف اغتذائه، وكذلك الحال في مقام وصف اغتذاء النحلة.

وقد اعترض بعضهم على عبارة «ثمرات» في الآية بدعوى أنّ النحل يأكل من أزهار الثمرات لا الثمرة نفسها. وجواب الاعتراض هو أنّ النحل يأكل الثمرات حقيقة، ويأكل ما سيكون ثمرًا لاحقًا؛ ولذلك حَسُنَ أن يُجمع الأمران في أكل الثمرات؛ باعتبار «الثمرات» منها ما هو واقع، ومنها ما هو وصف لما سيؤول إليه مأكل النحل. وتفصيل ذلك أنّ النحل يأكل الثمر؛ فهو يأكل الخوخ والعنب والتين والتفاح وثمر العليق... إذا صار طازجًا جدًا يسهل التقامه، أو إذا تعفّن فصار لزجًا.

مجموعة من النحل تأكل من حبّة خوخ



كما يأكل النحل من الزهرة التي ستصير ثمرة. وإطلاق وصف الثمرة على زهرتها من المجاز الذي اعتاده اللسان العربي وغيره؛ من باب إطلاق اسم الشيء على ما سيؤول إليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف:36]، رغم

أنّ المعصــور –بداهــة– العنب لا ســائل الخمر. قــال **ابن جني** تعليقًا علــى قراءة ابن مســعود: «إني أراني أعصــر عنبًا»: «هذه القراءة هي مراد قــراءة الجماعة: «إني أراني أعصــر خمــرًا»؛ وذلك أنّ المعصور حينئذ هو العنب؛ فســمّاه خمرًا لما يصير إليه من بعدُ حكاية لحاله المستأنفة، كقول الآخر:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسرَّك أن يعيش فجئ بزاد

أراد: إذا مات حيٌّ فصار ميْتًا كان كذا، أو فليكن كذا. وعليه قول الفرزدق:

قتلت قتيلًا لم يَرَ الناسُ مثلَه ... أُقَلِّبُهُ ذا تُومتين مُسَوَّرَا»[1].

واعتُــرض على الآية أنّها تخبــر أنّ النحل يأكل من كلّ ثمــرات الأرض، وأنّ ذاك غير ســديد. وجوابه أنّ ذاك الفهم غير لازم للفــظ؛ فإنّ اللفظ يحتمل معنى الأكل من كلّ الثمرات التي تشتهيها. و«كلّ» في لغة العرب لا ترِد دائمًا بمعنى الجميع؛ فقد ترد بمعنــى الكثرة، كقول القرآن: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:23]، و﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونــس:97]. ولذلك قال **ابــن قتيبة**: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: من الثمــرات، وكلّ هاهنا ليس على العموم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾[2]. والأمر نفســه في العبريّة؛ فإنّ عبارة «كل شــيء» «כָּל־דָּבָר» [كُل دبار] لا تقتضي احتواء كل شيء بما هو شيء؛ فقد جاء مثلا في سفر راعوث 4/ 7:

وَهـذِهِ هِـيَ الْعَـادَةُ سَـابِقًا فِي إِسْرَائِيـلَ فِي أَمْـرِ الْفِـكَاكِ وَالْمُبَادَلَـةِ، لأَجْـلِ إِثْبَـاتِ **كُلِّ أَمْـرٍ**. يَخْلَـعُ الرَّجُـلُ نَعْلَـهُ وَيُعْطِيهِ لِصَاحِبِهِ. فَهـذِهِ هِـيَ الْعَـادَةُ فِي إِسْرَائِيـلَ.	וְזֹאת לְפָנִים בְּיִשְׂרָאֵל עַל־הַגְּאוּלָּה וְעַל־הַתְּמוּרָה לְקַיֵּם **כָּל־דָּבָר** שָׁלַף אִישׁ נַעֲלוֹ וְנָתַן לְרֵעֵהוּ וְזֹאת הַתְּעוּדָה בְּיִשְׂרָאֵל

(1) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شــواذ القراءات والإيضاح عنها (وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ– 1999م)، 1/ 343 – 344.

(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1398هـ/ 1978م)، ص 246.

الاعتراض الثالث: من بين فرث ودم

يقول القرآن: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل:66]. ومعلوم أنّ اللبن لا يخرج من بين الدم وفضلات الحيوان، وإنما يخرج من غدد الثدي الكائنة بعيدًا عن الدم والفضلات.

أو بعبارة **ويليام كامبل** الذي استغرب معنى الآية، ولم يجد لها وجهًا مستساغًا: «ما الذي من الممكن أن يعنيه أنّ اللبن يأتي من بين فرث ودم»[1].

الجواب:

ما جاء في الآية القرآنية وصف دقيق لعملية إنتاج اللبن في مراحله الأولى. وما قاله المعترض يتعلّق بالمكان الذي يخرج منه اللبن دون النظر إلى مراحل تكوّنه. وقد كان العرب يحلبون الحيوانات، ويعلمون أنّ اللبن يخرج من الضرع لا من الدبر ولا من العروق ولا من المواضع التي بينهما.

ولا شك أن اللبن يكون مستخلصًا من الطعام حتى يصير روثًا يتخلّص منه الحيوان. ويبقى لذلك الإشكال –فقط– في دور الدم في تخليق اللبن.

يقول د. **حامد عطية محمد** –الأستاذ بكليّة الطب البيطري بجامعة الزقازيق–: «يتمّ تكوين اللبن بواسطة الغدد الثديية أو الضرع عن طريق عمليّتين هامتين:

أ – المرحلة الأولى: ترشيح بعض مكوّنات اللبن من مجرى الدم.

ب –المرحلة الثانية: تركيب مكوّنات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائي الخلوي داخل الضرع»[2].

ويقول عن المرحلة الأولى التي تعنينا هنا: يقوم الدم بنقل هذه المواد الغذائيّة إلى جميع الجسم، والتي منها خلايا الضروع التي يتمّ فيها امتصاص مكوّنات اللبن من

---

(1) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.196

(2) حامد عطية محمد، إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا 1432هـ – 2011م (عن الموقع الرسمي للهيئة العالمية للكتاب والسنة).

بين الدم... غالبية الدهون في اللبن تنتج أصلًا من الزيوت والدهون النباتية المستمدة من العلف والمهضومة جزئيًا في معدة الاجترار (الفرث)، ثم ينقلها الدم إلى الغدد المفرزة للبن في الضرع»[1]. فاللبن مستخلص ممّا يأكله الحيوان، ومادته الغذائية تعبر إلى الضرع عبر الدم. وهو ما شرحه أيضًا **موريس بوكاي** بيانًا لإعجاز القرآن: «تتكوّن المواد الأساسيّة التي تؤمّن تغذية الجسم بوجه عام من تحوّلات كيميائيّة تجري في طول القناة الهضمية. وهذه المواد تأتي من عناصر حاضرة في محتويات الأمعاء. وعندما تصل إلى المرحلة المراد فيها التحوّل الكيميائي، تمرّ عبر غشاوة نحو الدورة الدموية العامة. وهذا العبور يتحقّق بطريقتين: إمّا بطريقة مباشرة بواسطة ما نسمّيه الشرايين اللمفاوية، وإمّا بطريقة غير مباشرة بالدورة التي تسوقها إلى الكبد أولًا حيث تتلقّى بعض التحويرات ثم تبرز لتتّصل أخيرًا بالدورة الدمويّة العامة. وبهذه الطريقة كلّ شيء يمرّ أخيرًا عبر الدورة الدمويّة...

هذا المفهوم الدقيق يرجع إلى أبحاث كيميائية وعضوية في عملية الهضم. وقد كانت مجهولة تمامًا في زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم ومعرفتها تعود إلى الفترة الحديثة. كما أنّ الدورة الدمويّة هي من توضيح هاري الذي ظهر بعد الوحي القرآني بما يقارب عشرة قرون. وفي رأيي أنّ وجود الآية التي تشير إلى هذه المعلومات في القرآن لا يمكن أن يكون له تفسير بشري بسبب العصر الذي أعطيت فيه»[2].

الاعتراض الرابع: زوجية الكائنات الحيّة

يقول القرآن: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات:49]. وتلك دعوى فاسدة؛ فإنّ من الكائنات الحيّة ما ليس لها أنثى.

الجواب:

أولًا: جاء التصريح في القرآن بالزوجية في غير عالم النبات: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ

(1) المصدر السابق.

(2) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص235-236.

﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [يس:36]؛ فالزوجية تشمل كلّ شيء، وذاك يشمل الحجر والماء والتراب والهواء. وهو أمر يدفع وهم أنّ المقصود بالزوجية هنا الذكورة والأنوثة حصرًا.

وقد فهم علماء الإسلام منذ عصر النبوة، وما بعده أنّ الزوجية هي تقابل الوجهين المتخالفين، وذاك أبعد من حصره في خلاف الذكورة والأنوثة. جاء في «لسان العرب»: «والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء. وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان وكل واحد منهما زوج»[1].

وقال **الزبيدي**: «الأَصلُ في الزَّوْج الصِّنْفُ والنَّوْعُ من كُلّ شْيءٍ، وكلُّ شَيْئينِ مُقْتَرِنَيْنِ شَكْلَيْنِ كانا أَو نَقِيضَيْنِ فهما زَوجانِ، وكلّ واحدٍ منهما زَوْجٌ»[2].

وقال **الأصفهاني** في كتابه في مفردات القرآن: «يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخف والنعل ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضادًا: زوج، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩﴾[القيامة: 39]، وقال ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، وجمع الزوج أزواج. وقوله تعالى ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾[يس: 56]، ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾[الصافات: 22] أي أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾[الحجر: 88] أي أشباهًا وأقرانًا، وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ [يس: 36]، ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾[الذاريات: 49]، فتنبيه أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعَرَض، ومادة وصورة، وأن لا شيء يتعرى من

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: زوج

(2) تاج العروس للزبيدي 1/ 1426-1427.

تركيب يقتضي كونه مصنوعًا، وأنه لابد من صانع تنبيهًا إلى أنه تعالى هو الفرد، وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[الذاريات: 49] فبين أن كل ما في العالم زوج من حيث أنّ له ضدًّا، أو مثلاً ما، أو تركيبًا ما»[1].

ثانيًا: كشف البحث العلمي عن هيمنة الثنائية على الوجود المادي؛ حتى قال الفيزيائيُّ الشهير **فرنر هايزنبرج**[2]: «تُشَكِّلُ خصائصُ التّناظُرِ دائمًا أَهَمَّ السّماتِ الأساسيّةِ للنّظريّةِ العِلميّةِ»[3]. إن خالق الكون هو خالق الطبيعة السيمترية.. وذاك أولًا برهان دقة القرآن، وثانيًا هو أعظم الآيات المادية على وجود خالق مريد حكيم؛ إذ لا تصنع العشوائية كونًا متناظرًا في كل أمره!

الاعتراض الخامس: أمم أمثالكم

يقول القرآن: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام:38]. ونحن نعلم أنّ من الحيوانات اليوم ما يعيش أفراده منفردين.

وقد اعترض **ويليام كامبل** على الآية بنموذج العنكبوت الأنثى التي تقتل ذَكَرها بعد التلقيح[4].

الجواب:

سياق الآية ليس فيه شيء من الدلالة على أنّ المعنى هو أنّ الدواب والطيور تعيش مجتمعة كما هو حال البشر. وليس في سباق الآية ولا لحاقها ما هو متعلّق بذاك المعنى؛ ولذلك كانت عامة أقوال المفسرين بعيدة كليًا عن المعنى الذي

---

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ)، ص385.

(2) فرنر هايزنبرج (1901–1976) Werner Heisenberg: فيزيائي ألماني، من رواد ميكانيكا الكم. حاصل على جائزة نوبل.

(3) Werner Heisenberg, Across the Frontier (New York: Harper and Row, 1974), p. 167

(4) William Campbell, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, p.197

يستنكره المخالف هنا. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنعام:36-40].

قال **القرطبي**: « ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَالِاقْتِصَاصِ، وَقَدْ دَخَلَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَيْضًا.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: أَيْ مَا مِنْ صِنْفٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ إِلَّا فِي النَّاسِ شِبْهٌ مِنْهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو كَالْأَسَدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَهُ كَالْخِنْزِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْوِي كَالْكَلْبِ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَزْهُو كَالطَّاوُسِ، فَهَذَا مَعْنَى الْمُمَاثَلَةِ. وَاسْتَحْسَنَ الْخَطَّابِيُّ هَذَا وَقَالَ: فَإِنَّكَ تُعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسِّبَاعَ فَخُذْ حِذْرَكَ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ قَالَ: أَصْنَافٌ لَهُنَّ أَسْمَاءٌ تُعْرَفُ بِهَا كَمَا تُعْرَفُونَ...

وَالصَّحِيحُ ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ فِي كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً دَالَّةً عَلَى الصَّانِعِ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ مَرْزُوقَةً مِنْ جِهَتِهِ، كَمَا أَنَّ رِزْقَكُمْ عَلَى اللَّهِ. وَقَوْلُ سُفْيَانَ أَيْضًا حَسَنٌ، فَإِنَّهُ تَشْبِيهٌ وَاقِعٌ فِي الْوُجُودِ»[1].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6/ 420.

الفصل الرابع
الكائنات الخرافية في الكتاب المقدس

تمهيد: الثقافة الخرافية حتى عصر البعثة النبوية

أُلِّفت أسفار العهد القديم في بيئات مختلفة تتشابه في إيمانها بوجود كائنات خرافية تسكن الأرض، وتجوس أحيانًا بين الديار. وتلك هي ثقافة البيئات البدائية المولعة بصناعة عالم خلفي مليء بالأعاجيب. وقد تمكّن هذا الفكر من المخيال اليهودي حتى زاد على ما في العهد القديم أخبارًا عن كائنات أشدّ غرابة، كالضفادع التي في حجم المدن[1]، والدابة التي في حجم جبل الطور[2]، وحوريات البحر[3]، وغير ذلك من الغرائب الواردة في التلمود والمِدراشات وكتابات الأحبار، والتي جمع خبرها الحبر اليهودي **نسون سلفكِن**[4] في كتابه الواسع «الوحوش المقدسة: المخلوقات الغامضة والأسطورية في الأسفار المقدسة والتلمود والمدراشات»[5].

ويتركّز الحديث عن الكائنات الخرافية في عدد من الأسفار، من أهمها سفر أيوب الذي قال فيه التعليق المختصر على الكتاب المقدس «The New Oxford Annotated Bible»: «يضمّ سفر أيوب تلميحات عديدة إلى التراث الأسطوري المعروف في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم. هناك إحالات متكرّرة إلى الصراع الكوني بين الإله والبحر خاصة ما هو ممثّلٌ في تنين الفوضى: راهاب أو لوياثان (3/ 8، 7/ 12، 10/ 13، 26/ 12، 38/ 8–11، 41/ 1–34) ... وصفُ الخلق والكون في الفصلين 26 و38 يشير إلى التراث الأسطوري المشترك بين شعب إسرائيل والتراث الآخر للشرق الأدنى»[6].

---

(1) Babylonian Talmud, Bava Basra, 73b

(2) Babylonian Talmud, Bava Basra, 73b

(3) كما عند المفسِّر راشي عن تراث سالف له.

(4) نسون سلفكن (1975) Nosson Slifkin: يهودي أرثوذكسي ولد في بريطانيا، ويعيش في فلسطين المحتلة. مهتم بعلم الحيوان وعلاقته بالتراث العلمي اليهودي. كانت أطروحته للدكتوراه تحت عنوان: « Rabbinic and Maskilic Encounters with Zoology in the Nineteenth Century ».

(5) Nosson Slifkin, Sacred Monsters: Mysterious and mythical creatures of Scripture, Talmud and Midrash (NJ: Zoo Torah: Distributed by Gefen Books, 2011)

(6) Michael David Coogan, Marc Zvi Brettler and Carol Ann Newsom, eds. The New Oxford Annotated Bible, New Revised Standard Version with The Apocrypha (Oxford University Press, 2007), p.727

ومـن الواجب هنا التنبيـه أننا لا نقصـد بالكائنات الخرافية الملائكـة والجن مما خفـي عن العين، ومما لا يَثبت وجودها أو عدمـه إلّا بخبر الوحي الصادق. فالإيمان بالملائكة قائم خارج البرهان العلمي، وهو فرع عن الإيمان بالله وصدق الرسالة التي تُنسب إلى الوحي. الكائن الخرافي هنا هو الحيوان الذي يشهد العلم أنه لم يوجد، في ما يملك العلم البتّ فيه، أو الكائن «الروحي» المقتبس من العقائد الوثنية.

المبحث الأول: كائنات البر الخرافية في الكتاب المقدس

كانت الصحراء والقفار في الزمن القديم منزل الكائنات المخيفة التي تهجم على السائرين فيها دون رفيق، أو الذين يبيتون فيها ليلًا في وحشة الظلمة التي تهواها وحوش الظلام من مخلوقات الأرض والسماء. وقد جاء ذكر بعض هذه الكائنات في العهد القديم.

المثال الأول: الغول

إشعياء 13/ 21:

بَلْ تَرْبُضُ هُنَاكَ وُحُوشُ الْقَفْرِ، وَيَمْلأُ الْبُومُ بُيُوتَهُمْ، وَتَسْكُنُ هُنَاكَ بَنَاتُ النَّعَامِ، وَتَرْقُصُ هُنَاكَ مَعْزُ الْوَحْشِ.	ורבצו-שם ציים, ומלאו בתיהם אחים; ושכנו שם בנות יענה, ושעירים ירקדו-שם

عبارة «معز الوحش» في نص إشعياء 13/ 21 تقابل في الأصل العبري كلمة שעירים [سعيريم] التي هي جمع שעיר [سعير]؛ وهي تعني لغة: الأشعر؛ أي كثير الشعر. وجاء مقابلها اليوناني في المخطوطة الفاتيكانية [الترجمة اليونانية] δαιμόνια [دَيمونيا] بمعنى شياطين، وكذلك كانت الترجمة في الترجوم الآرامي.

وقد اعتقد اليهود منذ زمن مبكّر بسبب نص إشعياء 13/ 21 وغيره أنّ الشياطين والأرواح الشريرة تأخذ شكل عنز وغيرها من الدواب، في الأماكن القفرة[1]؛ إذ إنّ

(1) See Joseph Addison Alexander, Commentary on Isaiah (MI: Kregel Publications, 1992), p.284

اليهود قد فهموا أنّ كلمة שעיר تعني شـيطانًا كثيف الشـعر. وقد تكررت العبارة في سفر اللاويين 17/ 7، 2 أخبار الأيام 11/ 15، حيث كانت وجهًا للعبادة الوثنية.

أمّا بالنسـبة للنصارى فقد فهم قديس الكنيسـة **جيروم** أنّ هـذه الكلمة تعني كائنًا نصفه الأول بشـري والنصف الثاني ماعز. ويبدو أنّ الزعيم البروتسـتانتي **كالفن** فهم الفهم نفسـه من هذا السـياق باعتماده كلمة satyri في ترجمته. وجمهور النقاد اليوم علـى القول إنّ هذا النص يتحدث عن كائن شـيطاني مخيـف بملامح خاصة كالذي تحدث عنه اليهود **وجيروم**.

قال الناقد **جورج غراي**[1] في شـرحه لسفر إشـعياء: « كما هو الحال في 34/ 14، ولاوييـن 17/ 6، و2أخبـار الأيـام 11/ 15، و2أخبـار الأيـام 23/ 8، لا بـدّ أن نفكر في حيوانات شـيطانية، تمـارس العويل كما هي الشـياطين والجن فـي الأماكن غير المطروقة، وهي من طبيعة شَعرية وربما تشبه الماعز شكلًا»[2].

وأمّا الناقد **جون موتاير**[3] فيقول إنّ الأفضل ترجمة كلمة שעירים إلى: شياطين- ماعز. وزعم -دفاعًا عن عصمة الكتاب المقدس- أنّ «مؤلفي الكتاب المقدس غالبًا ما يسـتخدمون مثل هذه الخرافات الوثنية دون إعطائها مصداقية»[4]، والقول باعتماد هذه الخرافات حق، ودعوى أنّه نقل دون موافقة لا برهان عليه، بل السـياقات تشـهد لخلاف ذلك.

وقد جاء النص في ترجمة «الأخبار السـارة» صريحًا، واضحًا: «تتلاقى الوحوش

---

(1) جورج غراي George Gray: أستاذ العبريّة وتفسير الكتاب المقدس في Mansfield College.

(2) G. B. Gray, A critical and exegetical commentary on the book of Isaiah, I-XXXIX (New York: C. Scribner's Sons, 1912), p.243

(3) جـون موتاير (1924–2016) John Motyer: قسـيس أيرلندي. ناقـد كتابي. عمل مديرًا للكليـة اللاهوتية Trinity College في Bristol.

(4) J. A. Motyer, The prophecy of Isaiah : An introduction & commentary (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1993), p.141

وبنات آوى ويتنادى معز الوحش إليها. هناك تستقر الغول وتجد لنفسها مقامًا»[1].



(1) روى الإمام مسلم في صحيحه (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، ح/ 2222) أنّ الرسول ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا غُول»، قال الإمام ابن حجر (الفتح، 10/ 159): «أما الغول: فقال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولًا، أي تتلون تلونًا، فتضلّهم عن الطريق فتهلكهم، وقد كثر في كلامهم: «غالته الغولة» أي أهلكته أو أضلته، فأبطل – صلى الله عليه وسلم – ذلك». ونسب أيضًا الإمام النووي هذا التفسير إلى جمهور العلماء (انظر المنهاج، 14/ 216–217). وأما حديث أبي أيوب رضي الله عنه أنه كانت له سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ منه؛ فضعيف لسوء حفظ ابن أبي ليلى، كما أنّ الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» لا يصح للانقطاع بين الحسن البصري وجابر بن عبد الله رضي الله عنه (انظر السلسلة الضعيفة، 3/ 139). وفيما يتعلّق بحديث «لا صفر ولا غول ولكن السعالي»، فهو مرسل لا يصح. وأمّا ظهور الجن في صور آدمية وغيرها فثبت في الروايات الصحيحة. وفرق شاسع بين خرافات العرب الجاهليين التي أثبتها الكتاب المقدس التي تقول بوجود «الشياطين التي تسكن القفار» وما تفرد به الكتاب المقدس من الحديث عن «الشيطان الماعزي» من جهة، وحقيقة الجن وملكاتهم من جهة أخرى، علمًا أنّ الكتاب المقدس يقرّ أيضًا بوجود الجن (انظر اللاويين 19/ 31، 20/ 6، 20/ 27، تثنية 18/ 11، 1صموئيل 28/ 3، 7، 8، 9، 2 الملوك 21/ 6، 1الأيام 10/ 13، 2الأيام 33/ 6).

المثال الثاني: الشيطانة ليليت

إشعياء 34/ 14:

وَتُلاَقِي وُحُوشُ الْقَفْرِ بَنَاتِ آوَى، وَمَعْزُ الْوَحْشِ يَدْعُو صَاحِبَهُ. هُنَاكَ يَسْتَقِرُّ اللَّيْلُ وَيَجِدُ لِنَفْسِهِ مَحَلاًّ. (ترجمة الفانديك). وتلاقي وحوش القفر الضباع ويصيح الأشعر بصاحبه، وهناك تقر ليليت، وتجد لنفسها مكاناً مريحًا. (الترجمة الكاثوليكية). تتلاقى الوحوش وبنات آوى ويتنادى معز الوحش إليها، هناك تستقر الغول، وتجد لنفسها مقاماً. (الترجمة المشتركة). وتلاقي وحوش القفر الضباع ويصيح الأشعر بصاحبه، وهناك تقر ليليت وتجد لنفسها مكاناً مريحًا. (الترجمة اليسوعية).	ופגשו ציים את-איים، ושעיר על-רעהו יקרא; אך-שם הרגיעה לי-לית، ומצאה לה מנוח

يذكر هذا النص الغول שעיר [سعير]، ومعه كائن خرافي آخر هو לילית [ليليت].. هذا الكائن- بهذا الاسم- معروف في وثائق الحضارات القديمة، مثل

النصوص السومرية التي تذكره -منذ القرن الثالث قبل الميلاد- ، ومن هذه الوثائق ما ورد عن ملحمة جلجامش السومرية، وهو في قائمة الشياطين البابليّة. وقد تسلل إلى التراث اليهودي بعد ذلك.

دخلت شخصية ليليت دين اليهود من خلال حضارة ثقافة بلاد الرافدين؛ فهي في الأصل السومري: ليل، أي ريح. وكان السومريون على وعي بثالوث شياطين العواصف: ليل، ليل-لَ، كِ-سِكِل-ليل-لا. وقد ظهر هذا الثالوث في الأكادية: لِلو، لِليتو، أردت لِلي[1]. وذهب بعض الباحثين إلى أنّ الاسم من كلمة «ليل» السامية بمعنى ليل العربيّة، وربطوا أصل الاسم بظهور الشياطين ليلًا في الأماكن المنعزلة.

ويلخّص هـ. **وايلدبرجر**[2] تاريخ ليليت بعد أن ذكر أنّها شيطان أنثى في الكتاب المقدس (العهد القديم) بقوله إنّه رغم أنّ اليهود ما كانوا متحمسين لأساطير أنواع الشياطين عند الأمم الأخرى، إلا أنّهم انتهوا في آخر أمرهم إلى اقتباس شخصية ليليت. ومن اليهودية دخلت الأسطورة إلى النصرانية.

وليليت حاضرة في الأدبيات الدينية اليهودية خارج العهد القديم، ومن ذلك ما جاء في ترجوم Pseudo-Jonathan حول التبريكات الهارونية: «بارك الربّ جميع أعمالكم وحفظكم من شياطين الليل (الآرامية ליליי ليلي) ومن كلّ الأشياء المرعبة...». كما جاء في مدراش Bammidbar Rabbah الفصل 119 أنّ ليليت ستنقلب على أبنائها وتأكلهم إذا لم تجد أيّ رضيع آخر لإشباعها. ونصّ التلمود على أنّ ليليت تسكن الخرائب؛ إذ قال الحبر حنينا إنّه على المرء ألا ينام وحده في بيت بعيد عن البيوت الأخرى لأنّ من ينام وحده بعيدًا عن الناس تهاجمه ليليت[3].

وقال صاحبا تفسير Tyndale Concise Bible Commentary: «تمت ملاحظة

(1) H. Wildberger, A Continental Commentary: Isaiah 28-39. Translation of: Jesaja (Minneapolis, MN: Fortress Press, 2002), p.335

(2) هـ. وايلدبرجر (1910) H.Wildberger: ناقد كتابي سويسري. أستاذ العهد القديم في جامعة زوريخ.

(3) Babylonian Talmud, Shabbat 151b

«المخلوقات الليلية» (34/ 14؛ حرفيًا: ليليت في الأسـاطير القديمة كشـياطين ليلية تتردد على الأماكن المقفرة»[1]. كما جاء في هامش ترجمة الآباء اليسـوعيين للكتاب المقدس: «ليليت هي شيطان أنثى يسكن الأخربة»[2].

واهتـم الناقد **جون هـ. والتـون**[3] ببيان أنّ ليليت الكائن الشـيطاني مصبوغ بطابع الإثارة الجنسـية للبشـر، حتّى إنّ من تسـمياته الأخـرى **girl of Lili**. وأضاف أنّه «تم التقاط الجوانب الجنسـية في ليليت في اليهودية الحاخامية، حيث كانت لها شخصية شـيطانة الإغراء. كان أهل سـوريا يخافونها كمـا هو موضح في الكتابـة الفينيقية من القرن السابع عشر قبل الميلاد»[4].

المثال الثالث: الثعبان الطائر

جاء في كتـاب «معجم الحيوانات الرمزيـة والأسـطورية»[5]: «التنين أو «الأفعى المجنّحـة» هو على الأرجح أكثر الوحوش الأسـطورية تعقيدًا، وانتشـارًا... من بين الوحوش الأسطورية التي تظهر في أساطير جميع الأمم ورموزها»[6].

ومن النصوص الدالة على الثعبان المجنّح:

إشعياء 14/ 29: «لا تَفْرَحِي يَا جَمِيعَ فِلِسْطِينَ، لأَنَّ الْقَضِيبَ الضَّارِبَكِ انْكَسَرَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْلِ الْحَيَّةِ يَخْرُجُ أُفْعُوانٌ، وَثَمَرَتُهُ تَكُونُ ثُعْبَانًا مُسِمًّا طَيَّارًا».

إشـعياء 30/ 6: «وحي من جهة بهائم الجنوب: في أرض شـدة وضيقة منها اللبوة والأسد الأفعى والثعبان السام الطيار».

(1) R. B. Hughes & J. C. Laney, Tyndale Concise Bible Commentary. Rev. ed. of: New Bible companion (Wheaton, Ill.: Tyndale House Publishers, 1990), p.264

(2) الكتاب المقدس، ترجمة الآباء اليسوعيين بيروت: دار المشرق، 1988، ص 1581.

(3) جـون هــ. والتون (1952) John H.Walton: أسـتاذ العهد القديم فـي Wheaton College. له اهتمام خاص بعلاقة العهد القديم بحضارات الشرق الأدنى القديم.

(4) J. H. Walton, Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament), 4/119

(5) J. C. Cooper, Dictionary of Symbolic & Mythological Animals

(6) Cited in: Nosson Slifkin, Sacred Monsters, p.278

يثبت النصان السابقان وجود نوع من الثعابين يطير في الهواء. وقد دقّق الناقد **أتّو كايزر**[1] في ترجمته؛ مختارًا عبارة تنين طائر **flying dragon** كمقابل للأصل العبري[2] ولذلك قال الناقد هـ. **وايلدبرجر**[3] إنّ «السيرافيم المجنّحة ليست مجرد حيوانات خطرة ولكنها كائنات شيطانية، من الصعب أن نحمي أنفسنا منها في جميع الأحوال»[4]. وهو عين ما فهمه عدد من آباء الكنيسة، ومن ذلك قول قديس الكنيسة **غريغوري الكبير**[5]: «هذا اللوياثان يُدعى في مكان آخر لا فقط ثعبانًا وإنما هو أيضًا ثعبان طائر، لأنه يحكم على الأرواح النجسة أو الفاسقين، كما قال إشعياء: «من أصل الثعبان سيخرج ثعبان طائر». علينا أن نهتم بعناية بملاحظة كيف يُحدث الباسيليسك[6] الأذى... لا يؤذي الباسيليسك غيره بلدغته، وإنما يتلف الأشياء بنَفَسِه. وغالبًا ما يصيب الهواء أيضًا بنفثه، ويذيب الأشياء بمجرد تفجّر خياشيمه مهما كان الشيء الذي يلمسه، حتى لو وُضع بعيدًا عنه»[7].

ويبدو أنّ التراث اليهودي قد تشرّب الأساطير القديمة للمصريين إذ كانت أفعى الكوبرا رمزًا للقوة في التراث الفرعوني، وكانت تظهر في تماثيلهم. وصارت الأفعى الملكية المجنّحة المصرية مشهورة في القرن الثامن في اليهودية أثناء حكم الملك حزقياهو، وظهرت في عدّة أختام في تلك الفترة.

---

(1) أتو كايزر Otto Kaiser (ولد سنة 1924م): ناقد كتابي ألماني متخصص في دراسات العهد القديم والفلسفة المعاصرة. رَأس دراسات العهد القديم في جامعة (ماربورغ). أصدر عددًا من المؤلفات الضخمة في لاهوت العهد القديم وشروح أسفاره.

(2) See Otto Kaiser, Isaiah 13-39: A commentary (Presbyterian Publishing Corp, 1974), p.49

(3) هانس وايلدبرجر Hans Wildberger (1910-1986): أستاذا العهد في جامعة زيورخ.

(4) H. Wildberger, A Continental Commentary: Isaiah 13-2, p.97

(5) غريغوري الكبير (604–540): أحد بابوات الكنيسة الكاثوليكية. صاحب مؤلفات كثيرة. اعتبره كالفن آخر البابوات الكبار.

(6) الباسيليسك Basilisk: من اليونانية βασιλίσκος (الملك الصغير)، وهو كائن أسطوري كان يُعتقد أنه ملك الأفاعي، وأنّه قادر على قتل غيره بنظرة من عينيه.

(7) Gregory the Great, Morals on the Book of Job 6.33.62 (Cited: S. A. McKinion, Isaiah 1-39. Ancient Christian Commentary on Scripture OT (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2004, p. 125).

تمثال الفرعون توت عنخ أمون



ختم لكوبرا فرعونية مجنّحة

Oxford University



ختمان من القرن الثامن قبل الميلاد
وفيهما الأفعى المجنحة(1)









(1) Robert Deutsch, 'Six Hebrew Fiscal Bullae from the Time of Hezekiah,' in New Inscriptions and Seals Relating to the Biblical World, eds., Meir Lubetski and Edith Lubetski (Atlanta, GA: Society of Biblical Literature, 2012), pp.64-65

المبحث الثاني: كائنات البحر الخرافية في الكتاب المقدس

البحر في كثير من الفكر الأسطوري أصل الكون، وصورة إله من الآلهة الكبرى الثائرة التي خاضت ملاحم كبرى للبقاء. كما تخبر هذه الأساطير عن كائنات بحرية شريرة تحكم العالم المائي بسلطان بطشها الشديد. وقد تسرّب جميع ذاك إلى أسفار العهد القديم التي تشرّبت تلك الروح الأسطوريّة، وأدخلتها في نسيج قصصها وعقائدها.

المثال الأول: الحيّة لوياثان

إشعياء 27/ 1:

فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ. (ترجمة الفاندايك). في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لاولاثان الحية الهاربة، ولاوياثان الحية الملتوية، ويقتل التنين الذي في البحر. (الترجمة اليسوعية). في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم المتين لوياثان الحية الهاربة المتلوية، ويقتل التنين الذي في البحر. (ترجمة الحياة).	ביום ההוא יפקד יהוה בחרבו הקשה והגדולה והחזקה, על לויתן נחש ברח, ועל לויתן, נחש עקל-תון; והרג את-התנין, אשר בים

المزمور 74/ 14:

أنت رضضت رؤوس **لوياثان**. جعلته طعاماً للشعب، لأهل البرية. (ترجمة الفاندايك). أنت هشمت رؤوس **لوياتان** وأعطيته للوحوش مأكلًا. (الترجمة اليسوعية). أنت مزقت رؤوس **فرعون** وجيشه، وجعلته قوتاً للحيوانات المتوحشة. (ترجمة الحياة).	**אתה רצצת, ראשי לויתן; תתננו מאכל, לעם לציים**

المزمور 104/ 26:

هناك تجري السفن. **لوياثان** هذا خلقته ليلعب فيه. (ترجمة الفاندايك). هناك تجري السفن و**لوياتان** الذي كونته لتسخر منه. (الترجمة اليسوعية). تجري فيه السفن تمرح فيه **الحيتان** التي خلقتها. (ترجمة الحياة).	**שם, אניות יהלכון; לויתן, זה-יצרת לשחק-בו**

أيوب 3/ 8:

ليلعنه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ التنين. (ترجمة الفاندايك). ليشتمه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ لاوياثان! (الترجمة اليسوعية). ليلعنه السحرة الحاذقون في إيقاظ التنين! (ترجمة الحياة).	**יקבהו אררי-יום; העתידים, ערר לויתן**

لماذا عُرّبت الكلمة العبريّة الواحدة לויתן [ل-و-ي-ت-ن] في الترجمة العربيّة الواحدة (ترجمة الحياة)، إلى: لوياثان وفرعون وحوت وتنين؟!

السبب: محاولة الهروب من الاعتراف بحقيقة هذا الحيوان الخرافي الذي جاء في وصفه في التلمود غرائب. ويتجلّى التحريف أساسًا في استعمال كلمة فرعون مكان لوياثان.

قبل الكشف عن الآثار الأوغاريتية، كان حديث العهد القديم عن اللوياثان ملغزًا، ومحلّ حيرة، حتى أُهدرت في محاولة فهمه جهود كبيرة، غير أنّ الكشوف الأركيولوجيّة رفعت الإغماض، وأبانت عن الأصل الأسطوري لقصة التنين[1].

وقد جاء في تفسير The Collegeville Bible commentary : «لوياثان: يشير عدد من المقاطع في الكتاب المقدس إلى معركة بين الله والوحش (يطلق عليه اسم التنين أو رهَبْ רַהַב، انظر إشعياء 51/ 9، أيوب 26/ 12). عادة ما تكون هذه المعركة في الماضي. لم يتم سرد قصة هذه المعركة في سفر التكوين أو سفر الخروج، ولم نتوصّل سوى مؤخرًا إلى فهم هذه الإشارة. تشتمل الأساطير الكنعانية (التي اكتشفت في أوغاريت في شمال سوريا في عام 1929) على قصة معركة بين الإله بعل والبحر. يرتبط البحر في الأساطير الكنعانية بوحوش تُدعى لوتان[2]، التنين، والثعبان المعوج. كل هذه الكائنات هي على الأرجح كائن واحد يُسمّى بأسماء مختلفة»[3].

وقد كشف المعجم اللاهوتي للعهد القديم الشهير Theological Dictionary of the Old Testament جانب الاقتباس الذي مارسه اليهود من الحضارة الكنعانيّة القديمة وخرافاتها، بقوله: «بإمكاننا أن نقول تلخيصًا لما سبق إنّ لوياثان جزء من

(1) John N. Oswalt, The Book of Isaiah, Chapters 1–39 (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1998), p.491

(2) لوياثان ولوتان تتضمنان الصوامت نفسها: حروف اللام والتاء والنون. وقد تحوّل صوت التاء إلى ثاء بسبب موقع الحرف من مقاطع الكلمة، مع بقاء أصل كتابته تاءً.

(3) D.Bergant & R. J. Karris, The Collegeville Bible commentary, p.430

فكـرة خرافيّة هدفها الأصلي تمجيد رب إسـرائيل المحارب. ورغـم أنّ العلاقة بين الحيّـة السـومريّة ذات الرؤوس السـبعة ولوياثـان الكنعاني تبقى غير مؤكـدة، إلا أنّ الشـواهد الواضحة قائمة علـى إثبات العلاقـة القريبة بين لوياثـان الكتاب المقدس ولوياثان الكنعاني الذي ورد في النصوص الكنعانيّة. وهما ينبعان من أصل واحد»[1].

أمّا الموسـوعة اليهوديّة Encyclopedia Judaica فتقـول إنّ لوياثان في الكتاب المقـدس في صـوره المختلفة «يمثل أعداء اللـه الخارقيـن (supernatural). هذه العداوة تعكس مباشـرة خرافة شـائعة في المصـادر ما قبل الكتابيّة حـول صراع بين الخالق الإلهي وقوى البحر، منذ بداية العالم»[2].

«قصـد الكتاب المقدس أيضًا بالتنين واللوياثان الإشـارة إلى الحيوانات التي قيل إنها ثـارت ضد الخالق (في الزمن القديم)، وقد دمّرها الخالق (مزمور 74/ 13–14، إشـعياء 51/ 10، أيوب 3/ 8، 7/ 12) مثل الأسـاطير الأوغاريتيّة التي تمت الإشـارة إليها سابقًا»[3].

وجـاء فـي هامش «الترجمـة العربية المشـتركة» تعليقًا على نص سـفر أيوب 3/ 8: «يلعنه اللاعنون كلّ يوم، الماهرون في إثارة لاوياثان»: «لاوياثان: حيوان أسطوري قيل إنّ السحرة قادرون على إثارته ليتسبّب بكسف الشمس[4].

(1) G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren, and Heinz-Josef Fabry, eds. Theological Dictionary of the Old Testament (Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 1995), 7/509

(2) Encyclopedia Judaica, 12/696

(3) Ibid., 12/697

(4) الترجمة العربية المشتركة (لبنان: دار الكتاب المقدس، 1993) ص 619.

لوحة ملحمة بعل التي تتحدث عن انتصار بعل على لوتان[1]



ولمـن أراد الاسـتفاضة في البيان حـول الكائنـات البحريّة الخرافيّـة في الكتاب المقدس وأصلها الكنعاني؛ فليقرأ كتاب «صراع الله مع التنين والبحر: أصداء أسطورة كنعانيّـة فـي العهـد القديـم» «God's conflict with the Dragon and the Sea: echoes of a Canaanite myth in the Old Testament» (1985) –أطروحـة دكتوراه– لأسـتاذ دراسـات العهد القديم في كليّة اللاهوت بجامعة أكسـفورد **جون داي**[2]؛ فـإنّ اسـتيعاب مـا قيل عن هذه الأسـطورة يحتاج مقامًا آخـر غير الذي نحن فيه[3].

ومن المهم في هذا السياق التنبيه أنّ قصّة صراع الآلهة مع وحوش البحر شائعة في الأساطير القديمة، ومنها الأوغاريتية كما علمت، وصراع الإله مردوخ في قصة الخلق الأكادية مع تِيامات آلهةَ البحر التي كانت على شكل تنين، والتي انتهت بانتصار الإله

(1) J. H.Walton, Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel, Daniel, 4/102

(2) جون داي (1948) John Day: أستاذ دراسات العهد القديم في كلية اللاهوت في جامعة أوكسفورد.

(3) من المراجع العلميّة الأخرى التي يحسن بالقارئ أن ينظر فيها: K. Wakemann, God's Battle With the Monster, A study in Biblical imagery (Leiden, 1973); J. H. Gronback, 'Baal's Battle with Yam, a canaanite creation fight,' Journal for the Study of the Old Testament 33, 1985: pp. 27- 44

مردوخ[1]. ويظهر الثعبان/ التنين صاحب الرؤوس السبعة على قشرة منحوتة من بلاد ما بين النهرين، في معركة مع آلهة[2].

صورة للحيّة لوياثان

عن مخطوطة فرنسية من القرن الثالث عشر[3]



זת לויתן

المثال الثاني: التنين

تثنية 32/ 33:

خَمْرُهُمْ حُمَةُ الثَّعَابِينِ وَسَمُّ الأَصْلاَلِ الْقَاتِلُ.	**חֲמַת תַּנִּינִם** יֵינָם וְרֹאשׁ פְּתָנִים אַכְזָר

(1) J. H. Walton, ed. Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary, 4/103

(2) J. A. Montgomery, Aramaic Incantation Texts from Nippur (Philadelphia: Univ. Museum, 1913), p.121

(3) Nosson Slifkin, Sacred Monsters, p.183

الأصـل العبري يضمّ مكان «حمة الثعابين» عبـارة «חֲמַת תַּנִּינִם» [حَمَة تَنِينيم] أي «سـم[1]/ غضب التنانين»؛ فالكلمة العبرية ليست «נחשים» [نحشيم]، وإنما هي أخرى بمعنى «تنانين».

مزامير 148/ 7:

سَـبِّحِي الـرَّبَّ مِـنَ الأَرْضِ، يَـا أَيَّتُهَـا التَّنَانِـينُ وَكُلَّ **اللُّجَـجِ**.	הַלְלוּ אֶת־יְהוָה מִן־הָאָרֶץ תַּנִּינִים וְכָל־**תְּהֹמוֹת**

«תְּהֹמוֹת» [تِهُموت] هنا تعني أعماق البحر، وعُربت: اللجج.

حزقيـال 29/ 3–6: «تَكَلَّـمْ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّـيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْـكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسْطِ أَنْهَارِهِ، الَّذِي قَالَ: نَهْرِي لِي، وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِـي. فَأَجْعَلُ خَزَائِمَ فِي فَكَّيْكَ وَأُلْزِقُ سَمَكَ أَنْهَارِكَ بِحَرْشَفِكَ، وَأُطْلِعُكَ مِنْ وَسْطِ أَنْهَارِكَ وَكُلُّ سَـمَكِ أَنْهَارِكَ مُلْزَقٌ بِحَرْشَـفِكَ. وَأَتْرُكُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَنْتَ وَجَمِيعَ سَـمَكِ أَنْهَـارِكَ. عَلَـى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْـقُطُ فَـلاَ تُجْمَعُ وَلاَ تُلَـمُّ. بَذَلْتُكَ طَعَامًـا لِوُحُوشِ الْبَرِّ وَلِطُيُورِ السَّـمَاءِ. وَيَعْلَمُ كُلُّ سُـكَّانِ مِصْرَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، مِنْ أَجْـلِ كَوْنِهِمْ عُكَّازَ قَصَبٍ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ».

نص حزقيال 29/ 3 يذكر كلمة «التنين» «הַתַּנִּים» [هتنيم][2] لا «التمساح» كما في الترجمة العربية. وقد التجأ المترجمون العرب وغيرهم إلى اسـتعمال كلمة «تمساح» هنا لأنّ التمسـاح هو أكبر الكائنات البحرية التي تعيش في نهر النيل، ولكنّ التماسيح لا تعيش في أعماق البحار أو الأنهار؛ فهي تتحرّك على السطح.

(1) سمٌ كما في كثير من التراجم الإنجليزية، وهو انحياز إلى غير الترجمة الحرفية.
(2) الهاء في العبرية أداة التعريف: «ال». وكلمة تنين في العبرية تنتهي بالنون وبالميم.

التنين في النصوص الســابقة هو الكائن البحري الخرافي الذي لا زلنا نســمع أخباره في التراث الشـعبي القديم. واســمه في التراث الأوغاريتي القديم (في ســوريا) «𐎚𐎐𐎐» [ت–ن–ن]. وهو وحش معروف فــي التراثين الكنعاني والفينيقي القديمين؛ فهو في التــراث الكنعاني الوحش الخــادم للإله البحر «يَم»، وقد انتصــرت عليه الآلهة أنات القائلة: «لقد ربطت فكّي التنين [ت–ن–ن]. لقد دمّرته»[1].

ويضطرب التراث اليهودي المتأخر في شــأن العلاقة بيــن اللوياثان والتنين، فمرّة يذهــب هذا التــراث إلى أنّهما واحــد، وفي أخرى يتــمّ التمييز بينهمــا، حتى جاء في مــدراش برقي دي ربــي إليعازر (الفصل الثامن): «كلّ التنانيــن الكبرى في البحر هي طعــام اللوياثان؟ يفتــح اللوياثان كلّ يوم فمــه، و«تنين البحر الكبير» يســبح ويتحرّك ليدخل فم اللوياثان»[2].



(1) N. Wyatt, Religious Texts from Ugarit, pp.368–369. (Cited in: J. H. Walton, ed. Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary, 5/ 262)

(2) Nosson Slifkin, Sacred Monsters, p.184

الفصل الخامس

علم النبات بين القرآن والكتاب المقدس

تمهيد: ثقافة علم النبات حتى عصر البعثة النبوية

يهتـم علـم النبـات Botany بالتعامـل مـع المملكـة النباتيـة، من ناحية الشـكل والتركيـب والوظيفـة. وهو باب عظيم من المعرفة، اهتم به الإنســان منذ طلب الكلأ ليعيـش. وكان التواصل الأول مع المملكة النباتية سـطحيًا، قائمًا على طلب المنفعة دون دراسة منهجيّة تصنيفية عميقة لما تُنبت الأرض.

وقد بدأت معرفتنا بتاريخ علم النبات مع الزمن الذي أدركنا فيه أنّ الإنسان «دجّن» كثيـرًا من النبـات والحيوان، بعيدًا عن البيئة المستوحشـة، وبدأ فـي الزراعة، غير أنّ علم النبات بالمعنى المعاصر -كما يُقال- لم يبدأ إلا مع تلميذ **أرسطو**؛ **ثيوفراستوس** -المسمّى بأبي علم النبات- في القرن الرابع قبل الميلاد، مستفيدًا من التراث اليوناني والمصري والهندي والصيني القديم.

لم يساهم الرومان لاحقًا بشيء كبير في علم النبات، بل إنّ العالم الموسوعي **بليني الكبير**[1] في مؤلّفه الضخم Naturalis Historia كان كثيرًا ما يحيل إلى **ثيوفراستوس** عند حديثه عن عالم النبات.

تزخـر نصوص القرآن وأسـفار الكتاب المقدس بأحاديث كثيـرة في الأرض وما تخرجه من نبات متعدد نوعه وأُكُله، وذلك لأسباب، منها:

- ظهور هذه الكتب أوّل مرّة في بيئات تعتني بنبات الأرض لقيامها على الحرث والزرع.
- الحديث عن بدء الخلق وظهور الحياة بخلق الإنسان ونبات الأرض.
- الإخبار عن ظاهرة زرع الأرض فيها تذكير للناس بعظمة الربّ ومِننه.
- عادة الأمم السـابقة ضرب الأمثال بما تُخرج الأرض مـن نبات لبيان طبائع الدنيا وتقلّب الزمان، أو طبائع الناس وأجناسهم...

---

(1) بليني الكبير (23–79) Pliny the Elder: عالم طبيعة وفيلسوف روماني.

وفـي العهد القديم إحـالات كثيرة إلى نبات الأرض، خاصة في الكتب الخمسـة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. ولعل أهم ما يُشكل في شأنها صعوبة التعرّف على عدد منها اليوم لأنّها من خصائص الشرق أو لغموض أسمائها. كما يُشكل أمر معرفة النبات في العهد القديم لكثرة استعمال المجاز في السياقات التي تخبر عنه[1].

لم يكـن علم النبات التوراتي من آثـار الحضارات القديمة المتطـوّرة، وإنّما كان مظهرًا للعقل العملي الذي لا يهتم بالدراسة النظريّة أو النسَقية لعالم النبات. وكذلك كان حال بقيّة كُتّاب أسفار الكتاب المقدس.

وأمّا في مكّة والمدينة؛ فقد كان همّ الزراعة والحرث الشغل الأكبر للعقل العربي. وكانت العناية بالنبات «الطبيّ» مقرونة بخرافات العقل الوثني، والتصوّر الأسـطوري لأثر النبات في رضا الآلهة.

(1) Henry R. Moeller, 'Book Review: Two Books on Bible Botany Plants of the Bible', The Bible Translator, January 1, 1959 , Volume: 10 issue: 1, pp.43-47

المبحث الأول: الكتاب المقدس في مواجهة حقائق العلم

حديث الكتاب المقدس في أمر النبات واسع، لكنه وصفٌ ظاهري سريع لا يفيد القارئ شيئًا ذا بال. وقد استُدرك على الكتاب المقدس -مع ذلك- بعض الخبر أو الوصف العلمي في هذا الباب، نذكر منه مثالين:

المثال الأول: الإنسان النباتي

تكوين 1/ 29

وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا.	וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים הִנֵּה נָתַתִּי לָכֶם אֶת־כָּל־עֵשֶׂב ׀ זֹרֵעַ זֶרַע אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי כָל־הָאָרֶץ וְאֶת־כָּל־הָעֵץ אֲשֶׁר־בּוֹ פְרִי־עֵץ זֹרֵעַ זָרַע לָכֶם יִהְיֶה לְאָכְלָה

نص تكوين 1/ 29 مشكل علميًا من جهتين:

أولًا: ليست كلّ ثمار الشجر تصلح للأكل؛ إذ منها الضارُّ والسامُّ.

ثانيًا: قال **أوريجانوس** -أحد آباء الكنيسة-: «يشير المعنى التاريخي -على الأقل- لهذه الجملة بوضوح إلى أنّ الله سمح في الأصل باستخدام النبات طعامًا، أي الخضراوات وثمار الأشجار، فيما لم تُعطِ إمكانية أكل اللحم للناس إلا بصورة

متأخرة عندما أُبرم عهد مع نوح بعد الطوفان»[1].

ومـا قـرّره **أريجانوس** كرره مفسـرون كثـر [2]، وصّـرح به هامـش ترجمة New American Bible بقولـه: «وفقًـا للتقاليـد الكهنوتية، كان الهـدف أن يعيش الجنس البشري في الأصل على النباتات والثمار، كما هو حال الحيوانات». وقد استدل عدد من النقاد لذيوع هذا المعنى بنصوص أخرى منها أنّ الأسود ستأكل التبن مع البقر في آخر الزمان، دلالة على أنّ ذلك هو أصل الخلق (إشـعياء 11/ 7، 65/ 25)[3]، والعلم لا يشهد للطبيعة النباتية الأولى للإنسان.

المثال الثاني: حبّة الخردل أصغر البذور

مرقس 4/ 31–32

مِثْـلِ **حَبَّـةِ خَـرْدَل**، مَتَـى زُرِعَـتْ فِي الأَرْضِ فَهِـيَ **أَصْغَـرُ جَمِيعِ الْبُـزُورِ الَّتِـي عَلَى الأَرْضِ**. وَلكِـنْ مَتَـى زُرِعَـتْ تَطْلُعُ وَتَصِـيرُ أَكْـبَرَ جَمِيـعِ الْبُقُـولِ، وَتَصْنَـعُ أَغْصَانًـا كَبِـيرَةً، حَتَّـى تَسْـتَطِيعَ طُيُـورُ السَّـمَاءِ أَنْ تَتَـآوَى تَحْـتَ ظِلِّهَـا.	ὡς κόκκῳ σινάπεως, ὃς ὅταν σπαρῇ ἐπὶ τῆς γῆς, μικρότερον ὂν πάντων τῶν σπερμάτων τῶν ἐπὶ τῆς γῆς καὶ ὅταν σπαρῇ, ἀναβαίνει καὶ γίνεται μεῖζον πάντων τῶν λαχάνων καὶ ποιεῖ κλάδους μεγάλους, ὥστε δύνασθαι ὑπὸ τὴν σκιὰν αὐτοῦ τὰ πετεινὰ τοῦ οὐρανοῦ κατασκηνοῦν.

(1) Origen, Homilies on Genesis 1.17

(2) E. D. Radmacher, R. B.Allen & H. W. House, Nelson's new illustrated Bible commentary (Nashville: T. Nelson Publishers, 1999), (Ge 1:29)

(3) G. J. Wenham, Genesis 1-15, p.33

متى 13/ 31–32:

Ἄλλην παραβολὴν παρέθηκεν αὐτοῖς λέγων· ὁμοία ἐστὶν ἡ βασιλεία τῶν οὐρανῶν κόκκῳ σινάπεως, ὃν λαβὼν ἄνθρωπος ἔσπειρεν ἐν τῷ ἀγρῷ αὐτοῦ· ὃ μικρότερον μέν ἐστιν πάντων τῶν σπερμάτων, ὅταν δὲ αὐξηθῇ μεῖζον τῶν λαχάνων ἐστὶν καὶ γίνεται δένδρον, ὥστε ἐλθεῖν τὰ πετεινὰ τοῦ οὐρανοῦ καὶ κατασκηνοῦν ἐν τοῖς κλάδοις αὐτοῦ.	قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قَائِلاً: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ **حَبَّةَ خَرْدَل** أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ **أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ**. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا».

لوقا 13/ 19:

ὁμοία ἐστὶν κόκκῳ σινάπεως, ὃν λαβὼν ἄνθρωπος ἔβαλεν εἰς κῆπον ἑαυτοῦ, καὶ ηὔξησεν καὶ ἐγένετο εἰς δένδρον, καὶ τὰ πετεινὰ τοῦ οὐρανοῦ κατεσκήνωσεν ἐν τοῖς κλάδοις αὐτοῦ.	يُشْبِهُ **حَبَّةَ خَرْدَل** أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ، فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً، وَتَآوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا.

بعيـدًا عن سـوء تركيـب الجانب النحوي في الأصـل اليوناني فـي إنجيل مرقس باستعمال الجنس الخطأ في الحديث عن الخردل[1]، يقول الناقد **روبرت غوليتش**[2]: «تُنازع معارفنا في علم النبات بصورة شـرعية هذا الزعم»[3]. وداعي ما قرره **غوليتش** هنا أنّ الاتفـاق حاصل بين علماء النبات والمفسـرين المعاصرين أنّ بذور الأوركيد orchid أصغر من بذور الخردل[4].

وقد شعر مؤلّف إنجيل لوقا بخطأ مؤلف إنجيل مرقس فحذف «فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ» من روايته، في حين اختار مؤلّف إنجيل متّى أن يخفّف من حدّة المبالغة، فحذف عبارة: «على الأرض» « ἐπὶ τῆς γῆς» لتكون العبارة محتملة لحديث عن صغر هذا البزر بين بزور أخرى لا كلّ البزور.

ثم إنّ حبّة الخردل لا تتحوّل إلى شجرة وإنما تتحول إلى «شجيرة»؛ إذ هي تتحوّل فـي ظـل ظروف جيّدة إلى نبتة طولهـا 3 أمتار، لكنّها لا تصير أبدًا شـجرة tree وإنما تتحـول إلى «جنبة/ شـجيرة» «shrub»؛ ولذلك قال الناقد **برنارد برندون سـكوت**[5] بعد أن ناقش الأمر: «إذن يبدو بوضوح أنّ كلمة «شجرة» خطأ»[6]. وردّ أمر هذا الخطأ إلى أنّ الجنبة لا توافق الغرض من المثَل الذي سـاقه المسـيح، ولذلك غيَّر الأمر إلى «شجرة».

وأخيـرًا، لا بـدّ من تنبيه القـارئ العربـي أنّ اللاهوتـي الإنجيلي **دانيـال فولر** قد أثـار زوبعة بيـن الإنجيلييـن الأمريكيين عندما نشـر مقالته في نقد مفهـوم اللاهوتي

---

(1) J. Marcus, Mark 1-8: A new translation with introduction and commentary (New Haven; London: Yale University Press, 2008), p.323

(2) روبرت أ. غوليتش (1939-1991 Robert A. Guelich): أستاذ العهد الجديد في Fuller Theological Seminary.

(3) R. A. Guelich, Mark 1-8:26, p.249

(4) J. Marcus, Mark 1-8, p.323

(5) برنارد برندون سكوت (Bernard Brandon Scott(1941 : ناقد أمريكي غزير التأليف متخصص في دراسات العهد الجديد.

(6) Bernard Brandon Scott, Hear Then the Parable: A Commentary on the Parables of Jesus (Fortress Press, 1989), p.377

بنياميـن وارفيلـد[1] لعصمة الكتاب المقدس من الخطأ. ومن أهـمّ ما تضمّنته المقالة الاستدلال بخطأ حبّة الخردل في إنجيل مرقس للقول إنّ المسيح كان يخاطب الناس بلغة عصرهم، وإن كانت فاسدة علميًا؛ فقال: «على الرغم من أن بذور الخردل ليست في الحقيقة الأصغر من جميع البذور، إلا أنّ يسـوع أشـار إليها على هذه الصورة لأنّ العقل اليهودي زمن يسـوع -كما هو موضّح في عدة فقرات من التلمود - كان يعتقد أنّ بذور الخردل أصغر شـيء يمكن للعين ملاحظته»[2]. وكان ذاك الموقف من **فولر** بداية شـرخ كبير بين الإنجيليين المعروفين بتقديسـهم للأسـفار المقدسـة، وقولهم بعصمتها من الزلل.

---

(1) بنيامين وارفيلد (Benjamin Warfield (1851-1921: لاهوتي أمريكي شـهير. رَأَس المدرسـة اللاهوتية المعروفة Princeton Theological Seminary.

(2) Daniel P. Fuller, 'Benjamin B. Warfield's View of Faith and History', Bulletin of the Evangelical Theological Society, Vol. 11, No.2 (Spring, 1968), pp. 81 -82
<https://www.etsjets.org/files/JETS-PDFs/11/11-2/BETS_11_2_75-83_Fuller.pdf >

المبحث الثاني: هل في القرآن أخطاء في علم النبات؟

تكـرّر الإخبار عـن النبات في القرآن بغـرض بيان عظيم قدرة الله التي تسـتدعي التمجيد عند النظر في ما يحيط بنا من جميل الخلق، وبيان عظيم المنّة عند التفكّر في النعم التي أكرم بها المولى سبحانه الإنسان. ولا يكاد يُعرف للنصارى والملاحدة غير الخبرين التاليين في استنكار الحديث القرآني عن النبات، تصريحًا أو تضمينًا.

الاعتراض الأول: هل يموت الحَب ليُرزق الحياة؟

جاء في القرآن: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ١٩﴾ [الـروم:19]، وذاك يشـير إلى أنّ القرآن يقـرّر أنّ الحبّ ميت قبل أن تظهر فيه الحياة بعد زراعته وإنباته. وهو أمر مخالف للعلم الذي يشهد أنّ هذا الحب كان حيًا قبل أن ينبت في الأرض.

الجواب:

أولًا: النص القرآني يفسّـر نفسه واصطلاحاته. وكلمتا «ميت» و«حي» في الآية لا تسـتعملان بمعنى الحياة بالتعريف العلمي المعاصر، وإنما بمعنى ظهور الحركة، ألا تـرى أنّ تتمّة الآية تقـول: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، والأرض ميتة بعد ظهور النبات بالتعريـف العلمـي، والجميع على أنّها مـن الجمادات -بالاصطـلاح المعاصر- لا الأحياء.

ويُبنـى على ما سـبق أنّ معنى المـوت المتعلّق بحَبّ الأرض، هـو أنّ هذا الحَبّ هامد لا تبصر العين المجرّدة فيه تحوّلًا من حال أدنى إلى آخر أعلى؛ حتى إذا ووري في التراب، دبّت فيه روح الحياة؛ بالنمو..

يقول الشيخ **محمد أبو زهرة**: «إخراج الله الحيّ من الميت قال بعض العلماء وهم الأكثرون: إنه إخراج الجسم النامي الذي يسير في مدارج الحياة، من الجسم الجاف الذي لَا تبدو فيه حياة، كإخراج الشجرة من النواة، والعود من البذرة؛ وإخراجُ الميت من الحي هو أيضاً إخراج النواة الصلبة من الجسم الحيّ النامي، وإخراج البذرة الجافة من العود الحي الرطب، وقد يعترض على ذلك بأن النواة الجافة والبذرة الصلبة فيها حياة تولدت عنها تلك الحياة المحسوسة للنبات، وكذلك النطفة التي تبدو سائلًا ليس فيه حياة فيها أحياء تتوالد فتكون ذلك الحيوان المحسوس، وقد يجاب عن ذلك بأن ذلك اصطلاح علمي، وإن الحياة التي تعرفها اللغة مظهر ذلك النماء المتدرج المستمر، وفى الحق أن إخراج الحيّ من الميت أمر محسوس مرئي كل يوم؛ فإن تلك الشجرة أو ذلك العود النامي يتغذى من الهواء والضوء والماء والتراب، وكلها جماد لا حياة فيها، وما يتم التحول المتدرج في الحياة إلا بتلك العناصر التي هي غذاء الحي، فهي إخراج الحي من الميت، وليس المراد من الميت من كانت به حياة ثم انتهت، إنما الظاهر من كلمة الميت هو ما لَا حياة فيه؛ وإن إخراج الميت من الحي أمر واضح لَا مجال للشك فيه؛ فهذا العود الأخضر يصير حطاماً، وهذا الجسم الحيواني يتحلل فيكون رميماً ثم يكون تراباً، وعلى هذا نقول: إن إخراج الحي من الميت ليس فلْق النوى بإخراج النبات والشجر منه فقط، بل بهذا وبتدرج الحياة، وإدخال عناصر الغذاء التي تكون الحي وأكثرها من جماد؛ ولذا قال سبحانه في آية أخرى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٩٥﴾ [الأنعام:95]».

ثانيًا: جاء في إنجيل يوحنا 12/ 24: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ». وهو نص لا يوافق العلم الحديث؛ وإنّما يصف انفلاق الحبّة بأنّه موت لها، جريًا على الظاهر.

الاعتراض الثاني: هل يتنفّس الصبح؟

يقول القرآن: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [التكوير: 17-18]. ومعلوم أنّ الصبح لا يتنفّس، وإنما الكائنات الحية هي التي تتنفّس!

الجواب:

أثارت كلمة «تنفّس» في سورة التكوير حيرة المفسّرين؛ إذ لم يجدوا لمعنى التنفّس في الآية دلالة حقيقيّة توافق ظاهر اللفظ، فاختاروا لها معنى يوافق السياق؛ فقال **الزمخشري**: «فإن قلت: ما معنى تنفّس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح: أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسًا له على المجاز»[1]، وفي عبارته استشكال لظاهر اللفظ، ولذلك نقل الكلام إلى المجاز.

والقاعدة في تفسير الكلام العربي حملُ اللفظ على ظاهره ما أمكن ذلك؛ عملًا بقاعدة: «الأصل في الكلام الحقيقة»[2]، ولكنّ ذلك متعذّر في ضوء ثقافة العصر. قال **ابن عاشور**: «وَالتَّنَفُّسُ: حَقِيقَتُهُ خُرُوجُ النَّفَسِ مِنَ الْحَيَوَانِ، اسْتُعِيرَ لِظُهُورِ الضِّيَاءِ مَعَ بَقَايَا الظَّلَام عَلَى تَشْبِيهِ خُرُوجِ الضِّيَاءِ بِخُرُوجِ النَّفَسِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ الْمُصَرِّحَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ إِذَا بَدَا الصَّبَاحُ أَقْبَلَ مَعَهُ نَسِيمٌ فَجُعِلَ ذَلِكَ كَالتَّنَفُّسِ لَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَكْنِيَّةِ بِتَشْبِيهِ الصُّبْحِ بِذِي نَفَسٍ مَعَ تَشْبِيهِ النَّسِيمِ بِالْأَنْفَاسِ»[3].

ونحن اليوم بإمكاننا - علميًا - أن نحمل كلمة «تنفس» على ظاهرها. تقول **د. هدى العباد**[4]: «وفي هذه الآية بيّن الحق تعالى أنّ الصبح يتنفّس مع بداية ظهور الشمس في الأفق فكأنّ للصبح رئة كبيرة تتنفّس عن طريق إدخال الهواء الغني بالأكسجين (عملية الشهيق) حيث تقوم الرئة بامتصاص الأكسجين وطرح ثاني أكسيد الكربون عن طريق عملية الزفير. ولكي تستمر الحياة على سطح الكرة الأرضيّة لا بدّ أن تستمر هذه العملية الفسيولوجية...

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)، 4/ 711.

(2) السيوطي، الأشباه والنظائر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م)، 62-76.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 154.

(4) د. هدى بنت عبد الله بن عيسى العباد: أستاذ الجغرافيا المناخية المساعد بكلية الآداب بالرياض، وكالة كليات البنات.

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالصبح مما يدل على عظم وقت الصباح كما أنّ المواد اللازمة لعملية التنفّس لا توجد في الهواء إلا خلال هذا الوقت مما يدل على حكمة الخالق سبحانه وعظيم شأنه.

وتتنفّس الكائنات الحية طوال الليل والنهار سواء في اليقظة أو المنام وهي عملية لازمة لاستمرار حياة الكائن الحي، أما كيف تتم عملية تنفس الصبح فلا بد أن نشير إلى أنّ ثمّة تغيرات كبيرة تحدث بين هواء الليل والنهار سواء في درجة الحرارة أو الضغط الجوي للهواء أو حركة الهواء الرأسية أو الأفقية على سطح الأرض.

فالنهار عندما يتنفس فإنه يتنفّس مكونات الهواء الذي يطلق عليه الغلاف الجوي أو الهوائي الذي يحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات.

وفي أثناء النهار وبعد شروق الشمس ترسل الشمس أشعتها التي تتعرض أثناء مرورها في الغلاف الجوي للأرض لعدة عمليات قبل أن تصل إلى سطح الأرض وهذه العمليات تتمثل في عملية الامتصاص، والتشتت والانعكاس من قبل مكونات الغلاف الجوي. ويفقد عند نزوله جزءًا كبيرًا يصل إلى 34٪ من الإشعاع الشمسي ولا يسقط إلا 66٪ من جملة الإشعاع الشمسي الساقط.

وحيث إنّ الأرض تمتص الإشعاع الشمسي وتحوله إلى حرارة فإن سطح الأرض يعد في حد ذاته جسمًا مشعًا، فتنتقل الحرارة من سطح الأرض إلى الهواء الملامس لسطح الأرض عن طريق عملية التوصيل الحراري فيسخن الهواء ويتمدد ويتكون عليه ضغط منخفض فترتفع تيارات هوائية إلى أعلى وتعرف هذه العملية باسم التيارات الحرارية الصاعدة أو تيارات الحمل...

وهنا نشير إلى الإعجاز العلمي حيث يحدث في بداية ظهور الشمس في الأفق وهو ما يُسمّى بالصبح أو الصباح أو النهار كما ورد في تفسير المفسرين وآرائهم حول عملية تنفّس الصبح؛ فالصبح عندما يتنفّس فإنّه يتنفّس الهواء البارد الهابط النقي (الشهيق)، ويدفع بالهواء الدافئ الملوّث نتيجة لاستقراره طوال الليل قريبًا من

سطح الأرض (الزفير) وما يحمله من ثاني أكسيد الكربون الناتج عن عمليات تنفّس الكائنات الحيّة على وجه العموم.

وهذا ما يحدث تمامًا في عمليّة تنفّس الكائنات الحيّة لأنّ الهواء الذي يدخل عن طريق عملية الشهيق يكون باردًا نسبيًا والهواء الخارج عن طريق عملية الزفير يكون هواءً حارًا اكتسب حرارته من الجسم. هذا الهواء عندما يخرج يتمدّد ويرتفع إلى أعلى ثم يهبط هواءً باردًا ثقيلًا، وهكذا دواليك.

وكما أنّ عمليّة التنفّس الفسيولوجيّة لازمة لاستمرار حياة الكائنات الحيّة على وجه الأرض، فإنّ عمليّة تنفّس الصبح أيضًا ضرورية لاستمرار حياة هذه الكائنات الحيّة لأنّها تسحب الهواء النقي البارد إلى سطح الأرض وتدفع بالهواء الملوّث الدافئ إلى أعلى وتنشره وتفرّقه على مساحات واسعة»[1].

مقال في موقع National Geographic الشهير

«للأرض رئات، انظر إليها وهي تتنفّس»[2]

NATIONAL GEOGRAPHIC

SCIENCE & INNOVATION | CURIOUSLY KRULWICH

The Earth Has Lungs. Watch Them Breathe.

4 MINUTE READ

BY ROBERT KRULWICH

PUBLISHED MARCH 9, 2016

What a difference a leaf makes! Well, not one leaf. We have 3.1 trillion trees on our planet—that's 422 trees per person. If we count all the leaves on all those trees and take a look at what they do collectively to the air around us, the effect—and I do not exaggerate—is stunning. I've got a video from NASA.

---

(1) د. هدى بنت عبد الله بن عيسى العباد، دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح والتغيرات المناخية المصاحبة، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت 1427هـ – 2006م.
<http://www.eajaz.org/download.php?f=research_133.pdf&fc=دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح والتغيرات المناخية المصاحبة.pdf>

(2) <https://www.nationalgeographic.com/science/phenomena/2016/03/09/the-earth-has-lungs-watch-them-breathe/>

الفصل السادس
أخطاء وخوارق متنوعة

المبحث الأول: الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية

كانت الثقافة العلمية زمن البعثة -كما علمتَ- بسيطة في جلّ أمرها، تفسّر الأمر بالأساطير الشائقة، أو بالمبالغات المفرطة. وفي مثل تلك البيئة تكثر أخطاء التفسير العلمي، ويشطّ أهلها غاية الشطط.

ولا ينفي ذاك وجود رصيد من التفسيرات العلميّة الصائبة للأحداث الطبيعية، ولكنّ تلك التفسيرات يعيبها في كثير من الأحيان اختلاطها بتفسيرات أخرى ساذجة أو أسطوريّة؛ فلا يكاد يخلو باب من التفسيرات التي أبدع فيه العقل العلمي، إلا وجمع إلى ذلك تفسيرات أخرى منكرة. ثمّ إنّ الجو العلمي المهموم بالصواب المادي كان نخبويًا، وأمّا عامة الناس فكان يغلب عليهم في أفضل حالهم هم النجاح العملي لطلب الشفاء والتعاطي مع ظواهر الطبيعة دون كبير قلق لفهم الظاهرة على حقيقتها.

في ذاك الجو العلمي تنكشف ضرورة المقولات المتأثرة بثقافة العصر، ورسالة السماء المبرّأة من كدر الخطأ.

المبحث الثاني: سفينة نوح في التوراة وحقائق العلم

قائمة أخطاء الكتاب المقدس أوسع ممّا سبق سرده، فهي تكاد تظهر في كلّ نوع من أنواع أخبار هذه الأسفار، وذلك يعود عامة إلى هوى المبالغة أو الاقتباس من أساطير الأولين. وهذا مثال إضافي متعلّق بسفينة نوح.

جاء وصف مركب نوح في القرآن عند الطوفان أنّه «فلك»: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾[1]، والفلك اسم مركب يونس عليه السلام أيضًا: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾[2]، بل هو وصف عامة ما يركبه الناس في البحر: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾[3].

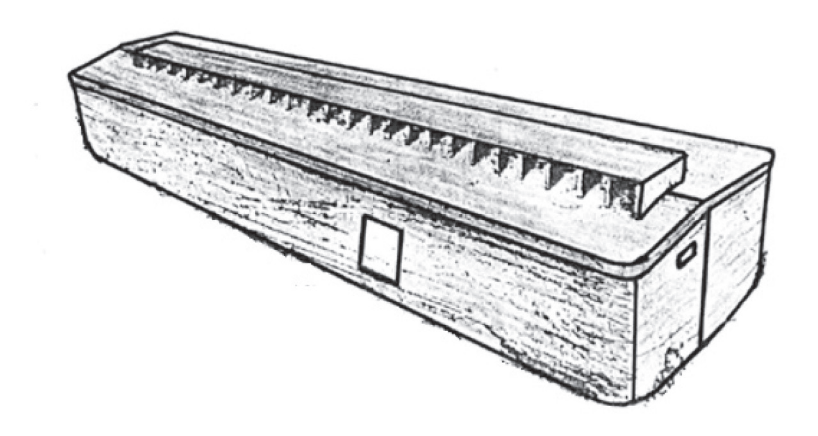
كلمة «فلك»، من الجذر الثلاثي (ف ل ك)، وقد سُميت بذلك لاستدارة جانبي السفينة. وقد جاء في مادة (ف ل ك) في «لسان العرب»: «وفلك كل شيء: مستداره ومعظمه . وفلك البحر : موجه المستدير المتردد . وفي حديث عبد الله بن مسعود : أن رجلًا أتى رجلًا وهو جالس عنده فقال : إني تركت فرسك كأنه يدور في فلك». وطبيعة السفينة بالتقاء جانبيها في المقدمة والمؤخّرة هي التي تجعلها قادرة على الاستواء على الماء، ثم اختراقه.

وجاء في الموسوعة اليهودية: «كان تصور محمد لسفينة نوح أنّها سفينة عادية. ويشير إليها كثيرًا في الحديث عن نوح، باستثناء مرتين، باستخدام كلمة «فلك»،

(1) [الشعراء:119].
(2) [الصافات:139-140].
(3) [البقرة:164].

وهي الكلمة المعتادة التي يستعملها في حديثه الآخر دلالة على السفينة. في مقطع واحد (سورة القمر، الآية 13) سماها «ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ»؛ وفي موضع آخر (سورة العنكبوت، الآية 15)، سمّاها «سفينة»، وهي الكلمة التي يستخدمها أيضًا في حديثه الآخر بمعنى السفينة»[1].

وقد خالف القرآن ما جاء في التوراة بوصفه سفينة نوح أنها «فلك»؛ إذ صوّرت التوراة مركب نوح أنّه على شكل صندوق مستطيل، أبعاده بالمقاييس الحديثة، تقريبًا: 137م طول، 22م عرض، 13م ارتفاع.



الكلمة العبرية المستعملة لفلك نوح في التوراة هي: תֵּבָה [تِيبا] (تكوين 6/ 14، 9/ 18). وقد استُعملت الكلمة نفسها في سفر الخروج 2/ 3، 5 في قصّة وضع موسى عليه السلام في صندوق صغير في النهر. والكلمة في «الترجمة المشتركة»: «سلّة»، وفي ترجمة الحياة: «سفط». والراجح – كما يقول النقاد – أنّ الكلمة مأخوذة من الهيروغليفية، من «تابوت»[2]. ومعلوم أن التابوت على شكل صندوق. ولذلك

(1) Art. 'Ark of Noah', Jewish Encyclopedia, 2/112

(2) G. J. Wenham, Genesis 1-15, p.172

ترجم **ويليام ويلسـون**[1] في معجمه لألفاظ العهـد القديم كلمة תֵּבָה [تِيبا] : «حرفيًا صندوق»[2].

وقـد قال الناقد **ناحوم سـارنا** في تفسـيره لسـفر التكوين تعليقًا علـى كلمة תֵּבָה [تِيبا]: «تتكرّر هذه الكلمة الرئيسـة سـبع مرات هنا في تعليماتِ بناء التابوت، وسـبع مرات أخرى مع تغوّر المياه في 8/ 1–14. ومع ذلك، فإنّ كلمة تِيبا، بمعنى السـفينة، تظهر مرة أخرى في الكتاب المقدس فقط فيما يتعلق بنجاة الطفل موسـى، في سـفر الخروج 2/ 3–5. وتشـير هذه الكلمة إلى صنـدوق [boxlike craft] مصنوع ليطفو على الماء دون دفة أو شراع أو أي مساعدات ملاحية أخرى»[3].

الإشـكال العلمي في ما ذكرته التوراة هو في أنّ السـفينة التي على شكل صندوق لا يمكن أن تستقر على الماء الهائج، ولا بدّ أن تغرق بفعل الأمواج العاتية بأن تتقلّب على وجهها وقفاها مرارًا.

وقد وافقت التوراة الأسـطورة البابلية في وصفها للسفينة أنّها على شكل صندوق مكوّن من طوابق؛ فسـفينة الطوفان البابلي مكعّبة الشكل؛ 120 ذراعًا من كلّ جهة[4]، وسفينة نوح مربّعة الشكل، وكلٌّ منهما لا يمكن أن يعبر فوق المياه.

وقـد أدرك عدد من العلماء النصارى إشـكالية شـكل السـفينة؛ فاعترفوا بعجزها عـن الطفـو الآمـن، ومـن هـؤلاء أصحـاب كتـاب The IVP Bible Background Commentary[5].

---

(1) ويليام ويلسون (1783–1873) William Wilson: قسيس وناقد كتابي بريطاني. أستاذ في Queen's College.

(2) "strictly a box, chest", William Wilson, Wilson's Old Testament Word Studies (VA: MacDonald Publishing Co., Mc), p.20

(3) N. M. Sarna, Genesis. English and Hebrew; commentary in English, p.52

(4) G. J. Wenham, Genesis 1-15, p.172

(5) V. H. Matthews, The IVP Bible background commentary, Old Testament, p.37

المبحث الثالث: هل أخطأ القرآن في نسبته التفكير إلى القلب؟

يقول المعترض: يشترك القرآن مع التوراة في نسبة الوعي إلى القلب: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:46]. وعلى ذلك كان إجماع الحضارات السابقة في أنّ الدماغ لا علاقة له بالتفكير، وأنّ القلب هو المصدر الوحيد للتفكير. وذاك خطأ علميًا.

الجواب:

أولًا: لم تُجمع الحضارات القديمة على أنه لا علاقة للدماغ بالتفكير؛ فهذا **جالينوس** الذي يزعم النصارى أنّه مصدر الخبر الطبي والتشريحي في القرآن يقول إنّ الدماغ هو مصدر التفكير[1]. وكان **ديموقريطوس** في القرن الرابع قبل الميلاد قد قرّر المذهب نفسه[2]، وهو أيضًا اختيار **أفلاطون وأبقراط**[3]. ويشهد **جون بيير شونجو** أنّ التراث اليوناني بقي وفيًا للفهم الأبقراطي لعلاقة العقل بالدماغ[4]. كما أنّ العرب كانت تقول للرجل العاقل: وافر الدماغ، وللرجل ضعيف العقل: خفيف الدماغ.

ثانيًا: نَسَبَ القرآن إلى الدماغ اتّخاذ القرار. قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [العلق:15-16]. فالناصية كاذبة لأنّها تصدر القرارات، وفيها يقع الفص الجبهي frontal lobe –الموجود وراء العظم الجبهي frontal bone– المسؤول عن القرارات. وذاك برهان أنّ القرآن لا يقصر التفكير على القلب، وإنّما يجعله مشتركًا بين القلب والدماغ.

(1) F.R. Freemon, 'Galen's ideas on neurological function', J Hist Neurosci. 1994 Oct;3(4):263-71

(2) Jean-Pierre Changeux, Neuronal Man: The Biology of Mind (N.J.: Princeton University Press, cop. 1997), p.5

(3) Ibid

(4) المصدر السابق، ص 6.

ثالثًا: نَسبت الأسفار المقدسة لليهود والنصارى التفكير إلى الكبد أيضًا؛ فالكبد هو مصدر الوعي والشعور والجانب الأخلاقي في الإنسان[1]. وسبب ربط الكبد بالوعي ربط الأمم السابقة الدم بالحياة[2]، ومعلوم كثرة الدماء في الكبد؛ إذ هو العضو الذي يصفّيها.

كما نُسب الفكر في الكتاب المقدس إلى الكلى. وقد جاء في مزمور 16/ 7: «أُبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضًا بِاللَّيْلِ **تُنْذِرُنِي كُلْيَتَايَ**». وجاء في مزمور 7/ 9: «لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ. فَإِنَّ **فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى** اللهُ الْبَارُّ». ونقرأ في سفر الرؤيا 2/ 23: «وَأَوْلاَدُهَا أَقْتُلُهُمْ بِالْمَوْتِ. فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ **الْفَاحِصُ الْكُلَى** وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ».

كما نقرأ في التلمود: «علّم أحبارنا أنّ للرجل كِليتين، واحدة تحرّضه على الخير، والأخرى تحرّض على الشرّ. ومن الطبيعي تصوّر أنّ الكلية الجيّدة منهما هي التي في الجهة اليمنى، وأنّ السيّئة في شماله»[3].

رابعًا: أثبت العلم أنّ القلب ليس مجرّد مضغة دم، وإنّما هو دماغ صغير يشارك في التأثير على قناعات الإنسان ومشاعره. وعلى هذا الأمر شواهد ماديّة كثيرة، ومباشرة، أهمها ظاهرة انتقال الطباع الشخصية والميول الفكرية والنفسيّة إلى من تُنقل إليهم قلوب المتبرّعين، مثل قصة رجل متديّن نُقل إليه قلب شخص مات منتحرًا، وانتهى به الأمر بعد أن تعرّف على زوجة المنتحر أن تزوّجها، ثم انتحر بطريقة المتبرّع نفسها بعدما صار ملحدًا[4]، أو قصّة المرأة التي نقل إليها قلب شاب، وبعد العملية

(1) Kopple J.D., The Biblical View of the Kidney, Am J Nephrol 1994;14:279–281 <https://www.karger.com/Article/Pdf/168735>

(2) The Encyclopaedia Britannica, (New York: Encyclopaedia Britannica, 1911), 19/102

(3) Babylonian Talmud, Berachot 61a

(4) Paul Thompson, Man given heart of suicide victim marries donor's widow and then kills himself in exactly the same way <http://www.dailymail.co.uk/news/article-557864/Man-given-heart-suicide-victim-marries-do-nors-widow-kills-exactly-way.html>

الجراحيــة، تحوّلت عاداتها اليومية بصورة كبيرة، فأصبحت تحب شـرب البيرة التي لم تكن تشـربها، وتميل إلى حب النسـاء، ثم بدأت ترى أحلامًا فيها شاب اسمه تيم، فأحبته، وشـعرت أنها سـتكون معه إلى الأبد. ولما بحثت عن اسم المتبرع، اكتشفت أنّ اسمه تيم. وقد نشرت قصتها في كتاب باسم «تحوّل قلب: مذكرات»[1].

وقد اهتم **أندروج. أرمور** -مؤسس علم الأعصاب القلبية- بتتبّع الأعمال الوظيفية للقلب، وانتهى إلى تسـمية القلب «بالعقل الصغير»؛ إذ إنه يضم شـبكة عصبيّة كتلك التي في الدماغ، من جنسها نفسه، ويقوم بعامة الوظائف التي يقوم بها الدماغ[2]، وهو مـا أكّده عالم النفس **بول بيرسـال**[3] في كتابـه «The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy»، بتأكيـده أنّ القلـب عضـو يفكّر، ويتفاعل شـعوريًا، ويتذكّر، ويتواصل مع بقيّة أعضاء البدن، وذكر في الكتاب قصص من نُقلت إليهم قلوب من أشخاص آخرين؛ فتغيّر تفكيرهم وعاداتهم[4].

وتقـول الباحثة في علم النفس **دبوره روزمان** في مقـال بعنوان «دع قلبك يتحدّث إلى دماغك»: «من الرائع حقًا أنّ القلب يحتوي على دماغ صغير في حدّ ذاته. نعم، إنّ قلب الإنسـان -بالإضافة إلى وظائفه الأخرى- يمتلك فـي الواقع دماغَ قلبٍ يتكوّن من حوالي 40000 عصبون يمكنه الإحسـاس والشعور والتعلم والتذكّر. يرسل دماغ القلب رسـائل إلى دماغ الرأس حول مشـاعر الجسـم وغير ذلك مـن الأمور. عندما سـمعتُ لأول مرة عن هذا البحث العلمي، كان الأمر بدهيًا. شـعرت لفترة طويلة أن القلب لديه طريقة غامضة في معرفته.

حتـى تسـعينات القـرن الماضـي، افتـرض العلمـاء أن الدمـاغ هو الذي يرسـل

(1) Claire Sylvia, A Change of Heart: A Memoir (London: Warner Books, 1998)

(2) J. A. Armour, Neurocardiology: Anatomical and Functional Principles (New York, NY, Oxford University Press, 1994), pp.3-19

(3) بول بيرسال Paul Pearsall (1942–2007): عالم نفس أمريكي. خريج جامعة ميتشجان.

(4) Paul Pearsall, The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy (New York: Broadway Books, 1998)

المعلومـات إلى القلب ويصدر إليه الأوامـر، وتعلّم معظمنا ذلك، ولكنّنا نعرف الآن أنّ الأمر يسـير في كلا الاتجاهين. في الواقع، الجهـاز العصبي الجوهري المعقد في القلـب، وهـو دماغ القلب، عبارة عن شـبكة معقدة تتألف من عـدة أنواع من الخلايا العصبيـة والنواقـل العصبيـة والبروتينـات وخلايا الدعـم، مثل تلـك الموجودة في الدمـاغ. أظهرت الأبحاث أن القلب يتّصل بالدماغ بعدة طرق رئيسـة ويعمل بشـكل مستقل عن الدماغ القحفي»[1].

(1) Deborah Rozman, Let Your Heart Talk to Your Brain
< https://www.huffingtonpost.com/heartmath-llc/heart-wisdom_b_2615857.html >

ملحق
معجزات علمية في التوراة والإنجيل؟

تمهيد: الإعجاز العلمي في الأدبيات الكتابية

الحديث في الإعجاز العلمي ليس قاصرًا على المسلمين؛ فقد كتب فيه النصارى واليهود، ولهم في ذلك مؤلفات مفردة لهذا البحث أو أحاديث متفرّقة في كتب متعددة الأغراض. ويُعتبر الفيزيائي **جيرالد شرويدر** -اليوم- أبرز الكُتاب اليهود تصنيفًا في موافقة الكوسمولوجيا العصرية للكتاب المقدس، ويظهر ذلك في كتابه المعروف «Genesis and the Big Bang»، وأمّا النصارى فيُعتبر الفيزيائي **هيو روس**[1] أبرز الكُتاب في العالم الغربي النصراني عناية بالانتصار لدعوى مطابقة الكتاب المقدس للخبر الفيزيائي والبيولوجي[2]، ومن أهم مؤلفاته «Navigating Genesis: A Scientist's Journey through Genesis 1-11».

وأمّا الكتابة الخاصة بالإعجاز العلمي في الكتاب المقدس فصدرت فيها مصنّفات كثيرة لكُتّاب عامتهم مغمور في الغرب، ولعلّ المشاهير منهم قلّة، ومنهم **هنري موريس**[3] صاحب كتاب «The Biblical Basis for Modern Science»، والدفاعي النصراني الشعبي **راي كومفورت**[4] في كتابه «Scientific Facts In The Bible: 100 Reasons To Believe The Bible Is Supernatural In Origin». ومن الكتب التي اشتهرت وعرّبت كتاب «العلم الحديث في الكتاب المقدس» للدكتور **بين هوبرنك**.

ومن الإنصاف القول إنّ عامة الكتّاب النصارى في الغرب يفرّون من محاكمة الكتاب المقدس إلى الخبر العلمي لعلمهم بمآلات هذا الامتحان؛ ولذلك يُعتبر أمر موافقة الكتاب المقدس لحقائق العلم الحديث من المواضيع المغمورة في المكتبة

---

(1) هيو روس (1945) Hugh Ross: عالم فيزياء فلكية كندي. معروف بمهاجمة الملحدين والمسلمين في شأن الجدل في مطابقة الأسفار المقدسة للعلم الحديث.

(2) يكتب الفيزيائي هيو روس في البحث البيولوجي مستعينًا بالبيولوجي فزال رنا Fazale Rana الذي يشاركه إدارة مؤسسة: Reasons to Believe.

(3) هنري م. موريس (1918-2006) Henry M. Morris: مهندس أمريكي. من أنصار التفسير الحرفي للكتاب المقدس. أسس منظمته الدعوية: Institute for Creation Research.

(4) راي كومفورت(1949) Ray Comfort: منصّر شعبي نيوزلندي إنجيلي شهير.

الغربيــة. ولعلّه لم يتّجه فريق من النصارى العــرب إلى الحديث عن الإعجاز العلمي فــي الكتاب المقــدس إلّا لمواجهة المســلمين في حديثهم عن الإعجــاز العلمي في القرآن.

وتقــع كل دعاوى الإعجــاز العلمي في الكتــاب المقدس في واحــدة أو أكثر من المغالطات التالية:

- نسبة الخبر إلى السبق العلمي رغم أنّه بدهي يدركه الإنساني القديم دون عون من معرفة علميّة حادثة.
- نســبة الخبر إلى الســبق العلمــي رغم أنّه مســبوق -بل مقتبس- مــن الحضارات السابقة، خاصة الحضارة البابليّة.
- نسبة خبر علمي إلى نص لا ينصره منطوقًا أو مفهومًا.
- التقرير العلمي المنســوب إلى النص يعارضــه تقرير علمي صريح في موضع آخر من الكتاب المقدس ينفي الفهم الأوّل.

وقبــل تناول دعاوى الإعجاز العلمي فــي الكتاب المقدس نقديًا بروح هادئة على ميزان التحليل اللغوي والتاريخي والعلمي، يحســن بنا أن ندرس حجيّة الاســتدلال بالإعجــاز العلمي في الكتــاب المقدس للانتصــار لربّانية الكتــاب المقدس وصحّة العقيدة النصرانيّة.

المبحث الأول: الإعجاز العلمي في التوراة والإنجيل، حجة للنصرانية أم للإسلام؟

إنّ إصـرار بعض المنصّرين على اسـتدعاء الإعجاز العلمـي في الكتاب المقدس لبيان صحّة النصرانية لا يقوم على فهم سليم لمساحات التوافق والخلاف بين الإسلام والنصرانية؛ ذلك أنّ الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس لا يدلّ على عصمة الكتاب المقـدس ولا صحّة المعتقـد النصراني، وإنّما منتهى ما يرجـوه إثبات أنّ مواضع في الكتاب المقدس أصلها رباني.

والإعجاز العلمي في الكتاب المقدس قاصر أن ينصر النصرانيّة من وجهين:

الوجه الأول: الكتاب المقدس محـرّف بجميع أوجه التحريف: الزيادة والحذف والتبديـل[1]، كما أنّه محرّف بزيادة أسـفار إلـى الكتاب المقـدس لا يمكن أن تصح نسـبتها كلية إلى الوحي؛ كسـفر نشيد الأنشـاد الإباحي، وسـفر الجامعة الإلحادي، وسـفر إسـتير الخرافي. وإذا عُلِم ذاك؛ انتهى القول بوجـود إعجاز علمي في الكتاب المقـدس إلـى إثبات صحّة التقريـر القرآني لا صحة الكتاب المقـدس؛ إذ إنّ التقرير الإسلامي يتضمّن ادعاءين؛ أولّهما أنّ النص في أصله ربّاني، وثانيهما أنّ يد التحريف البشـري قد لطّخته بالتغيير. وقد انتهى علم النقد النصّـي إلى أنّ الكتاب المقدس قد تـمّ تحريفـه، ويبقى للإعجاز العلمي -إن صحّ وجـوده- أن يثبت أصالة ربانية بعض النص المقدس.

ورغم أنّ الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس حجّة للإسـلام لا ضدّه، إلا أنّنا لم نهتد إلى شيء من الإعجاز العلمي فيه؛ ولذلك يبقى الدليل الوحيد على ربانيّة بعض

---

(1) See Bruce M Metzger; Bart D Ehrman, The Text of the New Testament: its transmission, corruption, and restoration (New York: Oxford University Press, 2005)

مـن الكتاب المقدس شـهادة القرآن للكتاب المقدس أنّه محـرّف لا أنّه مختلق كليّة. وشهادة القرآن حجّة هنا لتوافر دلائل ربانيّة القرآن[1].

الوجه الثاني: العقيدة النصرانية لا تقوم على الكتاب المقدس؛ فإنّ عقيدة الكنيسة تقوم على جدل الآباء وقرارات المجامع الكنسـيّة، ولا يسـعف القـول بربانيّة النص المقـدس إثبات عقيدة ألوهية المسـيح والتثليـث وكثير من عقائد الكنيسـة؛ ولذلك يقصـر الإعجاز العلمي في الكتـاب المقدس عن نصرة المعتقد الديني الكنسـي في نهاية الأمر.

(1) تناولنا ذلك بتفصيل في كتاب: براهين النبوة، لندن: مركز تكوين، 2018.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي للكتاب المقدس في الميزان

سنتناول هنا أهم ما تكرّر في كتابات المنصّرين في الغرب والشرق في شأن السبق العلمي في الكتاب المقدس؛ بما يغنينا عن تناول النظر في النصوص الأوضح فسادًا والتي يستحيي عامة المنصّرين من ذكرها لانقطاع كلّ صلة بين النص والدعوى العلميّة المسقطة عليه، علمًا أنّنا لن نكرّر الحديث في دعوى إخبار الكتاب المقدس عن كروية الأرض في نص إشعياء 40/ 22؛ فقد تناولنا ذلك بالنقد سابقاً.

المثال الأول: الأرض معلقة في الفراغ

أيوب 26/ 7

يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلاَءِ، وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ.	נֹטֶה צָפוֹן עַל־תֹּהוּ תֹּלֶה אֶרֶץ עַל־בְּלִי־מָה

يعتبر نص أيوب 26/ 7 أبرز مثال عند النصارى على الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس؛ إذ يرون أنّه مخبر أنّ الأرض معلّقة في الفضاء، وليست مستندة إلى شيء مادي. وقد عدّ **ويليام كامبل** النص السابق أبرز نموذج للسبق العلمي المطلق في الكتاب المقدس.

والقول بالسبق العلمي هنا مردود من أوجه:

الوجه الأول: سبق ذكر أنّ الكتاب المقدس قد أخبر أنّ الأرض قائمة على أعمدة، ومن ذلك نص 1صموئيل 2/ 8: «لأن للرب أعمدة الأرض، وقد وضع عليها المسكونة». ولذلك قال الباحث **كايل جرينوود**: «بعض المفسّرين المعاصرين

-بسبب رغبتهم في فرض وجهات نظر علمية حديثة على النص التوراتي- يفهمون هذا العدد أنّه برهان على أنّ القدماء يؤمنون بتعليق الأرض في الفضاء الخارجي. بالنظر إلى أنّ مؤلف سفر أيوب يتحدث في مكان آخر أنّ الله هو الذي يحرك أعمدة الأرض (9/ 6) وأعمدة السماء (26/ 11)، والذي بنى الأرض على قواعد صخريّة (38/ 4-6)؛ فإنّه لا يمكن الاستمرار في الدفاع عن هذا الرأي»[1].

الوجه الثاني: سبق بيان أنّ الكتاب المقدس صريح في أنّ الأرض قائمة على الماء، ومن ذلك نص مزمور 24/ 2: «لأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا». وقد سبق أن قال قديس الكنيسة **يوحنا ذهبي** الفم في دفع التعارض بين نصّ أيوب 26/ 7 وما جاء في المزمور 24/ 2 حيث خبر رسوّ الأرض على الماء: «فمن قال: «هو جعل أساسها على البحار» قصد الشيء نفسه الذي أعلنه من قال: «علّقها على لاشيء»؛ لأنّ انتصابها فوق المياه هو نفسه تعليقها على لا شيء»[2].

وبقريب من قول **يوحنا ذهبي** الفم قال قديس الكنيسة **أثناسيوس**[3]: «الأرض ثقيلة جدًا، بينما الماء من ناحية أخرى خفيف نسبيًا. ومع ذلك، فالأثقل قائم على الأخف وزنًا، والأرض لا تغرق، وإنّما تبقى غير متحرّكة»[4].

«اللاشيء» في نص أيوب 26/ 7 -إذن- ليس هو العدم (nothingness) أو الفراغ (void)، وإنّما هو الماء؛ بدلالة الكتاب المقدس نفسه؛ فقد جاء في كتاب «The IVP Bible background commentary : Old Testament»: «أيوب 26/ 7 مَدَّ على لاشيء: « إنها المخلّفات الشاسعة غير المجدية للمياه البدائية التي توصف بأنها «لا شيء»، تجلس عليها الأرض. والدليل على ذلك هو أن الكلمة التي تصف ما يمد

(1) Greenwood, Kyle. Scripture and Cosmology, p.80

(2) John Chrysostom, 'Homilies Concerning the Statues, Homily 9,' in Nicene and Post Nicene Fathers, 9/403

(3) أثناسيوس السكندري (Athanasius of Alexan (296-373: أحد آباء الكنيسة. لاهوتي نصراني. بطريرك الإسكندرية. أشهر خصوم الأريوسية في مجمع نيقية.

(4) Athanasius, Against the Heathen, Ch 36

في الشـمال [توهو תֹּהוּ] هي الكلمة نفسـها التي تصف الفوضى الكونية المائية في تكويـن 1/ 2 [توهو תֹּהוּ][1]. في الأدب البابلي، تمّت الإشـادة بالإله شـمش [الإله الشـمس] باعتباره من يعلّق من السماء دائرة الأراضي»[2]. وعقّب مؤلّفو الكتاب بأنّ نص أيـوب 26/ 7 يعكس ذاك الفهم البدائي الأسـطوري لا المعنى العلمي **المزعوم** اليوم: «**كان هذا جزءًا من الإدراك القديم للكون أكثر منه إشارة خفية إلى الفهم العلمي الحديث**»[3].

الوجـه الثالث: القول إنّ المقصود باللاشـيء هو الفراغ لا يحسـم القول لمذهب أنصـار الإعجاز في النـص؛ فإنّ النص يحتمل بذلك التعليق من أعلى من لاشـيء لا التعليق على لاشـيء. والتعليق من لاشـيء لا يدّعي النصارى السبق العلمي فيه. قال الناقـد **أندرو دافيدسـن**[4] تعليقًـا على أيوب 26/ 7: «علّـق (upon) أي علّق (من)؛ المعنـى هـو إذن أنّ الأرض معلّقـة، مرتبطة بلا شـيء من أعلى ليسـند وزنها، لا أنّها معلّقـة دون دعم تحتها ... تصـوّر علم الفلك المعاصر أنّ الأرض على شـكل كرة، متزنـة في الفضـاء بلا دعم من كلّ الجوانب، غير موجود هنا دون شـك»[5]. علمًا أنّه قـد تم العثور على ترنيمة فريدة من بلاد ما بيـن النهرين متعلّقة بالخلق تطابق ما نحن بصـدده؛ وهـي «ترنيمة شـمش»[6]، وفيها: «أنت (شـمش، إله الشـمس) تصعد إلى الجبال ... أنت تعلّق من السماء دائرة الأرض»[7].

---

(1) تكوين 1/ 2: «وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً [توهو תֹּהוּ] وَخَالِيَةً ...».

(2) Matthews, et al. The IVP Bible Background Commentary: Old Testament, p.505

(3) Ibid.

(4) أندرو بروس دافيدسن (1831–1902م) Andrew Davidson. ناقد إسكتلندي. متخصص في العبريّة الكتابيّة، وقد درّسها في الجامعة. له عدد من المؤلّفات والشروح.

(5) Andrew Davidson, The Book of Job: With Notes, Introduction and Appendix, p.184

(6) Samas Hymn

(7) W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature (Eisenbrauns, 1996), p.127

المثال الثاني: الدم أصل الحياة

لاويين 17/ 11: « لأَن نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ ».

يزعم بعض الكتاب النصارى أنّ تقرير الكتاب المقدّس أنّ نفْس -بتسكين الفاء- الإنسان هي دمه حجّة للإعجاز العلمي للكتاب المقدس. وذاك مردود من أوجه:

الوجه الأول: ربط الحياة بالدم ليس مفاجئًا للعقل البدائي؛ فإنّ الجريح إذا نزف بشدّة مات؛ ولذلك فالربط بين بقاء الإنسان على قيد الحياة واحتفاظه بدمه ليس من غريب الملاحظات العلميّة في الزمن القديم.

الوجه الثاني: جاء ربط الحياة بالدم في الثقافات القديمة؛ ومن ذلك ما جاء في قانون حمورابي الذي كتب في القرن الثامن عشر قبل الميلاد (قبل عصر موسى عليه السلام). فقد ورد في هذا القانون: «لتسكب دمه-حياته مثل الماء»[1]. كما جاء في الأسطورة البابلية إنوما إليش-التي كتبت في زمن قريب من ذلك- في اللوحة السادسة أنّه من دم (كنجو) -زوج آلهة الفوضى- الذي سفكته الآلهة تمّ خلق البشر[2].

الوجه الثالث: الدم ليس هو الحياة. ولا يزعم أحد من العلماء اليوم أنّ الدم مطابق لظاهرة الحياة؛ فالدمّ دوره الأساسي نقل الأوكسجين والتغذية، والحياة أعقد من ذلك بكثير، وشروط الحياة في الخليّة بالغة التركيب.

الوجه الرابع: هناك كائنات حيّة ليس لها دم، وأهمّها البكتيريا التي لا شكّ أنّها كيانات حيّة، ومع ذلك لا دم لها.

المثال الثالث: مدّ السماء

يسرف الفيزيائي الأمريكي المهتم بالجدال عن النصرانية **هيو روس** في التأكيد أنّ

---

(1) to pour out his life-blood like water" Godfrey Rolles Driver and John Charles Miles, The Babylonian" Laws (Clarendon Press, 1955), 2/103

(2) John Rogerson, Philip Davies, The Old Testament World (CUP Archive, 1989), p.204

الكتاب المقدس قد أشـار منذ زمن بعيد إلى ظاهرة تمدّد الكون. ويسـتدلّ بنصوص من الكتاب المقدس، أهمّها:

المزمور 104/ 2: « اللاَّبِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ، الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ».

إشعياء 40/ 22: « الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقَ، وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ».

ليس في النصين السـابقين –إذا قُرِئا في سياقهما التاريخي الثقافي، ودون تكلّف– أي إحالـة إلـى معنى تمدّد الكون؛ وإنّمـا هما يمثّلان جزءًا من تصـور خاطئ للكون تبدو فيه السـماء كخيمة تغطي الأرض، فالربّ هنا لا يوسّـع السـماء باستمرار وإنما يمدّ السماء الموجودة سلفًا لتغطي الأرض.

ويعترف **ويليام لين كريغ** –أشهر المدافعين عن النصرانية في الغرب اليوم– بفساد دعـاوى **هيو روس** ومن تابعـه بقوله: «أنا أبغـض بجدٍ... أمر محاولة قـراءة الكتاب المقـدس في ضوء العلـم الحديث، خاصة الفصـل الأول من سـفر التكوين. أعتقد أن هـذا هو ما يسـمى «eisegesis» – أي أنّك تقرأ ما تريده فـي النص، أنت تقرأ بين السـطور – بدلاً من التفسـير «exegesis» الذي يسمح للنص بالتحدّث إلينا بالطريقة التـي كان يفكـر بها كاتب عبرانـي قديم ويقرأ عن هذه الأشـياء، لذلك أنا أختلف مع صديقي هيو روس، الذي يقتبس ... نص إشـعياء القائل: « يَنْشُـرُ السَّمَاوَاتِ»، مفسّرًا له أنّه خبر غيبي من الكتاب المقدس في أمر توسّـع الكون. أعتقد أنّ الكاتب العبري القديم –كان بالأحرى– في السـياق الأصلي للكلام يفكّر في أنّ حال السـماء مشابه لحـال الخيمة التـي بناها الله...، ولكـن ذلك مجرّد وصف ظاهـري، أي إنّه وصف للأشـياء كما تظهر لأعيننـا»[1]. النص في حقيقته يذكر أنّ السـماء تغطي الأرض كما تغطي الخيمة المساحة التي تظلّها من الأرض.

وقد كان كثير من الأمم السـابقة ترى أنّ السـماء قد نُشرت فوق الأرض، كما هي

(1) < http://www.reasonablefaith.org/defenders-2-podcast/transcript/s4-9>

عبارة الكتاب المقدس. وقد جاء في قصيدة قديمة في التراث الأكادي من الشرق الأدنى: «حيث توضع الأرض، وتُبسط السماء»[1].

المثال الرابع: لا يمكن عدّ النجوم

تكوين 15/ 5: «ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ **إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا**» . وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ».

إرمياء 33/ 22: « كَمَا أَنَّ جُنْدَ السَّمَاوَاتِ **لاَ يُعَدُّ**، وَرَمْلَ الْبَحْرِ **لاَ يُحْصَى**، هكَذَا أُكَثِّرُ نَسْلَ دَاوُدَ عَبْدِي وَاللاَّوِيِّينَ خَادِمِيَّ».

يزعم كثير من المدافعين عن النصرانية وجود إعجاز علمي في نص تكوين 15/ 5 وإرمياء 33/ 22؛ لأنّهما يخبران عن العدد الهائل للنجوم. وتلك دعوى ضعيفة وفاسدة من وجهين:

الوجه الأول: نحن أمام هذا النص أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا أن نقول إنّ النجوم لا يمكن عدّها مجازًا لكثرتها، أو حقيقةً بأنّ عددها غير محصور.

القول إنّ النجوم وحبّات الرمل كثيرة بما يمنع عدّها، على المجاز، يؤمن به جميع البشر من أوّل الخلق؛ إذ يكفي المرء أن ينظر أسفله إلى الرمل، وإلى فوقه إلى السماء ليلًا ليدرك كثرة الحبات المتراكمة على الأرض وعدد النقط اللامعة في السماء.

والقول إنّ عدد النجوم يتجاوز العدّ –بالمعنى الحرفي– فاسد لأنّ للنجوم عددًا، ولا يمكن أن تكون الأجرام بلا عدد؛ إذ إنّه «لا يدخل الوجود إلّا معدود»!

الوجه الثاني: وصف نجوم السماء أنّها كثيرة حتّى إنّها لا تُعد، معروف في العصور القريبة من عصر موسى عليه السلام –الذي يُنسب إليه سفر التكوين على خلاف براهين تأخّر تأليف هذا السفر عن عصره–؛ فإنّ لِشلمانصر الأوّل –الذي كان ملكًا آخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد– صخرةً منحوتة (KAH,I,No.13) تصف إعادة

---

(1) From the Akkadian "Poem of the Righteous Sufferer," W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, pp. 58-59

بنـاء هيكل (Eharsagkurkurra)، وفيها: « أرض كوتـي، التي عددها لا يُعدّ كنجوم السماء»[1].

ونقرأ في نقش سـجلات أشـورناصربال على ألواح مدخل معبـد أورطا في كالا وصفَ حملات أشـورناصربال العسكرية العظيمة في السنوات الست الأولى كملك أشـوري ابتـداء من حوالـي 1018 ق م. وفيهـا أنّه لمّا اسـتولى أشـورناصربال على المدينة، قال: «يا لها من غنيمة ثقيلة، مثلها مثل نجوم السماء التي لا يمكن عدّها»[2].

المثال الخامس: تكوّن المطر

عاموس 9/ 6:

الَّـذِي بَنَـى فِي السَّـمَاءِ عَلاَلِيَـهُ وَأَسَّـسَ عَـلَى الأَرْضِ قُبَّتَـهُ، الَّـذِي **يَدْعُـو مِيَـاهَ الْبَحْرِ** وَيَصُبُّهَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، يَهْوَهُ اسْـمُهُ.	הַבּוֹנֶה בַשָּׁמַיִם (מַעֲלוֹתָו) [מַעֲ־לוֹתָיו] וַאֲגֻדָּתוֹ עַל־אֶרֶץ יְסָדָהּ הַקֹּרֵא לְמֵי־הַיָּם וַיִּשְׁפְּכֵם עַל־פְּנֵי הָאָרֶץ יְהוָה שְׁמוֹ

أيوب 36/ 27–28:

لأَنَّـهُ يَجْذُبُ **قِطَارَ** الْمَاءِ. تَسُـحُّ مَطَـرًا مِنْ ضَبَابِـهَا الَّـذِي تَهْطِلُـهُ السُّـحُبُ وَتَقْطُـرُهُ عَـلَى أُنَـاسٍ كَثِيرِيـنَ.	כִּי יְגָרַע נִטְפֵי־מָיִם יָזֹקּוּ מָטָר לְאֵדוֹ׃ אֲשֶׁר־יִזְּלוּ שְׁחָקִים יִרְעֲפוּ עֲלֵי׀ אָדָם רָב

يقول المنصّرون إنّ النصّين السـابقين يقرّران حقيقة علمية لم تكن معروفة ولا شائعة زمن تأليف هذين السـفرين ولا قبلهما، وهي أنّ السـحب تَنتج عن تبخّر مياه البحر.

(1) Daniel David Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia: Historical records of Assyria, from the Earliest Times to Sargon (New York: Greenwood Press, 1968), p.40

(2) Ibid., p.145

ولنا على هذه الدعوى ملاحظات:

الملاحظـة الأولى: هذا خطأ علمـي، إذ إنّ المطر أثرٌ لتبخّر المسـطّحات المائية، وليس البحر فقط.

الملاحظة الثانية: العلم بتبخّر الماء لتكوّن السـحاب كان معلومًا في القرن السابع قبـل الميلاد في كتابات **طاليس**. ونحـن وإن كنّا لا نعلم إن كان هذا الأمر معلومًا قبل ذلك؛ بسـبب غياب الكتابات المتاحة قبل عصـر **طاليس** عند اليونان أو المصريين أو الهنود في بحث هذا الأمر، إلا أنّنا نقول إنّ الخلاف الواسـع حول تاريخ تأليف سـفر أيوب، والذي يمتد إلى قرون بعد عصر **طاليس**، يجعل استبعاد تأثير اليونان في مؤلف سفر أيوب غير جازم.

الملاحظة الثالثة: لا تعلّق للنصّين السـابقين بالتبخـر، وإنّما هما ينقلان اعتقادات بدائية قديمة عن نقل السحب للماء نفسه من البحر إلى السحب التي تعيده إلى الأرض مطـرًا، على خلاف ما قرّره **أرسـطو** في القـرن الثالث قبل الميلاد بقوله إنّ الشـمس عندما تشـرق على الماء ترفع الماء الذي يتحوّل إلى بخار، ويتكثّف في السماء ليعود مطرًا[1].

وممّا يدلّ على تبنّي سفرَي عاموس وأيوب للقول بارتفاع قطرات الماء لا بخاره، أنّ نص سـفر عاموس يتحدّث عن دعوة مياه البحـر ثم صبّها على الأرض، وأمّا نص سـفر أيوب فيذكر كلمة «قِطار» جمع «قطرة» «נָטָף» [نِطِفْ]. فالصاعد إلى السـماء قطـرات الماء؛ ولذلك تُرجمت الكلمة في أهم الترجمـات الإنجليزية «قطرات ماء» «drops of water» كمـا فـي King James Bible و International Standard Version و New American Standard و JPS Tanakh.

وقـد ذهـب أصحـاب كتـاب The IVP Bible background commentary –وآخـرون– إلـى قراءة مختلفـة للنص –مصرّحيـن بخطأ التفسـير العلمي الحديث

(1) Aristotle, Meteorology

لمن يدعــون الإعجاز العلمي هنا- باعتبار فعل «يجذب» دالًا على الجذب من أعلى (السـماء) لا مـن أدنى (البحـر)؛ فالربّ في هذا النـص يجذب الماء الـذي فوق قبّة السـماء لينزل مطرًا. وتلك قراءة علميّة لظاهرة المطر كانت شائعة عند الشرق الأدنى القديم؛ حيث أصل قطرات المطر أنهار سماوية أو محيط سماوي[1].

وقـد تعرّض القرآن إلـى الدورة المائيـة في قوله تعالـى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحِجر:22]. و«اللام والقاف والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على إحبال ذكرٍ لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشـبّه»[2]، ففعل «لقح» دال على التأثير الذي ينجم عنه الإحبال والإثمار وما قارب ذلك. والآية بذلـك دالة على تأثير الرياح في تكوّن السـحب الممطرة دون إخبار بباطل التوراة أنّ التلقيـح يكون بحمل الماء إلى السـحب لتردّه إلى الأرض مـرّة أخرى. وذاك من دقّة الخبر القرآني الذي يأتي بالخبر العلمي دون تلبّس بأخطاء عصر التنزيل.

وقد اسـتغرب كثير من أهل التفسـير اسـتعمال القـرآن كلمة «لواقـح» لأنّ معنى اللاقـح، الحامـل. واللَّقَحُ: اسـم ما أُخـذَ من الفُحَّال ليُـدَسَّ في الآخـر[3]. وقد قال **الطبـري**: «واختلـف أهل العربيـة في وجه وصف الريـاح باللقح، وإنمـا هي ملقحة لا لاقحـة، وذلك أنها تلقح السـحاب والشـجر، وإنما توصف باللقـح الملقوحة لا الملقـح، كما يقـال: ناقة لاقح»[4]، ثم قـال: «والصواب من القـول في ذلك عندي: أنّ الريـاح لواقـح كما وصفها به جـلّ ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلقح السـحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة»[5].

وقـول الإمام **الطبري** هو الحق الموافق لحقائق العلم؛ فإنّ الرياح تلقحها الأرض والمسـطّحات المائيّة فتحمل نويّات التكاثف والأكاسـيد والأتربة لتكوين السـحب

(1) V. H.Matthews, at al. The IVP Bible background commentary: Old Testament, p.508
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: لقح.
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة: لقح.
(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 42.
(5) المصدر السابق، 14/ 43.

الممطرة حتى تدرّ ماءً؛ فهي ملقوحة وملقحة.

المثال السادس: وزن الهواء

أيوب 28/ 25: «لِيَجْعَلَ لِلرِّيحِ وَزْنًا، وَيُعَايِرَ الْمِيَاهَ بِمِقْيَاسٍ».

يقول بعض النصارى إنّ سفر أيوب يخبر أنّ للريح وزنًا قبل كشف العلم عن ذلك حديثًا جدًا. والصواب أنّه ليس في ذلك كشف علمي لمجهول؛ فإنّ الناس منذ القدم يستشعرون أنّ للريح عندما تهب ضغطًا يمثّل ثقلًا على الجهة التي تصيبها الريح؛ ولولا ذاك الثقل لما تحرّكت الأغصان ولا قُلعت الخيام، ولا سارت السفن في وسط البحر إلى حيث يريد الملاحون. وذاك ما فهمه النصارى منذ زمن بعيد؛ ومنهم قديس الكنيسة البابا **غريغوريوس** الكبير في كتابه مؤلَّفِهِ «أخلاق سفر أيوب» (الكتاب التاسع عشر، 7–8). وقد أقرّ **ويليام كامبل** أنّ نصّ أيوب 28/ 25 ليس من الإعجاز في شيء لأنّ أيّ إنسان بإمكانه معرفة ذلك بما يراه من دفع الريح لأشرعة السفن.

علمًا أنّه يفهم من القرآن أنّ للرياح قوّة وثقلًا؛ إذ إنّها تحرّك السحب الثقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ...﴾ [الأعراف:57].

نتائج البحث

بعد تطوافٍ في أسـفار الكتاب المقدس وسور القرآن، والنظر في موافقتها جميعًا لصحيـح العلم، أو الإخبـار عن الحقائـق العلميّة لم يمهّد واقـع ظهورها بين الناس للإخبار عنها، انتهى البحث إلى النقاط العشرين التالية:

1. لا تصـحّ محاكمة القرآن والكتاب المقدس إلى غير العرف الدلالي لألفاظهما زمن ظهور هذه الأسفار المقدسة بين الناس.

2. الإعجاز العلمي في القرآن أوسع دائرة من السبق العلمي المحض.

3. وجود تكلّف عند عدد من الباحثين المسـلمين فـي تقرير الإعجاز العلمي في القرآن لا ينفي وجود أمثلة واضحة أو ظاهرة لهذا الإعجاز.

4. لا سبيل لمعرفة الإعجاز العلمي في القرآن دون دراسة الواقع العلمي في القرن السابع، وإدراك روافد المعرفة العلمية للعرب ذاك الزمان.

5. لا يزعم المستشرقون أنّ ثقافة العرب الجاهليين مصدر المعارف المضمّنة في القرآن، وإنما ينسـبون الأمر إلى الثقافة اليهودية في باب العقائد والقصص... ولذلك فامتحـان الخبر العلمي في القـرآن يجب أن يبدأ وينتهي بمقارنة الخبر القرآني بالخبر التوراتي–التلمودي.

6. القـرآن مباين بصورة واسـعة للعهد القديم والتلمود في الخبـر العلمي، وذاك يظهر في تلافي أخطائهما أو التعقيب بتصحيحهما.

7. لـم يكن للعـرب علم يتجـاوز الثقافة البدائية والتفسـير الخارقيّ غير السُـنني للكون.

8. الباب الأوّل للإعجاز العلمي في القرآن، خلوّ القرآن من الأخطاء العلمية رغم كثرة الآيات التي تتحدّث في الظواهر الكونية في السماء والأرض.

9. يخلو القرآن من التقريرات العلميّة الفاسدة المنتشرة في الكتاب المقدس.

10. كثير من الأخطاء المزعومة في القرآن، دالة على إعجازه عند التحقيق.

11. يستدلّ خصوم الإسلام بمشابهات بين القرآن والكتاب المقدس والتلمود -خاصة في باب علم الأجنة وعلوم الأرض- للطعن في أصالة الخبر القرآني وصحّته. وعند تحرير هذه المسألة يتبيّن أنّ القرآن مخالف للكتاب المقدس والتلمود في كثير من خبرهما.

12. الأخطاء العلمية الواردة في الكتاب المقدس كثيرة جدًا، ومتنوعة كيفًا بما يمنع أن ينجح التأويل الواسع لهذه النصوص في استنقاذ عصمة هذه الأسفار.

13. أثر الثقافة العلمية لبلاد الرافدين في الكتاب المقدس واضح جدًا، خاصة في تبني أساطير الخلق السائدة عند البابليين.

14. الأخطاء العلمية في التوراة تدعم إجماع النقاد اليوم أنّ التوراة الحالية قد تمّت صياغتها في القرن الخامس قبل الميلاد بعد العودة من السبي عن وثائق أقدم؛ إذ إنها قد تشربت ثقافة بيئة السبي.

15. تؤكد الأخطاء الجغرافية الكثيرة في إنجيل مرقس أنّ أقدم إنجيل للنصارى وأهمها تاريخيًا قد كتبه رجل غريب عن البيئة التي عاش فيها المسيح.

16. تساهم الترجمات العربية والإنجليزية الحديثة في إخفاء الأخطاء العلمية للكتاب المقدس؛ بما يقتضي من الباحثين دراسة النصوص بلغاتها الأصلية.

17. حاول نُسّاخ الكتاب المقدس منذ زمن بعيد إخفاء الأخطاء العلمية للكتاب المقدس، وهو ما يستدعي النظر في المخطوطات لمعرفة القراءات الأوثق أو الأقدم.

18. يعتمد المنصّرون أسلوب الهجوم على الأخبار العلمية في القرآن للفرار من مناقشة أخطاء الكتاب المقدس.

19. وجود إعجاز علمي في الكتاب المقدس ليس حجة على المسلمين وإنما حجة لهم؛ لأنّ القرآن يقرّر الأصل السماوي للكتاب المقدس -في الجملة- مع إثبات التحريف الواسع.

20. كلّ دعــاوى الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس فاســدة؛ لعدم دلالة النص علــى الحقيقة العلمية المجهولة أو المغمورة زمن التأليف، وأحيانًا لدلالة النص ذاته على دعوى علمية فاسدة.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

ترجمات الكتاب المقدس:

العربية:

1. ترجمة الفاندايك.
2. ترجمة الآباء اليسوعيين، بيروت: دار المشرق، 1988.
3. الترجمة العربية المشتركة، لبنان: دار الكتاب المقدس، 1993.
4. العهد القديم لزماننا الحاضر - دار المشرق بيروت ـ طبع بإذن النائب الرسولي للاتين بولس باسيم.
5. كتاب الحياة.
6. الأخبار السارة.

الإنجليزية:

1. American Standard Version
2. Amplified Bible
3. Darby Translation
4. English Standard Version
5. King James Version
6. New American Bible
7. New English Bible
8. New Revised Standard Version

9. New Revised Version
10. NJPS
11. Revised Standard Version
12. Young's Literal Translation

الفرنسية:

1. La Bible de Jérusalem
2. La Bible de Semeur
3. Louis Segond
4. Traduction Œcuménique de la Bible

الكتب العربية

1. الأصبهاني، **حلية الأولياء**، مصر: السعادة، 1394هـ – 1974م.
2. الأصفهاني، الراغب **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ.
3. الأغر، كريم نجيب، **إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام**، بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/ 2005.
4. الآلوسي، أبو الثناء محمود، **تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت، 1987.
5. الآلوسي، محمود شكري، **ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان**، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، 1418هـ/ 1997م.
6. الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي،2001م.

7. البار، محمد علي، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، جدة: الدار السعودية، 1403هـ/ 1983م.
8. بدوي، عبد الرحمن، **دفاع عن القرآن**، تعريب: كمال جاد الله، القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير، 1418هـ/ 1997م.
9. ابن عبد البر، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 – 2000.
10. بريوشينكين، س، **أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة**، تعريب: حسّان مخائيل إسحق، دمشق: دار علاء الدين، 2006.
11. البغدادي، الخطيب، **الكفاية في علم الرواية**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ/ 1988م.
12. البغدادي، عبد القاهر، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة: مكتبة ابن سينا.
13. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان مسلم، دار طيبة، 1417هـ/ 1997.
14. بوكاي، موريس، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، تعريب: حسن خالد، بيروت: المكتب الإسلامي، 1411هـ/ 1990م.
15. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.
16. الجاحظ، **الحيوان**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ.
17. الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ.
18. الجربوع، عبد الله، **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1424هـ.

19. ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1995م.
20. ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ– 1999م.
21. الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: ف. عبد الرحيم، دمشق: دار القلم، 1410هـ/ 1990م.
22. ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1412هـ/ 1992م.
23. ابن الجوزي، **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، 1386 هـ – 1966 م.
24. ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ.
25. ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1271 هـ/ 1952 م.
26. ابن حجر، **التلخيص الحبير**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1989م.
27. ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ.
28. ابن حجر، **فتح البارى**، بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.
29. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
30. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420 هـ.
31. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، دمشق: دار القلم، 1428هـ/ 2007م.

32. الدبيخي، سليمان بن محمد، **أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين**، الرياض: مكتبة دار المنهاج، 1427هـ.
33. الذهبي، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة وأحمد الخطيب، جدة: دار القبلة، 1413هـ/ 1992م.
34. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
35. الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
36. ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام، 1424هـ / 2004م.
37. ابن رجب، **شرح علل الترمذي**، تحقيق: همام عبد الرحيم، الزرقاء: مكتبة المنار، 1407هـ / 1987م.
38. الرضي، الشريف، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق: علي محمود مقلد، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.
39. الرومي، فهد، **دراسات في علوم القرآن**، الرياض، 1424هـ - 2003م.
40. زروق، **شرح متن الرسالة**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1427 هـ - 2006 م.
41. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
42. الزملكاني، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، 1394هـ.
43. أبو سارة، جميل فريد، **أثر العلم التجريبي في كشف نقد الحديث النبوي**، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016.
44. سعدة، رؤوف، **من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن**، القاهرة: دار الهلال.

45. السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ / 2000 م.
46. السقار، منقذ، **هل العهد القديم كلمة الله؟**، دار الإسلام، 1440هـ/ 2018م.
47. السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1394هـ/ 1974 م.
48. السيوطي، **الأشباه والنظائر**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م
49. شهوان، راشد، **الضوابط الشرعية للإعجاز العلمي**، دار المأمون، 2009.
50. الشوكاني، **فتح القدير**، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ.
51. الطائي، باسل، **خلق الكون بين العلم والإيمان**، بيروت: دار النفائس، 1418هـ/ 1998م.
52. الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الجيزة: دار هجر، 1422هـ/ 2001م.
53. الطيار، مساعد، **الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي**، الدمام: دار ابن الجوزي، 1433 هـ.
54. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م .
55. عامري، سامي، **هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى**، الكويت: مركز رواسخ، 2018.
56. عبد الرحيم، ف، **الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام**، دمشق: دار القلم، 1413هـ/ 1992م.
57. عبد الملك، بطرس، وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، القاهرة: دار الثقافة، 1995.
58. العريفي، سعود، **منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية**، لندن: مركز تكوين، 1435هـ/ 2014م.

59. العطار، حسن، **حاشية العطار على جمع الجوامع**، بيروت: دار الكتب العلمية.

60. علـي، جـواد، **المفصـل فـي تاريـخ العـرب قبـل الإسـلام**، دار السـاقي، 1422هـ/ 2001م.

61. عيـاد، محمود، **السـموات والأرض بيـن الفهم الإسـلامي والعلم الحديث**، أطروحة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 1435هـ- 2014 م، مخطوطة.

62. العينـي، **عمدة القاري شـرح صحيح البخاري**، بيـروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ/ 2001م.

63. ابـن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السـلام محمـد هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

64. الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

65. الفغالي، بولس، **سفر التكوين**، بيروت: المكتبة البولسية، 1408هـ/ 1988م.

66. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ/ 2005م.

67. قاشـا، سـهيل، **حكمـة أحيقـار وأثرها فـي الكتـاب المقدس**، بيـروت: دار المشرق، 1995.

68. ابن قتيبة، **غريـب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، بيـروت: دار الكتب العلمية، 1398هـ/ 1978م.

69. قطب، محمد، **لا يأتون بمثله!**، القاهرة: دار الشروق، 1422هـ/ 2002م.

70. ابـن القيم، **تحفة المـودود بأحكام المولود**، تحقيق: عبـد القادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة دار البيان، 1391هـ/ 1971م.

71. ابن القيم، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، بيروت: دار المعرفة، 1398هـ/ 1978م.

72. ابـن القيم، **المنار المنيف فـي الصحيح والضعيف**، تحقيـق: يحيى الثمالي، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، 1428 هـ.
73. ابـن كثير، **البدايـة والنهاية**، تحقيق: عبـد الله التركي، دار هجـر، 1424هـ / 2003م.
74. ابن كثير، **تفسـير القرآن العظيم**، تحقيق: سـامي بن محمد سـلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ / 1999م.
75. الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
76. المشـعبي، عبد المجيد بن سالم، **كتاب التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام**، الرياض: أضواء السلف، 1419هـ/ 1998م.
77. مركز دراسات الشرق الأوسط، **التلمود البابلي**، عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2011.
78. المـزي، **تهذيـب الكمـال**، تحقيق: بشـارعواد معـروف، بيروت: مؤسسـة الرسالة، 1413هـ/ 1992م.
79. ميخائيل، برسوم، **موسوعة الحقائق الكتابية**، شبرا: مكتبة الإخوة، 2004.
80. النجـار، زغلـول، **قضيـة الإعجاز العلمـي للقـرآن وضوابط التعامـل معها**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2006.
81. النجـار، زغلول، **موسـوعة الإعجـاز العلمي فـي القرآن الكريـم**، الأرض، بيروت: دار المعرفة، 1428هـ، 2007م.
82. هوبرنك، بين، **العلم الحديث في الكتاب المقدس**، تعريب: ميشـال خوري، الأردن، 2007.
83. الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بيروت: دار القلم، 1415 هـ.

مقالات

1. البار، محمد علي، **الإعجـاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر**، الهيئة العالمية للكتاب والسنّة.
<http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/91-Scientific-Miracles-in-conversations-to-prevent-medication-with-alcohol>.

2. الحاضري، شـبيب بن علي، **الخمر داء وليسـت بدواء**، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 1421هـ/ 2000م.

3. المطيري، حاكم، **دراسة حديثية نقدية لحديث (الرعد ملك)**. الموقع الرسمي للدكتور المطيري
<http://www.dr-hakem.com/Portals/Content/?info=TlRRNUpsTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp>.

4. الحايك، خالد، **بحثٌ في الحديث المرفوع: «الرعد مَلك»**. الموقع الرسـمي للدكتور الحايك:
<http://www.addyaiya.com/uin/arb/ViewnewsPage.aspx-?NewsId=189>.

5. الزنداني، عبد المجيد، **عن تطابق بعض الكشوف الكونية مع الأخبار القرآنية**.
<http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx-?selected_article_no=1510>.

6. الصاوي، عبد الجواد محمد، **مفاتح الغيب... وعلم ما في الأرحام** .
< https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/86-Twenty-eighth-issue/809-Mphath-unseen >

7. العباد، هدى بنت عبد الله بن عيسـى، **دلالة الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفـس الصبح والتغيـرات المناخية المصاحبة**، من أبحـاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت 1427هـ – 2006م
= http: / /www.eajaz.org /download.php؟f=research،133.pdf&fc.

دلالـة الإعجاز العلمي في إثبـات حقيقة تنفس الصبـح والتغيرات المناخية المصاحبة.pdf.

8. عوض، إبراهيم، **موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم**.
< https://vb.tafsir.net/tafsir12560/#.XD0MmFxKjIU>

9. محمد، حامد عطية، **إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام**، من أبحاث المؤتمـر العالمـي العاشـر للإعجـاز العلمي في القـرآن والسـنة بتركيا 1432هـ – 2011م.

العبرية:

1. האנציקלופדיה העברית : כללית , יהודית، ספרית פועלים، 1987–1986

2. Kittel, Rudolf, et al., Biblia Hebraica Stuttgartensia, Stuttgart : Dt. Bibelges, 2006

الكتب الإنجليزية:

1. Nelson, Thomas, King James Version study Bible, Nashville: Thomas Nelson, 1988

2. Abd al-Fadi, Abdallah, Is the Qur'an infallible, Austria: Light of Life

3. Aharoni, Yohanan, The Land of the Bible, London Burns & Oates, 1968

4. Alexander Joseph Addison, Commentary on Isaiah, MI: Kregel Publications, 1992

5. Al-Hassan, Y., et al., eds, The different Aspects of Islamic Culture, Science and technology in Islam. Part I, The exact and natural sciences, Paris: UNESCO Pub., cop. 2001

6. Allan, John and Kramer Beverley, The Fundamentals of Human Embryology, Johannesburg: Wits University Press, 2010

7. Alter, Robert, The Five Books of Moses: A Translation with Commentary, New York: W. W. Norton & Company, 2004

8. Ambrose, Saint, Hexameron, Paradise, and Cain and Abel, trans. J. J. Savage, New York: Fathers of the Church, 1961

9. Anderson, Benjamin, Cosmos and Community in Early Medieval Art, New Haven: Yale University Press, 2017

10. Andrews, Edward D., The Christian Apologist: Always being prepared to make a defense, Cambridge: Christian Publishing House, 2016

11. Armour, J. A., Neurocardiology: Anatomical and Functional Principles, New York, NY, Oxford University Press, 1994

12. Arnold, C.E., Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary Matthew, Mark, Luke. Grand Rapids, MI: Zondervan, 2002

13. Barclay, William, The Revelation of John, Philadelphia, Westminster Press, 1976

14. Barker, K. L., Expositorś Bible Commentary, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1994

15. Barnes, Albert, Notes, critical, explanatory, and practical, on the Book of psalms, London: Hamilton

16. Beasley-Murray, G., John, Dallas: Word, Incorporated, 2002

17. Bely, Pierre-Yves, Carol Christian, Jean-René Roy, A Question and Answer Guide to Astronomy, Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2010

18. Bergant, D. & Karris, R. J., The Collegeville Bible Commentary: Based on the New American Bible with revised New Testament, Collegeville, Minn.: Liturgical Press, 1989

19. Bernard, J. H., A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St. John, New York, C. Scribner' Sons, 1929

20. Bewer, Julius A., A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, A Critical and Exegetical Commentary on Jonah, New York: Charles Scribner, 1912

21. Bimson, John J., ed. Baker Encyclopedia of Bible Places, Leicester: Inter-Varsity Press, 1995

22. Bodenheimer, Friedrich Simon, Animal and Man in Bible Lands: Supplement, Leiden: Brill, 1960

23. Bout, Melissa Rovig Vanden, Thomas Aquinas and the Generation of the Embryo: Being Human before the Rational Soul, Boston College Electronic Dissertation, 2013

24. Brodie, Thomas L., The Gospel According to John: A Literary and Theological Commentary, Oxford: Oxford University Press US, 1997

25. Brooks, J. A., Mark, Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001

26. Brown, Raymond, An Introduction to The New Testament, New York: Doubleday, 1997

27. Brown, Raymond, The Death of the Messiah, New York: Doubleday, 1994

28. Budge, E. A. W., Pseudo-Callisthenes, The History of Alexander the Great, Being the Syriac Version of the Pseudo-Callisthenes, Cambridge: The University Press, 1889

29. Burton, Russell Jeffrey, Inventing the Flat Earth: Columbus and Modern Historians, Praeger, 1997

30. Bush, George, Notes, Critical and Practical, on the Book of Leviticus, New York: Ivison, Phiney, 1842

31. Caird, G.B., Saint Luke, London: Penguin, 1974

32. Campbell, William, The Quran and the Bible: In the Light of History and Science, Upper Darby, PA: Middle East Resources, 2002

33. Carpenter, William, An Introduction to the Reading and Study of the English Bible, London: S.W. Partridge, 1868

34. Carson, D. A., Matthew, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984

35. Changeux Jean-Pierre, Neuronal Man: The Biology of Mind, N.J.: Princeton University Press, cop. 1997

36. Charles, Robert Henry, The Book of Enoch (New York: Dover Publications, Inc., 2007

37. Cheyne T.K. and Southerland J., eds. Encyclopædia Biblica, New York: Macmillan, 1901

38. Chilton Bruce, Evans Craig A., eds., Authenticating the Activities of Jesus, Leiden: Brill, 2002

39. Clarke, Adam, The Holy Bible Containing the Old and New Testaments, New York: B. Waugh and T. Mason, 1831

40. Clarke, Adam, The Holy Bible, with a Commentary and Critical Notes, London: Thomas Tegg, 1836

41. Clements, David L., Infrared Astronomy – Seeing the Heat, Boca Raton: CRC Press, Taylor & Francis Group, 2015

42. Clifford, Richard J., Abingdon Old Testament Commentaries: Psalms 172-, Nashville: Abingdon Press, 2002

43. Cline, D. J. A., Job 120-, Dallas: Word, Incorporated, 2002

44. Cloudsley-Thompson, John L., The Diversity of Amphibians and Reptiles: An Introduction, Springer Science & Business Media, 2012

45. Cohen, A., The Psalms, Soncino Press, 1962

46. Coles, Peter, The Routledge Critical Dictionary of the New Cosmology, New York: Routledge, 1999

47. Coogan, Michael David, Brettler, Marc Zvi and Newsom, Carol Ann, eds. The New Oxford Annotated Bible, New Revised Standard Version with The Apocrypha, Oxford University Press, 2007

48. Cooke, G. A., A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Ezekiel, Edinburgh: T. & T. Clark, 1936

49. Cooper, William Ricketts, An Archaic Dictionary, London: S. Bagster and Sons, 1876

50. Coote, Robert B. and Ord, David Robert, In the Beginning: Creation and the Priestly History, Minneapolis: Fortress Press, 1991

51. Court, John, The Book of Revelation and the Johannine Apocalyptic Tradition, Sheffield: Sheffield Academic Press, 2000

52. Cranfield, C. E. B., The Gospel According to St Mark: An Introduction and Commentary, Cambridge University Press, 1959

53. Curtis, Edward & Madsen Albert Alonzo, A Critical and Exegetical Commentary on the Books of Chronicles, Edinburgh Clark, 1965

54. Dahood, M., Psalms III: 101150-: Introduction, translation, and notes with an Appendix: The Grammar of the Psalter, New Haven; London: Yale University Press, 2008

55. Davidson, Robert, The vitality of worship : A commentary on the book of Psalms, Grand Rapids, Mich.; Edinburgh: W.B. Eerdmans; Handsel Press, 1998

56. Davidson, John, The Gospel of Jesus, Bath: Clear Press, 2005

57. Dawkins, Richard, The God Delusion, London: Bantam Press, 2006

58. Dean-Otting, Mary, Heavenly Journeys: A study of the motif in Hellenistic Jewish literature, P. Lang, 1984

59. Delitzsch, Franz, Biblical Commentary on the Proverbs of Solomon, Edinburgh: T. &. T. Clark, 1874

60. Dewick, Edward Chisholm, Primitive Christian Eschatology, Cambridge: University Press, 1912

61. Dickson, Andrew, White, A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom, New York: D. Appleton, 1896

62. Dillard, R. B., 2 Chronicles, Dallas: Word, Incorporated, 2002

63. Dillmann, Genesis Critically and Exegetically Expounded, Edinburgh: T&T Clark, 1897

64. DiMattei, Steven, Genesis 1 and the Creationism Debate: Being Honest to the Text, Its Author, and His Beliefs, Eugene, Oregon : Wipf & Stock Publishers, 2016

65. Dinwiddie, Robert; Lamb, Simon and Reynolds, Ross, Violent Earth (London; New York: DK, 2011

66. Donahue, John R., The Gospel of Mark, Minnesota: Liturgical Press, 2002

67. Dozeman, T. B., Commentary on Exodus, Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2009

68. Driver, Godfrey Rolles and Miles, John Charles, The Babylonian Laws, Clarendon Press, 1955

69. Driver, S.R. & Gray G. B., A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Job, Edinburgh: T. & T. Clark, 1921

70. Driver, S. R., A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy, Edinburgh: T. & T. Clark, 1902

71. Driver, Samuel Rolles, A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy, New York: Scribner, 1895

72. Dunn, James D. G. and Rogerson J. W. eds. Eerdmans Commentary on the Bible, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003

73. Durham J. I., Exodus, Dallas: Word, 2002

74. El-Naggar, Z. R., The Geological Concept of Mountains in the Qur'an, Cairo: Al-Falah Foundation, 14242003/

75. Erman, Adolf, The Literature of the Ancient Egyptians, Tr. Aylward Blackman, London: Mjethuen, 1927

76. Fee, G. D., New International biblical commentary: 1 and 2 Timothy, Titus, Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1988

77. Feldman, Louis H., Kugel James L., Schiffman, Lawrence H., eds. Outside the Bible: Ancient Writings Related to Scripture, Philadelphia: Jewish Publication Society, 2013

78. Flint, Graham, Clare Rusbridge, Springer-Verlag GmbH, Syringomyelia: A Disorder of CSF Circulation, Berlin: Springer Berlin Springer 2016

79. Forster, E. S., De Mundo, Oxford: Clarendon, 1914

80. France, R. T., The Gospel of Mark: A Commentary on the Greek Text, Grand Rapids; Cambridge: William B. Eerdmans Publishing Company, 2014

81. France R. T., Vol. 1: Matthew: An introduction and commentary. Tyndale New Testament Commentaries, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1985

82. Friedman, Richard Elliott, The Bible with Sources Revealed, San Francisco: HarperSanFrancisco, 2003

83. Botterweck, G. Johannes, Ringgren, Helmer, and Fabry, Heinz-Josef, eds. Theological Dictionary of the Old Testament, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 1995

84. Gaebelein, F. E., ed., The Expositor's Bible Commentary, Volume 8: Matthew, Mark, Luke, Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1984

85. Gall, James, Good Friday: A Chronological Mistake, Or, The Real History of Our Lord's Burial Recovered, Edinburgh: Gall & Inglis, 1882

86. Gassendi, Pierre and Thill, Olivier, The Life of Copernicus, Fairfax, VA: Xulon Press, 2002

87. Geddes, Alexander Ebenezer McLean, Meteorology: An Introductory Treatise, London, Blackie and Son Limited, 1921

88. Gehman, Henry Snyder, ed. The New Westminster Dictionary of the Bible, Westminster Press, 1970

89. Geikie, John Cunningham, The Life and Words of Christ, New York: D. Appleton, 1885

90. Geisler, Norman L. and Holden Joseph M., The Popular Handbook of Archaeology and the Bible, Eugene, Oregon: Harvest House Publishers, 2013

91. Gesenius, Wilhelm Friedrich Heinrich, Gesenius's Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament Scriptures, ed. Samuel Tregelles, London: Samuel Bagster, 1860

92. Gordon, Deborah M., Ants at Work: How an Insect Society is Organized, New York, NY: The Free Press, 2009

93. Granville, C. Henry, Christianity and the Image of Science, Georgia: Smyth & Helwys Publishing, 1998

94. Gray, G. B., A critical and exegetical commentary on the book of Isaiah, I-XXXIX , New York: C. Scribner's Sons, 1912

95. Grayson, Albert, Assyrian Royal Inscriptions, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1972

96. Green, Jay P., Unholy Hands on the Bible: An Examination of Six Major New Versions, Indiana: Sovereign Grace Publishers, 1992

97. Greenwood, Kyle, Scripture and Cosmology: Reading the Bible Between the Ancient World and Modern Science, Downers Grove, Ill.: IVP Academic, 2015

98. Gubbay, Lucien, Sunlight and Shadow: The Jewish Experience of Islam, London: I.B. Tauris & Co Ltd, 2001

99. Guelich, R. A., Mark 18:26-, Dallas: Word, 2002

100. Habel, Norman C., The Book of Job: A Commentary, Philadelphia; Westminster John Knox Press, 1985

101. Hagner, D. A., Matthew 113-, Dallas: Word, Incorporated, 2002

102. Haley John Wesley, An Examination of the Alleged Discrepancies of the Bible, Andover: Warren F. Draper, 1876

103. Hamilton, Victor P., The Book of Genesis, Chapters 1850-, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1995

104. Harris Murray, From Grave to Glory: resurrection in the New Testament, Grand Rapids, Mich.: Zondervan, 1990

105. Harris R. Laird, Archer Gleason L., Jr., Waltke Bruce K., eds., Theological Wordbook of the Old Testament, Chicago: Moody Publishers, 2003

106. Harris, Stephen J. and Bryon Grigsby, Lee, eds. Misconceptions About the Middle Ages, New York: Routledge, 2008

107. Hartley J. E., Leviticus, Dallas: Word, 2002

108. Hartley J. E., The Book of Job, Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1988

109.Haydock G. L., Haydock's Catholic Bible Commentary, Aeterna Press, 2015

110.Heidel, Alexander, The Babylonian Genesis, Chicago: University of Chicago Press, 1942

111.Heidel, Alexander, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, University of Chicago Press, Chicago, 1949

112.Heisenberg Werner, Across the Frontier, New York: Harper and Row, 1974

113.Hertz, Joseph H., The Pentateuch and Haftorahs, London: Oxford University Press, 1940

114.Hile, Kevin, The Handy Weather Answer Book, MI: Visible Ink Press, 2009

115.Hooker M. D., Black's New Testament commentary: The Gospel according to Saint Mark, Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1991

116.Hooks Stephen M., Job, Missouri: College Press, 2006

117.Hool Alexander, Searching for Sinai: The Location of Revelation, White Plains, N.Y.: Mosaica Press, New York: Feldheim, 2017

118.Horowitz Wayne, Mesopotamian Cosmic Geography, Winona Lake: Eisenbrauns, 1998

119.Hughes R. B. & Laney J. C., Tyndale Concise Bible Commentary. Rev. ed. of: New Bible companion, Wheaton, Ill.: Tyndale House Publishers, 1990

120.Hunger, Hermann, Steele, John, Writing Science before the Greeks: A Naturalistic Analysis of the Babylonian, Leiden: Brill, 2011

121.Iqbal, Muzaffar, Science and Islam, CT: Greenwood Publishing Group, 2007

122.Jamieson Robert, A Commentary, Critical and Explanatory, on the Old and New Testaments, Glascow: William Collins, 1863

123. Jesus Seminar, The Acts of Jesus, San Francisco: HarperSanFrancisco, 1998

124. Joseph, Antony, Investigating Seafloors and Oceans: From Mud Volcanoes to Giant Squid, Amsterdam, Netherlands: Elsevier, 2017

125. Josephus, Flavius, Flavius Josephus, Lovell, Coryell

126. Juel, D. H., Mark. Augsburg Commentary on the New Testament, Mineapolis, MN: Augsburg., 1990

127. Kaiser, Otto, Isaiah 13-39: A commentary, Presbyterian Publishing Corp, 1974

128. Kalousek, Dagmar K., Fitch Naomi, Paradice Barbara A., Pathology of the Human Embryo and Previable Fetus: An Atlas, Springer Science & Business Media, 2013

129. Keel, Othmar, The Symbolism of the Biblical World, tr. Timothy Hallett, New York: Seabury Press, 1978

130. Keeler, Bronson, A Short History of the Bible, New York: C. P. Farell, 1888

131. Kelly, Evelyn B., Stem Cells, Westport, Conn.: Greenwood Press, 2007

132. Kessler, Gwynn, Conceiving Israel: The Fetus in rabbinic narratives, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2009

133. Khanna, D.R., Text Book of Embryology, New Delhi: Discovery Publishing House, 2004

134. Kidner, D., Psalms 73 - 150: An Introduction and Commentary, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1975

135. Knight, G. A. F. & Golka, F. W. Revelation of God , Mich.; Edinburgh: W.B. Eerdmans, 1988

136. Koenders, Curt, Biblical Musings, LULU, 2014

137. Kraeling, Emil G., Rand McNally Bible Atlas, New York: Rand McNally, 1967

138. Kumar, Rani, Textbook of Human Embryology, I.K. International, 2008

139. Kummel, Werner, Introduction to the New Testament, Nashville, Tenn.: Abingdon Press, 1975

140. Laderman, Shulamit, Images of Cosmology in Jewish and Byzantine art: God's blueprint of creation, Boston: Brill, 2013

141. Lambert, W. G., Babylonian Wisdom Literature, Eisenbrauns, 1996

142. Lamoureux, Denis, Evolutionary Creation: a Christian approach to evolution Cambridge, England: The Lutterworth Press, 2008

143. Lane, Edward William., An Arabic-English Lexicon: Derived from the Best and the Most Copious Eastern Sources, Williams and Norgate, 1893

144. Lange, J. P., et al., A Commentary on the Holy Scriptures : Joshua, Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2008

145. Law, Jane Marie, Imagining the Fetus: The Unborn in Myth, Religion, and Culture, Oxford University Press, 2009

146. Law, Jonathan, Rennie Richard, eds., Oxford Dictionary of Physics, Oxford: Oxford University Press, 2005, 5th ed.), p.501.

147. E Le Camus, The Life of Christ, New York: The Cathedral Library Association, 1923

148. Leibowitz, Yeshayahu, Judaism, Human Values, and the Jewish State, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1995

149. Lethaby, W. R., Architecture, Mysticism and Myth, Whitefish, MT: Kessinger, 2003

150. Leupold, H. C., Exposition of Genesis, Baker Book House, 1942

151. Levine, B. A., Leviticus. English and Hebrew: commentary in English, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1989

152. Licona, Michael R., The Resurrection of Jesus, IVP Academic, 2010

153. Liddle, Andrew, An Introduction to Modern Cosmology, Chichester, West Sussex: John Wiley and Sons, 2015

154. Lindberg, D. C., The Beginnings of Western Science: The European scientific tradition in philosophical, religious, and institutional context, prehistory to A.D. 1450, Chicago: University of Chicago Press, 2007

155. Lisle, Jason, Taking Back Astronomy: The Heavens Declare Creation and Science Confirms It, AR: New Leaf Publishing Group, May 1, 2006

156. Loftus, John W., ed. Christianity in the Light of Science, Prometheus Books, 2016), Kindle edition

157. Loftus, John W., The Christian Delusion: Why Faith Fails, Prometheus Books, 2010

158. Longman, Tremper, Proverbs, MI: Baker Academic, 2006

159. Luckenbill, Daniel David, Ancient Records of Assyria and Babylonia: Historical records of Assyria, from the Earliest Times to Sargon, New York: Greenwood Press, 1968

160. Lyons, Jonathan, The House of Wisdom, New York: Bloomsbury, 2009

161. Macdougall, Doug, Why Geology Matters: Decoding the Past, Anticipating the Future, Berkeley: University of California Press, 2011

162. Marcus J., Mark 1- 8: A new translation with introduction and commentary, New Haven; London: Yale University Press, 2008

163. Marshall, H., The Gospel of Luke: A commentary on the Greek text. Includes indexes, Exeter: Paternoster Press, 1978

164. Martyr, Justin, First Apology, online

165. Mathews, K. A., Genesis 11:27- 50:26, Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2007

166. Mathews, K. A., Genesis 1 - 11:26, Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001

167. Matthews, V. H., Chavalas M. W. & Walton J. H., The IVP Bible background commentary: Old Testament , Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000

168. Mays, J. L., Harper's Bible commentary, San Francisco: Harper & Row, 1996

169. Mc Donald, Lee Martin and Porter, Stanley E., Early Christianity and its Sacred Literature, Peabody, Mass.: Hendrickson; Bristol: Alban, 2001

170. McComiskey, Thomas Edward, The Minor Prophets: An Exegetical and Expository Commentary, Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 19921998-

171. McDermott, John J., Reading the Pentateuch: a historical introduction, New York: Pauline Press, 2002

172. McKeown, J., Genesis, Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2008

173. McKinion, S. A., Isaiah 1- 39. Ancient Christian Commentary on Scripture OT, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2004

174. McRae, Charles, Fathers of Biology, London: Percival, 1890

175. Meir, Lubetski and Edith Lubetski, eds. New Inscriptions and Seals Relating to the Biblical World, Atlanta, GA: Society of Biblical Literature, 2012

176. Metzger, Bruce M, Ehrman, Bart D, The Text of the New Testament: its transmission, corruption, and restoration, New York: Oxford University Press, 2005

177. Metzger, Bruce Manning, Coogan Michael David, eds, The Oxford companion to the Bible, Oxford: Oxford University Press, 1993

178. Metzger, Bruce, The Canon of the New Testament: its origin, development, and significance, Oxford: Clarendon Press, 1997

179. Meyer, Arthur William, Essays on the History of Embryology, San Francisco: 1932

180. Milgrom, J., Leviticus 1- 16: A new translation with introduction and commentary, New Haven; London: Yale University Press, 2008

181. Mills, Watson E; Bullard, Roger Aubrey, Mercer Dictionary of the Bible, Mercer University Press, 1990

182. Mitchell, Barry and Sharma, Ram, Embryology: An Illustrated Colour Text, Churchill Livingstone. 2009

183. Moché, Dinah L., Astronomy: A Self-Teaching Guide, Hoboken, N.J.: John Wiley, 2009

184. Montgomery, J. A., Aramaic Incantation Texts from Nippur, Philadelphia: Univ. Museum, 1913

185. Moore, Keith, The Developing Human: clinically oriented embryology, Philadelphia: Saunders, 1988, p.8

186. Motyer, J. A., The prophecy of Isaiah: An introduction & commentary, Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1993

187. Mounce, W. D., Pastoral Epistles, Dallas: Word, Incorporated, 2002

188. Munitz, Milton K., ed. Theories of the universe: from Babylonian myth to modern science, Glencoe, Ill.: Free Press, 1957

189. Needham, Joseph, A History of Embryology, Cambridge: University Press, 1959

190. Nelson, Thomas, KJV Bible commentary, Nashville: Thomas Nelson, 1997

191. Nichol, F. D., ed. The Seventh-day Adventist Bible Commentary, Washington D.C: Herald Pub. Association, 1978

192. Nineham, D. E., Saint Mark, Westminster: John Knox Press, 1978

193. Noldeke, Theodor, Sketches from Eastern History, tr. John Sutherland Black, London: Adam and Charles, 1892

194. Nolland, John, The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek text, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2005

195. Noon, Randall K., Introduction to Forensic Engineering, Oxford, United Kingdom: Oxford University Press, 2014

196. Nosson Slifkin, Sacred Monsters: Mysterious and mythical creatures of Scripture, Talmud and Midrash, NJ: Zoo Torah: Distributed by Gefen Books, 2011

197. O'Sullivan, Maurice J., The Books of Job, UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009

198. Ollier, Cliff and Pain Colin, The Origin of Mountains, London; New York: Routledge, 2000

199. Olshausen, H., Ebrard, J. H. A., & Wiesinger, A., Biblical Commentary on the New Testament, New York: Sheldon, Blakeman, & Co., 18571859-

200. Orr James, et al. eds. The International Standard Bible Encyclopedia, Chicago: Howard-Severance Company, 1915

201. Osborne, G. R., Matthew, Grand Rapids, MI: Zondervan, 2010

202. Oswalt, John N., The Book of Isaiah, Chapters 1–39, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1998

203. Oswalt, John N., The Book of Isaiah: Chapters 40- 66, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1996

204. Outlaw, W. S., Commentary on the Books of 1 Timothy, 2 Timothy & Titus. In R. E. Picirilli, Nashville, TN: Randall House Publications, 1990

205. Parmelee, Alice, All the Birds of the Bible: their stories, identification and meaning, New York: 1959

206. Parry, Aaron, The Complete Idiot's Guide to the Talmud, Indianapolis, IN: Alpha Books, 2004

207. Parry, Robin A., The Biblical Cosmos, Lutterworth Press, 2015

208. Pearsall, Paul, The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy, New York: Broadway Books, 1998

209. Pietersma, Albert and Wright, Benjamin G., A New English Translation of the Septuagint, New York: Oxford University Press, 2007

210. Pilkington, Roger, Sons and daughters, London: G. Allen & Unwin, 1951

211. Porter, Roy, The Greatest Benefit to Mankind: A Medical History of Humanity, Fontana Press, 1999

212. Pree, Christopher De, Axelrod, Alan, The Complete Idiot's Guide to Astronomy, Penguin, 2004

213. Pritchard, James B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton: Princeton University Press, 1969

214. Rad Gerhard Von, Genesis: A Commentary, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972

215. Radmacher E. D., Allen R. B., & House, H. W., Nelson's New Illustrated Bible Commentary, Nashville: T. Nelson, 1999

216. Ramirez Frank, Proverbs, Ecclesiastes, Song of Solomon, Abingdon Press, 2011

217. Reynolds Gabriel Said, ed. The Qur an in its historical context, London: Routledge, 2008

218.Rigg, Arthur, The Harmony of the Bible with Experimental Physical Science, London: Bell and Daldy, 1869

219.Robertson, O. P., The Books of Nahum, Habakkuk and Zephaniah. The New International Commentary on the Old Testament, Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1990

220.Rogerson, John, Davies, Philip, The Old Testament World, CUP Archive, 1989

221.Ros, Hugh, Creation and Time: A Biblical and Scientific Perspective on the Creation-Date Controversy, Colorado Springs, Co : NavPress, 1997

222.Rudolf, Kippenhahn, 100 Billion Suns: The Birth, Life, and Death of the Stars, New York: Basic Books, 1983

223.Sale, George, The Koran: Commonly Called the Alcoran of Mohammed, London: Tegg, 1844

224.Salm, René, The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus, Cranford, N.J.: American Atheist Press, 2008

225.Sarfati, Jonathan, Refuting Compromise, Green Forest, AR: Master Books, 2004

226.Sarna, Nahum M., Exodus, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1991

227.Sarna, Nahum M., Exploring Exodus: The Origins of Biblical Israel, New York: Knopf Doubleday, 2011

228.Sarna, N. M., Genesis. English and Hebrew; Commentary in English. The JPS Torah commentary, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1989

229.Sasson, Vanessa R and Law, Jane Marie, eds. Imagining the Fetus the Unborn in Myth, Religion, and Culture, Oxford; New York: Oxford University Press, 2009

230.Scarlata, M. W., Outside of Eden: Cain in the Ancient Versions of Genesis 4.1- 16, New York, NY: T & T Clark International, 2012

231.Schenker, Joseph G., ed. Ethical Dilemmas in Assisted Reproductive Technologies, Berlin; Boston: De Gruyter, 2011

232.Schroeder, Gerald L., The Science of God: The Convergence of Scientific and Biblical Wisdom, Simon and Schuster, 2009

233.Schweizer, Eduard, The Good News According to Mark, London: SPCK., 1987

234.Scott, Bernard Brandon, Hear Then the Parable: A Commentary on the Parables of Jesus, Fortress Press, 1989

235.Singer Isidore, Adler Cyrus eds. The Jewish Encyclopedia, Funk and Wagnalls, 1916

236.Skinner, J., A Critical and Exegetical Commentary on Genesis, New York: Scribner, 1910

237.Skolnik, Fred, Berenbaum, Michael eds. Encyclopaedia Judaica, Detroit: Thomson Gale, 2007

238.Slifkin, Natan, The Challenge of Creation: Judaism's Encounter with Science, Cosmology, and Evolution, NY., Lambda, 2008

239.Smith, J. M. P. & Bewer, J. A. , A critical and exegetical commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, New York: C. Scribner's sons, 1912

240.Smith, William and Anthon, Charles, A New Classical Dictionary of Greek and Roman Biography, Mythology and Geography, New York: Harper & Brothers, 1862

241.Smith, William, Dictionary of the Bible, New York: Hurd and Houghton, 1872

242.Smith, Benjamin D., Genesis, Science, and the Beginning, OR: Wipf & Stock, 2018

243. Sommer, Benjamin D., Revelation and Authority Sinai in Jewish Scripture and Tradition, Yale University Press, 2018

244. Sorokhtin, O.G.; Chilingarian, G.V.; Sorokhtin, N.O., Evolution of Earth and its climate birth, life and death of Earth, Amsterdam: Elsevier Science, 2011

245. Spence-Jones, H. D. M., ed., The Pulpit Commentary: Numbers, Bellingham, WA: Logos Research Systems, 2004

246. Spurrell George James, Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis, Oxford: Clarendon Press, 1887

247. Stauffer Andrew, Introductory biology, Princeton, N.J.: Van Nostrand Co, 1954

248. Stein, R. H., Baker Exegetical Commentary on the New Testament: Mark, Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008

249. Stein, R. H., Luke, Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001

250. Suggs, M. Jack, et al. The Oxford Study Bible: Revised English Bible with Apocrypha, New York: Oxford University Press, 1992

251. Sumney, Jerry L., The Bible: An Introduction, Fortress Press, 2009

252. Sylvia Claire, A Change of Heart: A Memoir, London: Warner Books, 1998

253. Taylor, Joan E., Christians and the Holy Places: The Myth of Jewish-Christian Origins, Oxford: Clarendon Press; Oxford; New York: Oxford University Press, 2007

254. The Encyclopaedia Britannica, New York: Encyclopaedia Britannica, 1911

255. Tortora, Gerard J. and Grabowski, Sandra Reynolds, Principles of Anatomy and Physiology, HarperCollins College Publishers, 7th ed

256. Tsumura, David Toshio, The Earth and the Waters in Genesis 1 and 2: A Linguistic Investigation, Sheffield Academic Press, 1989

257. Tuck, Robert, ed. A Handbook of Scientific and Literary Bible Difficulties, New York: Thomas Whittaker, 1891

258. Utley, R. J. D., The Gospel According to Peter: Mark and I & II Peter. Study Guide Commentary Series, Marshall, Texas: Bible Lessons International, 2001

259. Vogt, Gregory, Meteors and Comets, LernerClassroom, 2010

260. W. King, Leonard, Enuma Elish: The Seven Tablets of Creation, New York: AMS Press, 1976

261. Waite, Charles, History of the Christian Religion to the Year Two Hundred, Chicago: C.V. Waite & cc.

262. Wakemann, K., God's Battle with the Monster, A study in Biblical imagery, Leiden, 1973

263. Waltke, B. K., Houston J. M., & Moore E., The Psalms as Christian Worship: A Historical Commentary, Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2010

264. Walton, J. H., Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament), Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009

265. Walton, J. H., Lost World of Genesis One: Ancient Cosmology and the Origins Debate, Downers Grove, Ill.: IVP Academic, 2009

266. Walton, John H., The Lost World of Adam and Eve: Genesis 23- and the Human Origins Debate, Downers Grove: Intervarsity Press, 2015

267. Walton, John H., Ancient Near Eastern thought and the Old Testament: Introducing the conceptual world of the Hebrew Bible, Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006

268. Walvoord, J. F., Zuck, R. B. & Dallas Theological Seminary, The Bible Knowledge Commentary: An exposition of the scriptures, Wheaton, IL: Victor Books., 1985

270. Warren, William Fairfield, The Earliest Cosmologies, New York Eaton & Mains, 1909

271. Watts, A.B., Isostasy and Flexure of the Lithosphere, Cambridge Univ. Press., 2001

272. Weiner, Jonathan, Planet earth, Toronto; New York: Bantam Books, 1986

273. Wenham, G. J., The Book of Leviticus, Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1979

274. Wenham, G. J., Genesis 1- 15, Dallas: Word, Incorporated, 2002

275. Wesley, John, Explanatory Notes upon the Old Testament, Ohio: Sch Publisher, 1975

276. Westermann, Claus, Genesis 1- 11, Minneapolis: Fortress Press, 1944

277. Whitney S. W., The Revisers' Greek Text: A Critical Examination of Certain Readings, Textual and Marginal in The Original Greek of the New Testament, Boston: Silver, Burdett, 1892

278. Wildberger, H., A Continental Commentary: Isaiah 2839-. Translation of: Jesaja, Minneapolis, MN: Fortress Press, 2002

279. Wildberger, Hans, Isaiah: Isaiah 1327-, Fortress Press, 1991

280. Wilson William, Wilson's Old Testament Word Studies, VA: MacDonald Publishing Co.

281. Woods, C. M. & Rogers J., Leviticus-Numbers, Joplin, Mo.: College Press, 2006

282. Xavier, Francis P., God of the Atoms, New Delhi: ISPCK and LIFE, 2006

المقالات الإنجليزية:

1. Larue, Gerald A., 'The Bible as a political weapon', Free Inquiry, Summer, 1983

2. Albright, W. F., 'Contributions to Biblical Archaeology and Philology', in Journal of Biblical Literature, Vol. 43, No. 31924) 4/), p.365.

3. Holmstedt, Robert D., "The Restrictive Syntax of Genesis I 1", in Vetus Testamentum, Vol. 58, Fasc. 1 (2008), p.58.

4. Holmes, Bob, Origin of Earth's water traced back to the birth of our planet, New Scientist

<https://www.newscientist.com/article/dn28485-origin-of-earths-water-traced-back-to-the-birth-of-our-planet/>.

5. Gall, Christa, et al. 'Rapid formation of large dust grains in the luminous supernova 2010jl', in Nature, volume 511, pp. 326–329 (17 July 2014).

6. Cain, Fraser, 'Supernovae Produce Dust More Efficiently Than Previously Thought', universetoday.com, JULY 17, 2003

<https://www.universetoday.com/8716/supernovae-produce-dust-more-efficiently-than-previously-thought/ >.

7. Hasel, Gerhard F., 'The "Days" of Creation in Genesis 1: Literal "Days" or Figurative "Periods / Epochs" Of Time?,' in Origins 21(1): 38 (1994).

8. Cosner, Lita, How does the Bible teach 6,000 years?. Creation

< http://creation.com/6000-years >.

9. Kale, Andy, Invisible shield found thousands of miles above Earth blocks 'killer electrons', ScienceDaily, November 26, 2014

< https://www.sciencedaily.com/releases/201414126133829/11/.htm >.

10. Waugh, Rob, Incredible Nasa video shows 4.5 BILLION years of the moon's history in just three minutes, DailyMail, 15 March 2012

<https://www.dailymail.co.uk/sciencetech/article-2115293/Incredible-Nasa-video-shows-45--BILLION-years-moons-history-just-minutes--including-asteroids-shaped-pitted-surface-Earth.html>.

11. Ciancaglini, C., 'The Syriac Version of The Alexander Romance', in Le Muséon, Revue d'études Orientales, Louvain-la-Neuve, 2001, Tome 114, Fasc.12-

12. B. M. Wheeler, 'Moses Or Alexander? Early Islamic Exegesis of Qur'an 18:6065-', Journal of Near Eastern Studies, 1998, Volume 57

13. Frisinger, Howard, 'Meteorology before Aristotle', Bulletin of the American Meteorological Society, Vol. 52, No. 11 (November 1971)

14. Vidal, John, Huge coral reef discovered at Amazon river mouth, TheGuardian, Fri 22 Apr 2016

<https://www.theguardian.com/environment/2016/apr/22/huge-coral-reef-discovered-at-amazon-river-mouth>.

15. Moura, Rodrigo L., et al. 'An extensive reef system at the Amazon River mouth', Science Advances 22 Apr 2016: Vol. 2, no. 4

16. Art. 'Hail', Encyclopaedia Britannica

< https://www.britannica.com/science/hail-meteorology >.

17. Avi-Yonah, M., "A List of Priestly Courses from Caesarea", Israel Exploration Journal. 1962. 12

18. Yehuda Shurpin, , Where Is Mount Sinai? Why don't the rabbis know where it is?, Chabad

<https://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/4021233/jewish/Where-Is-Mount-Sinai.htm>.

19. Benjamin Sommer, "Sinai", bibleodyssey

< http://www.bibleodyssey.org/en/places/main-articles/sinai>

20. Samuel S. Kottek, "Embryology in Talmudic and Midrashic Literature" in Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981).

21. Embryology in the Qur'an: A description of the Mudghah Stage, islampapers

< https://islampapers.com/201312/06//the-mudghah-stage/ >.

22. Jackson, C. M., 'Pioneers in Embryology', The Journal of the American Medical Association, Volume 76

23. Kottek, Samuel S., 'Embryology in Talmudic and Midrashic Literature', Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981).

24. Saliba, George, 'Science and Medicine', Iranian Studies, Vol. 31, No. 34/, A Review of the "Encyclopaedia Iranica" (Summer - Autumn, 1998).

25. Mathews, F.; Johnson, P. J; Neil, A. (2008). "You are what your mother eats: evidence for maternal preconception diet influencing foetal sex in humans" Proc Biol Sciv.275(1643); 2008 Jul 22.

< https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2602810/ >.

26. Preus, Anthony, Galen's Criticism of Aristotle's Conception Theory, in Journal of the History of Biology, vol. 10, no. 1 (Spring 1977)

27. Tweel, Jan G. van den, Taylor, Clive R., 'A brief history of pathology', Virchows Arch (2010) 457

<https://www.thetimes.co.uk/article/hills-are-alive-with-the-sound-of-ants-talking-to-each-other-jcv2krlcszf >.

28. Smith, Lewis, Hills are alive with the sound of ants — talking to each other, February 6 2009, The Times

<https://www.thetimes.co.uk/article/hills-are-alive-with-the-sound-of-ants-talking-to-each-other-jcv2krlcszf >.

29. Hickling, Robert, 'Analysis of acoustic communication by ants', The Journal of the Acoustical Society of America, Volume 108, Issue 4

<https://asa.scitation.org/doi/10.11211.1290515/>.

30. Stanford researchers discover the 'anternet'. Stanford

<https://news.stanford.edu/news/2012/august/ants-mimic-internet-082312.html>.

31. Smith, Lewis, Hills are alive with the sound of ants — talking to each other, The Times, February 6 2009. Times

<https://www.thetimes.co.uk/article/hills-are-alive-with-the-sound-of-ants-talking-to-each-other-jcv2krlcszf >.

32. Meyers, Stephen C., The Bible and Science, online articles

33. Moeller, Henry R., 'Book Review: Two Books on Bible Botany Plants of the Bible', The Bible Translator, January 1, 1959 , Volume: 10 issue: 1

34. Fuller, Daniel P., 'Benjamin B. Warfield's View of Faith and History', Bulletin of the Evangelical Theological Society, Vol. 11, No.2 (Spring, 1968).

<https://www.etsjets.org/files/JETS-PDFs/112-11// BETS_11_2_7583-_Fuller.pdf>.

35. Dalrymple, G. Brent, 'The age of the Earth in the twentieth century: a problem (mostly) solved' in Special Publications, Geological Society of London, 2001, 190 (1): 205–221.

36. Kottek, Samuel S., "Embryology in Talmudic and Midrashic Literature" in Journal of the History of Biology, Vol. 14, No. 2 (Autumn, 1981).

37. Freemon, F.R., 'Galen's ideas on neurological function', J Hist Neurosci. 1994 Oct;3(4).

38. Kopple, J.D., 'The Biblical View of the Kidney', Am J Nephrol 1994; 14.

<https://www.karger.com/Article/Pdf/168735>.

39. Thompson, Paul, Man given heart of suicide victim marries donor's widow and then kills himself in exactly the same way . Dailymail

<http://www.dailymail.co.uk/news/article-557864/Man-given-heart-suicide-victim-marries-donors-widow-kills-exactly-way.html>

40. Rozman, Deborah, Let Your Heart Talk to Your Brain. Huffingtonpost
<https://www.huffingtonpost.com/heartmath-llc/heart-wisdom_b_2615857.html>.
41. Kramer, S.N., “Babel of Tongues”: A Sumerian Version. Journal of the American Oriental Society, 1986

الكتب الفرنسية:

1. Freudenthal Gad, Kottek Samuel S., eds. Mélanges d’Histoire de la Médecine Hébraïque, Brill, 2003
2. Klein David, Dodinval Pol, La Génétique Humaine au Service de la Médecine, Gene,ve : Editions Me,decine et Hygie,ne, 1979
3. Minois Georges, L’Eglise et la Science: Histoire d’un malentendu, Paris: Fayard 1990
4. Sander, Nathaniel Philippe et Trenel Iasac, Dictionnaire Hébreu-français, Geneve: Slatkine Reprints, 2000

المقالات الفرنسية:

Letronne, Jean-Antoine, ‘Des Opinions Cosmographiques des Pères de L’Eglise,’ in Revue des Deux Mondes, 1834, t.i.

السيد سليمان السيد علي الرفاعي
غفر الله له ولوالديه ولذريته



وصية المرحوم
السيد سليمان السيد علي الرفاعي
غفر الله له ولوالديه ولذريته